

لکھن

0.1

297.1
H231
V.15

تحليل صاح المقر
تلفون ٢٢٩٧٧

297.207:H23tA

v.1 - 5

حمزه ، محمود محمد

تفسير القرآن الكريم

297.207

H 23 t A

V. 1 - 5

201

IND 68

DAFET LIB.

10 AUG 1976

2
1 NOV 1983
J. Lib.

DAFET LIB.

23 JUL 1980

J. LIB.

18 MAR 1981

1
D 68

J. LIB.

- 2 MAR 1981

297.207
H237A
V.1-5
C.1

تفسير القرآن الكريم

الجزء الأول

تأليف

حسين علوان

مراقب بوظارة المعارف

محمد محمد حمزة

المفتتش بالتعليم الثانوى والفنى (سابقاً)

والأستاذ بدار العلوم (سابقاً)

محمد احمد درانق

المفتتش العام بالتعليم الابتدائى

جميع الحقوق محفوظة للمؤلفين



مطبوع الطبع و النشر
دار المعرف بمصر

هذا القرآن هو السجلُ الحالُ لِدِينِ الْمُسْلِمِينَ ، وَكِتَابُ اللَّهِ الَّذِي يَحْكُمُ
بِيَنْهُمْ بِالْحَقِّ فِي كُلِّ عَهْدٍ ، وَكُلِّ زَمَانٍ ، فَيَهْدِيهِمْ إِلَى الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ ،
وَيَأْتِيهِمْ بِالْبَيِّنَاتِ إِذَا مَا وَقَعَ بَيْنَهُمْ حَدَثٌ ، أَوْ أَشْكَلَ عَلَيْهِمْ أَمْرٌ ، أَوْ أَمْلَتْ
نَازِلَةٌ ، فَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ، وَيُمْيِزُ الْخَبِيثَ مِنَ الْطَّيِّبِ ، وَيَنْصُرُ
الْحَقَّ عَلَى الْبَاطِلِ «إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِتِي هِيَ أَقْوَمُ ، وَيُبَشِّرُ
الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتَ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا» .

هذا القرآنُ مُعْجَزٌ لِأَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ، وَلَيْسَ فِي مَقْدُورٍ مُخْلُوقٌ أَنْ يَحَاكِيهِ
أَوْ يَدْانِيهِ ، مُعْجَزٌ بِأَحْكَامِهِ وَحُكْمِهِ ، وَأَسْلوبِهِ وَنَظْمِهِ ، مُعْجَزٌ لِأَنَّهُ يُفْحِمُ
الْمُعَانِدِينَ ، وَيَقْنَعُ الْمُؤْمِنِينَ ، وَيَبْيَنُ الْغَافِلِينَ ، وَيَهْدِي الْضَّالِّينَ ، ضَمَّنَتْ
دَفْتَاهُ مَا اندَّرَ فِي ضَمِيرِ الزَّمْنِ مِنْ أَنْبَاءِ الْأَمْمِ وَآثَارِهِمْ ، فِي قَصَصِ طَوَالٍ ،
أَوْ جَمِيلِ قَصَّارٍ ، فِيهَا ذَكْرِيَاتٌ وَعَبْرَةٌ ، وَدَرَاسَةٌ وَخَبْرَةٌ «الْأُمُّ تَرَ كَيْفَ فَعَلَـ
رَبَّكَ بَعْدَ ، إِرَامٌ ذَاتِ الْعَمَادِ ، الَّتِي لَمْ يَخْلُقْ مِثْلَهَا فِي الْبَلَادِ ، وَشَوْدَدَ الَّذِينَ
جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ، وَفَرْعَوْنَ ذَى الْأَوْتَادِ ، الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبَلَادِ ،
فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ، فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ، إِنَّ رَبَّكَ
لِبَلْرَمْ صَادَ» .

قصصُ أَرْبَعٍ ، فِي سُطُورِ أَرْبَعٍ ، حَوْتُ أَخْبَارًا وَآثَارًا ، وَمَثَلَتْ ظَلَمَّاً
وَطَغِيَانًاً ، وَنَبَأَتْ بِغَضْبِ اللَّهِ عَلَى الْمُفْسِدِينَ الظَّالِمِينَ ، وَانْصَابَ عَذَابُهُ عَلَى
الْطَّغَاةِ الْجَبَارِيْنَ .

وهذا القرآن له على نفس كل مسلم إشراق ، وله في قلب كل مؤمن
هدى نور ، ولكل إنسان فيه بيانٌ وحجّةٌ ، وموضعٌ حسنةٌ ، سواءٌ في
ذلك الأُمّي والقارئ ، والجاهل والمتعلم .

أما الأُمّي فيقشعر منه بذنه خوفاً وخشيةً ، ويطمئن به قلبه يقيناً وإيماناً ،

ويدرك وهو يسمعه — على قلة حظه من الإدراك والمعرفة — **ـ ما رُسِّمَ فيه من آداب وشرائع وأحكام .**

ويتلوه القارئ — و مجرد القراءة هو كلّ ما أوتي من ثقافة — فيقف دون مشقة أو جهد على أباء السابقين ، وحدود الدين ، ويعرف ما رسم من نظم اجتماعية واقتصادية ، وسياسية ومدنية ، وعمرانية وكونية .

ويدرسه المتعلمُ العالمُ ، والتأملُ المتعمقُ ، والباحثُ المستبحر ، فيعبر كلما أمعن في الدراسة والتأمل ، والبحث والتعمق ، على جديد من العلوم ، وبدفع من النظم ، وينكشف له عن سرّ من أسرار الكون ، يُوقنُ عنده أن هذا القرآنَ — لا ريب — تنزيلُ العزيز الحكيم ، وهذا الكونُ — لا شك — صنعُ العلي العظيم .

هذا القرآنُ **يُحِسْ** من يتلوه باللسان ، أو يسمعه بالأذن ، أو **يُعْمَلُ** فيه العقلَ والفكرَ ، أو يفرغ إليه الفؤاد والقلب ، أن اللسانَ يذوق منه عذوبةَ وحلوةَ ، والأذنَ تتلقى منه نغمًا بديعاً غريباً ، والعقل يمضى فيه من حجة إلى حجة ، ويتنقلُ من بيضة إلى بيضة ، وكل ما يعرضُ له من حجة وبيضة معقولٌ ومقبولاً ، لكنه لا ينتهي إلى نهاية ، ولا يقف عند غاية ، فكل يوم يكشف العقلُ منه عجيبةً ، ويعرف منه جديداً . هذا القرآن ليس كمثله كلام البشر ، مهما كان كلام البشر عذوبةً في اللسان ، ووقدًا في الأذان ، وحِكمَهُ يقصر العقلُ عن أن يستوعبَ كنهها ، أو يحدّ محيطها .

هذا كله شيء من عظمة القرآن ، وسر من أسرار إعجازه . « لا يأتيه الباطلُ من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيلٌ من حكيم حميد ». من أجل هذا عزّ على الدارسين أن يستوعبوا القرآن درساً وبختاً ، وأن يبلغوا منه غايةً أو نهايةً ، لأنَّ الدرس والبحث من أدوات الناس ، وهو ما في عجز — لا شك — عن الإحاطة كلَّ الإحاطة بكلام الله ، والعلم كلَّ العلم بكتاب الله .

ومن أجل هذا يتقادم الزمن ، ويتجدد القرآن ، ويصلّ الرأي ، ويهدى القرآن ؛ ويكشف العلم ، ويفيد القرآن ؛ ويضع الناس الشرائع والقوانين لتنظيم الحياة ، وضمان الحقوق ، فلا يلبث أن يتكتشف لهم اضطراب الحياة ، وضياع الحقوق ، في ظل ما وضعوا من شرائع ، وما سنوا من قوانين ، فيغيرون ويفسدون ، إلا أن يكونَ من وحى القرآن .

وكتاب الله شرع للناس ديناً لو أخذوا به ما ضلوا ، بل ما خسروا الدنيا والآخرة ، دين صالح لكل زمان ومكان — سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلاً .

وإن ما بيَّناه في شأن كتاب الله هو ما كان يعتلج في نفوسنا ، وما جرَّ إليه حديثنا ، حينما عقد المجلس بين ثلاثتنا ، فاتفق الرأيُ على أن الحياة مسرعة ، حتى أوفت بنا على الشييخوخة أو كادت ، دون أن تحدثَ في الحياة ذكرًا ، أو تقدم للناس خيراً ، أو تدخر عند الله أجراً . ولو كنا من ذوي المال لأنفقنا منه في سبيل الله ، وقدّمنا منه عند الله خيراً لأنفسنا ؛ ولو كنا من ذوي الحاجة والسلطان بجعلنا هذا الحاجة ، وذاك السلطان ، لله وفي سبيل الله . ولكن ما الحيلة ؟ ! لا مال ولا سلطان ندّخر منها عند الله ، وما عند الله خير وأبقى .
فليكن زادُ الدارين ، وذرُّ الحياتين ، تفسير القرآن .

ولقد رأينا ونحن نحدد المنهج المرغوب ، ونقسم معالم الطريق السوى للتفسير — أن نرجع — أولاً إلى المفسرين السابقين والمعاصرين ، فننقف على ما قالوا ، وما فهموا ، وما رأوا ؛ ونعود إلى خاصة قولنا ، وفهمنا ، ورأينا ؛ ثم نُحكِّم بيننا وبينهم ما استجدى في العلم ، وما تكشف من أسرار الكون ، وما تقصى به العادة والعرف وسنن الحياة ، فتؤيد ما ثبت من قول ، وفهم ، ورأى .

ولقد رأينا أن نعرض المقصود أولاً من معانى الكلمات والعبارات والجمل عرضًاً جملًا ، لنخفف على من يتبعى مجرد التلاوة مؤونةً بالإطلاع على المعانى المبسوطة ، والأحكام المفصلة ، والحكم المبينة ؛ ثم نشرح الآيات شرحاً بين القصد والتفصيل ، والإيجاز والتطويل ، حتى لا يستغلق ولا يُمل ، متجلبيين

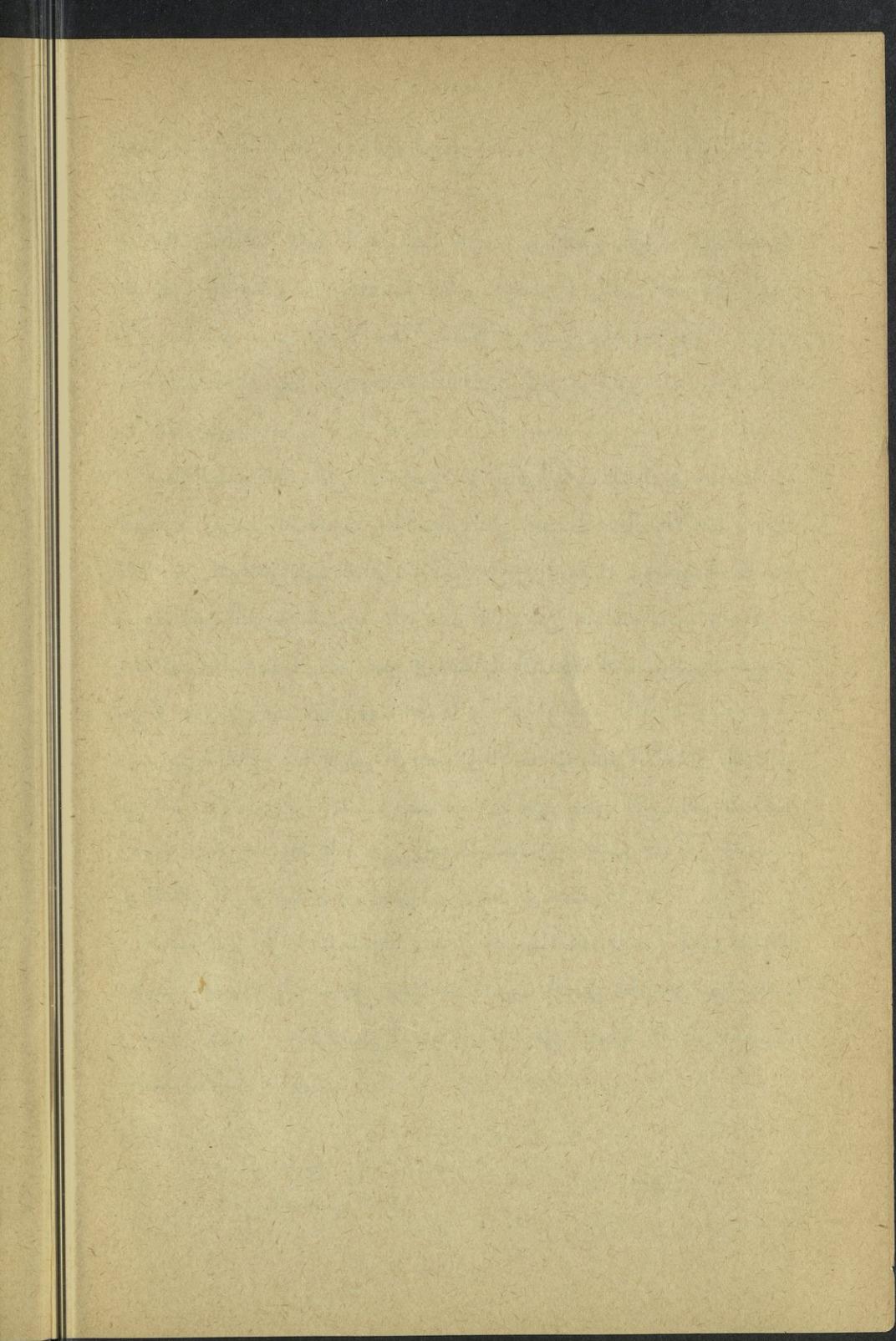
التعمق الذى يكىد الذهن ، مراجعين الوضوح الذى يلم بكل الدقائق والإشارات ، والمرامي والغايات .

وقد كان من دأبنا الأخذ بسنة التيسير فى التعبير ، وفي بيان الحدود والفرائض والأحكام ؛ وتلك سنة العزيز الحكيم « يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ - وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ». وتلك السنة أيضاً هي وصية نبِيِّنَا لَنَا ، فَإِنَّهُ هُوَ الَّذِي يَقُولُ : « يُسْرُوا وَلَا تُعُسِّرُوا » .

وقد اجتمع الرأيُ على أنَّ نحرصَ على بيان أسباب التزول في أسلوب من القصة ، وعرض للأحداث والملابسات التي سبقت نزول الآيات ، فإن ذلك يعين كثيراً على فهم القرآن ، والمتمكن من إدراك معانيه ، ومعرفة أحكامه ؛ ويربط بين التاريخ والتشريع ، ويحيط اللثام عن عادات الناس وأحوالهم ، وأخلاقهم وطبعاتهم ؛ ولقد صرَّ في اعتقادنا أنَّ معرفة أسباب التزول هي من أهم ما يعين على فهم القرآن فهماً صحيحاً .

ومن غايتنا في هذا التفسير أن نشير إلى الأحداث والنظم والأخلاق والعادات التي جرت وتجرى بين الناس في هذا الزمان ، والتي ينطبق كتاب الله بأسبابها ، وغايتها ، وخيرها ، وشرها ؛ حتى يرجع المسلمين إلى كتابهم كلما ألمَّ حدثَ ، أو أشكَلَ أمر ، فيهدى إلى الحق ، وإلى طريق مستقيم .

ولستنا نزعم أننا حققنا ما أردنا ، ولكن ما يبيّنَاه كان غايتنا ، فإن وفقنا فله الحمد ، ودعاؤنا إليه - جلَّ وعلا - أن يهب التوفيق لكل من يعزِّ دينه ، ويخدم كتابه ؛ هذه سبيلنا أدعُّوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني ، والحمد لله رب العالمين .



سورة الفاتحة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ . الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ . مَالِكُ يَوْمِ
 الدِّينِ . إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ . اهْدِنَا الصَّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ .
 صَرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ، غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ، وَلَا
 الظَّالِمِينَ .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
الحمد لله	الشُّكْرُ لِهِ وَالشَّاءُ عَلَيْهِ .
رب العالمين	السَّيِّدُ الْمَرْبِيُّ ، الْقَائِمُ بِشَؤُونِ جَمِيعِ الْمُخْلُوقَاتِ .
الرحمن الرحيم	{ المتصف بالرأفة والعطاف ، المنعم بجميع النعم صغيرها وكبيرها .
مالك يوم الدين	{ المنفرد وَحْدَهُ بِالْتَّصْرِيفِ فِي شَؤُونِ الْخَلْقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، لِيَجَازِي كُلَّ إِنْسَانٍ عَلَى عَمَلِهِ ، وَالْدِينِ : الْجَزَاءُ وَالْحِسَابُ .
إياك نعبد	نَخْصُلُ بِالْعِبَادَةِ .
إياك نستعين	لَا نَلْجأُ فِي حَاجَاتِنَا إِلَّا إِلَيْكَ .
اهدنا الصراط المستقيم	عَرَّفَنَا الطَّرِيقَ الْمُعْتَدَلَ ، وَهُوَ دِينُ الْإِسْلَامِ .
أنعمت عليهم	مَنْحَتُمُهُمْ مِنْ نِعْمَكَ مَا عَرَفُوا بِهِ الدِّينَ الْحَقَّ .

الألفاظ	شرحها
غير المغضوب عليهم	{ غير الذين خرّجوا عن الحق بعد علمهم به ، فاستحقوا غضبك . }
الصالين	{ الذين يضلّون عن سبيل الله ، ويحاولون أن يغيّروا دينه أو يبدلوه ، أو يحرفوه عما وضع له . }

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تُفْتَحَ جُمِيعُ سُورَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ بِالْبِسْمِلَةِ — مَا عَدَ سُورَةُ التُّوْبَةِ — كَمَا سِيَّأَتِيَ —
تَيْمَنًا بِاسْمِ اللَّهِ مَصْدِرِ الْإِنْعَامِ وَالْبَرَكَةِ ، وَتَبَيَّنَ لِلنَّاسِ أَنَّ هَذِهِ السُّورَةَ أَنْزَلَهَا اللَّهُ
بِرَحْمَتِهِ وَفَضْلِهِ هُدَايَةً خَلْقَهُ ، كَذَلِكَ تُذَكَّر طَاعَةً لِأَمْرِهِ جَلَ شَانَهُ ، فَقَدْ
أَمْرَنَا بِذِكْرِ اسْمِهِ فِي مُنَاسِبَاتٍ كَثِيرَةٍ ، كَقُولَهُ : وَادْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً
وَأَصِيلًاً ، وَقُولَهُ : وَلَا تَأْكُلُوا مَا لَمْ يُذْكُرْ كَرْ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ ، وَقُولَهُ : وَادْكُرْ
رَبِّكَ إِذَا نَسِيْتَ ؛ وَيَكُونُ الْمَرَادُ : أَبْتَدَى وَأَتَيْمَنَ فِي قِرَاءَتِي أَوْ عَمَلِي بِاسْمِ
اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، مُسْتَمدًا بِالْعُوْنَ وَالْقُوَّةِ مِنْهُ وَحْدَهُ .

مُجْمَلُ الْمَعْنَى

١ — الشَّنَاءُ وَالشُّكْرُ لِلَّهِ وَحْدَهُ ، الَّذِي يَدْبِرُ أُمُرَ الْخَلْقَاتِ ، وَيَرْبِّي عَالَمَ الْإِنْسَانِ
وَالْحَيَوانَ وَالنَّبَاتَ فِي الدُّنْيَا ، بِالْحَيَاةِ وَالغَذَاءِ وَالتَّنَاسُلِ ، فَيَمْنَحُهَا مِنْ نَعْمَةٍ
مَا يَحْفَظُ بَقَاءَهَا ، إِحْسَانًا مِنْهُ وَرَحْمَةً ، وَهُوَ وَحْدَهُ صَاحِبُ السُّلْطَانِ وَالْقُوَّةِ
وَالْتَّدْبِيرِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا ، وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ
يَوْمَ يَحْاسِبُ كُلَّ إِنْسَانٍ عَلَى عَمَلِهِ ، إِنْ خَيْرًا فَخَيْرٌ ، وَإِنْ شَرًّا
فَشَرٌ .

٢ — أنتَ يا ربنا المستحق لآنٌ نخصّك بالعبادة ، فنطريك ونخضع لك ،
باتباع ما أمرتنا به ، وتجنّب ما نهيتنا عنه ، لأننا عبادك الخاضعون
لمشيتك ، كما أنك المستحق وحدك لأنّ نستعينك على جلب الخير لنا ،
ودفع الضرّ عنا ، فلا نلجأ إلا إليك ، ولا نطلب المعونة إلا منك ،
ولا نتوسل إليك بشفاعة في تيسير أمورنا ، وشفاء مرضانا ، وقضاء حاجاتنا ،
لأنك أقرب إلينا من حبل الوريد .

٣ — فدُلّنا أهيا الألهُ القادرُ على طريق الخير دلالةً تحفظنا من الضلال والخطأ ،
ووقفنا إلى السير فيه ، وهو الطريقُ المعتدلُ الذي لا ينحرفُ عن
الحادَّة ، ولا يميل عن الغاية ، الطريقُ الموصَّل إلى الحق والمهدى ، طريقُ
أهل الإيمان والصلاح من عبادك الذين أنعمتَ عليهم من النبيين
والصادقين والشهداء والصالحين ، وأبعدنا عن طريق من غضبتَ عليهم
من الكفار ، من حادوا عن سبيل الحق بعد علمهم به ، وأبعدنا عن طريق
من ضلوا عن سبيلك ، وانحرفوا عن شرائعك ، سواءً كان ذلك عمداً وعندأ ،
أم غواية وضلالاً ، محاولين أن يغيِّروا دينك الحق أو يبدلوه ، أو
يحرّفوه عما وضع له .

سورة البقرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١)

اللَّمَ . ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ ، هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ . الدِّينَ
يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ ، وَمَمَا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ .
وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ ،
وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ . أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ
هُمُ الْمُفْلِحُونَ . إِنَّ الدِّينَ كَفَرُوا سَوَابِعَ عَلَيْهِمْ أَنْذَرْتَهُمْ أَمْ
لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ . خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ ،
وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ ، وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
الـَّم	ثلاثة أحرف من أحرف المسميات سيأتي بيانها .
الـَّكْتَابُ	القرآن .
لَا رَيْبٌ	لَا شَكٌ .

الألفاظ	شرحها
فيه هدى للمتقين	{ فيه هدايةٌ لِمَنْ يَعْمَلُونَ أَعْمَالَهُمُ الصَّالِحةُ، وَقَاتِلَةُ لِمَنْ مِنْ عَصَبَ اللَّهُ.
يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة	يصدقون بما لم يدْرُكه حسهم مما أخبر به الرسول ويؤدون الصلاة حق الأداء .
وما رزَّقَنَاهُمْ يُنفِقُونَ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ	وَمِمَّا أَعْطَيْنَاهُمْ مِنِ الرِّزْقِ يُنْذِلُونَ . أَوْحَى إِلَيْكُمْ ، كَالْقُرْآنَ الَّذِي أَنْزَلَهُ اللَّهُ عَلَيْكُمْ .
وَمَا أَنْزَلَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَبِالآخِرَةِ	{ بِالْكِتَابِ الْمُنْزَلَةِ عَلَىٰ مَنْ قَبْلَكُمْ مِنَ النَّبِيِّينَ ، كَالْتُورَاةِ وَالْإِنْجِيلِ .
يُوقِنُونَ المفلحون	وَبِالْدَارِ الْآخِرَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ . يُعْتَقِدُونَ اعْتِقَادًا جَازِمًا .
سُوَاءُ عَلَيْهِمْ أَنْذَرَتْهُمْ	الْأَمْرَ مَرَانٌ مُسْتَوْيَانٌ بِالنَّسْبَةِ إِلَيْهِمْ . أَحْوَافُهُمْ عَذَابَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .
خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ	مَنْعِهَا أَنْ تَتَفَتَّحَ لِتَدْرِكِ الْحَقِّ ، لَمَّا جَبَلَتْ عَلَيْهِ مِنْ الْعَنَادِ وَالْمَكَابِرَةِ .
وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غَشَاوَةً عَذَابٌ عَظِيمٌ	وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غُطَاءٌ كَالْعَصَابَةِ . عَذَابٌ شَدِيدٌ جَدِيدٌ ، يَعْظِمُ إِيَالَمَهِ .

مجمل المعنى

١ — بدأ الله سورة البقرة — وهي السورة التي تلي فاتحة الكتاب — بثلاثة أحرف من حروف الهجاء ، تحدياً للعرب بالقرآن الكريم ، فهـى تشير إلى أنَّ كلامَ الله لا يعدو أن يكونَ مؤلفاً من حروف الهجاء التي

يتكلمُ بها العرب ، ومنظوماً مما ينظمونَ به أقوالهم في شعرهم ونثرهم ،
مثل الألف واللام واليم ، والمعاذون قادرون على أن يؤلفوا كلاماً مركباً
من حروف الهجاء ، ولكنهم عاجزون عن صوغه في أسلوب مثل
أسلوب القرآن ، فلو كان من عند غير الله لما عجزوا — مع فصاحتهم
وشدة عارضهم — عن الإتيان بمثله أو بما يداريه ، ولذلك هدا التحدى
أولَ ما يقرئُ الأسماع ، ومستقلًا بنوع من الإعجاز ؛ وقد دلّ الإحصاء
على أن الحروف التي وقعت في فواتح السور من هذا الطراز أربعة عشر
حرفاً، هي نصف حروف الهجاء ، ليقاسَ ما عدتها عليها ، كأنَّ الله
سبحانه وتعالى يقول : الحروف التي تألف منها هذا الكتابُ من جنس
ما تؤلفونَ في كلامكم أيها المعاذون ، وأنتم أولو اللسان وأئمةُ الفصاحة ،
فأتوا بمثل ما أتيتُ به في هذا الكتاب في قوّة فصاحتكم ، وعلوّ بلاغته ، ولذلك
عقَّبَ قوله : « ألم » بقوله : « ذلك الكتابُ » ، أي أن ذلك الكتابَ
تألف من هذه الأحرف ونحوها ، والعجيبُ أننا نلاحظ أن الألفاظَ
التي تألفت من هذه الحروف الأربعَ عشر في فواتح السور ، نهجت
منهج ما نطق به العرب في كلامهم ، فإن الكلمات المجردة من الزوائد
لا تتجاوزُ خمسةَ أحرف مثل سفرجل ، وكذلك هذه الألفاظ مثل
كهييغص .

٢ — وما دمتم أيها المكابرُون قد ثبتَ عجزكم ، وظهر إخفاقكم ، فاعلموا أن
أن هذا القرآن الذي بلغ أقصى درجات الفصاحة ، ومراتب البلاغة ،
هو كتابٌ أنزله الله على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم بلا شكّ ،
فيه هدايةٌ لمن اتقوا الله ، وهوُ الذين يجعلون أعمالهم الصالحة ، بامتثال
أوامر الله واجتناب نواهيه ، وقاية لهم من عذابه يوم القيمة .

٣ — هؤلاء المتقوونَ هم الذين يصدقون تصديقاً جازماً بما أخبرهم به الله ، ولم
بدر كه حسنه من السمعيات ، كالبعث والحساب ، والجنة والنار ،

وقلوا بهم مطمئنةً بما آمنوا به ، ويؤدون الصلاةَ وسنها حقَّ الأداءِ
بلا فتور ولا توان ، معَ المراقبةِ عليها ، وينفقون عنْ طواعيةٍ واختيارٍ ،
طاعةً للهِ مما أعطاهُم من العلمِ واللحاظِ والرزقِ الحلال ، على الأهلِ وذوي
القربى والمحاجين ، ابتغاء وجه الله ، لا ابتغاء شهارة ، وهوَ مستتر ،
وهم الذين يصدقون بما أنزلَ عليك من القرآن ، وبما أنزلَ على
الأنبياءِ من قبلك ، كالتوراة التي أنزلت على موسى ، والإنجيل الذي أنزل
على عيسى ، ويوقنون إيقانًا لا يلحقه شكٌ ، ولا يعتريه ريبٌ ، ب يوم
القيمة ، حيثُ الجزاءُ والحسابُ على الأفعال ، وليس المراد بالإنزال التقلَّ
من مكان عال إلى ما دونه ، وإنما المراد الإنزالُ المعنى من المقام
الإلهي الأسمى ، إلى أحد عباده المصطفينَ من الأنبياء ؛ وأكَدَ اللهُ
الإيقانَ بالآخرة بقوله : هم ، لبيانِ أنَّ الإيمانَ بِيَوْمِ الْآخِرَةِ هوَ خاصَّةٌ
من خواصِّ من آمنوا بالكتبِ المتنزلة ، لا يشارِكُهم فيها سواهم .

٤ — هؤلاء الموصوفون بما سبق ذكره ، هم المتمكنونَ من الهدایةِ تمكنَ المستقرَّ
على شيءٍ يعتليه ، وهم الفائزون بالحظةِ يومَ القيمة ، المستمتعون بنعيمها
ال دائمَ .

٥ — وبعد أن ذكر اللهُ خاصَّة عباده ، وخلاصة أوليائه ، وَوَصفهم بالصفاتِ
التي جعلتهم أهلاً للهدايَّةِ والصلاح ، عقبيهم بأضدادِهم العتاةُ الكفارُ
المتمردين ، الذين لا ينفع فيهم تبشيرٌ ولا إنذارٌ ، لأنَّهم كهم في الضلالِ ،
وتُماديهم في العصيانِ ، كأنَّى جهلٍ وأبْي لهبٍ والوليد بن المغيرة ، فبَينَ
أنَّ هؤلاء قد طبعوا على الكفر ، ورسختْ فيه أقدامُهم ، فسواهُ عليهم
إنذارُ النبيِّ إِلَيْهِم بما ينالُهم من العذابِ يومَ القيمة ، وَعدمُ إنذارِه ،
لأنَّهم جاحدون مكابرُون ، يعرفون الحقَّ وينكرونَه عناداً واستكباراً ،
لفسادِ طبعِهم ، وخبث طويتهم ، وكيف ينشرح صَدرُهم للإسلامِ وقد تمكنَ

الكفرُ من قلوبهم ، فأصبحت غيرَ مستعدة لقبول الحقّ ، كأنَّها قد
أغلقتْ ، ووضعَ عليها خاتمٌ ، فلا ينفذُ الحقُّ إليها ؟ وكيف
يستمعون إلى الدعوة إلى المهدى ، وقد أصموا آذانهم عن سماعها ،
وأعرضوا عن الإصغاء إليها ؟ وكيف يرونَ آثارَ قدرة الله وقد نأوا
بأبصارهم عنها ، كأنَّ عليها غطاءً يحولُ دون التطلعِ إليها ؟ وليس المرادُ
بهذا أنَّ المؤلِّى جلَّ شأنه صدَّهُم عن الإيمان قهراً ، وإنما هو تمثيلٌ هؤلاء
الكافر ، في أنَّ الكفرَ قد استحوذَ عليهم ، فسدٌ على قلوبهم وأسماعهم
وأبصارهم منافذَ الحقِّ ، فلا ختمَ ولا تغشية ، بل الغرضُ أن يحدثَ
في نفوسهم ما يحبُّ الكفرَ والمعاصي إليهم ، ويبغض الإيمان والطاعات
إليهم ، لغتهم وعنادهم ، وإعراضهم عن النظر الصحيح ، فتكون قلوبهم
وسماعهم كالكتاب الذي أغلقَ وختمَ عليه بخاتمَ ، ولا تجتلى أبصارُهم
آثارَ قدرة الله كما يحتلها المبصرُون ، وهؤلاء الكفارُ لهم عذابٌ يومَ
القيامة بالغٌ في العظم .

(٢)

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ : أَمَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ ، وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ . يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا ، وَمَا يُخَدِّعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ ، وَمَا يَشْعُرُونَ . فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ، فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ . وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ : لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ ، قَالُوا : إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ، أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ ، وَلِكِنْ لَا يَشْعُرُونَ . وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ : آمَنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ ، قَالُوا : أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ ؟ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ ، وَلِكِنْ لَا يَعْلَمُونَ . وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا : آمَنَّا ، وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا : إِنَّا مَعَكُمْ ، إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ . اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ، وَيُعِذِّهِمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ . أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُ الْضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبَحُتْ تِجَارَتُهُمْ ، وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ . مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا ، فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ ، وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يَبْصِرُونَ . صُمْ بِكُمْ عُمَى فِيهِمْ لَا يَرْجِعُونَ . أَوْ كَصَبَّ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٍ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ ، يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ

(٢)

حَذَرَ الْمَوْتُ ، وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ . يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ
أَبْصَارَهُمْ ، كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ ، وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا ، وَلَوْ
شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَعْيِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ ، إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
يَخَادِعُونَ اللَّهَ	يَفْسِدُونَ إِيمَانَهُمْ وَأَعْمَالَهُمْ فِيهَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ اللَّهِ تَعَالَى بِالرِّيَاءِ ، وَيَقْدِرُونَ فِي أَنفُسِهِمْ أَهْمَمَهُمْ يَخْدِعُونَ اللَّهَ .
وَمَا يَخْدِعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ	لَا تَحْلُ عَاقِبةُ الْخَدَاعِ إِلَّا بِهِمْ .
وَمَا يَشْعُرُونَ	وَلَا يَحْسُنُونَ أَنْ وَبَالَ خَدَاعِهِمْ راجِعٌ عَلَيْهِمْ .
فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ	(فِي قُلُوبِهِمْ شَكٌ وَنَفَاقٌ) ، وَجَحْدٌ وَتَكْذِيبٌ ، يُنْعِها مِنَ التَّوْفِيقِ إِلَى الإِيمَانِ .
فَرَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا	زَادُهُمْ غَمَّاً وَحْزَنًا ، جَزَاءُهُمْ عَلَى كُفْرِهِمْ .
عَذَابُ الْأَيْمَنِ	عَذَابٌ مُؤْلِمٌ مُوجِعٌ فِي الدُّنْيَا .
بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ	بَتَكْذِيبِهِمْ آيَاتُ اللَّهِ وَرَسُولِهِ .
لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ	لَا تُثِرُوا الْفَتَنَ بِخَدَاعِ الْمُؤْمِنِينَ وَمُمَالَةِ الْكُفَّارِ .
إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ	إِنَّمَا نَحْنُ بَعِيدُونَ عَنْ شَوَائِبِ الْفَسَادِ .
كَمَا آمَنَ النَّاسُ	كَمَا آمَنَ غَيْرُكُمْ مِنَ أَحْجَابِ الرَّسُولِ .
السَّفَهَاءُ	الْجَهَلَاءُ الصُّعْنَاءُ الرَّأْيِ .

شرحها	الألفاظ
انفردوا برؤسائهم ، ومنْ يماثلُونَهُم في النفاق .	خَلُوْا إِلَى شَيَاطِنِهِم إِنَا مَعْكُم
إنا باقون على ديننا وعقيدتنا معكم .	نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ
نَحْنُ نَسْخَرُ بِالْمُؤْمِنِينَ بِإِظْهَارِ الْإِيمَانِ .	يَمْدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ
اللَّهُ يُجَازِيْهِمْ عَلَى اسْتِهْزَائِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .	يَعْمَلُهُمْ فِي تَجاوزِهِمُ الْحَدِّ فِي الْكُفَّرِ .
بِمَهْلِهِمْ فِي تَجَاوِزِهِمُ الْحَدِّ فِي الْكُفَّرِ .	يَعْمَلُهُمْ فِي تَجَاوِزِهِمُ الْحَدِّ فِي الْكُفَّرِ .
أَبْتَهِيْرُونَ فِي أَمْوَالِهِمْ ، وَيَمْدُّهُمْ فِي كُفَّرِهِمْ ،	يَعْمَلُهُمْ فِي تَجَاوِزِهِمُ الْحَدِّ فِي الْكُفَّرِ .
لَيَزِدُّهُمْ إِثْمًا .	يَعْمَلُهُمْ فِي تَجَاوِزِهِمُ الْحَدِّ فِي الْكُفَّرِ .
أَخْتَارُوا الصَّلَالَةَ وَاسْتَحْبَوْهَا عَلَى الْهَدَىِ .	اَشْتَرَوْا الصَّلَالَةَ بِالْهَدَىِ
فَقَدْ بَاءَتْ تِجَارَتُهُمْ بِالْبَوَارِ وَالْخَسْرَانِ .	فَمَا رَبَحْتُ تِجَارَتَهُمْ
مَا عَرَفُوا كَيْفَ يَهْتَدُونَ إِلَى التِّجَارَةِ الرَّابِحَةِ بِاتِّبَاعِ	مَا كَانُوا مُهْتَدِينَ
الْهَدَىِ .	مَنْتَهِيَّهُمْ
نَظِيرُهُمْ وَشَبِيهُهُمْ .	اسْتَوْقَدَ نَارًا
أَوْ قَدَّ نَارًا .	أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ
أَنْارَتْ مَا حَوْلَهُ ، فَأَبْصَرَ وَاسْتَدْفَأَ وَأَمْنَ .	ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ
أَطْفَأَ اللَّهُ نُورَهُمْ .	ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ
لَا سَدَوا آذَانَهُمْ عَنْ سَمَاعِ الْحَقِّ صَارُوا كَالْحَصَمِ	ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ
(لَا أَبُوا أَنْ يَعْرِفُوا بِصِحَّةِ دُعَوةِ الرَّسُولِ صَارُوا كَالْخَرْسِ .	ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ
لَا يَرْجِعُونَ عنْ ضَلَالِهِمْ .	لَا يَرْجِعُونَ
وَكَثُلَ ذُوِّ الصَّيْبَ وَهُوَ الْمَطْرُ . وَأَوْ بِمَعْنَى الْوَاوِ .	أَوْ كَصَيْبَ
يَجْعَلُ ذُوِّ الصَّيْبَ .	يَجْعَلُونَ

شرحها	الألفاظ
خوْفَ الْمَوْتِ .	حَذَرَ الْمَوْتَ
مُحِيطٌ عِلْمَهُ بِالْكَافِرِينَ .	مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ
يُسْلِبُ مِنْهُمْ أَبْصَارَهُمْ بِسُرْعَةٍ .	يَخْطُفُ أَبْصَارَهُمْ
سَارُوا فِي ضَوْئِهِ .	مَشَوا فِيهِ
وَقَفُوا .	قَامُوا

انقل القرآن الكريم إلى طائفة أخرى أشدّ خطرًا على المؤمنين من طائفة الكفار، همُ المنافقون الذين يبطون الكفر ويظهرون الإسلامَ، لأنّ عداوةَ الكفار عداوةٌ سافرةٌ، يمكنُ اتخاذُ الأهةَ لها ، ودفعُ عدوانها ، أما العداوةُ الخفيةُ فهي موطنُ الخطر، ومصدرُ الدسائس والسعایات ، إذْ أنَّ أهلها يختلطون بالمؤمنين ، ويتطاولون لهم بالصّدقة والولاء ، فإذا فارقوهم كانوا لهم أعداءً ، وأعلنوا ما تنطوي عليه نفوسهم الخبيثة من الحقد والبغضاء .

مُجَمَّلُ الْمَعْنَى

١ - بعد أن افتتح اللهُ هذه السورةَ بوصف المؤمنين ، وعقّب بشرح حال الكفار الحادين ، بينَ حالةَ طائفةٍ أخرى هي طائفةُ المنافقين ، فأخبر رسوله المصطفى أنَّ من الناس طائفةً آمنوا بأفواهِهم ولم تؤمن قلوبِهم ، كعبد الله بن أبيّ وأصحابه ، فهم مذنبون بين الطائفتين ، وهم أخبثُ الكفار وأبغضُهم إلى الله ، ولذلك أنزَلُهم في النار شرّ منزل ، فقال : إنَّ المنافقين في الدرك الأسفل من النار) ، هؤلاء المنافقون يظهرون للمؤمنين أنهم مصدقون بالله وبيوم القيمة ، كما يصدق المؤمنون ، للتضليل والتوييه ، ولكنهم ليسوا من الإيمان في شيءٍ ، فهم ما كرُون

خادعون لفروط جهلهم ، وقلة عقوبهم ، يقدرون في أنفسهم أنهم يستطيعون خداعَ الله ورسوله بظاهرهم ، وأن خداعهم سيفي مسترًا ، ولكنهم في الحقيقة لا يخدعون إلا أنفسهم ، من غير أن يحسوا بذلك لحمتهم وغفلتهم ، لأن المكر السيء لا يحيقُ إلا بأهله ، فهم يفتضّحون في الدنيا ببابلاغ الله رسوله أمرَهم ، ثم يعاقبون في الآخرة على سوء فعلهم .

٢ - هؤلاء المنافقون هم في الحقيقة مرضى بما أصابهم من الأعراض النفسانية ، وبما اعتراهم من اختلال أمزجمتهم ، لما فقدوه من رياضة كانت لهم في المدينة ، ولما خامر عقولهم من نفاق وجهل ، وارتياب وشك ، وحقد وحسد ، على ما يرَونَ من انتشار دعوة الرسول وعلو شأنه يوماً فيوماً ، فاشتغلوا بتثبيط الدعوة عن أن يتذوقوا حلاوة الإيمان ، وقد زادهم الله غمّاً إلى غمّ ، وحزناً إلى حزن ، بما زاد في نشر دينه ، وذيوع أمره ، وتواتي نصر رسوله ، ثم أعد لهم يوم القيمة عذاباً وجيعاً ، جزاء لهم على كيدهم ، وفساد عقيدتهم .

٣ - وإذا قيل لهؤلاء المنافقين على سبيل النصوح : لا تفسدوا في الأرض بثارَة الفتن ، وميالَة الكفار على المسلمين ، والتعويق عن الإيمان ، قالوا : إننا لا نبغى إلا الإصلاح ، وإننا بعيدون عن شوائب الفساد ، إلا إنهم هم المفسدون ، ولكنهم لحقهم لا يحسون أن وبال الإفساد عائد إليهم ، باقتضاح أمرهم في الدنيا ، وعداهم في الآخرة ، وإذا قيل لهم : آمنوا بالله ورسوله إيماناً صحيحاً ، كإيمان غيركم ، فمن كانوا من أمثال إخوانكم ، كعبد الله بن سلام وأصحابه ، على أن يكون هذا الإيمان مقر وناً بالإخلاص ، خالصاً من شوائب النفاق ، قالوا : أنفعُ كما يفعلُ الجهال ، الضعيفون الرأي ، من دفعهم طيشهم ، وخففة عقوبهم إلى الإيمان ، إلا إنهم وحدهم هم الجديرون أن يوصموا بوصمة السفه والطيش ، ولكنهم لا يعلمون أن السفه مخصوصٌ فيهم ، مقصورٌ عليهم ، لأنهم لا يخضعون للحق ، ويزعمون أنهم على صواب .

مثل من خداع المنافقين

٤ — وقد حديث أن عبد الله بن أبي بن سلول رأس المنافقين التي بجماعة من المسلمين ، فأسر إلى من معه : أن انظروا كيف أرد هؤلاء السفهاء عنكم ، فأخذ بيده أبي بكر ، وقال : مرحباً بالصديق سيدبني تيمّس ، وشيخ الإسلام ، وثاني رسول الله في الغار ، ثم أخذ بيده عمر وقال : مرحباً بسيدبني عدوي الفاروق ، القوي في دينه ، الباذل نفسه وما له لرسول الله ، ثم أخذ بيده على وقال : مرحباً بابن عم رسول الله وصهره ، وسيدبني هاشم ، خلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له على : يا عبد الله ، اتق الله ولا تนาافق ، فإن المنافقين شر خلق الله ، فقال ابن أبي : والله إن إيمانا كإيمانكم ، وتصديقنا كتصديقكم ، ثم افترقا ، فقال عبد الله بن أبي لأصحابه : كيف رأيتموني فعلت ؟ فإذا رأيتموهن فافعلوا كما فعلت ، فأثنوا عليه خيراً ، وقالوا له : ما زال بخير ما عشت ، فرجع المسلمون إلى رسول الله وأخبروه بما حصل ، فنزل قوله تعالى : وإذا لقوا الذين آمنوا . . . ؛ فالمافقون إذا صادفوا المسلمين ادعوا أنهم مؤمنون ، وإذا انفردوا بكتاب المنافقين ، ودعاة الفتنة ، وأنصار الباطل ، الذين يماطلون الشياطين في تمددهم وعصيانهم ، قالوا : إنما زلتكم في الدين والعقيدة ، إنما نسخر من المؤمنين بالظهور بالإيمان لهم ؛ وغاب عنهم أن الله مجاز لهم على هذه السخرية ، حين يدخلهم جهنم يصلون نارها ، وحينئذ يدركون وبالسخرائهم ، ويؤيد هذا قوله تعالى : (فال يوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون) ، فاستهزء الكفار بالمؤمنين لا يؤبه له ، بجانب ما سيفعل الله بهم ، وهو جل شأنه يعذبهم ، ولا يعجل بعقوبتهم ، ليبيقوا في ضلالهم ، وتجاوزهم الحد ، حيارى لا يهتدون سبيلا ، ليزدادوا

إثماً على آثامهم ، ثم يأخذهم أخذ عزيز مقتدر ، لأنهم استبدلوا باهدى ضلالاً مبيناً ، واستحبوا العمى على الهدى ، واعتاضوا عن النور ظلاماً ، فباءوا بالخيبة والخسران في الدنيا ، ولم يهتدوا إلى الحق ، لأنهم لم يستعملوا عقوبهم في فهم أسرار الدين الإسلامي ، واقتباس أنواره .

٥ — وقد ضرب الله هؤلاء المنافقين مثلين محسوسين ، يصوّران حالم في صورة واضحة ، لتكون أشد تأثيراً في النفس ، والقرآن الكريم يضرب الأمثال للناس لترى أسماعهم :

الأول : أن مثلَ الذين تظاهروا بالإيمان من المنافقين ، فأمنوا على حياتهم وأموالهم ، فصاروا في دعة واطمئنان في الدنيا ، ثم انطفأ نور حياتهم ، وعدبوا يومَ القيمة على ما اقترفوا من آثام في نار جهنم يصلون سعيرها ، يومَ لا تنفعهم معدتهم على ما اجترحوا من سيئات ، يومَ يقولون للمؤمنين لهم في غرف الجnan ، : انظرونا نقتبس من نوركم ، فيقال لهم : استهزء بهم ، ارجعوا وراءكم فالتمسوا نوراً ، فيرجعون ، فإذا سور له باب ، باطنه من جهة المؤمنين فيه الرحمة ، وظاهره من جهة المنافقين فيه العذاب ، فيظلون في حلقة دائمة ؛ مثل هؤلاء كمثل رجل أوقف ناراً في ليلة حائلة السوداد ، فأنارت ما حوله ، فأبصر واستدفأ وأمنَّ مما يخافه ، ثم أطفأ الله هذه النار بمطر نزل عليها ، أو ريح عاصفة أتت عليها ، فإذا من كان يفيد من هذه النار نوراً ودفعاً وأمناً ، لا يبصر شيئاً مما حوله ، فذهب أمنه ودفعه واطمئنانه ، واشتد رعبه من هول ما رأى ، فهم صم لا يصل الحق إلى قلوبهم عن طريق آذانهم ، بكم قد أخرس الحق ألسنتهم ، وأدحضت الحجة باطلهم ، عمى لا يصررون للحق نوراً ، ولا للهدي سبيلاً ، وهم لا يرجعون بعد تماديهم في الغيّ ، وإنما كفهم في الصلال .

الثاني : أن مثل المنافقين في إظهارهم بأسنتهم الإيمان خداعاً ونفاقاً ، وعدم إصاحتهم إلى دعوة الرسول — فكلا ظهر لهم قبس من ضوء المهدى ، واستبانة لهم محجةُ الطريق ، لمع بصيصٍ من نور الهدایة أمّا ملائكة ، ثم لا يلبث أن ينطلي ، فصموا آذانهم عن الاستجابة إلى سماع دعوته ، لما في الدعوة من أداء التكاليف الشاقة عليهم : كالصلوة والصوم والجهاد ، والانقياد للرسول ، مع شدة استنكافهم أن ينقادوا له ، فهم يرحبون عن الإيمان الصادق بسبب هذه الأمور المقارنة له — مثلهم كمثل قوم يسررون ليلاً في فلأة في أرض موحشة ، تكافف في سماءها سحاب معتم ، فاجتمعوا عليهم ظلمة الليل مع ظلمة السحاب ، ثم نزل عليهم مطر اقتنى ببرعد قاصف ، وبرق خاطف ، فكانوا إذا قصفَ الرعدُ وخنق البرق ، بخشوا إلى أنماطهم فسدوا بها منافذ السمع ، حتى لا يكون الصوت منفذ إلى أسماعهم ، لحدتهم ما يمكن أن يتعرضوا له من الحمام ، والموت الزؤام بسبب الصواعق ، وكان البرقُ يلمع لمعاناً شديداً مفاجئاً ، يكاد سنان يذهب بأبصارهم ، ولكنهم مع هذا يستغفرون من لمعانه ، فيرون معالم الطريق ، فيمشون خطوات ، ثم يشتتد الظلام ، ويستولى عليهم الخوف ، فيقفون في مكانتهم ، فهم في حيرة دائمة ، لا يستقررون على حال .

فالصيّب : الإيمان ، والظلمات والرعدُ والبرقُ : التكاليف الشاقة في نظرهم ، وجعل الأصابع في الآذان : كناية عن عدم الإصغاء إلى دعوة الرسول ، والموت : الرياسةُ التي يخشون أن يفقدوها ، فهم حين دعاهم الرسول إلى الدين ، وتلا عليهم الآيات البينات ، وأقام لهم الحجج القاطعات على صحة دعوته ، وعلموا أن الدين يكلفهم أذاء أنواع من العبادات ، تنكبوا

الطريق السوى ، يظهر لهم الحق فيعزمون على اتباعه ، وتنطلق أفكارهم إلى
شعاع نوره ، ويتجهون إليه بعض خطوات ، ثم لا يلبثون أن يعود إليهم الشك
والخير ، فتقيد فكرهم ، وتعود بهم القهقري ؛ والله محيط بالكافرين ، يحصى
عليهم أعمالهم ، ويجازيهم على ما اقترفوا من السيئات .

(٣)

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ
قَبْلِكُمْ، أَعْلَمُكُمْ تَتَقَوَّنَ . الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا
وَالسَّمَاءَ بَنَاءً ، وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَا هُوَ بَارِجٌ بِهِ مِنَ الشَّمَراتِ
رِزْقًا لَكُمْ ، فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا ، وَأَنْتُمْ تَنْعَمُونَ . وَإِنْ
كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأَتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ ،
وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ . فَإِنْ لَمْ
تَفْعَلُوا — وَلَنْ تَفْعَلُوا — فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ،
أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ . وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ
لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ، كُلُّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ
ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا : هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ ، وَأَتُوا بِهِ
مُمْتَشِّبِهًا ، وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطْهَرَةٌ ، وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
لعلكم تتقوون	رجاءً أن تنتظموا في سلك المتقين.
فراشاً	كالبساط المفروش ، يسهل السير عليه .

شرحها	الألفاظ
كالبناء في تمسك كواكبها .	بناء
لتكون المثارات بعض ما يرزقكم الله به .	رزقاً لكم
أمثالاً وأكفاء ، تشركونها في عبادته .	أنداداً
وادعوا آهتكم التي تعبدونها من غير الله .	دون الله
فاجعلوا إيمانكم وقاية لكم من النار .	فتقوا النار
ما توقد به .	ـ وقودها
الكافار	ـ الناسُ
لشدة ما ينبعث منها من حرارة كامنة إذا مست	والحجارة
النار .	
حدائقـ .	جـنـاتـ
أطعمنـوا من تلك الحدايقـ .	رـزـقاـ
أطعمنـنا في الدنيا قبل ذلكـ .	رـزـقـناـ مـنـ قـبـلـ
متـاثـلاـ في جـنـسـهـ ، مـخـتـلـفـاـ في طـعـمـهـ .	ـ مـقـشـاـبـاـ
زوجـاتـ منـ الـحـورـ العـيـنـ ، خـالـيـةـ مـنـ كـلـ عـيـبـ .	أـزـوـاجـ مـطـهـرـةـ

مُجَمَّلُ الْمَعْنَى

١ — بعد أن قدّم الله أحکام الطوائف الثلاث : المؤمنين والمنافقين والكافرين ، انتقل إلى ما يجب أن يؤديه عباده جميعاً من التكاليف ، وأهمها أن يخصوه وحده بالعبادة ، لأنه هو الذي خلقهم وخلق منْ كان قبلهم ، رجاءً أن يكون خصوصهم ، وامتثالهم لأداء تكاليف العبادة واقياً لهم من عذاب النار ،

فهو الذي خلق لهم الأرضَ ممهدة ليسهلَ السيرُ عليها ، والسماءَ كالبناء
الذي يشدّ بعضه ببعضًا ، لما بين كواكبها من تجاذب وتماسك ، حتى
لا يصطدمَ بعضها ببعض ، وأنزل من السماء مطرًا فاحيَا به الأرضَ بعد
موتها ، فأخرجت لنا ثماراً يانعةً لذينة الطعم ، فلا يليق بنا أن نجعلَ الله
شركاً نعبدُهم من دونه ، باتخاذ الأصنام والرهبان والأحبار أرباباً من
دون الله والمسيح ابنَ مريم ، ونحن نعلمُ أنها لا تماطله ، وتعجز أن تفعل
ما يفعله .

٢ — ولما أقام الله سبحانه وتعالى الدليلَ القاطع على عجز الشركاء ، وأنهم
لا يملكونَ لأنفسهم نفعاً ولا ضرراً ، عقبَ بما يثبت دعوةَ رسوله المصطفى ،
وهو القرآن المعجز ، فقال : إن كنتم في شكٍّ مما أنزلنا على عبدنا محمد
من القرآن ، فهأنتم أولاء من أهل اللسانِ والفصاحة ، وحسن البيان
والبلاغة ، واللغة التي نزل بها القرآنُ لغتكم ، وألفاظه من جنس ما تتكلمون
به ، فاجمعوا جموعكم ، وأنتوا بسوارة تماثل القرآن في فصاحة أسلوبه ،
وحسن ديباجته ، وقوّة بلاغته ، واستعينوا بمن شئتم من آلهتكم ، ومن تائسون
م منهم القدرةَ على معاونتكم ، من غير الله سبحانه وتعالى ، فإن بذلك
غاية جهادكم ، وعجزتم عن معارضته القرآن — وسيستتبين عجزكم حتماً عن
الإتيان بما يساويه أو يعاديه — وتحققتم أنه معجز ، والتصدق به واجب ،
فآمنوا به ، واتقوا دخول النار التي وقودها ناسٌ تحرق أجسامهم ، وحجارةٌ
كنت فيها الحرارةُ التي تشوّي أبدانكم ، هيئتْ لعذاب الكافرين
الحاددين المعاندين .

٣ — وبعد الكلام في أمر التوحيد والنبوة ، ومصير العصاة الكفار يوم القيمة ،
بيان الله ثوابَ المطيعين ، ليقرن الترهيبُ بالترغيب ، فكلفَ رسوله
عليه الصلاة والسلام ، أن يبشرَ المؤمنين الذين آمنوا بالله ورسوله ، وعملوا

الأعمال الصالحة ، بأن لهم جنات تجري من تحتها أحجار ذات ماء
جار ، كلما أطعموها من تلك الجنة ثمرةً من ثمارها ، قالوا : هذا الذي
رزقنا به من قبل في الدنيا ، ثم لا يلبيون أن يجدوا لهذه الشجرة طعاما ولذةً
لم يعهدوها من قبل في شجرة الدنيا ، وإن كانت تشبهها شكلا ، وهم في
الجنات زوجات مطهرات جسما وخلقا ، وهم مخلدون فيها أبداً ، لا يسمّهم
فيها نصب ، وما هم منها بمحرجين ، وفي هذا دليل على أن الإيمان ينبغي
أن يقترن بالعمل الصالح .

(٤)

إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا : بِعُوْضَةً فَمَا فَوْقَهَا ،
 فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ ، وَأَمَّا الَّذِينَ
 كَفَرُوا فَيَقُولُونَ : مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا ، يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا
 وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا ، وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ . الَّذِينَ
 يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْهُ بَعْدِ مِيشَانَقِهِ ، وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ
 أَنْ يُوَصَّلَ ، وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ ، أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ .
 كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاهُمْ ، ثُمَّ يُمْتَكِّمُونَ ،
 ثُمَّ يُحْيِيُّوكُمْ ، ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ؟ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ
 مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ، ثُمَّ أَسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ ، فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَوَّاَتٍ ،
 وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
لا يستحيي	لا ينقص من قدره .
يضرب مثلًا	يقرع آذان السامعين بمثل .
مثلًا ما	أي مثل .

شرحها	الألفاظ
فما فوقها في الصغر . أن المثل .	فما فوقها أنه
الخارجين عن طاعة الله . يبطلونه .	الفاسقين ينقضون عهـد الله
تو كيده عليهم . نُطْفَةً فـي أصـلـاب آبـائـكـم .	ميـثـاقـه أموـاتـاـ
اتجهت قدرته إلى خلقها . أتم خلق سبع سـمـوـاتـ .	استـوى إـلـى السـمـاءـ فسـواـهـنـ سـبـعـ سـمـوـاتـ .

محمل المعنى

١ - عاب الكفار على المسلمين ضرب الأمثال في القرآن ، ونحوه عليهم ضرب المثل في أن الأصنام أضعف من أن تخلق ذبابة ، وأن الذباب إن سلبها شيئاً لا تستطيع استنقاده منه ، وأنه شبه عبادتها في ضعفها ببيت العنكبوت ، وقالوا : أى قدر للذباب والعنكبوت حتى يضرب الله بهما المثل ؟ فرد الله عليهم بأنه لا يرى من النقص في شيء أن يضر بـ المثلـ بهـماـ ، بل بالعوضـةـ فـما فوقـهاـ في الصـغـرـ كالـذـرـةـ مـثـلاـ ، لأنـهـ خـالـقـ كلـ شـيـءـ فـيـ هـذـاـ عـالـمـ ، ثـمـ فـصـلـ حـالـ منـ يـسـتـمـعـونـ الأمـثـالـ بـأـنـ المؤـمـنـينـ يـقـولـونـ : إـنـ هـذـاـ مـثـلـ هوـ الحـقـ الـوـاقـعـ مـوـقـعـهـ مـنـ الصـحـحةـ وـالـبـيـانـ ، وـأـمـاـ الـكـافـرـونـ فـإـنـهـمـ لـفـرـطـ جـهـلـهـمـ وـعـنـادـهـمـ ، يـعـرـضـونـ عـنـ الـحـجـةـ ، وـيـقـولـونـ فـيـ مـكـابـرـةـ وـعـنـادـ : مـاـ الـذـيـ أـرـادـ اللهـ بـهـذـاـ مـثـلـ الـحـقـيرـ ، الـذـيـ لـاـ يـلـيقـ صـدـورـهـ مـنـ اللهـ ؟ فـرـدـ عـلـيـهـمـ رـدـاـ مشـتـمـلاـ عـلـىـ حـكـمـةـ جـلـيلـةـ ،

وهي أن المثل وسيلة هداية المستعدّين للهداية ، وإضلال المنهكين في الغواية ، وما يصلّى بضرب الأمثال إلا من خرّجا عن طاعة الله بالتجانبي عن حكمها .

٢ - هؤلاء المتغابون ، هم أهل الشرك والكفر والنفاق ، من منحهم الله عقولاً يميزون بها الرشدَ من الغيّ ، ولكنهم يهملون استعمالها ، ويتمادون في طغيانهم وكفرهم ، وهم : -

(١) الذين يبطلون عهدَ الله الموثق ، المستدلّ عليه بالعقل ، وهو الحجة الدالة على وجوده وصدق رسالته ، كخلق السموات والأرض ، والقرآن المعجز ، فألغوا عقوبهم وحواسهم ، فصاروا كما أخبر الله عنهم : لهم قلوب لا يفقرون بها ، و لهم أعين لا يصررون بها ، و لهم آذان لا يسمعون بها ، أولئك كالأنعام بل هم أضل .

(ب) والذين يقطعون ما أمر الله به أن يوصل ، وهم المنافقون الذين لا يصلون القول بالعمل ، بل يظهرون غيرَ ما يبطلون نفاقاً وخداعاً ، والذين لا يصدقون ببعض ما أنزل على الرسل من الكتب ، بل يؤمنون ببعضها ويكفرون ببعض ، والذين يقطعون صلة الأرحام والقربي ، والذين يقطعون الصلة بينهم وبين حالتهم ، باجتناب أوامره ، واتباع نواهيه .

(ج) والذين يفسدون في الأرض بالدعوة إلى الكفر ، والترغيب فيه ، وقطع الطريق على من يريدُ المجرة إلى رسول الله ، وارتكاب المعاصي التي يتعدى ضررُها إلى غيرهم ؛ هؤلاء هم الخاسرون ، لعدم تدبرِهم في عوّاقب ما يعملون ، واشتراكهم الفاضل بالوقاف ، والفساد بالصلاح ، والقطيعة بالصلة ، والعقوب بالثواب ، فأصحابهم ما اقترفوا ضرر جسيم ، وباءوا بالخسران العظيم .

٣ - وبعد أن عدَ الله مثاليبَ هؤلاء الكفار ، المؤديةَ إلى سخط الله عليهم ، وجه الخطاب إليهم ، فأنكر عليهم كفرَهم مع تواли نعائمه ، ووبحهم على جحودهم مع تعدد آلاتِه ، فهو الذي أوجدهم من العدم قبل النشأة الأولى ، ثم بعث فيهم الحياةَ في الدنيا ، ثم يحييهم بعد انقضاء آجالهم ، ثم إليه مرجعهم يومَ القيمة للحساب والجزاء .

٤ - وقد اقتضت إرادته أن خلقَ لهم كلَّ ما في الأرض ، ليتفقعوا به في أمور معاشهم في الدنيا ، من حيوانات ونباتات ومحترفات وغيرها ، ثم اقتضت إرادته أن يخلق السموات وهي الأجرام العلوية ، كلَّ منها يسبحُ في فلكه ، فأتمهن سبعة ، وإذا كان العلمُ قدر الأفلاك تسعةً أو أكثر ، فليس في الآية ما يدلُّ على نفي الزائد على السبعة ، فإنَّ مفهومَ العدد وهو سبعٌ ، يدلُّ على مجرد الكثرة ، وفي الفخر الرازي كلامٌ كثيرٌ لمن أراد المزيد ، والله علِيمٌ بكلِّ كليٍّ وجزئيٍّ في السموات والأرض ، إذ لا يمكن أن يكون خالقاً لها ، من غير أن يكون محيطاً بكلِّ شيءٍ فيها .

(٥)

وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةَ : إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ،
قَالُوا : أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدَّمَاءَ وَنَحْنُ
نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ؟ قَالَ : إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ .
وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ ، فَقَالَ : أَنْبِئُونِي
بِاسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ . قَالُوا : سُبْحَانَكَ ! لَا عِلْمَ لَنَا
إِلَّا مَا عَلَّمْنَا ، إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ . قَالَ : يَا آدَمُ
أَنْبِئْهُمْ بِاسْمَاهُمْ ، فَلَمَّا أَنْبَاهُمْ بِاسْمَاهُمْ ، قَالَ : أَلَمْ أَقْلِنْ
لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَأَعْلَمُ مَا تُبَدِّلُونَ
وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ؟ .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
ـ خليفة	يكون خليفةً ينفذ أحكام الله في الأرض .
ـ يسفك الدماء	يريقها بالقتل .
ـ نسبح بحمدك	نترهك عمّا لا يليق بك ، دائبون على طاعتك .
ـ نقدس لك	{ نظهر نفوتنا من الذنوب ، فلا نفسد كما فعل غيرنا ، ولا نسفك الدماء .}

الألفاظ	شرحها
الأسماء كلها	أسماء جميع المسميات .
عرضهم	عرض المسميات ، وغلب العقلاءُ على غيرهم في الصميم .
بأسماء هؤلاء	بأسماء هؤلاء المسميات .
سبحانك	تنزيهًا لك عن الاعتراض عليك .
العلم الحكيم	الذى لا يخرج شيء عن علمه وحكمته .
أنبهم بأسمائهم	أنبيء الملائكة بأسماء المسميات .
تبدون	تظهرون .
تكتمون	تحفون .

مجمل المعنى

١ - هذه الآيات دالة على تعظيم الله تعالى لآدم ، وهذا التعظيم نعمة ثالثة شاملة أسبغها الله على بني آدم ، لأن فيها تشيريًّا لأبيهم ، بقول الله : اذْكُرْ يَا مُحَمَّدَ لِقَوْمِكَ أَنِّي قَلَّتْ لِلْمَلَائِكَةِ حِينَ تَعْلَقَتْ مُشَيْئَتِي بِخَلْقِ آدَمَ : إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً يَقُولُ بِتَنْفِيذِ أَحْكَامِ فِيهَا ، فَقَالَتِ الْمَلَائِكَةُ مُتَعْجِبِينَ : أَتَسْتَخْلِفُ لِعَارَةَ الْأَرْضِ وَإِصْلَاحَهَا مِنْ يَفْسَدُ فِيهَا بِالْمُعَاصِي ، وَإِرَاقَةَ الدَّمَاءِ بِالْقَتْلِ ، فَإِنَّ كَانَ لَا بَدَّ مِنِ الْاسْتَخْلَافِ ، فَنَحْنُ أَحَقُّ بِهِ ، لَأَنَّا مَعْصُومُونَ قَائِمُونَ بِتَسْبِيحِكَ وَتَقْدِيسِكَ ، عَاكِفُونَ عَلَى تَنْزِيهِ ذَاتِكَ وَصَفَاتِكَ عَمَّا لَا يَلِيقُ بِهَا ، وَلَنْ تَخْلُقَ خَلْقًا أَكْرَمَ عَلَيْكَ مِنَا ، فَأَجَابَهُمُ اللَّهُ : إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَهُ مِنِ الْمُصْلَحَةِ فِي اسْتَخْلَافِ آدَمَ .

٢ - وذكر الملائكة الإفساد وسفك الدماء ، يُشعر بأن الأرض كانت مسكونة بمن يفسد فيها ويسفك الدماء قبل آدم ، فقيل : إن طائفة من الجن كانت تسكنها ففعلوا هذا ، وقيل إن بشرًا كانوا يسكنونها ، ثم دبت بينهم العداوة والبغضاء ، فأفني بعضهم بعضاً ، ونحن نميل إلى هذا الرأي الثاني ، لأنه يتفق مع ما أثبته العلماء الباحثون ، من أنهم وجدوا جامجم ترجع إلى ثلاثين ألف سنة ، وكلمة « خليفة » تؤيد هذا المعنى ، لأنها يخلف من قبله ؛ والملائكة أجسام نورانية ، يسبحون الليل والنهار ، لا يفترون عن العبادة ، لا يعصون الله ما أمرهم ، ويفعلون ما يؤمرون .

٣ - وقد أوجد الله عند آدم استعداداً لعرفة ذوات الأشياء وسمياتها ، وأودع في نفسه العلم بجميعها ، ثم أطلع الملائكة بالإلهام على هذه المسميات ، وقال لهم ، تعجيزاً لهم ، وإظهاراً لما خص به آدم : أخبروني بأسماء هذه المسميات إن كنتم صادقين فيما جال بخاطركم ، أنى لا أخلق خلقاً إلا وأنتم أعلم منه وأفضل ، فقالت الملائكة : إنا نزهك أن تخلق الخليفة عيناً ، وإنما خلقته لحكمة اقتضتها مشيتك ، ولا علم لنا إلا ما علمتنا ، ولم تعلمنا أسماء المسميات ، فكيف نعلمها ؟ إنك وحدك العليم بخلك ، الحكيم في صنعتك .

٤ - قال : يا آدم ، أبني الملائكة بأسماء المسميات ، فلما فعل ، قال الله لهم : ألم أقل لكم : إنى أعلم ما غاب عنكم في السموات والأرض ، ولا يعلمه غيري ، وأعلم ما تبدون من قولكم : أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ، وما كنتم تكتمون مما جال بخاطركم : من أنى لا أخلق خلقاً إلا وأنتم أفضل منه وأعلم .

(٦)

وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ : اسْجُدُوا لِآدَمَ ، فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْرَاهِيمَ
أَبِي وَاسْتَكْبَرَ ، وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ، وَقُلْنَا يَا آدَمُ : اسْكُنْ
آنَتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ، وَكُلَا مِنْهَا رَغْدًا حَيْثُ شِئْتُمْ ، وَلَا تَقْرَبَا
هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ . فَأَزَّلْنَا الشَّيْطَانَ
عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ، وَقُلْنَا : اهْبِطُوا بَعْصُكُمْ لِيَعْضُ
عَدُوٌّ ، وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقْرٍّ ، وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ . فَتَلَقَّى
آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ، إِنَّهُ هُوَ التَّوَابُ الرَّحِيمُ .
قُلْنَا : اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا ، فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنْ هُدَىٰ ، فَمَنْ أَتَيْعَ
هُدَىٰ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ . وَالَّذِينَ كَفَرُوا
وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ، هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
اسجدوا لآدم	حيوه بالانحناء .
رغداً	أكلها هنيئاً وافراً .
هذه الشجرة	شجرة الخبطة أو الكرم أو التين .
فأزلهم الشيطان	فأوقعهما الشيطان في الزلل والخطيئة .

الألفاظ	شرحها
عنها	بسبب الشجرة ، وهو مِثْلُ : وما فعلته عن أمرى.
اهبطوا	انزلوا من هذا النعيم إلى الأرض ؛ وَجَعَ الصمیر
بعضكم لبعض عدو	لأنهما أبوا البشر ، فكأنهما البشر كله .
مستقر	بعض ذرية إبليس عدو بعض ذريتكم .
ومتع إلى حين	مكان تستقرون فيه ، وتکدون وتکدحون .
كلمات	وما تتمتعون به من خيرات الأرض ، إلى وقت انقضاء
إما يأتينكم	آجالكم .
هدى	ألممه الله أن يستغفر بكلمات يقوها .
ولا هم يحزنون	إن يأتكم ، ادعتم نون إن الشرطية في ما الزائدة .
خالدون	رسول أو كتاب .
قصة آدم	لا يصيبهم حزن لفوّات ثواب .
	ما كثون أبداً .

قصة آدم

لما أراد الله خلق آدم ، أخبر الملائكة أنه سيختار خليفة في الأرض ، فدار الحوار الذي سبق ذكره ، فلما جعله الله بشراً سوياً ، ودبّت فيه الحياة ، أمر الملائكة أن يحييه بانحنائهم له ، ففعلوا ، ما عدا إبليس و كان من الجن ، فإنه أبى تعالى واستكباراً ، وقال : أنا خير منه ، خلقتني من نار وخلقته من طين ، فطرده الله من الجنة ، وأسكن آدم وزوجته حواءً فيها ، و كان الله قد خلقها من ضلع من أصلاعه في أثناء نومه ، وملاً مكان الصالع لها ، ليتناسل منها بنوهما ، وأمرهما الله أن يستمتعوا بكل شيء في الجنة ، ما عدا

شجرةً كلفهما ابتلاءً وامتحاناً إلا يأكلا منها ، لكن الشيطان إبليس احتال حتى دخل الجنة ، وقال لآدم وحواء : ما نهَاكما ربكم عن الأكل من هذه الشجرة ، إلا لأن الأكل منها يجعلكم من الملائكة ، أو يجعلكم خالدين في الجنة ، لا يدرككم موت ، ولا يلتحقكم فناء ، وما زال بهما حتى أكلوا من الشجرة ، فأخرجهم الله من الجنة إلى الأرض ، وحرمهم ما كان فيه من النعم ، لعصيائهما أمر الله ، ثم تاب عليهم بعد استغفارهما ، وسيأتي تفصيل لهذه القصة في مواطن أخرى .

محمل المعنى

١ - هذا تفصيل للنعم التي أسبغها الله على جميع البشر ، بتكرير أبיהם آدم ، إذ بيّن الله للناس على لسان رسوله ، أن من لا تهله عليهم تشريف أبيهم ، بأن كلف الملائكة أن يحيوا آدم بالانحناء له ، ففعلوا ، إلا إبليس فإنه أبي تكبراً ، فطرده الله من الجنة لعصيائه وكفره ، وطلب الله من آدم أن يسكن هو وزوجته حواء الجنة ، وأن يأكلما مما طاب لها منها أكلا هنيئاً وافراً لاعناء فيه ، في أي مكان يشاءان ، ما عدا شجرة كلفهما إلا يقرّ بها ، وذكر لها أنهما - إن أكلما منها - يكونان قد تعديا حقوق الله ، وظلا أنفسهما بارتكاب المعصية .

٢ - ولكن إبليس الذي كان لها بالمرصاد ، أراد أن ينتقم من آدم ، لأنه هو السبب في طرده من الجنة ، فاحتال حتى دخلها ، وأووههما مؤيداً كلامه بالقسم ، أن الله لم ينههما عن الأكل من هذه الشجرة ، إلا لأن الآكل منها يصير ملكاً ، أو يبقى في الجنة بقاء أبداً ، وما زال بهما حتى حملهما على أن يزلا ، ويرتكبا خطيئة مخالفة ربهما ؛ فلما عصيأا أمر

الله ، أخرجهما مما كانوا فيه من النعيم والكرامة ، وأمرهما أن يغادراً هذا النعيم والمكانة السامية ، هما وما اشتملا عليه من ذريتهما إلى الأرض ، يكافحون في سبيل الحياة ، ويتعرضون لغواية إبليس وذريته ، بعضهم البعض عدو ، وهم في الأرض مستقر ميسّر للمعيشة ، وتمتعُ فيها ينتهي عند انتهاء آجالهم ، وتلقي آدم قبل هبوطه إلى الأرض من الله كلمات ألمها أن يقولها ليغفر له خططيته ، فقال هو وزوجته حواء : ربنا إننا ظلمتنا أنفسنا ، وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكوننَّ من الخاسرين ، فتاب الله عليه بعد أن اعترف بذنبه ، وندمَ على ما فعله ، ووسعهُ فضله ورحمته ، لأنَّه يقبل التوبَة من عباده ، ويعفو عن السيئات ، واكتفى اللهُ في كتابه بذكر آدم في قوله : فتلقى آدم من ربه كلمات ، لأنَّ حواءَ تابعةٌ لآدمَ في الحكم .

٣ - وكررَ الله قوله تعالى : قلنا اهبطوا : لاختلاف المقصود في كليهما ، فالأول أمرٌ بالهبوط من دار النعيم والكرامة ، إلى دار البلاء والشقاء ، والآخر أمرٌ بالتكاليف الواجبة على آدم وذريته ، فيبيَّنَ أنه إنْ يأت من الله هدى : بإنزال كتاب ، أو إرسال رسول ، فمن تبعه نجا وفاز ، لم يلحقه خوفٌ من نزول عقاب ، ولا حزنٌ على فوات ثواب ، والذين كفروا وكذبوا بالأدلة القاطعة التي أتى بها الرسُّل للدلالة على وحدانية الله وربوبيته ، فأولئك هم أهلُ النار ، يمكثون فيها أبداً ، لا يفرون ولا يخرجون .

(٧)

يَا أَبْنَى إِسْرَائِيلَ اذْ كُرُوا نَعْمَتَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ، وَأَوْفُوا
بِعَهْدِي أَوْفِ بِعَهْدِكُمْ، وَإِيَّاى فَارَّهَبُونِ . وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ
مُصَدِّقاً لِمَا مَعَكُمْ، وَلَا تَكُونُوا أَوْلَى كَافِرِ بِهِ، وَلَا تَشْتَرُوا
بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا، وَإِيَّاى فَاتَّقُونِ . وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ
وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ، وَآنْتُمْ تَعْلَمُونَ * وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ،
وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ * أَتَنْأِمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُرِّ وَتَنْسَوْنَ
أَنْفُسَكُمْ وَآنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ ؟ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ؟ وَاسْتَعِينُوا
بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ، وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاسِعِينَ : الَّذِينَ
يَظْهُونَ أَعْبُرُهُمْ مَلَاقُو رَبِّهِمْ، وَآتُهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
يَا أَبْنَى إِسْرَائِيلَ	يَا أَبْنَاءَ يَعْقُوبَ ، وَهُمُ الْيَهُودُ .
أَوْفُوا بِعَهْدِي	حَقَّقُوا مَا عَاهَدْتُ إِلَيْكُمْ مِنَ الْإِيمَانِ وَلَا تَغْدِرُوا .
أَوْفِ بِعَهْدِكُمْ	أَحْقَقْ مَا وَعْدَتُمْ بِهِ مِنَ التَّوَابِ وَغَفْرَانِ الذَّنْبِ .
إِيَّاى فَارَّهَبُونِ	احْذِرُونِي وَخَافُونِي دُونَ غَيْرِي .
مُصَدِّقاً لِمَا مَعَكُمْ	مُصَدِّقاً بِالْتُّورَاةِ الَّتِي عَنْدَكُمْ .

اللفاظ	شرحها
أول كافر به	أول فريق كافر بالقرآن ، لأن من يخالفكم يتبعكم .
ولا تشرروا بآياتي ثمناً	لا تستبدلوا الآيات التي في كتبكم من وصف
قليلاً	محمد عرضاً يسيرأ .
تلبسوا	تخلطوا .
وتكتيموا الحق	تكتموا الحقيقة ، وهي بعث محمد في كتبكم .
اركعوا مع الراكعين	أدوا صلاة المسلمين التي فيها رکوع .
بالبر	باليمان بـ محمد :
تتلون الكتاب	تقرعون التوراة .
استعينوا بالصبر والصلوة	استعينوا بالصوم والصلوة .
وإنها لكبيرة	وإن الصلاة لثقلية .
الخاسعين	الخاضعين المتواضعين .

بني إسرائيل

كان من أشد أعداء رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة بنو إسرائيل ، وهم اليهود ، وإسرائيل هو يعقوب بن إسحق بن إبراهيم عليهم السلام ، وإنما عادوه غيره منه وحسداً ، لأن التوراة الصحيحة كانت تدل على أن رسولا من العرب يبعث فيهم ، فكانوا يرجون أن يكون من بنى إسرائيل ، فلما بعث من بنى إسماعيل حسدوا ، وأقاموا العراقيل في سبيل دعوته ، فلما هاجر الرسول إلى المدينة ، وله فيها عصبية وسلطان ، واستوثق أمره ، وانتشرت دعوته ، كادوا له أشد الكيد ، وأخذدوا يبثون الفتنة والدسائس بين المسلمين ، وكان منهم المنافقون ذوو الإيمان الكاذب ، والعداوة الخفية ، والدهاء الماكر ،

يتزعمهم كعبُ بنُ الأشرف ، فنزلت هذه الآية وما يليهَا من آيات كثيرة ،
تعدد آلاء الله عليهم ، وتبين م مقابلتهم لها بالجحود والكفران ؛ والخطاب هنا لبني
إسرائيلَ عامةً ، ولرؤسائهم وأحبارهم خاصة .

محمل المعنى

١ - يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أسبغتها عليكم ، بالتفكير فيها ،
والقيام بشكر المنعم بها ، وراعوا حرمة الأمانة فيها عهدتُ به إليكم ،
من صيانة التوراة غير محرفة ولا مبدلَة ، فأعلنوا وصفَ محمد في التوراة
الصحيحة التي لديكم ، أوف بعهدمكم ، بحقن دمائكم ، وغفران ذنبِكم ،
واحدروا بطشى ، وخافونى دونَ غيري فيها تأتون وتذرون ، فإن بطشى
شديدٌ لمن عصانى ، ومن نكثَ فإنما ينكثُ على نفسه ، وأمنوا بما أنزلت
على محمد من القرآن المصدق لما معكم من التوراة الصحيحة ، المطابق
لها في الدعوة إلى التوحيد ، والعدل بين الناس ، والنهى عن المعاصى ،
ولا تكونوا أولَ فريق كافر به من أهل الكتاب ، ولا تستبدلوا بالأيات
التي نزلت في التوراة في نعت محمد عرضًا يسيرًا ، بأن تكتموها خشية
ضياء رياستكم في قومكم ، فإن ما يفوتكم أية الأئمَّة والرؤساء من
رسوم وهدايا وإن جلَّ ، قليلٌ بجانب ما تخسر ونه من رضا الله بعصيائكم ؟
وكان علماؤهم يعلمون العامة دينهم بالأجرة ، ويأخذون منهم كل عام شيئاً
معلوماً من زرعهم وضرعهم - واجعلوا إيمانكم ، واتباعكم الحق ،
واجتنابكم المعاصى ، وقايةً لكم مما أعدته للعصاة من العذاب الأليم ،
وهذه الآية وإن كانت خاصة بيني لإسرائيل ، فإنها تتناول فعلَ غيرهم ،
فنأخذ مالاً على تغيير حقٍ أو إبطاله ، أو رفض أن يقول ما يعلمه
حتى يأخذَ عليه أجرًا ، فقد دخل في مقتضى هذه الآية .

٢ - ولا تخلطوا إليها اليهودُ الحقَّ المتنزَلَ في التوراة ، بالباطل الذي تخترعونه ، وتحفوا الحقيقةَ التي تعلمونها في التوراة من نعمتَ محمد ، وأقيموا صلاة المسلمين ، وأعطوا الزكاة على حسب شريعتهم ، فإنَّ أداء الصلاة والزكوة على غير ما شرعه الدين الإسلامي لغُرْ لا قيمةَ له ، فواجب عليكم أن تصلوا مع المسلمين صلاتِهمُ التي فيها الرکوع أحد أركانها .

٣ - وكان رؤساء اليهود وعلماؤهم وأحبارُهم الذين اطلعوا على التوراة الصحيحة ، وعرفوا مما ورد فيها أنَّ مُحَمَّداً رسول الله حقاً ، يأمرُون سرًّا من يشقون بهم من أقربائهم وغيرهم أن يتبعوا دينَ مُحَمَّد عليه الصلاة والسلام ، لاعتقادهم أنه الدين الحقَّ ، فوجنهم الله على أنهم يأمرون الناسَ بالإيمان بمحمد وينسون أنفسهم ، برకتها في غفلتها وضلالتها ، وهم يتلوون التوراة ، وفيها وعيدٌ لمن يخالف قوله فعله ، أفلًا يعقل هؤلاء قبحَ ما يفعلون ، فيقلعوا عنه ، ويفعلوا ما يقولون ، ليطابقَ فعلهم قولهم ؟

٤ - وكما دعاهُمُ الله في الآية التي قبل الأخيرة إلى ترك الصالِل والإضلال ، والعمل بشريعة رسوله عليه الصلاةُ والسلامُ ، أمرُهم هنا بعد الإيمان بالصبر ، ففيه جهادٌ للنفس ، وقمعها عن الشهوات ، وردَّها عن غيها ، وإرغامها على ما تكره ، ويدلُّ مفهومُ الصبر على الصوم ، بقرينة ذكره مع الصلاة ، كما أمرُهم بالصلاحة ، لأنَّها تنهي عن الفحشاء والمنكر ، وإن كانت ثقيلة إلا على الحاضرين المتواضعين ، الذين يعتقدون أنهم سيلقون ربِّهم يوم البعث والحساب ، لما تحتاج إليه الصلاةُ من طهارة البدن والثوب والمكان ، والاتجاه نحوَ الكعبة ، وإظهار الخشوع في أثناء أدائهم ، والوضوء لها ، وتكرارها خمس مرات في اليوم .

(٨)

يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ، اذْكُرُوا نَعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ ، وَأَنِّي
فَضَلَّتُكُمْ عَلَى الْعَالَمَيْنَ . وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ
شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ ، وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ ، وَلَا هُمْ
يُنَصَّرُونَ . وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُوْمُونَكُمْ سُوءَ
الْعَذَابِ : مُيَذَّهَّبُونَ أَبْنَاءَكُمْ ، وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ ، وَفِي ذَلِكُمْ
بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ . وَإِذْ فَرَقْنَا بَكُومُ الْبَحْرَ فَانْجَيْنَاكُمْ ، وَأَغْرَقْنَا
آلِ فِرْعَوْنَ ، وَأَنْتُمْ تَنْظَرُونَ . وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ،
مُمْتَنَنًا لَكُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ . ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ
مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعْلَكُمْ تَشَكُّرُونَ . وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ
وَالْفُرْقَانَ لَعْلَكُمْ تَهَذَّبُونَ . وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ : يَا قَوْمَ
إِنَّكُمْ ظَالِمُونَ أَنْفُسَكُمْ بِاتْخَازِكُمُ الْعِجْلَ ، فَتُوْبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ ، فَاقْتُلُوا
أَنْفُسَكُمْ ، ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ ، قَتَابَ عَلَيْكُمْ ، إِنَّهُ هُوَ
الْتَّوَابُ الرَّحِيمُ . وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى : لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ
جَهَرَةً ، فَأَخْذَتُكُمُ الصَّاعِقةَ وَأَنْتُمْ تَنْظَرُونَ . ثُمَّ بَعْثَنَاكُمْ مِنْ
بَعْدِ مَوْتِكُمْ ، لَعْلَكُمْ تَشَكُّرُونَ . وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ ، وَأَنْزَلْنَا

عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلَوَى، كُلُّوا مِنْ طَيَّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ، وَمَا ظَلَمُونَا،
وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ.

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
العالمين	جميع الناس الذين في زمانهم .
لا تجربى	لا تغنى .
ولا يؤخذ منها عادل	ولا يؤخذ فيه فدية — والعدل : الفدية .
نجيناكم	نجينا آباءكم الذين كنتم في أصلابهم .
آل فرعون	أهل مصر .
يسومونكم	يديرونكم .
يدبحون أبناءكم	يدبحون الذكور من يولده منكم .
ويستحiron نساءكم	ويستحiron النساء أحياء .
بلاء	ابتلاء .
فرقنا بكم البحر	فرقنا البحر وفصلنا ماءً بكم ، فصار جزئين أنتم بيهما .
فأنجيناكم	أخرجناكم من البحر سالمين .
وأنتم تنظرتون	وأنتم ترون انطباق البحر على فرعون وقومه .
أربعين ليلة	انتظار الأربعين ليلة في الطور ، تنزل بعدها التوراة .
اتخذتم العجل من بعده	اتخذتم العجل الذي صنعه موسى السامرى إلهًا من بعد موسى .
ظلمون	مجاوزون العدل في عبادة غير الله .

الألفاظ	شرحها
ثم عفونا عنكم	مَحْوَنَا ذُنُوبَكُمْ ، وَتَجَاهَزْنَا عَنْكُمْ
من بعد ذلك	مِنْ بَعْدِ عِبَادَتِكُمْ الْعَجْلُ .
الكتاب والفرقان	الْتُورَةُ الَّتِي مِنْ شَأْنِهَا أَنْ تَفَرَّقَ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ ، وَتَمِيزُ الْخَلَالَ مِنَ الْحَرَامِ .
بارئكم	خَالِقُكُمْ . .
فاقتلوا أنفسكم	لِيُقْتَلَ الْبَرِيءُ مِنْكُمْ الْجُرمُ .
جهرة	عِيَانًا غَيْرَ مُسْتَرٍ بِشَيْءٍ .
الصاعقة	نَارًا أَصَابَتْكُمْ ، وَصِيقَحةً أَرْعَجَتْكُمْ
وأنتم تنتظرون	وَأَنْتُمْ تَنْتَظِرُونَ أَثْرَ الصَّاعِقَةِ .
بعثناكم من بعد موتكم	أَيْقَظْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ غَشْيَتْكُمْ .
وظللنا عليكم العمام	سَرَنَاكُمْ مِنْ حَرَارةِ الشَّمْسِ بِسَحَابَ رَقِيقٍ .
المن	صَمَغْ عَلَى الشَّجَرِ حَلُوٌ ، مَعَ شَيْءٍ مِنَ الْحَمْوَضَةِ .
السلوى	السَّمَّانِي « السَّمَّانَ » .

مُجَمَلُ الْمَعْنَى

— يأيها اليهود ؛ اذكروا نعمتى وألائى عليكم ، وتفضيلكما آباءكم الذين كانوا
في عصر موسى على جميع معاصرهم من بني البشر ، واتقوا يوم الحساب
الذى لا تغنى فيه نفس عن نفس شيئاً ، فكل امرىء بما كسب رهين ،
ولا تقبل من أى عاص شفاعة ولا فداء ، ولا يستطيع أى ناصر أن يدفع
الأذى عن أى إنسان ، ثم أخذ الله يعدد معاصي اليهود الحاقدين
فيها سيلى ، ويزدكرهم بفضلهم عليهم ، ودفع الضرر عنهم في الأيام الخالية ، فقال :

٢ — اذكروا أيها اليهود يوم أن نجينا آباءكم من ظلم فرعون وقومه ، الذين كانوا يستعبدونكم ، ويذيقونكم العذاب ألواناً ، بتسخيركم في بناء المعابد ، وإقامة الهياكل ، وحين تکاثرتم مع ما كنتم عليه من الذل ، أبلغ أحد الكهنة فرعون أن مولوداً ذكرًا منكم يكون سبباً في ذهاب ملكه ، فأمر بأن يذبح كل مولود ذكر منكم ، ويستتبى الإفاث ، وفي هذا العذاب ، وال تعرض للفتاء ، ابتلاءً وامتحانًا لكم عظيم ، إذ جرت سنة الله أن ييلو خلقه بالحسنات والسيئات ؛ ثم بعث الله إليكم موسى ، فنجاكم مما كنتم فيه من الهوان والذل والاستعباد .

٣ — واذكروا يوم غادرتم مصرَ مع موسى ، ورأيتم البحرَ أمامكم ، وعدوكم وراءكم ، وخفتم أن يدرككم فرعونُ فينكلاً بكم ، فأمرنا موسى أن يضرب البحر بعصاه ، فانفلق ، وانحسر الماءُ عن اثنى عشر مسلكاً عبرتومها ، وتبعدكم فرعون وقومه ، فأغرقناهم وأنتم تنتظرون انطلاق البحر عليهم .

٤ — واذكروا أنكم بعد أن أنجاكم الله من فرعونَ وقومه ، وصرتم آمنين على أنفسكم ، سألكم موسى أن يأتیكم بكتاب من عند الله ، فلما وعده الله أن ينزل عليه التوراة بعد أربعين يوماً بيلاليها ، يصوم نهارها ، ويقضى أوقاتها في العبادة على الطور ، ليتلقى التوراة ، واستختلف عليكم أخاه هرون ، اتخدتم العجلَ الذي صاغه موسى السامری إلهًا ومعبدًا لكم ، في أثناء غياب موسى ، وكنتم طالبين باتخاذكم شريكاً لله الذي خلصكم من ظلم فرعون وقومه ، وحين تبتم عفونا عنكم بعدما ارتكبتم من الآثم ، لعلكم تشكوني على عفوی وصفحی .

٥ — واذكروا يوم استجبينا طلبكم ، وأنزلنا التوراة التي جمعت بين كوهها كتاباً سماوياً ، وبين كوهها تميز الحلال من الحرام ، وتفرق بين الحق والباطل ، لعلكم تتدرون بتقدير ما فيها ، وتفكرون في آياتها ، نعمهً منا وفضلاً ،

وَتَعْدُ التُّورَاةُ فِرْقَانًا، بَدْلِيلٍ قَوْلَهُ تَعَالَى : وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَرُونَ الْفِرْقَانَ
وَضِيَاءً وَذَكْرًا لِلْمُتَقِينَ .

٦ - واذْكُرُوا يَوْمَ قَالَ مُوسَى لَكُمْ : إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُمْ بِاتْخَادِكُمُ الْعَجْلَ
إِلَهًا لَكُمْ ، فَتَوَبُوا إِلَىٰ خَالِقِكُمْ ، وَلِيُقْتَلُ مَنْ لَمْ يَعْبُدُ الْعَجْلَ مِنْكُمْ مِنْ
عَبْدَهُ ، فَفَعَلُوكُمْ مَا أَمْرَتُكُمْ بِهِ ، فَقَبْلِ اللَّهِ تَوبَتُكُمْ ، إِنَّهُ هُوَ التَّوَابُ الرَّحِيمُ .

٧ - واذْكُرُوا قَوْلَكُمْ مُوسَى : لَنْ نَقْرُكُمْ بِالْإِيمَانِ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ عَيْانًا ، لَا يَحْجَبُهُ
عَنَا شَيْءٌ ، فَانْقَضَتْ عَلَيْكُمْ صَاعِقَةُ أَزْعَجْتُكُمْ ، لَتَعْنَتُكُمْ ، وَطَلَبْتُكُمْ
مَا يَسْتَحِيلُ وَقَوْعَهُ ، وَأَنْتُمْ تَنْظَرُونَ إِلَىٰ حَالِكُمْ ، وَمَا نَزَلَ بِكُمْ مِنْ آثَارٍ
الصَّاعِقَةِ ، ثُمَّ أَيْقَظْنَاكُمْ مِنْ غَشْيَتُكُمْ لِعَلَكُمْ تَشَكَّرُونَ ، وَسَخْرَنَا لَكُمْ سَحَابَةً
رَقِيقًا يَظْلَمُكُمْ مِنْ حَرَّ الشَّمْسِ ، وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ الْمَنْ — وَهُوَ شَيْءٌ يَشْبَهُ
الصَّمْعَ ، لَزْجٌ حَلْوٌ مَعَ شَيْءٍ مِنَ الْحَمْوَضَةِ ، كَانَ يَنْزَلُ كَالْطَّلَلِ مِنْ بَرْوَغِ
الْفَجْرِ إِلَى طَلَوْعِ الشَّمْسِ — كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ السَّهَانِيِّ — وَكَانَ يَأْتِيهِمْ
بَكْرَةً وَعَشِيَاً ، تَسْوِقُهُ رِيحُ يَرْسَلُهَا اللَّهُ — وَقَلَنَا لَكُمْ : كَلَوْا مِنْ طَبَياتِ
مَا رَزَقْنَاكُمْ ، فَلَمْ تَلْنُ قَلْوَبَكُمْ ، وَلَمْ تَشَكِّرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ .

هَذِهِ بَعْضُ نِعْمَانَا عَلَى الْيَهُودِ ، وَلَكُنْهُمْ جَحَدُوهَا وَلَمْ يَقْابِلُوهَا بِالشُّكُرِ ،
وَهُمْ فِي مَوْقِفِهِمْ هَذَا مَا ظَلَمُونَا ، لَأَنَّهُ لَيْسَ فِي اسْتِطَاعَتِهِمْ أَنْ يَصْبِبُونَا بِأَيِّ ضَرَّ ،
وَلَكُنْهُمْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ، لَأَنَّ ضَرَّ الْعَصِيَانِ عَائِدٌ عَلَيْهِمْ وَحْدَهُمْ .

(٩)

وَإِذْ قُلْنَا: ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ، فَكَلُّوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغْدًا،
وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا، وَقُولُوا: حِطَّةٌ، لَنْفِرٌ، لَكُمْ خَطَايَاكُمْ،
وَسَرِيدُ الْمُحْسِنِينَ. فَبَدَلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الدِّيْرِ قِيلَ لَهُمْ،
فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُدُونَ. وَإِذْ
اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ، قَقْلَنَا: اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ، فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ
اَنْتَنَا عَشْرَةَ عَيْنًا، قَدْ عَلِمَ كُلُّ أَنْاسٍ مَشْرَبَهُمْ، كُلُّوا وَاشْرَبُوا مِنْ
رِزْقِ اللَّهِ، وَلَا تَعْنُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ. وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى: لَنْ
نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ، فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْذِيَتِ الْأَرْضُ
مِنْ بَقْلِهَا وَقِنَائِهَا وَفُؤُمِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصِلِهَا، قَالَ: أَتَسْتَبْدِلُونَ الدِّيْرَ
هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ؟ اهْبِطُوا مِصْرًا إِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ،
وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الدَّلَةُ وَالْمَسْكَنَةُ، وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ، ذَلِكَ
بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ، وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ،
ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ.

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
القرية	بيت المقدس .
الباب	باباً عيسئه هم موسى ، ما زال يسمى باب حطة .
سجدة	خاضعين خاسعين .
وقولوا : حطة	قولوا ما معناه : نسألك يا رب أن تحط عننا خطابانا ستر يد المحسنين ثواباً .
وستزيد الحسينين	قالوا غير ما أمرهم الله به ، وعصوا وتمردوا .
فبدلَّ الذين ظلموا	طلب من ربه السقيا لقومه ، لشدة عطشهم .
استسقى موسى لقومه	انشقت .
انفجرت	علم كل فريق العين التي يشرب منها .
لا تعثروا	لا تعتدوا بالإفساد .
بقلها	كل نبات اخضرت به الأرض .
قطاهما	نوع من الخيار « القنة » .
فومها	حنطها ، وقيل : هو الشوم .
أدنى	أحقر وأحسن .
مصرًا	بلداً كبيراً كمدينة .
ضرربت	حَلَّتْ وَحَقَّتْ وَاحاطَتْ .
الذلة والمسكنة	الهوان والفنر .
باعوا بغضب من الله	رجعوا بغضب الله ، وصاروا مستحقين له .
بما عصوا	بسبب عصيانهم .

مجمل المعنى

هذه الآياتُ استمرارٌ لما سبق من الآيات التي نزلت في تعداد نعم الله على اليهود، وجحودهم إياها ، وكانوا قد ضلوا في صحراء سيناء :

١ - اذكروا يا بني إسرائيل يوم قلنا لآبائكم على لسان موسى : ادخلوا بيت المقدس بعد أن ضللتم في صحراء سينا هامين على وجوهكم ، وستجدون فيها كل ما تشهون من عيش هنئ على أن يكون دخولكم في خصوع وخشوع ، من باب عينه لكم موسى ، واسأموا الله عند دخولكم أن يخط عنكم خطاياكم ، فإن فلتم ذلك غفر الله لكم ذنوبكم ، ومن كان محسناً منكم زدناه ثواباً بعد أن نغفر خطايته ، ولكنكم بظلمكم خالفتم أوامر الله ، فقلتم غير ما أمركم الله به ، استهزءتم منكم وتبردواً وعصيائنا ، فأنزل الله عليكم عذاباً من عنده ، نزروحكم عن طاعته ، قيل : إنه طاعون فتك بهم فتكاً ذريعاً ، والمراد بالإزال هنا : صدوره من العلي الكبير .

٢ - واذكروا أيها اليهود يوم أن استسقى موسى لكم حين اشتد بكم العطش ، فأمرناه أن يضرب بعصاه حجراً ، فضرب ، فسأل الماء من اثنى عشرة عيناً منه ، فكان لكل سبط - أى لكل قبيلة من سلاة إسرائيل - وكانت اثنى عشرة قبيلة - عين يشرب منها هو ومن معه لا يتعداها ، وقلنا لكم : لم كلوا المن والسلوى ، واشربوا من العيون المتفجرة ، ولا تنشروا في الأرض فساداً ، فتكونوا قدوة سيئة لغيركم ؛ والأسباط في بني إسرائيل كالقبائل في العرب ، وهم ذرية أولاد يعقوب الاثنى عشر .

٣ - واذكروا يوم تدلل آباءكم على موسى ، واستولى عليهم البطر حين كانوا تائبين حائرين ، برث اللذيد الشهي من الطعام ، وهو المن والسلوى ،

إلى الحقير التافه ، فقالوا لموسى : لن نصبر على طعام واحد ، فادع لنا ربك يخرج لنا ما تنبئه الأرض من خضرها ، وفناها ، وفومها وعدسها ، وبصلها ، فقال لهم موسى متعجباً مستنكراً : أتطلبون هذه الأنواع التي تعدّ تافهة حقيرة ، وستبدل لونها بالمن" والسلوى — والباء بعد استبدل وما في معناها تدخل على المتروك — فإن أبيتم إلا ما أردتم ، فادخلوا مدينة من المدن ، فإنكم تجدون ما سألتموه ؛ وحقّت على آبائكم الذلة والفقر ، واستحقوا غضب الله عليهم ، ذلك بسبب ما جبلوا عليه من الترد والعصيان ، وما جروا عليه من الكفر بآيات الله ، فإنهم أحربوا موسى ، وتعنتوا في مطالبهم ، وقتلوا أنبياءهم ظلماً ، مع أن كتابهم يحرم القتل مطلقاً ، فكيف بالأنبياء ، ذلك الكفر والحرأةُ على النبيين بالقتل ، بسببه ما ركب في طباعهم من العصيان والعدوان .

(١٠)

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ، مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَحِيلَ صَالِحًا، فَلَهُمْ أَجْرٌ مِّنْ رَبِّهِمْ، وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ. وَإِذَا أَخَذْنَا مِيشَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ، خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ، وَإِذْ كُرُوا مَا فِيهِ لَعْنَكُمْ تَتَقَوَّنَ. مُمَّ تَوَلَّمُونَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ، فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ لَكُنْثُمْ مِّنَ الْخَاسِرِينَ، وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدُوا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ، فَقُلْنَا لَهُمْ: كُوْنُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ. فَجَعَلْنَاهَا نَكَلًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا، وَمَوْعِظَةً لِمُتَّقِينَ.

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
الذين هادوا	اليهود
الصابئين	عبدة الملائكة والكواكب .
أخذنا ميشاقكم	أخذنا العهد عليكم بالعمل بما في التوراة .
رفعنا فوقكم الطور	<p>{زعزعناه من مكانه، فصار كالظللة فوق رعوسكم ،</p> <p>والطور : الجبل بالسريانية .</p>
بقوة	بجد واجتهاد .

الألفاظ	شرحها
توليم الحاسرين	أعرضتم . الخائبين .
فِ السَّبْتِ كُونُوا فِي قَرَدَةً	فِي يَوْمِ الْرَّاحَةِ ، وَالاعْتِدَاءُ : صَيْدُ السَّمْكِ فِيهِ . كُونُوا كَالْقَرَدَةِ مَطْرُودِينَ حَقِيرِينَ .
فَجَعَلْنَا هَذِهِ الْعَقُوبَةَ عَبْرَةً لِغَيْرِهِمْ .	فَجَعَلْنَا هَذِهِ الْعَقُوبَةَ عَبْرَةً لِغَيْرِهِمْ .
لِأَلْمِ الَّتِي فِي زَمَانِهَا .	لِأَلْمِ الَّتِي فِي زَمَانِهَا .
لِأَلْمِ الَّتِي بَعْدَهَا .	لِأَلْمِ الَّتِي بَعْدَهَا .
لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا	لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا .
وَمَا خَلْفَهَا	وَمَا خَلْفَهَا .

بِحَمْلِ الْمَعْنَى

١ — سرد الله بعضَ مساوىءِ بني إسرائيل فيما مضى ، وبيّنَ ما ينتظرونَ من عقوبة ، وذكر في هذه الآية عاقبةَ أمر المؤمنين ، ليقتربَ وَعِيدُ الله وعقابه للعصاة ، بثوابه للمتقين الذين صدقوا بدين محمد عليه الصلاة والسلام ، تصدقياً خالصاً من شوائب النفاق ، وكذلك عاقبةَ أمر اليهود والنصارى ، وعبدة الكواكب والملائكة ، منْ كان مؤمناً بدينه ، قبل أن يأتيَ الإسلامُ ، ثمَ آمنَ بمحمدَ بعد بعثته ، فهوئاءً جيئاً لهم ثوابهم عند ربهم ، ولا يتحقق لهم خوفٌ من عقاب ، ولا حزنٌ على فوات ثواب .

٢ — وكان موسى عليه الصلاة والسلام حين جاء بالتوراة إلى بني إسرائيل ، ورأوا ما فيها من التكاليف الشاقة ، عز عليهم أن يقوموا بها ورفضوها ، مع أنهم همُ الذين طلبوا من موسى أن يأتيهم بكتاب من عند الله كما تقدم ، فأمر الله جبريلَ أن يزعزع الطورَ — وهو جبل يسیناء — من

مكانه حتى صار كأنه ظلّة ، وظنوا أنه واقع عليهم ، فأخذنا عندهم واستكانوا ،
فذكر الله ذراريهم في عهد الرسول بما فعل آباؤهم ، وليس في هذا
إكراه على الدين ، لأن المؤمن بعد أن يتذوق حلاوة الإيمان ، يدرك خطأه
فيما كان عليه من عناد .

٣ — واذ ذكروا أيها اليهود يوم أخذنا عليكم العهود والمواثيق بالعمل بما في
التوراة ، ألا تعبدوا إلا الله ، وأن تحسنوا بالوالدين إحساناً ، وذى القربي
واليتامى والمساكين ، وأن تقولوا للناس حسناً ، وقلنا لكم : تدبّروا ما في
التوراة التي أتيناكم بها يجدها عزيمة ، واعملوا بما جاء فيها ، رجاء أن
تبعدوا التقوى إلى قلوبكم ، فتكلتم ، ثم أعرضتم عما تعاهدتم عليه ،
فلولا فضل الله عليكم ورحمته بتوفيقكم إلى التوبة والانقياد إلى الحق ، لكتنتم
من الصالحين .

٤ — وقد كان في قرية أبلة — وهي مدينة على ساحل البحر الأحمر — جماعة
من اليهود يستغلون بصيد السمك ، فألفت الحيتان بغرائزها أن هؤلاء
الصياديون لا يصطادون يوم السبت ، لأنّه يوم الراحة عندهم ، فكانت
تبدو بكثرة فيه ، وكان الصياديون إذا خرجوا للصيد في غير أيام السبت
لا يجدون منها شيئاً ، فاحتالوا لخالفة أمر الله ، الذي فرض عليهم
عدم العمل في يوم السبت ، بأن حفروا حوضاً تدخل الحيتان إليه ،
ويتعسر عليها الخروج منه ، فيصطادونها يوم الأحد ، فسخر الله
قلوب الخالفين ، بأن صاروا كالقردة لا يعقلون شيئاً ، تنفر الطياع من
مجالستهم ، وتشمئ النفوس من معاشرتهم ، وجعل العقوبة عبرةً لمن
يعتبر ، من العاصين الذين يحتالون لخالفة أمر الله ، سواء أكانوا في
زمانهم أم بعدهم ، وموعظةً لمن اتقوا الله ، حتى لا يقعوا في مثل ما وقع
فيه هؤلاء ، لأن السعيد من وُعظَ بغيره .

(١١)

وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ: إِنَّ اللَّهَ يَا أَمْرُكُمْ أَنْ تَذْبُحُوا بَقَرَةً، قَالُوا: أَتَتَخْذِنَا هُزُوًّا؟ قَالَ: أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ. قَالُوا: ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ؟ قَالَ: إِنَّهُ يَقُولُ: إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بُكْرٌ، عَوَانٌ بَيْنَ ذِلِّكَ، فَافْعُلُوا مَا تُؤْمِرُونَ. قَالُوا: ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْهُنَا؟ قَالَ: إِنَّهُ يَقُولُ: إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءٌ فَاقِعٌ لَوْهُنَا، تَسْرُرُ النَّاظِرِينَ. قَالُوا: ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ؟ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا، وَإِنَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمْ تَدْعُنَا. قَالَ: إِنَّهُ يَقُولُ: إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذُلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ، وَلَا تَسْقِي الْحَرَثَ، مُسَلَّمَةٌ لَا شِيمَةٌ فِيهَا، قَالُوا: الآنْ جِئْتَ بِالْحَقِّ، فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعُلُونَ. وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارُأْتُمْ فِيهَا، وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كَنْتُمْ تَكْتُمُونَ. فَقُلْنَا: اضْرِبُوهُ بِعِصْمِهَا، كَذِلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ، لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ. ثُمَّ قَسَّتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ، فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً، وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لِمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ، وَإِنَّ مِنْهَا لَمَّا يَشَقِّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ، وَإِنَّ مِنْهَا لَمَّا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ، وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَفْعَلُونَ.

شرح الألفاظ

الآلفاظ	شرحها
ُهُزُواً	سخريةٌ .
الجاهلين	الذين وُصّموا بالجهل ، لسخريتهم من عباد الله .
ما هى	ما سُنْها ؟
فارض	مسنة .
بكر	صغيرة .
عوان	نصفٌ ، متوسطة بين الصغيرة والكبيرة .
فاقع لونها	لونها شدِيد الصفرة في صفاء .
ما هى	أعاملة في الحرث والستي ، أم سائمة ترَعى لتنمو وتسمن ؟
لاذَلُول	غير مذلة في العمل .
تشير الأرض	تجر المحراث فتقلب الأرض ، كدوا بحرث .
مسائمة	خالية من العيوب .
لا شيء فيها	ليس فيها أية علامة تخالف لونها .
جئت بالحق	نطقت بالبيان التام .
وما كادوا يفعلون	ما قاربوا أن يذبحوها ، لتعدد أسلفهم .
ادَّرَأْتُمْ فيها	تخاصّمتم ، وتنازعتم واحتلّتم ، واتّهمَ بعضكم ببعضاً .
اضربوه ببعضها	اضربوا القتيل ببعض أجزائه .
آياتك	دلائل قدرته .
من بعد ذلك	من بعد إحياء القتيل وظهور القاتل .
يَتَفَجَّرُ منهُ الْأَنْهَارُ	{ تشدق الأنهار بالماء الذي يخرج من بين حجارة صلبة ، والنهر : الشق }
يهبط من خشية الله	يتأثر فينحدر من أعلى إلى أسفل ، منقاداً لقدرة الله .

قصة البقرة التي سميت بها السورة ، وبجمل المعنى

هذه القصة تدل على أن الأمر قد يكون يسيراً سهلاً، ولكن الجدل والمحاكمة يصيرانه شاقاً عسيراً، وأن التنطع في الدين، واللجاجة في السؤال، يقتضيان التشدد في الأحكام، ولذا قال الله تعالى : يأيها الذين آمنوا لا تسألو عن أشياء إن تبد لكم تساؤكم :

١ - حدث أن كان في بني إسرائيل شيخ موسى له ابن واحد، فقتله ابنُ عمِّه طمعاً في أن ينتقل الميراث إليه، واتهم أبو القتيل بعض القوم فأذكروا قتله ، فتخاصموا إلى موسى ، بعد أن كاد الشر يتفاقم بينهم ، فأمرهم أن يأتوا ببقرة ويدبحوها ، ليبين لهم البريء من المجرم ، وكان يمكن أن ينتهي الأمر عند هذا الحد ، فيأتوا بأية بقرة ويدبحوها ، ويتظروا ما يسفر عنه حكم الله على لسان موسى ، ولكن اللجاجة والجدل طبع في بني إسرائيل ، فقالوا له متعجبين مستنكرين : أتسخر منا ؟ فقال لهم موسى : أعتصم بتأنيب الله إيماني أن أكون من الجاهلين الذين يسخرون من عباده ، قالوا : ادع لنا ربكم يبين لنا ما هي : أمسنة هى أم فتيبة ؟ فقال لهم : إن الله يقول : إنها بقرة بين الفتية والمسنة ، وطلب منهم أن يأتوا ببقرة توافر فيها هذه الصفة فيدبحوها ، وأن ينفذوا أمر الله ، لكنهم لم يكتفوا بهذا ، بل قالوا : ادع لنا ربكم يبين لنا ما لونها ؟ فقال موسى : إن الله يقول : إنها بقرة شديدة الصفرة ، صافية اللون ، يسر منظرها من رآها لحسنها ، لكن بني إسرائيل الذين جبلوا على عدم امتثال أوامر الله ، واعتادوا الماطلة ، قالوا لموسى : ادع لنا ربكم يبين لنا ما هي ؟ فإن البقر قد تشابه علينا ، أبقرة عاملة في حرث الأرض وسقيها ، أم بقرة سائمة لتسمن وتذبح ؟ فقال

لَمْ مُوسى : إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ غَيْرَ مَذَلَّةٍ بِالْعَمَلِ فِي الْحَرثِ
وَالسُّقْيِ ، سَلِيمَةُ الْأَعْصَاءِ ، لَوْنَهَا وَاحِدٌ ، لَا عَلَامَةً فِيهَا تَخَالُفٌ لَوْنُ
بَاقِي جَسْمِهَا ، فَقَالُوا لَهُ : إِنَّ جِئْتَ بِالْبَيَانِ الْوَاضِعِ ، وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ
لِتَعْدُدِ أَسْئَلَتِهِمْ ، فَطَلَبُوا تِلْكَ الْبَقْرَةِ الَّتِي فِيهَا هَذِهِ الصَّفَاتُ ، وَجَدُوا فِي
الْبَحْثِ عَنْهَا ، حَتَّى وَجَدُوهَا عِنْدَ فَتِي بَارَّ بِأَمْهِ وَأَبِيهِ ، فَاشْتَرَوْهَا بِأَغْلِي
ثُمَّ ، بَعْدَ أَنْ أَعْيَاهُمْ طَلَبُهَا ، لِنَدْرَةِ تَوَافُرِ هَذِهِ الصَّفَاتِ فِي بَقْرَةٍ ، وَبَعْدَ
ذِبْحِهَا أَخَذَ مُوسَى بَعْضَ أَعْصَائِهَا وَضَرَبَ بِهِ الْقَتْلَيْلَ ، فَدَبَّتْ فِي الْحَيَاةِ
بِقُدْرَةِ اللَّهِ ، وَأَعْلَنَ اسْمَ قَاتِلِهِ ، وَعَادَ مِيتًا ، وَعَوْقَبَ الْقَاتِلُ بِالْقَتْلِ ،
فَحَرِمَ مَا كَانَ يَطْمَعُ فِيهِ مِنْ مِيرَاثِ عَمِهِ .

٢ - وَادْكُرُوا أَيْهَا الْيَهُودُ يَوْمَ قُتْلَمْ نَفْسًا ، فَتَخَاصِّمُمْ فِيهَا ، وَاتَّهِمْ بَعْضَكُمْ
بَعْضًا ، وَاللَّهُ مُعْلِنُ مَا كَتَمْتُمُوهُ مِنْ أَمْرِ الْقَاتِلِ ، فَقُلْنَا لَكُمْ عَلَى لِسَانِ مُوسَى :
اَسْرِبُوا الْقَتْلَيْلَ بَعْضَ أَعْصَاءِ الْبَقْرَةِ فَفَعَلُمُ ، فَدَبَّتِ الْحَيَاةِ فِي الْقَتْلَيْلِ
وَأَخْبَرَ بِقَاتِلِهِ بِقُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَبِهِنْدِ الْقُدْرَةِ يَحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ ،
وَيَرِيكُمْ دَلَائِلَ قَدْرَتِهِ لِعُلُوكِمْ تَعْقُلُوهَا ، فَإِنَّ مَنْ قَدَرَ عَلَى إِحْيَا نَفْسٍ ،
قَادِرٌ عَلَى إِحْيَا الْأَنْفُسِ كُلِّهَا ، كَمَا قَالَ : مَا خَلَقْتُمْ وَلَا بَعْثَكُمْ إِلَّا
كَنْفُسٌ وَاحِدَةٌ ، وَهَذِهِ الْآيَةُ هِيَ مِبْدَأُ الْقَصَّةِ ، تَأْخُرَتْ عَمَّا قَبْلَهَا لِلتَّشْوِيقِ .

٣ - وَعِظَةُ ظَهُورِ هَذِهِ الْمَعْجِزَةِ لَكُمْ يَا بَنِي إِسْرَائِيلُ ، وَقَدْ كَانَتْ كَافِيَةً لِأَنْ
تَؤْمِنُوا بِمُوسَى إِيمَانًا صَادِقًا لَا يُكَدِّرُهُ خَلَافٌ وَلَا مَحاكِةٌ ، فَإِنَّ قُلُوبَكُمْ
لَمْ تَلْنُ وَلَمْ تَخْشُعْ ، بَلْ بَقِيَتْ عَلَى قَسَاوْهَا وَجْهُوْهَا ، وَصَارَتْ كَالْحِجَارَةِ
فِي صَلَابَهَا ، بَلْ أَشَدَّ مِنْهَا صَلَابَةً ، فَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ حِجَارَةً تَنْشَقُ
مِنْهَا الْأَنْهَارُ حِينَ خَرْجِ الْمَاءِ مُتَدَفِّقًا مِنْ مَنْبِعِهِ ، وَمِنْهَا مَا يَشْقَهُ الْمَاءُ الرَّقِيقُ
اللَّطِيفُ فَيَتَأْثِرُ بِهِ ، وَيَنْفَذُ مِنْهُ ، وَمِنْهَا مَا يَتَأْثِرُ بِقُدْرَةِ اللَّهِ مِنْ قَادَا لِمَشِيَّتِهِ ،
فَيَنْحُطُ مِنْ أَعْلَى الْجَبَلِ إِلَى أَسْفَلِهِ ، كَالْحِجَارَةِ الَّتِي يَقْدِفُهَا بِرْكَانٌ ، أَوْ
تَتَأْثِرُ بِالصَّوَاعِقِ ، أَمَا أَنْتُمْ فَلَمْ تَتَأْثِرُوا بِالْعَظَاتِ وَالْعَبْرِ ، وَلَمْ يَنْفَذْ إِلَى قُلُوبَكُمْ
شَيْءٌ مِنْ شَعَاعِ الإِيمَانِ الصَّحِيحِ ، وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ، فَهُوَ
سَيِّرُكُمْ بِضَرْبَ النَّفْقَ ، إِذَا لَمْ تَتَرَبُوا بِضَرْبَ النَّعْمِ .

(١٢)

أَفَتَطْمِعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ ، وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ
يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ، ثُمَّ يُحَرِّرُ فُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ ، وَهُمْ يَعْمَلُونَ ؟
وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا : آمَنَّا ، وَإِذَا خَلَّ بَعْضُهُمْ إِلَى
بَعْضٍ قَالُوا : أَلَّا تَحْدِثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجِجُوكُمْ بِهِ
عِنْدَ رَبِّكُمْ ؟ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ؟ أَوْلًا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسْرِرُونَ
وَمَا يُعْلِمُونَ ؟ وَمِنْهُمْ أُمَّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيًّا ، وَإِنْ
هُمْ إِلَّا يَظْنُونَ . فَوَيْلُ الَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ
يَقُولُونَ : هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثُمَّا قَلِيلًا ، فَوَيْلُ
لَهُمْ مِمَّا كَتَبْتَ أَيْدِيهِمْ ، وَوَيْلُ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ . وَقَالُوا :
لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً ، قُلْ : أَتَتَّخَذُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا
فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ ، أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ؟ بَلَى ،
مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَاحْمَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ ، فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ
هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ . وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ، أُولَئِكَ أَصْحَابُ
الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
منهم	من أخبار اليهود .
يسمعون كلام الله	يسمعون كلام الله في التوراة .
ويُحرفونه	يعيرونه ويفسدونه .
قالوا أتحادثونهم بما فتح الله عليكم	<p>قال رؤساء اليهود الذين لم ينافقو لمن نافق منهم :</p> <p>{ أتحادثون المؤمنين بما عرفكم الله من نعمت محمد في التوراة .</p>
ليحاجوكم	ليقيموا عليكم الحجة .
عند ربكم	بما نزل في التوراة من عند ربكم .
ومنهم أميون	ومن اليهود أميون لا يعرفون القراءة .
أمانى	أكاذيب يتلقونها من رؤسائهم .
الكتاب	التوراة .
وإن هم إلا يظنون	<p>ليس لهم في إنكار نبوة محمد من علم إلا اتباع الفتن .</p>
فويل	فعداب شديد .
يكتبون الكتاب بأيديهم	يختلقون في التوراة كلاماً من عند أنفسهم .
ما يكسبون	ما يرجون من الرشوة وتقاضي الأجر .
أتخذتم عند الله عهداً؟	هل اتخذتم عند الله ميثاقاً بعدم عذابكم ؟
بلـ	نعم تمسكم النار .
أحاطت به خططيته	<p>أحاطت به الخطية وملكته ، وغلبته على أمره ،</p> <p>حتى لا يستطيع الفكاك منها .</p>

كان النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه يرون أنَّ أحقَّ الناس بالإيمان بنو إسرائيل ، لأنَّ دينهم التوحيد ، ولأنَّ نعمتَ الرسول في كتبهم ، فكانوا يطمعون في دخولهم الإسلامَ ، أكثر من طمعهم في دخول عباد الأصنام ، ولكنهم لم يلبثوا أنْ رأوْهم معاندين مشاكسين ، لما انطوت عليه نفوسهم من الحقد والحسد ، للرسول الذي كانوا يرجون أن يكونَ منهم ، فكانوا أكثرَ الناس استكباراً عن الإيمان ، وأذى للرسول ومن اتبعه من المؤمنين .

مجمل المعنـى

١ — أفتضمعون أيها المؤمنون الصادقو الإيمان أن يؤمن اليهود لكم ، وقد كانت طائفة من أحبارهم يسمعون كلام الله في التوراة ، ثم يعمدون إلى تحريفه وتأويله تأويلاً فاسداً على حسب أغراضهم ، من بعد أن فهموه ، ولم يشتبه عليهم شيء منه ؟ وكان فريقٌ من المنافقين منهم إذا لقوا الذين آمنوا إيماناً صادقاً قالوا : آمنا بأنكم على الحق ، وأنَّ مُحَمَّداً هو النبيُّ الذي بشر به في التوراة ، فإذا انفرد بعضُهم ببعضٍ ، قال غيرُ المنافقين منهم للمنافقين على سبيل العتاب والتأنيب : أتحذرون المسلمين بما عرفتم في التوراة من نعمتَ محمدَ ، ليحتجوا علينا بما نزل في التوراة من عند ربكم ، ليقومَ حجةً لهم علينا ؟ ألا تلاحظون هذا الخطأ الفاحشَ المؤديَ إلى إفشاء هذا السر ؟ وكيف يلومهم هؤلاء العصاةُ المعاندون على إفشاء هذا السر ؟ ألا يعلمون أنَّ اللهَ مطلعٌ على سرهم وجهرهم ؟ .

٢ — ومن اليهود فريقٌ جهله لم يطلعوا على التوراة ، لأنَّهم لا يعرفون القراءة ليتحققوا ما جاء فيها ، فهم لا يعرفون من التوراة إلا أكاذيبَ تلقوها من رؤسائهم ، وأخذوها من حرفوها ، فسمعوا منهم أنَّ الجنة لا يدخلها إلا من كان يهودياً ، وأنَّ النار لن تمسَّ اليهود إلا أياماً قليلة ،

بقدر الأيام التي عبد فيها آباءهم العجل ، وهي أربعون يوماً ، وما هؤلاء الأميون إلا قومٌ جهله ، ليس لهم بهذا علمٌ إلا اتباعَ الظن ، الذي لا يؤيده دليل .

٣ — فالويل والخسرانُ لهؤلاء الذين يكتبون التوراةَ الحرفَةَ بأيديهم ، ثم يدّعون أن ما كتبوا من عند الله ، ليحصلوا لأنفسهم عرضماً من أغراض الدنيا ، وهو الرياسةُ وجمعُ المال ، وهذا الهدفُ وإن جلٌ ، قليل بجانب ما سيلقونه يومَ القيامة من العذاب الأليم ، ويحرمونه من النعيم المقيم ، ويل لهم مما كتبت أيديهم من التوراة الزائفة ، وويل لهم مما يكسبون من أجور تعليمهم للناس الأباطيل .

٤ — لقد قالوا عند ما توعدهم النبي بالنار يوم القيمة ، جرياً على ما ألفوا من التلقيق واحتراق الأكاذيب في التوراة : لن تمسنا النارُ إلا أياماً قليلة ، فأمرَ الله رسوله محمدًا أن يقول لهم ، توبيخاً لهم واستنكاراً : هل اتخذتم عند الله عهداً بما تزعمون ، فلن يخلفَ الله عهده معكم ، وأنتم بذلك مطمئنون إلى صدق وعده ، أم أنكم تفتررون على الله الكذب ؟ وما دامت الحالةُ التي أنتم عليها تؤيد افتراءكم ، فاعلموا أن من اقرف سيئة ، واستولى على قلبه حبَّ الخطايا ، وصار بطشه ميلاً إلى المعاصي ، ولا لذةَ له في سواها ، فأولئك أصحاب النار يخلدون فيها ، أما الذين آمنوا إيماناً صادقاً ، وقرروا إيمانهم بالأعمال الصالحة ، فأولئك أصحاب الجنة يخلدون فيها .

(١٣)

وَإِذْ أَخَذْنَا مِيشَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ : لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهُ ، وَبِالْوَالِدِينِ
إِحْسَانًا ، وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ ، وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنَنَا ،
وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ، ثُمَّ تَوَلَّتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ ،
وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ . وَإِذْ أَخَذْنَا مِيشَاقَكُمْ : لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ ،
وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ، ثُمَّ أَفْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ .
ثُمَّ أَنْتُمْ هُوَلَاءَ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ ، وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ
دِيَارِهِمْ ، تَظَاهِرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِشْمَ وَالْعَدْوَانِ ، وَإِنْ يَأْتُوكُمْ
أَسَارِي تُقَادُوهُمْ ، وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ، أَفَتَؤْمِنُونَ
بِيَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفِرُونَ بِيَعْضٍ ؟ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ
ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْنَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ
إِلَى أَشَدِ الْعَذَابِ ، وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ . أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوْهَا
الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْأَخْرَةِ فَلَا يُخَفَّ عَنْهُمُ الْعَذَابُ ، وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
و بالوالدين إحساناً	أحسنوا إلى الوالدين إحساناً .
وقلوا للناس حسناً	قولوا للناس قولاً حسناً ليناً .
أقيموا الصلاة و آتوا الزكاة	أدواهم على حسب ما في ملتهم .
لا تسفكون دماءكم	لا يقتل بعضكم بعضاً .
ولا تخرجون أنفسكم	لا يخرج بعضكم بعضاً .
أقررتم	قبلتم هذا الميثاق ، واعترفتم بذلك ومه خلافاً عن سلف .
وأنتم تشهدون	وأنتم تشهدون على إقرار أسلافكم بهذا الميثاق .
تقتلون أنفسكم	يقتل بعضكم بعضاً .
ظاهرون عليهم	تعاونون عليهم .
باليأس والعدوان	بالمعصية والظلم .
تغادوهم	تنقذُهم من الأسر ، بالفداء بمال أو غيره .
محرم عليكم إخراجهم	محرم عليكم إجلاؤهم عن ديارهم .
بعض الكتاب	بما ورد في التوراة من الفداء .
وتکفرون ببعض	بما ورد في التوراة من منع القتل والإخراج والمظاهرة .
خرزٌ	ذل وهوان .
يردون إلى أشد العذاب	يصيرون إلى عذاب لا ينقضي .
اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة	آثروا العاجل على الآجل .

كان بالمدينة قبيلتان : الأوس و الخزرج ، وكان بنو قريطة من اليهود حلفاء الأوس ، وبنو النضير من اليهود حلفاء الخزرج ، فإذا اقتل الأوس

وَالْخُرُجُ عَاوِنَ كُلَّ فَرِيقٍ حَلْفَاءَهُ فِي قَتْلِ الْفَرِيقِ الْآخَرِ ، وَتَخْرِيبِ دِيَارِهِ ،
وَإِجْلَاءِ أَهْلِهِ عَنْ وَطْنِهِ ، فَإِذَا أَسْرَ أَحَدًّا مِنَ الْفَرِيقَيْنِ ، جَمِيعُوا لَهُ مَالًا وَافْتَدُوهُ ،
فَإِذَا سُئِلُوا : لَمْ تَقْاتِلُوهُمْ ثُمَّ تَفَادُوهُمْ ؟ قَالُوا : نَقَاتَلَ لِنَصْرِ حَلْفَاءَنَا ، خَشْيَةً
أَنْ يُسْتَذَلُوا ، وَنَفْدِيهِمْ لَأَنَّا أَمْرَنَا بِفَدَاءِ الْأَسْرَى مِنَ الْيَهُودِ .

مُجمل المعنى

١ - وَذَكَرُوا أَيْهَا الْيَهُودِ يَوْمَ أَخْذَ اللَّهُ الْمِيثَاقَ عَلَى آبَائِكُمْ ، أَلَا يَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهُ
وَحْدَهُ ، وَأَنْ يَحْسَنَ كُلُّ مِنْهُمْ إِلَى وَالدِّيَهِ إِحْسَانًا ، بِحَسْنَ مَعَاشرِهِمَا ،
وَالْتَّوَاضُّعُ لَهُمَا ، وَامْتَشَالُ أَمْرِهِمَا ، كَمَا يَحْسِنُونَ إِلَى ذُوِّ قَرَابَتِهِمْ ، بِصَلَّتِهِمْ ،
وَحَسْنَ مَعَالِمِهِمْ ، وَإِلَى الْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ ، وَأَنْ يَقُولُوا لِلنَّاسِ قَوْلًا جَمِيلًا
لِيَنَّا ، وَأَنْ يَؤْدُوا الصَّلَاةَ وَيَعْطُوْنَ الزَّكَاةَ عَلَى حَسْبِ مَا فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فِي
كِتَابِهِمْ ، فَأَعْرَضُوا عَنِ الْعَمَلِ بِالْمِيثَاقِ الَّذِي أَخْذَ عَلَيْهِمْ ، إِلَّا قَلِيلًا
مِنْهُمْ عَكَفَ عَلَى الْقِيَامِ بِهِ عَلَى وَجْهِهِ الصَّحِيحِ ، وَلِيُسْتَعْجِلَ أَنْ يَكُونَ
هَذَا دَأْبُهُمْ ، فَهُمْ قَوْمٌ عَادُتْهُمُ الْغَدَرُ ، وَالْإِعْرَاضُ عَنِ الْوَفَاءِ وَالطَّاعَةِ .

٢ - فَهَا هُنَّ أُولَاءِ مَنْ أَخْذَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْمِيثَاقِ ، وَعَوْنَ النَّصْوصِ الصَّرِيْحَةِ
فِي التُّورَةِ ، يَرِيقُ بَعْضُهُمْ دَمَاءَ بَعْضٍ ، وَيَخْرُجُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا
عَنْ دِيَارِهِ ، مَعَ إِقْرَارِهِمُ الْمِيثَاقَ وَقَبْوُضِهِمْ إِلَيْاهُ ، وَاعْتَرَافِهِمْ بِلَزْرُومِهِ ، وَشَهَادَتِهِمْ
عَلَى إِقْرَارِ أَسْلَافِهِمْ إِلَيْاهُ .

٣ - وَمِنْ عَجْبِ أَنْهُمْ يَنْاقِضُونَ أَنفُسِهِمْ ، إِذْ يَقْتُلُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، وَيَخْرُجُونَ
مِنْ دِيَارِهِمْ ، وَيَتَعَاوَنُونَ عَلَيْهِمْ ، مَعَ غَيْرِهِمْ ، غَيْرَ مَبَالِيْنَ مَا يَرْتَكِبُونَهُ
مِنَ الْمُعَاصِي وَالْأَثَامِ ، ثُمَّ إِنْ وَقَعَ مِنْهُمْ أَسْرَى لِدِي مَنْ يَنْتَعَاوِنُونَ مَعَهُمْ ،
أَقْتَذُوهُ مِنْ أَسْرِهِ بِافْتَدَائِهِ ، مَعَ أَنَّهُ مُحَرَّمٌ عَلَيْهِمْ أَنْ يَخْرُجُوا أَحَدًا مِنْهُمْ مِنْ
دِيَارِهِ ، فَهُمْ يُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ مَا فِي التُّورَةِ مِنْ وجُوبِ افْتَدَاءِ الْأَسْرَى ،

ويكثرون ببعضها الآخر ، بمخالفة النصوص الصريرة فيها بعدم القتل ،
وعدم الإجلاء ، والتعاون مع الغير على من هم على ملتهم ، فجتمعوا
بين الفدية الواجبة ، وبين حرمة القتل والإخراج والمظاهره ، فما جزاء من
يفعل هذا التناقض العجيب إلا الذل والهوان في الحياة الدنيا ، وقد
تم هذا فعلا بقتل بنى قريطة ، وأسر نسائهم وأطفالهم على يد المسلمين ،
وإجلاء بنى النضير عن المدينة إلى الشام ، وضرب الجزية على من بقي
منهم ، ويوم القيمة يصيرون إلى عذاب أشد ، والله تعالى لهم بالمرصاد ،
لا يغفل عن أعمالهم ، ويعذبهم العذاب الذي يستحقونه ، لأنهم آثروا
الحياة الدنيا على الآخرة ، فلا يخفف عنهم العذاب برفع الجزية عنهم
في الدنيا ، ولا يخفف عنهم العذاب الذي أعده لهم في الآخرة ، وما لهم
من الله ناصر ولا واق .

(١٤)

وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَفَقَيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرَّسُولِ ، وَآتَيْنَا
عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ ، وَآيَدَنَا هُرُوجُ الْقُدْسِ ، أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ
رَسُولُنَا بِمَا لَا يَهُوَ أَنفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ ؟ فَقَرِيقًا كَذَبْتُمْ وَفَرِيقًا
تَقْتُلُونَ . وَقَالُوا : قُلُوبُنَا غَافِلَةٌ ، بَلْ لَعْنُوكُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ ، فَقَلِيلًا
مَا يُؤْمِنُونَ . وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ ،
وَكَانُوا مِنْ قَبْلٍ يَسْتَقْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا ، فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا
كَفَرُوا بِهِ ، فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ . بَئْسَ مَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنفُسُهُمْ :
أَنَّ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِغَيْرِهِ أَنَّ يُنَزَّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ
مِنْ عِبَادِهِ ، فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ ، وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ .
وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ : أَمْنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ ، قَالُوا : نُؤْمِنُ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا
وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَأَهُ ، وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ ، قُلْ : فَلِمَ
تَقْتُلُونَ أَبْنِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ؟ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى
بِالْبَيِّنَاتِ ، ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ . وَإِذَا أَخْذَنَا
مِيشَاقَكُمْ وَرَفَقْنَا فَوَقَكُمُ الطُّورَ ، خُذُوا مَا آتَيْنَا كُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْتَعْوِدُوا ،
قَالُوا : سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا ، وَأَشْرَبْنَا فِي قُلُوبِنَا الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ، قُلْ :
بَئْسَ مَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
قَفِينَا	أَتَبْعَنَا رَسُولًا بَعْدَ رَسُولٍ .
الْبَيِّنَاتِ	الْمَعْجَزَاتِ ، كَلِّ حَيَاءِ الْمَوْتَى ، وَإِبْرَاءِ الْأَكْمَهِ وَالْأَبْرَصِ
أَيْدِنَاهُ بِرُوحِ الْقَدْسِ	قَوْيَنَاهُ بِالرُّوحِ الْمَقْدَسَةِ الظَّاهِرَةِ ، وَهُوَ جَبْرِيلُ .
غُلْفُ	{ مَغْشَاهُ بِأَغْطِيشِ فَلَاتِعِ شَيْئًا ، وَهِيَ جَمْعُ أَغْلَفٍ ، وَقَلْبُ أَغْلَفٍ : مَسْتُورٌ عَنِ الْفَهْمِ وَالْتَّيْزِ .
لَعْنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ	طَرَدَهُمُ اللَّهُ مِنْ رَحْمَتِهِ بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ .
قَلِيلًا مَا يُؤْمِنُونَ	إِيمَانُهُمْ قَلِيلٌ ، وَمَا : زَائِدَةٌ .
يَسْتَفْتَحُونَ عَلَى الْكُفَّارِ بِقَوْلِهِمْ : إِنَّ نَبِيًّا يَبْعَثُ مِنْهُمْ .	يَسْتَفْتَحُونَ عَلَى الْكُفَّارِ بِقَوْلِهِمْ : إِنَّ نَبِيًّا يَبْعَثُ مِنْهُمْ .
مَا عَرَفَوْا	الَّذِي عُرِفُوهُ مِنَ الْحَقِّ ، وَهُوَ بَعْثَةُ الرَّسُولِ مِنْ غَيْرِهِمْ .
اَشْتَرَوْا	بَاعُوا .
بَعْيَادًا	حَسْدًا .
بِمَا اُنْزَلَ اللَّهُ	يُعْنِي الْقُرْآنَ .
بِمَا اُنْزَلَ عَلَيْنَا	بِالْتُّورَاةِ .
بِمَا وَرَاءَهُ	بِالذِّي نُزِلَ بَعْدَ مَا أُنْزِلَ عَلَيْهِمْ مِنْ إِنْجِيلٍ أَوْ قُرْآنٍ .
فَلَمَّا تَقْتَلُونَ؟	مَا السَّبِبُ فِي أَنْكُمْ قَتَلْتُمْ أَنْبِيَاءَ كُمْ؟
بِالْبَيِّنَاتِ	بِالْمَعْجَزَاتِ ، كَالْعَصَمَةِ وَالْيَدِ وَفَلَقِ الْبَحْرِ .
مِنْ بَعْدِهِ	مِنْ بَعْدِ غَيَابِهِ عَنْكُمْ لِلقاءِ رَبِّهِ .
اسْمَاعُوا	اسْمَاعُوا مَا تَؤْمِنُونَ بِهِ سَمَعَ قَبُولَ وَطَاعَةَ .
أَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمْ العَجْلَ	{ تَمْكِنْ حُبُّ عِبَادَةِ الْعَجْلِ مِنْ قُلُوبِهِمْ ، حَتَّى كَانَ قُلُوبُهُمْ صَارَتْ تَشْرِبَهُ .

مجمل المعنى

هذا الكلام استئناف واستمرار لخنيات اليهود وما سيهم :

١ - ولقد أنزلنا على موسى التوراة ، وأرسلنا على آثاره رسلاً ترى ، وأمدنا عيسى ابن مريم بالمعجزات ، كإحياء الموتى ، وإبراء الأكمه والأبرص ، وقويناه بالروح المطهرة المباركة ، وهو جبريل عليه السلام ، رسولُ الوحي إليه من عند الله ، فكتم أيها اليهود كلما جاءكم رسول كذبتموه أو قتلتموه ، أفكلا جاءكم رسول بما لا يصادف هو في نفوسكم تكبرتم عن اتباعه ، ففريق منهم كذبتموه كما فعلتم مع عيسى ، وفريق آخر قتلتموه كما فعلتم مع زكريا ويحيى ؟ ولقد حاولتم قتلَ محمد ، ولكنَ الله عصمهُ منكم ففشلتم .

٢ - وقال اليهود لرسول الله صلى الله عليه وسلم ساخرين ، حين دعاهم إلى الإسلام : قلوبنا مغشاة بأغطية خلقية ، فلا تنفذ إلينا دعوتك ، ولا نفقه شيئاً مما تقول ، هي في أكنة مما تدعونا إليها ، ونحن في غنى عنه ، فردَ الله عليهم بما يشعرُ أنَّ قلوبهم خلقت على الفطرة السليمة الصالحة لقبول الحق ، المستعدة للنظر الصحيح ، ولكنهم أبطلوا استعدادها بحسدهم وعندتهم ، فاستحقوا غضبَ الله ولعنته ، وطردَهم من رحمته ، فقليل منهم من يؤمن .

٣ - ولا جاءهم القرآن الموحى به من عند الله ، إلى رسوله محمد ، المصدق لما معهم من التوراة الصحيحة ، وكانوا قبل البعث إذا قامت الحرب بينهم وبين المشركين ، يستنصرون عليهم ، فيخرجون التوراة ويفسرون أصابعهم على موضع ذكر الرسول عليه الصلاة والسلام فيها ، ويقولون : اللهم انصرنا على المشركين بحق نبيك الذي نرى نعمته في التوراة — فلما

جاءهم ما عرفوه من التوراة ، ودللت نصوصها عليه بشأن هذا النبي ، وأرسل النبي من غيربني إسرائيل ، كفروا به حسداً وخوفاً على الرياسة ، والمصالح الخاصة التي يعيشون في ظلها ، ألا لعنة الله على هؤلاء الكافرين .

٤ - بئس ما باعوا به أنفسهم ، لإيثارهم أغراض الدنيا ، وبنهم النفس والنفيس في سبيلها ، وهو كفرهم بالقرآن ، بغياً وحسداً من أجل إنزال الوحي على من اصطفاه الله للرسالة من عباده من غيربني إسرائيل ، إذ قالوا : لقد كانت الرسالة فينا ، فما بال هذا النبي من غيربني إسرائيل ؟ فاجتمع عليهم غضب الله لكرفهم ، فوق غضبهم لحسدهم رسوله ، وهم يوم القيمة عذاب يلقون فيه المهانة والاحتقار .

٥ - وإذا قيل هؤلاء اليهود : آمنوا بالقرآن ، قالوا : لا نؤمن إلا بما أنزل علينا وهو التوراة ، ويبحدون بما أتى بعد التوراة من كتب منزلة ، كالإنجيل والقرآن ، فأخبرهم الله أنهم يعلمون أن ما نزل بعد التوراة حق ، مصدق لما معهم .

٦ - فقل لهم يا محمد : إن كتم تدعون الإيمان بالتوراة ، والعمل بما فيها ، فلم تخالفون أمر الله بقتلكم الأنبياء فيما سلف من زمانكم ، مع أن الله حرم عليكم قتلهم ، بل أمركم بتصديقهم واتباعهم ؟

٧ - إنكم أيها اليهود لا ينفع فيكم وعظ ، ولا تفيدكم العبر ، ولا يشمر فيكم معرفة ، لقد جاءكم موسى بالمعجزات الدالة على صدق دعوته ، المؤيدة لنبوته ، كالعصا التي صارت ثعباناً لفقت ما صنعه سحرة فرعون ، واليد التي أخرجها من جيشه فصارت بيضاء من غير سوء ، وفألق البحر حين تبعكم فرعون وقومه ، ثم اتخذتم العجل إلهًا بمجرد غيبة عنكم لمناجاة ربه ، وأعرضتم عن عبادة الله بعدوانكم وظلمكم لأنكم تعلمون أنه لا يقدر على هذه المعجزات إلا الإله وحده ، القاهر فوق عباده .

٨ — واذكروا أيها اليهود إذ أخذنا ميثاقكم ، ورفعنا فوقكم الطور ، وقلنا لكم :
أخذوا ما آتيناكم بقوة — وقد سبق شرح هذا في ص ٥٦، ٥٥ من تفسير
هذا الجزء — واسمعوا سمع طاعة وامثال ، فقلتم لموسى تهكمًا واستهزاء :
سمعنا قوله ، وعصينا أمرك ، ثم شغفتم حبًّا بعبادة العجل الذي صنعته لكم
موسى السامری ، ونسيتم آلاء الله عليكم ، فإن كان هذا هو الإيمان الذي
تدّعوه ، فيئس الإيمان المترنُ بهذه السينيات إيمانكم ، إذ لو كنتم
مؤمنين حقًّا ، لترجمت هذه القبائح .

(١٥)

قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ
النَّاسِ ، فَتَمَنُوا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ . وَلَئِنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبْدَا
بِمَا قَدَّمْتُ أَيْدِيهِمْ ، وَاللَّهُ عَلَيْمٌ بِالظَّالِمِينَ . وَلَتَجْدِهِمْ أَحْرَصَ
النَّاسَ عَلَى حَيَاةٍ ، وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوْمَ أَحْدُثُمْ لَوْ يُعْمَرُ أَلْفَ سَنَةٍ ،
وَمَا هُوَ بِمُزَحْجٍ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعْمَرَ ، وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا
يَعْمَلُونَ ، قُلْ : مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ
يَا ذَنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَهُدًى وَبُشْرَى الْمُؤْمِنِينَ .
مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ ، فَإِنَّ اللَّهَ
عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ ، وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ، وَمَا يَكْفُرُ بِهَا
إِلَّا الْفَاسِقُونَ . أَوْ كَلَّا مَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذُهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ ؛ بَلْ
أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ .

شرح الألفاظ

ال ألفاظ	شرحها
حالصة	خاصة بكم .
يمزحجه	يبعده .
فإنه نزل على قلبك	فإن جبريل نزل بالقرآن على قلبك .

شرحها	الألفاظ
بشرى بالجنة يوم القيمة .	بشرى
ميكائيل .	ميكال
آيات واصحات .	آيات بيّنات
أكروا بالآيات ، وكلما عاهدوا عهداً .	أو كلما عاهدوا عهداً
نفقة وطرحه .	نبذة

محمل المعنى

١ - كان اليهود يقولون : نحن أبناء الله وأحباؤه ، ويقولون : لن تمسنا النار إلا أياماً قليلة ، وهي أربعون يوماً ، مدة عبادتهم العجل ، ويزعمون أنهم أولياء الله من دون الناس ، فأراد الله أن يفضحهم ، ويكشف سوءاتهم ، فامر رسوله محمدًا أن يقول لهم : إن كانت الجنة التي في الدار الآخرة خاصة بكم دون سائر الناس كما زعمتم ، فالوصول إليها هيء سهل ، فتمنوا الموت إن كتم صادقين ، فإن من اعتقد أنه من أهل الجنة كان الموت أحب إليه من الحياة الدنيا ، لما يصير إليه من نعيم الجنة ، ويزول عنه من أكدرار الدنيا وشقائها ، ولكنهم لن يتمنوا الموت أبداً خوفاً ورقاً ، لكرفهم وقبع أعمالهم الظالمة ، وتحريف التوراة ، ولتجدهم يا محمد أحرص الناس على الحياة الدنيا .

٢ - ومن المشركيين فريق يكفر بك عناداً واستكباراً ، مع أنه يعرف ما يشول إليه أمره يوم القيمة من العذاب الدائم ، ويعتقد أنك على حق ، هذا الفريق يواد أحدهم لحرسه على البقاء في الدنيا أن يطول عمره حتى يبلغ ألف سنة ، على أن تعميره في الدنيا وإن طال ، لا يبعد

من العذاب ، لأن مصيره إلى الموت لا محالة ، والله مطلعٌ على ما يعمله
هؤلاء الكفار ، فيجازيهم عليه يوم القيمة .

٣— وكان عبد الله بن صُورياءَ— وهو من أخبار اليهود أسلمَ ثم كفرَ—
سأله النبي صلى الله عليه وسلم عن ينزلُ بما يوحى به إليه ، فقال له
الرسول : جبريل ، فقال عبد الله : جبريلُ هذا عدونا ، لأنَّه ينزلُ
عليك بما يطلعكَ على أسرارنا ، ولو كان ميكائيلَ لآمننا به ، لأنَّه
رسولُ الخصب والسلام ، فنزل قوله : قل من كان عدوًّا لجبريل
فالمولى جلَّ وعلا يبلغ رسوله محمداً أَنْ يقول لليهود : منْ كان عدوًّا
لجبريل فليمِّعْ غيظاً وكِدَّا ، فإنْ جبريلَ هو الذي ينزلُ بالقرآن على
موطن الحفظ والفهم وهو قلبك ، بأمر الله وتيسيره ، مصدقاً لما سبقهُ من
من الكتب ، وهدَى من الضلال ، وبشَّرَ المؤمنين بالجنة يومَ
القيمة .

٤— من كان عدوًّا لله بمخالفته أوامرها ، وعدوًّا للمقربين إليه من الملائكة والرسل ،
وعدوًّا لجبريل وميكائيل ، فإنه كافر مستحق سخطَ الله وعقابه ، وإنما
كانت معاداةُ جبريلَ تشملُ عداوةَ ميكائيل مع أنهم لم يعلنوها ،
لأنَّ عداوةَ أحدَهما عداوةٌ للآخر ، فكلاهما من الملائكة المقربين .

٥— وحين قال عبد الله بن صُورياءَ لرسول الله : إنك جعلتنا بشيءٍ نعرفه ،
ولم ينزل عليك من آيةٍ بيّنةٍ فتتبعك بها ، نزل قوله : ولقد أنزلنا إليك
آياتٍ بيناتٍ وما يكفرُ بها إلا الفاسقون ، والعجبُ من أمر هؤلاء اليهود
أنهم لا يتورعون أن ينقضوا اليومَ ما أبرموهُ بالأمس ، فكلما عاهدوا
رسولَ الله عهداً نقضهُ فريق منهم ، عاهدوا الرسول على ألا يعاونوا المشركيين
عليه ثم نكثوا ، واستخفوا بما عاهدوا ، ولا غرُّ فهذا دأبهم ، وإن الذي
ينقضُ العهودَ والمواثيقَ منهم ويُكفرُ بالله أكثرُهم ، لا القليلُ منهم ،
وليس هذا عجياً منهم ، فإن ذلك ديدنهم وعادتهم في كل وقت وحين .

(١٦)

وَلَمَّا جَاءُهُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِهِمْ مُّصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ ، نَبَذَ فَرِيقٌ
مِّنَ الَّذِينَ أَتَوْا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ ، كَانُوكُمْ لَا يَعْلَمُونَ .
وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ ، وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ ،
وَلَسْكِنَ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السُّحْرَ ، وَمَا أُنزَلَ
عَلَى الْمَلَكِينَ يَبَلِ هَارُوتَ وَمَارُوتَ ، وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى
يَقُولَا : إِنَّا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ، فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْ مَا مَا يُفَرِّقُونَ
بِهِ بَيْنَ الْمَرْءَ وَزَوْجِهِ ، وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ،
وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ ، وَلَقَدْ عَلِمُوا أَنَّ اشْتِرَاهُمَا لَهُ فِي
الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقِهِ . وَلَبَئِسَ مَا شَرَوْنَا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا
يَعْلَمُونَ . وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَأَتَقَوْا لِمَثُوبَةِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَوْ
كَانُوا يَعْلَمُونَ . يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا : رَاعِنَا ، وَقُولُوا :
اَنْظُرْنَا ، وَاسْأَمُوا ، وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ . مَا يَوْدُدُ الَّذِينَ
كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ
خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ ، وَاللَّهُ يَخْتَصُ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ ، وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ
الْعَظِيمِ .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
وراءَ ظهورهم	لم يعملوا بما في التوراة .
كأنهم لا يعلمون	كأن اليهود لم يعلموا ماق في التوراة من أن محمدًا نبىًّا حقًّا .
تتلوا الشياطين على ملوك سليمان	يتقول المتمردون المعاندون من اليهود على ملوك سليمان .
وما كفر سليمان	ما تعلم سليمان سحرًا ، حتى يصير عبترلا من ينسب إلى الكفر .
ولكن الشياطين كفروا	{ ولكن اليهود الذين كالشياطين همُ الذين كفروا بتعلم السحر .
وما أنزل على الملائكة	ولم ينزل الله شيئاً على الملائكة كما زعم اليهود .
بابل	بلدة بسوساد الكوفة .
هاروت وما روت	اسمي الملائكة المزعومين .
إنما نحن فتنة	إنما نحن ابتلاء من الله للناس .
فلا تكفر	فلا تتعلم السحر .
وما هم	وما السحرة .
ما يضرهم	ما يجرهم إلى عصيان الله .
ملن اشتراه	ملن اختار السحر من اليهود وآثره على التوراة .
خلق	نصيب في الجنة .
شرروا	باعوا .
أنهم	أن اليهود .
مشوبة	ثواب .
راغعنا	أمرٌ من المراعاة ، أى لاحظنا .
انظربنا	انتظرنا ، وتأن علينا .
يختص ببنوته ووجهه	يختص بنبوته وجهه .

مجمل المعنى

١ - لما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم مرسلاً من عند الله ، تُطابقُ أوصافه ما في كتاب اليهود ، لم يعمل فريق منهم بما في التوراة المبشرة بمحمد ، المنحوت فيها نعتاً واضحاً ، ونبذوا ما فيها من دلائل نبوة محمد ، وتجاهلوها بغياً وعندأً ، مع علمهم أن نبوته فوق مستوى الشك . . .

٢ - وعارضت اليهود رسول الله بالتوراة ، فلما اتفقت التوراة والقرآن في كثير من أحكامهما ، اخترعوا معارضة أخرى ، فاتبعوا ما تقوله شياطينهم العصاةُ منهم على ملك سليمان ، بالنيل منه ، لتكذيب محمد ، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكره في المسلمين ، فقال بعض أحبارهم : يزعم أن محمد أَن ابن داود كان نبياً ، والله ما كان إلا ساحراً ، وإن تسخير الرياح والحن والطير له ، ما كان إلا أثراً من براءته في السحر ، ولما كان السحر كفراً ، فقد يرءاه الله بقوله : وما كفر سليمان ولكن الشياطين المتمردين من اليهود هم الذين كفروا بتعلم السحر وتعليمه للناس ، وكانت طائفة منهم نبذوا التوراة ، وعُسِّنوا بتعلم السحر .

٣ - ومن خرافات اليهود التي تسمى بالإسرائيليات ، التي دسوها وزيفوها ،
القصة الآتية :

وهي أن ملكين يسمى أحدهما هاروت ، والآخر ماروت ، نزا إلى الأرض ببابل – وهي مدينة بسود الكوفة – لتعليم الناس السحر ، ابتلاء من الله تعالى ، وكانا ينصحان لمن يعلمهم من الناس بقولهم : إنما نحن ابتلاء وامتحان ، فلا تكفر بتعلم السحر واستعماله ، لشأن تكون مثلنا ، فتعلم الناس منها من السحر ما يكون سبباً في التفرقة بين المرء وزوجه ،

ولكهم لا يستطيعون أن يضروا به أحداً ، أو يحدثوا أثراً ، إلا بأمر من الله تعالى ، ويتعلمون ما يضرهم ، لأن العلم بالسحر قد يجر إلى العمل به ، فيؤدي إلى عصيان الله ، كما أنهم يتعلمون مالا ينفعهم ، لأن مجرد العلم به غير مقصود لذاته ، فلا نفع فيه .

هذه القصة التي دسها اليهود في أساطيرهم ، قد رد الله عليها بقوله : وما أنزل على الملائكة ، وما هنا : نافية ، نفت خدوث القصة من أوّلها إلى آخرها ، فليست إلا حديث خرافة ، وهي كما قال الفخر الرازي : فاسدة مردودة .

٤ — ولقد علم اليهود أن من استبدل بالتوراة ، تعلم السحر ، محروم عليه دخول الجنة ، وليشن ما اختاروه لأنفسهم ، تعلم السحر ، وإيثارهم الضمار السيء العاقبة على المفید النافع لو تدبروا في أنفسهم ، ولو أنهم آمنوا بالقرآن ، واتقو عقاب الله بترك معاصيه ، كنبذ التوراة وراء ظهورهم ، وتعلم السحر ، لأنثيوا مشوّبة من عند الله ، ولكن ذلك خيرا لهم مما باعوا به أنفسهم ، واختاروه لها ، لو كانوا يعلمون أن ثواب الله خير لهم وأبقى ، ولم يتوجهوا حقيقة ما سيصيرون إليه من العذاب الأليم .

٥ — وكان المسلمين يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين يلقهم شرائع الدين وأحكامه : رأينا : أى لاحظنا وتأن علينا فيما تلقتنا إياه حتى نفهمه ، وسمع ذلك اليهود فوجدوا في هذا التعبير فرصة سانحة لهم ، ليسخروا من الرسول ويتصاحكوا ، فكانوا يخاطبونه بقولهم : رأينا ، ويدعون النون : يريدون يا راعنا ، وهي الكلمة عبرية ، معناها : يا أحمق ، فهم يقصدون سبّه بنسبة الرعنون والحمق إليه ، وسمّعهم سعد بن عبادة يكرّرها ، فقال لهم : يا أعداء الله ، عليكم لعنة الله ، والذى نفسي بيده ، لئن سمعتها من رجل منكم يقولها لرسول الله صلى الله عليه وسلم

لأنصربن" عنقه ، فقالوا : أولستم تقولونها ؟ فـسـئـلـيـلـ الـمـسـلـمـونـ عنـ اـسـتـعـالـ هـذـهـ الـكـلـمـةـ ، وـأـمـرـوـاـ أـنـ يـقـولـوـلـاـ لـلـرـسـوـلـ : اـنـظـرـنـاـ : مـنـعـاـ لـلـبـسـ ، وـإـبـعـادـاـ عـنـ الـمـشـابـهـةـ ، وـطـلـبـ مـنـهـمـ أـنـ يـسـمـعـوـلـاـ مـاـ أـمـرـوـهـ بـهـ سـمـاعـ قـبـولـ ، أـمـاـ الـكـافـرـوـنـ الـدـنـيـنـ أـهـانـوـلـاـ الرـسـوـلـ وـسـبـبـوـهـ ، فـلـهـمـ عـذـابـ مـؤـلـمـ وـجـيـعـ يـوـمـ الـقيـامـةـ .

٦ - وكان جماعة من اليهود بعد أن نبأهُ أمرُ الرسول ، يظهرون المودة للمؤمنين ، ويزعمون أنهم لا يحبون لهم إلا الخير ، فيبيَّن الله خبثَ طويتهم ، وفضح كذبهم فيما ظاهروا به ، لما خالط قلوبهم من الحسد والكراهية ، بأنهم والمشركون لا يحبون أن ينال المسلمين أى خير من عند الله ، ويدخل في مفهوم الخبر الوحيُّ الذي كان ينزل على الرسول ، واللهُ يختصُ برحمته من يشاء من عباده ، فينزل عليه الوحي ، ويعلمهُ الحكمة ، و يؤيده بنصره ، واللهُ ذو الفضل العظيم .

(١٧)

مَا نَسْخَ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِمُ أَنَّا بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا، إِنَّمَا تَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ؟ إِنَّمَا تَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مَلَكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ؛ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ .
 أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ ؟
 وَمَنْ يَتَبَدَّلْ أَكْفَرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءُ السَّبِيلِ . وَدَكْثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا ، حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ ، فَاغْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ، إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ، وَمَا تُقْدِمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ ، إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ . وَقَالُوا: لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى ، تِلْكَ أَمَانِيْهُمْ ، قُلْ: هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ . لَيَلَى ، مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرٌ عِنْدَ رَبِّهِ ، وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ . وَقَالَتِ الْيَهُودُ : لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ ، وَقَالَتِ النَّصَارَى : لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ ، وَهُمْ يَشْتُلُونَ الْكِتَابَ ، كَذَلِكَ قَالَ الدِّينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ، فَاللَّهُ يَعْلَمُكُمْ بِمَا بَعْدَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
ما ننسخ من آية	إن نسنه التعبد بقراءة آية أو بحكمها .
ُنسنها	نتركها فلا نبدلها .
بخير منها	بما هو خير للناس في النفع والثواب .
كما سئل موسى من قبل	بسؤال اليهود موسى : أرنا الله جهرة .
ضلَّ سواءَ السبيل	أخطأ الطريق الواضح ، والسواء في الأصل : الوسط :
يُسرُّ دونكم	يعيدونكم .
حتى يأْتِي اللهُ بِأَمْرِه	حتى يأتي أمر الله بقتالهم .
تجدوه	تجدوا ثوابه .
هُدًدا	من اليهود .
بسَّى	حرف جواب لإثبات ما نفوه .
أَسْلَمَ وَجْهَهُ	انقاد لأمر الله .
ليست النصارى على شيء	ليست على شيء من الإيمان يعتد به .
وَهُمْ	القريمان من اليهود والنصارى .
قال الذين لا يعلمون مثل قوله	قال المشركون مثل قوله .

زعم المشركون واليهود أن "الرسول عليه الصلاة والسلام يأمر أصحابه بأمر ثم ينهاهم عنه ، ويأمرهم بخلافه ، وأنه يقولاليوم قوله ، ثم يرجع عنه غداً ، وما هذا القرآن إلا كلام محمد ، يقوله من تلقاه نفسه ، وهو كلام ينافق بعضه ببعض ، فنزل قوله : ما ننسخ من آية والننسخ يكون :

١ - إِما بِالتَّلَاوَةِ دُونَ الْحُكْمِ ، كَآيَةٌ : الشَّيْخُ وَالشِّيخَةُ إِذَا زَنِيَا فَارْجُوهُمَا أَلْبَتْهُ ،
جَزَاءً بِمَا كَسَبَا ، نِكَالًا مِنَ اللَّهِ ، وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ .

٢ - وَإِما بِالْحُكْمِ دُونَ التَّلَاوَةِ ، كَمَا فِي آيَةٍ : وَالَّذِينَ يَتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذْرُونَ
أَزْواجًا ، وَصَيْهَ لِأَزْوَاجِهِمْ ، مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ، فَإِنَّهَا
مَنْسُوخَةٌ بِقُولِهِ : وَالَّذِينَ يَتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذْرُونَ أَزْواجًا ، يَتَبَصَّنُ بِأَنفُسِهِنَّ
أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ، وَكَمَا فِي قُولِهِ : يَأْيُهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُ الرَّسُولَ
فَقَدْ مَوَى بَيْنَ يَدِيْ نِجَوَاكُمْ صَدَقَةً ، فَإِنَّهَا مَنْسُوخَةٌ بِمَا وَرَدَ بَعْدَهَا مِنْ
مِنَ الْآيَاتِ فِي سُورَةِ الْمُجَادِلَةِ .

٣ - وَإِما أَنْ يَكُونَ بِالْحُكْمِ وَالتَّلَاوَةِ مَعًا كَآيَةٌ : عَشْرُ رَضَعَاتٍ مَعْلَومَاتٍ يَحْرُمُ مِنْهُ ،
فَإِنَّ حَكْمَهَا مَنْسُوخٌ بِخَمْسٍ رَضَعَاتٍ فَالْعَشْرُ مَنْسُوخَ التَّلَاوَةِ وَالْحُكْمِ ،
وَالْخَمْسُ مَنْسُوخَ التَّلَاوَةِ دُونَ الْحُكْمِ .

رَوَى مُسْلِمٌ قَالَ : نَزَلَ فِي الْقُرْآنِ عَشْرُ رَضَعَاتٍ مَعْلَومَاتٍ ، فَنَسْخَهُ مِنْ ذَلِكَ خَمْسٌ
رَضَعَاتٍ إِلَى خَمْسٍ رَضَعَاتٍ مَعْلَومَاتٍ ، فَتَوَفَّ رَسُولُ اللَّهِ وَالْأَمْرُ عَلَى هَذَا ،
وَرُوِيَ مِثْلُهُ مَعْنَى التَّرمِذِيِّ وَابْنِ مَاجَةِ .

وَقَدْ أَجْمَعَ السَّلْفُ الْمَشْرُعُونَ عَلَى جُوازِ النَّسْخِ فِي الْأَحْكَامِ ، عَلَى حِسْبِ
مَا تَقْتَضِيهِ الظَّرُوفُ وَالْأَحْوَالُ فِي عَهْدِ الرَّسُولِ ، فِي الْأَوْامِرِ وَالنَّوَاهِي ،
وَالسَّلَالِ وَالْحَرَامِ ، وَالْمَبَاحِ وَالْمَحْظُورِ ، وَجَاءَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ : إِنَّا بَدَلْنَا
آيَةً مَكَانًا آيَةً وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَتَنَزَّلُ ، قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٌ ، أَمَّا الْأَخْبَارُ
فَلَا يَكُونُ فِيهَا نَاسِخٌ وَلَا مَنْسُوخٌ ، لَا سَتْحَالَةَ الْكَذْبِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى .

مجمل المعنى

١ - إِنَّ بَدْلَ حَكْمٍ آيَةً فَغَيْرِهِ ، أَوْ نَتْرُكُ تَبْدِيلَهُ فَنَقْرَهُ عَلَى حَالِهِ ، ثَانِتٌ
بِحُكْمِ خَيْرٍ لَكُمْ مِنْ حُكْمِ الْآيَةِ الَّتِي نَسْخَنَاها فَغَيْرُهُ حَكْمُهَا ، رِعَايَةً
لِصَلْحَةِ الْعِبَادِ ، فِي مُخْتَلِفِ الظَّرُوفِ وَالْأَوْقَاتِ ، فَإِنَّ الْحُكْمَ الَّذِي شَرَعَ

فِي وَقْتِ لَشْدَةِ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ ، ثُمَّ زَالَتِ الْحَاجَةُ إِلَيْهِ فِي وَقْتِ آخَرَ ، مِنْ
الْحَكْمَةِ أَنْ يَنْسَخَ وَيُسْتَبْدِلَ ، بِمَا يَوْافِقُ الْوَقْتَ الْآخَرَ ، إِمَّا لِخَفْتِهِ عَلَيْكُمْ ،
وَوْضُعِ نَقْلِهِ عَنْ كَاهْلِكُمْ ، كَمَا فِي فَرْضِ قَيَامِ اللَّيلِ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِلَّا
قَلِيلًا مِنْهُ ، فِي قَوْلِهِ : يَأْمَأْ الْمَزْمُلُ قُمَ الْلَّيلِ إِلَّا قَلِيلًا ، نَصْفُهُ أَوْ اَنْفَقْهُ
مِنْهُ قَلِيلًا ، أَوْ زَدَ عَلَيْهِ ؛ فَنَسْخَنَا هَذَا الْحَكْمَ ، وَخَفَفْنَا هَذَا الْعَبءَ عَنْكُمْ ،
وَجَعَلْنَا الْقِيَامَ تَطْوِعًا ، وَإِمَّا لِعَظِيمِ ثَوَابِهِ وَكَبِيرِ أَجْرِهِ ، مِنْ أَجْلِ مَسْقَةِ
الْقِيَامِ بِهِ ، كَفَرْضِ صِيَامِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ كُلَّ "شَهْرٍ خَلَاءً يَوْمٌ عَاشُورَاءَ" ،
فَقَدْ نَسْخَنَا ، وَاسْتَبَدَّلَنَا بِهِ صِيَامَ شَهْرِ رَمْضَانَ كُلَّ سَنَةٍ ، وَهُوَ وَإِنْ كَانَ أَثْقَلَ
عَلَى الْأَبْدَانِ مِنْ صِيَامِ أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ فِي السَّنَةِ ، لَكُنَّهُ خَيْرٌ لَكُمْ ، لِزِيادةِ
ثَوَابِهِ وَعَظِيمِ أَجْرِهِ ، أَوْ نَأْتَ لَكُمْ بِحُكْمٍ يَسْتَوِي الْأَجْرُ عَلَيْهِ ، مَعَ أَجْرِ
حُكْمِ نَسْخَنَا ، كَالْتَحُولِ فِي الصَّلَاةِ عَنْ شَطَرِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ إِلَى شَطَرِ
الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فِي مَكَّةَ ، فَلَيْسَ أَحَدُهُمَا أَكْثَرُ مَئُونَةً مِنَ الْآخَرِ ، أَوْ أَحْفَظَ
مِنْهُ ، إِذَا الْأَمْرَانِ مَسْتَوِيَّانِ .

٢ - أَلَمْ تَعْلَمْ يَا مُحَمَّدَ أَنِّي قَادِرٌ عَلَى تَعْوِيضِ عِبَادِي عِمَّا نَسْخَتْهُ مِنَ الْأَحْكَامِ
مَا هُوَ خَيْرٌ لَهُمْ وَأَجْدَى ، مَرَاعَاةً لِصَاحْبِهِمْ ؟ فَإِنَّ النَّافِعَ فِي وَقْتِ رِبِّيَا
لَا يَكُونُ صَالِحًا فِي وَقْتِ آخَرَ ؟ أَلَمْ تَعْلَمْ يَا مُحَمَّدَ أَنَّ لِي السُّلْطَانَ الْقَاهِرَ فِي
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ، أَفْعَلُ مَا أَشَاءَ ، وَأَحْكُمُ بِمَا أُرِيدُ ، وَأَتَصْرِفُ فِي
أُمُورِ النَّاسِ أَمْرًا وَهِيَّا ، وَإِيجَادًا وَعَدَمًا ، وَأَجْرِيَهَا عَلَى حَسْبِ مَا يَلَّمُ
صَاحْبَهُمْ وَأَحْوَالَهُمْ ، وَلَيْسَ لَهُمْ غَيْرِ مَالِكٍ "وَلَا مَعِينٌ" ؟ وَذَكَرَ الْوَلِيُّ
مَقْرَنًا بِالنَّصِيرِ ، سَبَبَهُ أَنَّ الْمَالِكَ رِبِّيَا لَا يَقْدِرُ عَلَى النَّصْرَةِ ، وَالنَّصِيرِ رِبِّيَا
لَا يَكُونُ مَالِكًا .

٣ - كَانَ بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ سَأَلُوا النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ بَعْضِ أَشْيَاءِ
لَا خَيْرَ لَهُمْ فِي الْبَحْثِ عَنْهَا ، أَوْ مَعْرِفَةِ تَفاصِيلِهَا ، كَتَفَاصِيلِ أَسْبَابِ
النَّسْخِ مَثَلاً ، فَنَعْهُمُ اللَّهُ أَنْ يَلْجُوا فِي الْجَدْلِ ، أَوْ يَشْغُلُوا أَنْفُسَهُمْ بِأَسْئَلَةِ

ربما أدت إلى التشدد عليهم في بعض الأحكام ، ولقد أدت الأسئلة التي
توالت على موسى ، كسؤالهم أن يروا الله عياناً ، إلى كفر كثير من بنى
إسرائيل ، فلا يليق بال المسلمين أن يفعلوا فعلهم ، ومن يتبدل الكفر
باليغان ، بالخوض فيما لا يحدي ، المؤدي إلى التشكيك ، ويترك النظر
في الآيات البينات المنزلة لرعاية مصالح العباد ، فقد أخطأ الطريقَ
السوى ، وحاد عن الطريق المستقيم .

٤ - تمنى كثير من أخبار اليهود أن يردّوكم أيها المسلمين إلى الكفر بعد إيمانكم ،
حسناً من عند أنفسهم المحبولة على الشر ، بما أصابهم من ضياع سلطانهم
وانتقاله إليكم ، من بعد ما تبين لهم الحق بالمعجزات ، والنعموت الصريرة
التي في التوراة ، فلا تهتموا بأمرهم ، وأعرضوا عن مجاراتهم ومكايدهم ،
إلى أن ينسخ أمر الله بالغفو والصفح ويأذن لكم في قتالهم ، وضرب
الجزية على من لم يسلم منهم ، إن الله قد ير على كل شيء ، وأقيموا
الصلوة وأعطوا الزكاة ، وإن تقدموا لأنفسكم خيراً كصلة أو صدقة ،
تجدوا ثوابه عند الله ، فإنه مطلع على أعمالكم ، لا يضيع عنده عملُ
عامل منكم من ذكر أو أنثى .

٥ - وقالت اليهود : لن يدخل الجنة إلا من كان من اليهود ، وقالت النصارى : لن
يدخل الجنة إلا من كان من النصارى ، وزعم كل فريق أن دخول الجنة
محصور فيهم ، وهي أمانٌ باطلة ، لا دليل على تحققها ، فأمر الله
رسوله أن يطلب منهم البرهان على اختصاصهم بدخول الجنة إن كانوا
صادقين ، ورد عليهم مثيّتاً ما نفوه ، بأن من أخلص لله نفسه ، ولم
يشرك به غيره ، وهو محسن في جميع أعماله ، فله ثوابها عند ربه ، لا
يضيع ولا ينقص ، ولا خوف عليهم ، ولا هم يحزنون .

٦ - وقدم وفد من نصارى نجران على المدينة ، وأتاهم أخبار اليهود ، فتناولوا
بين يدي الرسول وتسابوا ، وأخذ كل منهم يؤيد دينه ، ويسفه دين الآخر ،
ويدعى بطلاه ، وكل منهم يتلو الكتاب المؤمن به ، فأنكر اليهود

الإنجيل ونبيه عيسى ، وأنكر النصارى التوراة ونبيه موسى ، وأعلن كل لآخر أنه ليس على شيء من الحق ، كذلك قال المشركون عبادة الأصنام مثل قولهم ، في إنكار الأديان كلها ، وبطidan ما يخالف عقيدتهم ، فالله يحكم بين هذه الطوائف الثلاث فيما اختلفوا فيه يوم القيمة .

(١٨)

وَمَنْ أَظْلَمُ مِنْ مَنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ، وَسَعَى فِي
خَرَابِهَا؟ أَوْلَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ. لَهُمْ فِي
الدُّنْيَا حِزْنٌ، وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ. وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ
وَالْمَغْرِبُ، فَإِنَّمَا تُولِّوْا قَبْرَهُ وَجْهُ اللَّهِ، إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلَيْهِمْ. وَقَالُوا:
إِنَّمَا يَتَّخِذُ اللَّهُ وَلَدًا، سُبْحَانَهُ أَبَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، كُلُّ
لَهُ قَاتِلُونَ. بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ
لَهُ: كُنْ فَيَكُونُ. وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ: لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ
تَائِنَا آيَةً! كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلُهُمْ، تَشَابَهَتْ
قُلُوبُهُمْ، قَدْ يَدَنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقَنُونَ. إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحُقْقِ بِشِيرًا
وَنَذِيرًا، وَلَا تُسَأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَهَنَّمِ. وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ
وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّهُمْ، قُلْ: إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى،
وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ، مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ
مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ. الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتَلَوَنَهُ حَقًّا
تِلَاقِهِ، أَوْلَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ، وَمَنْ يَكُفِرُ بِهِ فَأَوْلَئِكَ هُمُ
الْخَاسِرُونَ. يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذْ كُرُوا نَعْمَتِي الَّتِي أَنْزَمْتُ عَلَيْكُمْ،

وَأَنِّي فَضَلْتُ كُمْ عَلَى الْمَالِمِينَ * وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا ، وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ ، وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعةٌ ، وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ *

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
سعى في خرابها	خر بها بالهدم أو التعطيل .
ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين .	ما كان ينبغي لهم أن يدخلوها إلا فيخشية و خضوع .
فم وجه الله	فقد ولوا وجوههم نحو جهة يرضاهما الله .
واسع	يسعُ فضلهُ ورحمتهُ كل شيء .
سبحانه	تنزيهًا له عن أن يتمخذ ولدًا .
قانتون	منقادون مطيعون .
بدنيع	مبدع ، موجد على غير مثال سابق .
قضى أمرًا	أراد أمراً .
الذين لا يعلمون	كفار مكة .
لولا يكلمنا الله	هلا يكلمنا الله .
آية	حججة على صدقك .
تشابهت قلوبهم	تماثلوا في الكفر والعناد .

١ - كان الروم قد غزوا بيت المقدس وخرّبوه ، وقتلوا أهله من اليهود ،

حوالي سنة ٧٠ بعد الميلاد ، وسبوا نساءهم وأطفالهم ، وأحرقوا

التوراةَ ، ورموا في بيت المقدس الجيفَ ، وذبحوا فيه الخنازيرَ ، وبقي خراباً إلى أن بناء المسلمين في خلافة عمر بن الخطاب .

٢ - وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بعد انقضاء نحو ستَّ سنين على هجرته من مكة إلى المدينة ، يتحرق شوقاً هو وصحابته إلى زيارة الكعبة ، ويرغبون في الحج ، فأذنَّ في الناس بأن يستعدوا للحج في خلال شهر ذي القعدة ، وبلغ قريشاً أمرهم ، فامتلأت نفوسُهم خوفاً ، ودارت محادثاتٌ بينهم وبينَ الرسول ، انتهت بعقد صلح الحديبية - وهي قرية قريبة من مكة ، سميت باسم بئر هناك - ورجع الرسول هو وأصحابه عن مكة عامهم هذا ، على أن يعودوا إليها في العام الذي يليه للحج ، ويقيموا بمكة ثلاثة أيام .

مجمل المعنى

١ - لا أحدَ أظلمُ من تسبب في منع ذكر الله في مساجده ، إما بهدمها ، وتعطيلها عما أنشئت من أجله ، وإما بسعيه وإعانته في خرابها ، وإذا كان هذا قد نزل في أمر خاصٍ ، فإنه يشمل كل من خرب مسجداً ، أو عطله عن عبادة الله فيه ، أولئك الذين يفعلون هذا الفعل النميم ، الذي يؤدي إلى سخط الله عليهم ، ما كان ينبغي لهم أن يرتكبوه ، وإنما كان الأجرد بهم أن يدخلوا هذه الأماكن المقدسةَ في خشية وخضوع ، لا أن يجترؤوا على اقراف هذه المعصية ، التي تؤدي بهم إلى العار والصغرى في الدنيا ، وإلى العذاب الشديد في الآخرة ، وقد أنجز الله وعده في الكفار ، فنصر الله رسوله عليهم ، ودانت للمسلمين رقابهم .

٢ - وطعنَ اليهود في المسلمين لما حوّل الله القبلةَ من بيت المقدس إلى الكعبة ،

وعابوا عليهم صلاة النافلة على رواحهم أيها اتجهت في أثناء السفر ،
فبين الله لهم أن نواحي الأرض كلها له ، لا يختص به مكان دون مكان ،
فأيما ولى المسلمين وجوههم في الصلاة ، فقد ولو وجوههم نحو جهة
يرضاها ، لأن الله يريد التوسيعة على عباده ، ولا يضيق عليهم ، عالم
بتديير أمور خلقه ومصالحهم .

٣ - وزعم اليهود أن عزيراً ابن الله ، وهو يهودي كان يحفظ التوراة ، ولم يبق
بعد وقعة بختنصر الذي خرب هو وجيشه بيت المقدس سنة ٧٠٨ قبل
الميلاد من يحفظها ، فأملى عليهم من حفظه التوراة ، فقالوا : ما هذا
إلا لأنه ابن الله ، وادعى النصارى أن المسيح ابن الله ، وتقول المشركون
بأن الملائكة بنات الله ، إلا سحقاً هؤلاء القوم ، وتنزيهاً للواحد الأحد ،
أن يكون له ولد ، بل هو خالق ما في السموات والأرض ، وكل من فيها
عيده له ، مطیعون له ، خاضعون لمشيته ، وهو موجد السموات والأرض
ومبدعها على غير مثال سابق ، وله السلطان والنفوذ فيها ، فإذا تعلقت
إرادته بشيء ، نفذت مشيته على الفور .

٤ - وقال الذين لا يعلمون من جهلة المشركين ، والمتဂاهلين من أهل الكتاب
اسهانة وعناداً : هلا يكلمنا الله ويعلمونا أنك يا محمد رسوله ، أو تأتينا
آية تدل على نبوتك ، كأن تفجر لنا من الأرض ينبوعاً ، أو تأتي
بالله والملائكة قبلاً ، أو يكون لك بيت من زخرف ، مثل هذا القول
قاله من قبلهم من الأمم الماضية ، قالوا : أرنا الله جهرة ، وقالوا : هل
يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء ؟ تشبهت عقول هؤلاء
ومن قبلهم بالكابرة والعناد ، وعاقلتهم آراؤهم ، قد بيّننا الآيات لقوم
لا يرون في الآيات خفاء ، ويوقنون أنها متعلقة من عند الله حقاً .

٥ - إنا أرسلناك يا محمد بالحق والهدى مبشرًا بالحننة من أحباب دعوتك ،
منذرًا بالنار من عصي وعائدك ، فلا عليك إذا أصر الجاحدون أو كابر وا ،

فلا يضق صدرك بمن لج في الغواية وأصر على الكفر ، ولست مسؤولاً عن أصحاب الجحيم ، فما عليك إلا البلاغُ ، ولن ترضي عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع دينهم ، فقل لهم : إن هدى الله الذى هو الإسلام هو الهدى الصحيح ، لا ما تدعون إليه ، ولن اتبع أهواهم الزائفة — فرضاً — بعد الذى جاءك من العلم بالدين الحق على لسان الوَحْي ، ما لك من الله من ولِيٍّ يحفظلك ، ولا نصیر يمنعك ، ويدفع عنك عقابه .

٦ — وجاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم أربعون من أهل الكتاب : اثنان وثلاثون من أهل الحبشة ، وثمانية من علماء الشام ، وأسلموا ، وبين الله أن الذين آتيناهم التوراة فلم يحرّفوها أو يغيّروها أو يبدلواها ، ورأوا فيها نعمة النبي صلى الله عليه وسلم ، وعلموا بمبعثه وأسلموا ، هؤلاء يقرءون التوراة حق القراءة ، من حيث الضبط والتأمل في المعنى ، والتدبر في الأوامر والنواهي ، فتأخذ بمجامع قلوبهم ، أولئك يؤمّنون بالتوراة التي لم يتناولوها تحريف ، ومن يكفر بما جاء فيها فأولئك هم الخاسرون ، لمصيرهم إلى النار التي أعدّها الله لهم .

٧ — يا بني إسرائيل ، اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم إلى قوله :
وَلَا هُم يَنْصَرُونَ ، سبق شرح هاتين الآيتين في ص ٤٧ من تفسير هذا الجزء ، وسبب تكرارها أن الله بعد أن صدر قصصهم بتذكيرهم بنعم الله عليهم ، وبين أهوال القيامة ، ختم الكلام معهم بتكرار النصائح لهم ، والخض على اتباع الرسول .

(١٩)

وَإِذَا بَتَلَ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَهُنَّ، قَالَ : إِنِّي جَاعِلُكَ
لِلنَّاسِ إِلَاماً، قَالَ : وَمَنْ ذُرَّ يَقِيًّا، قَالَ : لَا يَنالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ *
وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا، وَاتَّخَذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ
مُصَلًّى، وَعَهَدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ : أَنْ طَهَرَا بَيْتَنَا لِلطَّافِيفِينَ
وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكُعَ السُّجُودِ . وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ : رَبِّ اجْعُلْ
هَذَا بَلَدًا آمِنًا ، وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الشَّمْرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللهِ
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، قَالَ : وَمَنْ كَفَرَ فَأُمْتَمِعُ قَلِيلًا ، مُمَّا أَضْطَرَهُ إِلَى
عَذَابِ النَّارِ ، وَبَئْسَ الْمَصِيرُ . وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ
الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ ، رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَا ، إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ . رَبَّنَا
وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ ، وَمَنْ ذُرَّ يَنْتَنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ ، وَأَرِنَا
مَنَاسِكَنَا ، وَتُبْ عَلَيْنَا ، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَابُ الرَّحِيمُ . رَبَّنَا وَابْعَثْ
فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَنْذُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ ، وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ
وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيْهِمْ ، إِنَّكَ أَنْتَ الْفَزِيزُ الْحَكِيمُ . وَمَنْ
يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ ، وَلَقَدْ أَضْطَفَيْنَا فِي الدُّنْيَا ،
وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ * إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ : أَسْلِمْ ، قَالَ :

أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ * وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ
يَا بَنِيَّ، إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ، فَلَا تَمُونُنَ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ *

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
ابتلئ	اخْتَبَرَ وَامْتَحَنَ .
بكيلات	بِأَوْامِرَ وَنُواهِ كُلُّهُ إِلَيْهَا .
فَأَتَهُنَ	فَأَدَّاهُنَ .
إِمامًا	قَدُوَّةً لِلنَّاسِ .
وَمِنْ ذُرِّيَّتِي	وَاجْعَلْ يَارَبِّ أُمَّةٍ مِنْ ذُرِّيَّتِي .
لَا يَنْتَلِ عَهْدِي الظَّالِمِينَ	لَا تَشْمَلْ إِمَامَتِي الْكَافِرِينَ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ .
مَثَابَةً	مَلْجَأً وَمَعَاذًاً .
مَقَامَ إِبْرَاهِيمَ	الْحَجَرُ الَّذِي كَانَ يَقُومُ عَلَيْهِ إِبْرَاهِيمُ فِي أَشْنَاءِ الْبَنَاءِ .
عَهْدَنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ	أَمْرَنَا هُمَا وَكَلَفَنَا هُمَا .
طَهْرًا بَيْتِي	اجْعَلَاهُ طَاهِرًا مِنْ كُلِّ مَا يَخْلُ بِقَدَاستِهِ .
لِطَاطَفِينَ	لَمْ يَطْرُفُونَ بِالْبَيْتِ .
وَالْعَاكِفِينَ	لَمْ يَقِيمُونَ عَنْهُ أُوفِيهِ .
قَالَ : وَمِنْ كُفْرِ	قَالَ اللَّهُ : وَأَرْزَقَ مِنْ كُفْرَ .
الْقَوَاعِدِ	الْأَسْسِ .
مُسْلِمَيْنَ لِكَ	مُنْقَادِينَ لَكَ .
أُمَّةً	جَمَاعَةً .

الألفاظ	شرحها
أرنا مناسكنا	علّمنا شرائع عبادتنا في أداء الحج .
آيات القرآن	آيات القرآن .
والحكمة	وما فيه من الأحكام .
وينزِّكُهُمْ	ويُظْهِرُهُمْ من الشرك .
وَمَنْ يَرَغِبُ عَنْ مَلَةِ إِبْرَاهِيمَ	لَا أَحَدَ يُرْكِعُ دِينَ إِبْرَاهِيمَ .
سَفِّهَ نَفْسَهُ	جهل أن الله هو الذي خلقها وأنه تجب عليها عبادته .
اصطفيناه في الدنيا	اخترناه رسولا من صفة عبادنا في الدنيا .
أَسْلَمْ	انقَدَ اللَّهُ ، وَأَخْلَصَ لَهُ دِينَكَ .
ووصى بها	ووصى بعملته .
اصطفي لكم الدين	اصطفي لكم دين الإسلام .

قصة بناء الكعبة

لما تزوج إبراهيم بهاجر، ولدت له إسماعيل، أسكنها هي وابنها الحجاز، وأنزلها في المكان الذي أنشئت فيه مكة بعد ذلك، وكان إبراهيم يتربّد بين الشام حيث تسكن زوجته سارة، وبين الحجاز حيث تسكن زوجته هاجر وابنها، وفي إحدى زياراته للحجاج، أمر الله إبراهيم وابنه إسماعيل أن يبنوا الكعبة المشرفة فبنياها، وهي أول بيت يُبنى لعبادة الله وحده، وكان المكان الذي نزلت فيه هاجر وابنها إسماعيل قراراً، لا ماء فيه ولا زرع، فدعاه إبراهيم رباه أن يبعث إلى هذا المكان قوماً يعمرونها، وأن يرزقهم من ثمرات ما يكفي حاجتهم؛ واستجواب الله دعاءه، وأنبع بئر زَمْزمَ، فكانت القبائل العربية التي تمر

بـهـذـاـ المـكـانـ تـأـخـذـ حاجـتـهاـ منـ المـاءـ ،ـ ثـمـ اـسـتوـطـنـتـ إـحـدـىـ القـبـائـلـ وـهـىـ قـيـلـةـ جـوـهـسـمـ هـذـاـ المـكـانـ ،ـ وـتـرـوـجـ مـنـهـ إـسـمـاعـيلـ .ـ

مجمل المعنى

١ - اـمـتـحـنـ اللهـ إـبـرـهـيمـ بـعـضـ الـأـوـامـرـ وـالـنـوـاهـىـ الشـاقـةـ ،ـ كـلـفـهـ إـيـاـهـاـ لـيـعـودـهـ الـجـلـدـ وـالـصـبـرـ عـلـىـ تـحـمـلـ الـمـشـاقـ ،ـ كـلـلـقـائـهـ فـيـ النـارـ ،ـ وـإـسـكـانـ زـوـجـتـهـ وـابـنـهـ فـيـ مـكـانـ قـفـرـ بـالـحـجـازـ ،ـ وـذـبـحـ إـسـمـاعـيلـ ،ـ فـأـدـاهـنـ خـيـرـ أـداءـ ،ـ فـقـالـ لـهـ رـبـهـ :ـ إـنـيـ جـاعـلـكـ قـدـوـةـ لـلـنـاسـ يـأـمـونـ بـكـ وـيـقـتـدـونـ ،ـ فـطـلـبـ مـنـ اللهـ أـنـ يـشـمـلـ عـطـفـهـ بـعـضـ ذـرـيـتـهـ ،ـ فـيـكـونـ مـئـمـ مـئـمـ أـمـةـ ،ـ فـنـبـهـ اللهـ عـلـىـ أـنـ يـكـوـنـ مـنـ ذـرـيـتـهـ ظـلـمـةـ لـاـ يـصـلـحـونـ أـنـ يـكـوـنـواـ قـدـوـةـ لـلـنـاسـ ،ـ فـلـاـ تـشـمـلـهـمـ هـذـهـ إـلـمـامـةـ ،ـ وـإـنـماـ تـنـالـ الـأـبـرـارـ الـأـتـقـيـاءـ ،ـ لـأـنـهـمـ هـمـ الـجـادـيرـونـ بـأـنـ يـقـنـدـىـ بـهـمـ .ـ

٢ - وـاـذـكـرـ يـاـ مـحـمـدـ أـنـاـ جـعـلـنـاـ الـكـعـبـةـ مـكـانـاـ يـلـتـجـئـ إـلـيـ الـخـائـفـ ،ـ وـمـأـمـاـ لـاـ يـتـعـرـضـ فـيـ أـحـدـ لـأـهـلـهـ ،ـ يـرـىـ الرـجـلـ فـيـهـ قـاتـلـ أـيـهـ ،ـ فـيـحـجزـهـ دـيـنـهـ أـنـ يـنـالـهـ بـسـوءـ ،ـ وـأـمـرـنـاـ أـمـتـكـ أـنـ يـتـخـذـوـ الـحـجـرـ الـذـىـ كـانـ يـقـومـ عـلـيـهـ إـبـرـهـيمـ حـينـ اـرـتـفـعـ الـبـنـاءـ مـصـلـىـ لـهـ ،ـ يـصـلـوـنـ خـلـفـهـ رـكـعـيـ الطـوـافـ وـهـوـ بـعـيدـ عـنـ الـحـجـرـ الـأـسـوـدـ بـسـبـعـ وـعـشـرـ يـنـ ذـرـاعـاـ —ـ وـهـذـاـ الـحـجـرـ وـإـنـ كـانـ يـنـقـلـهـ إـبـرـهـيمـ مـنـ مـكـانـ إـلـىـ آخـرـ فـيـ أـثـنـاءـ الـبـنـاءـ كـلـمـاـ اـنـتـقـلـ إـلـىـ مـوـضـعـ آخـرـ ،ـ لـكـنـهـ بـعـدـ اـنـتـهـاءـ الـبـنـاءـ وـضـعـهـ فـيـ جـوـفـ الـكـعـبـةـ .ـ

٣ - وـاـذـكـرـ إـذـ أـمـرـنـاـ إـبـرـهـيمـ وـإـسـمـاعـيلـ أـنـ تـكـوـنـ الـكـعـبـةـ طـاهـرـةـ مـنـ كـلـ ماـ لـاـ يـلـيقـ بـقـدـاسـتـهـ ،ـ باـعـتـبـارـهـاـ مـكـانـاـ مـعـدـاـ لـعـبـادـةـ اللهـ وـحـدـهـ ،ـ حـتـىـ تـكـوـنـ مـكـانـاـ صـالـحاـ لـمـنـ يـطـوـفـ بـهـ مـنـ الـخـضـرـ وـالـبـدـوـ ،ـ وـالـمـقـيـمـينـ عـنـدـهـ ،ـ وـالـمـعـتـكـفـيـنـ فـيـهـ لـلـعـبـادـةـ ،ـ وـالـمـصـلـيـنـ صـلـاـةـ ذاتـ رـكـوعـ وـسـجـودـ .ـ

٤ - واذكر إذ قال إبرهيم : رب اجعل هذا القفر الذى لازرع فيه بلدًا يأمنُ
فيه الخائف ، ولا يسفك فيه دمُ إنسان ، ولا يظلم فيه أحد ، وارزق
من آمن من أهله بالله واليوم الآخر من المثارات ما يجعله صالحًا للسكنى ،
ولم يقصر الله تعالى هذا الرزق على المؤمنين ، فقال : ومن كفرَ فإني أرزقه ،
وأمتعه قليلا في هذه الدنيا ، ثم أسوقه رغم أنفه إلى عذاب النار ، فلا يجد
عنها حيصةً لكفره ، وعدم اعترافه بفضل من متعه بهذا التعميم ، وبئس
المصير مصيره .

٥ - واذكر وقت أن كان إبرهيم وإسماعيل يرفعان أساس الكعبة ، ويقولان :
ربنا تقبل منا هذا العمل الذى لانبغى به إلا رضاك ، إنك أنت السميع
لدعائنا ، العليم بصدق نيتنا ، واجعلنا يا ربنا مخلصين لك ، منقادين
لأمرك ، واجعل بعضَ ذريتنا ممن تحفهم برضاك جماعة مطيعة لك ،
وعرّفنا ما نتعبد به في أداء الحجج ، ووقفنا للتوبة إن فرط منا شيء سهوا ،
إنك الذى تقبلُ التوبة من عبادك ، وتفيض عليهم من فضل رحمتك ،
وابعثْ في أمتنا المطيعة لك رسولاً منهم ، يقرأ عليهم ما أوحى به إليه
من آيات التوحيد والنبوة وغيرهما ، ويعلّمهم القرآن ، وما تكلُ به نفوسهم
من العلوم والمعارف والأحكام ، ويظهرهم من دنس الشرك ، إنك أنت
الغالب القاهر ، ولا يصدُّ عنك شيء إلا حكمة أردتها ؛ ولم يبعث
الله من ذرية إبرهيم وابنه إسماعيل نبياً إلا محمدًا صلى الله عليه وسلم ،
أما سائر الأنبياء فهم من نسل يعقوبَ بن إسحقَ بن إبرهيمَ .

٦ - ولا يرغب عن ملة إبرهيمَ أحد فيتركها ، إلا من جهل أن نفسه قد
خلقها الله ، وأن عبادته واجبة عليه ، فيستخف ويتهان في أدائها ،
ولقد كان إبرهيمُ من صفة عباد الله في الدنيا ، وإنه في الآخرة لمن
الصالحين ، الذين لم ينلوا الدرجاتُ العلا يوم القيمة ، ومن كان هذا حاله ،
كان حقيقةً أن يتبع ، فلا يعرض عن دينه إلا سفيه ، معرض عن التفكير

فِي دِينِهِ ، فَحِينَ دَعَا إِبْرَهِيمَ خَالِقَهُ إِلَى الْإِنْقِيادِ وَالطَّاعَةِ لَهُ ، بَادَرَ إِلَى
تَنْفِيذِ أَمْرِهِ ، وَخَالَفَ أَبِاهُ فِي دِينِهِ .

٧ - وَوَصَّى بِاتِّبَاعِ هَذِهِ الْمَلَةِ إِبْرَهِيمَ بْنِهِ ، كَمَا وَصَّى يَعْقُوبَ بْنِهِ قَائِلًا كُلَّ
مِنْهُمَا : يَا بَنِي ، إِنَّ اللَّهَ اخْتَارَ لَكُمُ الدِّينَ الْحَقَّ ، فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ
ثَابِتُونَ عَلَى إِيمَانِكُمْ بِهِ .

(٢٠)

أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاء إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ ، إِذْ قَالَ لِتَنِيهِ :
مَا تَبْعَدُونَ مِنْ بَعْدِي ؟ قَالُوا : نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ : إِبْرَاهِيمَ
وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا ، وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ . تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ
خَلَتْ ، لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ ، وَلَا تَسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا
يَعْمَلُونَ . وَقَالُوا : كُنُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا ، قُلْ : بَلْ مِلَةُ
إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ، وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ . قُولُوا : أَمَّا بِاللَّهِ ، وَمَا
أَنْزَلَ إِلَيْنَا ، وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ
وَالْأَسْبَاطِ ، وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى ، وَمَا أُوتِيَ التَّيْبِيونَ مِنْ
رَبِّهِمْ ، لَا فُرْقَةٌ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ ، وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ . فَإِنْ آمَنُوا
بِعِشْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدُوا ، وَإِنْ تَوَلُوا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ
فَسَيِّئُكُفِيفِكُهُمُ اللَّهُ ، وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ . صِبْغَةُ اللَّهِ ، وَمَنْ أَحْسَنَ
مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً ؟ وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ . قُلْ : أَتَحَاجُجُونَا فِي اللَّهِ وَهُوَ
رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ، وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ ، وَنَحْنُ لَهُ
مُخْلِصُونَ ؟ * أَمْ تَقُولُونَ : إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ
وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى ؟ قُلْ : أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمَّا اللَّهُ ؟ وَمَنْ

* أَظْلَمُّ مِنْ كَتَمْ شَهَادَةَ عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ؟ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ
* تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ، لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَا كُمْ مَا كَسَبْتُمْ، وَلَا
* تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ *

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
أَمْ كُنْتُمْ شَهِداً	أَكْنَمْ حَاضِرِينَ أَيْهَا الْيَهُودُ ؟
حَضْرٌ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ	شَهِدَ عَلَامَاتٍ دُنُوْلَةَ الْمَوْتِ .
خَلَّتْ	سَلْفَتْ وَمَضَتْ .
وَقَالُوا	قَالَ الْيَهُودُ ، وَقَالَ النَّصَارَى .
قَلْ : بَلْ مَلَةَ إِبْرَاهِيمَ	قَلْ يَا مُحَمَّدُ ، بَلْ نَتَعَنَّ مَلَةَ إِبْرَاهِيمَ .
حَنِيفًا	مَسْتَقِيمًا ، مَائِلًا عَنِ الْبَاطِلِ إِلَى الْحَقِّ .
الْأَسْبَاطِ	أَوْلَادُ يَعْقُوبَ الْأَثْنَيْ عَشَرَ .
تَوَكَّلُوا	أَعْرَضُوا .
شَفَاقِ	مَنَاوَةً وَمُخَالَفَةً .
صَبْغَةُ اللَّهِ	سِيَكْقِيَكُمْ يَا مُحَمَّدُ أَمْرُهُمْ .
مَنْ أَحْسَنَ مِنَ اللَّهِ صَبْغَةً	الْزَمْوَانَ فَطْرَةُ اللَّهِ .
أَتَحَاجُوْنَا فِي اللَّهِ	لَا صَبْغَةَ أَحْسَنُ مِنْ صَبْغَةِ اللَّهِ .
أَمْ يَقُولُونَ	أَتَجَادَلُونَا وَتَخَاصِمُونَا فِي اللَّهِ ؟
وَمَنْ أَظْلَمُ مِنْ كُنْ	لَا أَحَدٌ أَظْلَمُ مِنْ أَخْنَى .

مجمل المعنى

١ — هذه آياتٌ نزلت تكذيباً من الله لليهود في دعواهم أن إبراهيم وأبناءه كانوا على ملتهم ، فوبنهم الله على ادعائهم ، ومعنى هذا : أَكْنُمْ يَا مُعَشِّرَ اليهود المكذبين لحمد ، الباحددين لنبوته ، حاضرين حين احتضار يعقوب ، وسؤاله بنيه : ما تعبدون من بعدى ؟ فأجابوه : نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحق ، نعبد إلهًا واحدًا ، لا إله إلا هو ، ونحن له مستسلمون خاضعون ، مقرّون بالعبودية ، ولو أنكم — على سبيل الفرض — حضرتموهم ، وسمعتم ما قاله يعقوب لهم ، لعلمتم أنكم كاذبون في ادعائكم أن إبراهيم وبنيه كانوا يهوداً ، فلا تدعوا على أنيابي ورسلي الأباطيل ، ولا تنحلوهم اليهودية ، واعلموا أن إبراهيم وإسماعيل وإسحق قد مضوا لسبيلهم ، ولكل نفس ما كسبت ، وعليها ما اكتسبت ، وليس يغريك هذا عند الله شيئاً ، فاتركوا أمرهم ، فإنكم لا تسألون عن أعمالهم ، وإنما تسألون عما تقدّمون من أعمالكم ، لا ثثابون بثواب من أحسن ، ولا تؤاخذون بسيئات من أساء ؛ وذكر إسماعيل هنا مع إبراهيم وإسحق مع أنه ليس أباً ليعقوب ، لأن العم بمنابة الأب .

٢ — وقالت اليهود لل المسلمين : كونوا يهودا تهتدوا إلى الدين الحق ، وقالت النصارى للمسلمين : كونوا نصارى تهتدوا إلى الدين الحق ، وهو تردید للدعوه التي أشرنا إليها فيما سبق بالصفحة ٨٦ من تفسير هذا الجزء من قوله : لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى ، فَأَمَّا اللَّهُ رَسُولُهُ أَنْ يَقُولَ لَهُمْ عَلَى سَبِيلِ الرَّدِّ عَلَيْهِمْ ، وَتَبَيَّنَ مَا هُوَ أَوْلَى أَنْ يَقُولَ : لَيْسَ الْحَقُّ أَنْ نَتَبَعَ دِينَكُمْ كَمَا تَقُولُونَ ، بَلِ الْحَقُّ أَنْ نَتَبَعَ مَلَةَ إِبْرَاهِيمَ ، وَأَنْ نَكُونَ عَلَى دِينِهِ ، وَهُوَ الدِّينُ الْمُسْتَقِيمُ الْمَاشِلُ عَنِ الْبَاطِلِ

إلى الحقّ ، ولم يكن إبرهيمُ مشركاً مثلكم ، أما أنتم فشركون ، فقد
زعم اليهود أن عزيراً ابن الله ، وزعم النصارى أن المسيحَ ابنُ الله ، ومن
كان مشركاً كان حقيقةً أن يرفض دينهُ ؟ وحنيفاً هنا : حالٌ من ملة
إبرهيمَ ، وهي على وزن فعلٍ ، يستوي فيها المذكر والمؤنث .

٣— قولوا لهم أيها المؤمنون : آمنا بالله ، وبالقرآن الذي أنزلَ
 علينا ، وبالصّحّف العشر التي أنزلتْ إلى إبرهيمَ ، وآمنا بإسماعيلَ
 وإسحقَ ويعقوبَ والأسباط ، وهؤلاء وإن لم ينزلْ عليهم صحّف ، فإنهم
 كانوا يتبعدون بالصّحّف التي أنزلتْ على جدهم إبرهيمَ ، فكانوا بمنزلة
 من أنزلتْ إليهم ، والأسباط كما تقدم : هم الإثنا عشر سبطاً أولادُ
 يعقوبَ ، وهم في أبناء يعقوبَ بمثابة القبائل العربية في أبناء إسماعيلَ ،
 وآمنا كذلك بالتوراة التي أنزلتْ إلى موسى ، وبالإنجيل الذي أنزلَ
 إلى عيسى ، وآمنا بما أوتي النبيون من المعجزات التي أيدهمُ اللهُ بها ،
 لا نفرق بين أحد منهم ، كما فرق أهلُ الكتاب ، فآمنوا ببعض ،
 وكفروا ببعض ، بل نؤمن بهم جميعاً ، ونحن خاضعون لله ، مذعنون له ،
 منقادون لأمره ونبهيه .

٤— فإن آمن اليهودُ والنصارى بمثل هذا الإيمان الذي سبق ذكره ، من
 الإذعان لله ، والإخلاص له ، وعدم التفرقة بين الأنبياء ، فقد اهتدوا ،
 وعرفوا أن الحقّ هو ما عليه المسلمون ، وإن أعرضوا عن هذا الإيمان ،
 فما هم إلا قومٌ مشاغبون متاؤلون ، لا يبغون إلا الخلافَ والتزاعَ ، وشقّ
 عصا الطاعة ، فسيكفيك اللهُ أمرهم يا محمدَ ، ويريحك من عنادهم ،
 وحسبك الله من كاف ، وينجز وعده لك بالنصر والغلبة عليهم ،
 وقد كفاه الله شرّهم ، بقتلبني قريظةَ ، وإجلاء بنى النضير ، وضرب
 الحزية عليهم ، وهو السميع لما تدعوه إليه ، العليمُ بما تسوّى من بذل
 الجهد في إظهار دينه ، وإعلاء شأنه .

٥ — والزموا صبغةَ اللهِ الَّتِي صَبَغَ النَّاسَ عَلَيْهَا ، وَهِيَ الْفَطْرَةُ السَّلِيمَةُ الَّتِي فَطَرُوا عَلَيْهَا ، بِحِيثُ لَوْ تَرَكُوا وَمَا خَلَقُوا عَلَيْهِ ، لَأَدَّتْ بِهِمْ فَطْرَتِهِمْ إِلَى الدِّينِ الْقِيمِ ، وَهُوَ دِينُ الْإِسْلَامِ ، لَا الصَّبْغَةُ الَّتِي تَصْبِغُ بِهَا أَبْنَاؤُهُمْ إِلَى تَسْمِيَةِ الْمَعْمُودِيَّةِ ، وَهِيَ غَمْسُهُمْ فِي مَاءِ أَصْفَرٍ ، يَتَظَاهِرُونَ بِهِ ، وَهِيَ كَالْخَتَانُ لِغَيْرِهِمْ ، وَلَيْسَ هَنَاكَ صَبْغَةٌ أَحْسَنَ مِنْ صَبْغَةِ اللَّهِ ، لَأَنَّهَا صَبْغَةُ الْإِسْلَامِ ، وَنَحْنُ أَئْيَاهَا الْمُؤْمِنُونَ مُوْحَدُونَ ، مُطَهَّعُونَ ، خَاضُعُونَ ، لَا نَسْتَكِبُرُ عَنْ اتِّبَاعِ أُمُرِهِ ، وَنَعْرَفُ بِجَمِيعِ أَئْيَائِهِ وَرَسُولِهِ .

٦ — كَانَ أَهْلُ الْكِتَابِ يَقُولُونَ : الْأَئْيَاءُ كُلُّهُمْ مِنَّا ، وَلَمْ تَكُنْ الْأَئْيَاءُ مِنَ الْعَرَبِ ، فَلَوْ كَانَ مُحَمَّدًا نَبِيًّا لَكَانَ مِنَّا ، فَأَمَرَ اللَّهُ رَسُولُهُ أَنْ يَقُولَ لَهُمْ : أَتَجَادِلُونَا فِي أَمْرِ اللَّهِ ، وَاصْطَفَاهُمْ نَبِيًّا مِنَ الْعَرَبِ دُرَّكُمْ ، وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبِّكُمْ ، وَلَا يَخْصُّ بِقَوْمٍ دُونَ قَوْمٍ ، وَيَصْطُفُ مِنْ عَبَادِهِ لِلرِّسَالَةِ مِنْ يِشَاءُ ، وَلَنَا أَعْمَالُنَا نَجَازِي بِهَا ، وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ تَجَازَوْنَ بِهَا ، فَلَمْ تُنْكِرُونَ عَلَيْنَا أَنْ يَكْرِمَنَا اللَّهُ بِالْخَيْرِ نَبِيًّا مِنْا ؟ وَلَمْ تَسْتَبِعُونَ أَنْ يَكُونُ فِي أَعْمَالِنَا مَا يَسْتَحِقُ الْإِكْرَامُ ، فَتَكُونَ النَّبِيَّةُ فِينَا ؟ وَلَمْ لَا تَكُونْ أَعْمَالُكُمْ لَا تَسْتَحِقْ شَيْئًا عِنْدَ اللَّهِ ، فَحَرَمْكُمْ إِيَاهَا ؟ إِنَّا نَحْنُ مُخْلَصُونَ اللَّهُ فِي الدِّينِ وَالْعَمَلِ ، فَنَحْنُ أَجْدُرُ مِنْكُمْ بِأَنْ يَكُونَ الرَّسُولُ مِنَّا ، وَفِي الْكَلَامِ إِفْحَامٌ لِلْيَهُودِ بِالْحَجَةِ الْوَاضِحةِ ، وَتَبَكِيتُ لَهُمْ عَلَى الْجَدَلِ فِي غَيْرِ طَائِلٍ .

٧ — أَيَقُولُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى : إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كَانُوا يَهُودًا أَوْ نَصَارَى ؟ وَيَغَالِطُونَ مَغَالِطَةً تَارِيخِيَّةً لَا تَصْدُرُ عَنْ عَاقِلٍ ، مَعَ أَنَّ اللَّهَ يَقُولُ : مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصَارَانِيًّا ، وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا ، وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ، وَيَقُولُ : يَأْهُلُ الْكِتَابَ لَمْ تَحاجُونَ فِي إِبْرَاهِيمَ ، وَمَا أَنْزَلْتُ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ ؟ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ؟ فَقُلْ لَهُمْ يَا مُحَمَّدًا تَسْفِيهًأَ لِرَأْيِهِمْ ، وَإِبْطَالًا لِزَعْمِهِمْ : أَتَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمَّ اللَّهُ ؟ إِنَّهُ لَا أَحَدَ أَظْلَمُ مِنْ أَخْفَى شَهَادَةً مِنَ اللَّهِ ، مَدْوَنَةً عَنْهُ فِي الْكِتَابِ الَّذِي بَيْنَ

يديه ، على أنّ من أخْفَى شهادة الله لِإِبْرَاهِيمَ فِي أَنَّهُ لَيْسَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا هَذِهِ أَدَمْجَانٌ مُّؤْمِنٌ بِهِ وَمُكْفِرٌ بِهِ .
لَا يَبْعُدُ عَلَيْهِ أَنْ يَكْتُمَ شهادةَ الله فِي مُحَمَّدٍ ، وَكُلُّ تَاهِمَّاً صَرِيْحَتَانَ فِي كِتَابٍ
أَهْلِ الْكِتَابِ ، وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ، فَهُوَ لَا يَتَرَكُ أَمْرًا هُؤُلَاءِ مِنْ
غَيْرِ أَنْ يَعَاقِبُهُمْ أَشَدَّ عِقَابًا .

٨ — تلك أمة قد خلت سبق شرح هذه الآية في ص ١٠١ من تفسير
هذا الجزء ، وكررت للمبالغة في التحذير ، والزجر عن الافتخار بآباء
لَا يَمْتَنُونَ إِلَيْهِمْ بِصَلَةِ الدِّينِ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

تفسير القرآن الكريم

المبحث الثاني

تأليف

حسين علوان

مراقب بو زارة المعارف

محمود محمد حمزة

المفتتش بالتعليم الثانوى والفنى (سابقاً)
والأستاذ بدار العلوم (سابقاً)

محمد أحمد برانق

المفتتش العام بالتعليم الابتدائى

جميع الحقوق محفوظة للمؤلفين



منزه للطبع والتشریع
دار المعرف بمصر

ترابع الخطبة التي في صدر تفسير الجزء الأول

(القب) والخطبة الثالثة بالخطاب المشتملة
(الشبل) وبذلك ينتهي الموضع

(١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ : مَا وَلَاهُمْ عَنْ قَبْلِهِمُ الَّتِي كَانُوا
عَلَيْهَا ؟ قُلْ : اللَّهُ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ ، يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطِ
مُسْتَقِيمٍ . وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أَمَةً وَسَطَا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى
النَّاسِ ، وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ، وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي
كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَبَعُ الرَّسُولَ مِنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ ،
وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الدِّينِ هَدَى اللَّهُ ، وَمَا كَانَ اللَّهُ
يُضِيعُ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ . قَدْ نَرَى تَقَابَ
وَجْهَكَ فِي السَّمَاءِ ، فَلَنُوَلِّنَكَ قِبْلَةَ تَرْضَاهَا ، فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطَرَهُ ، وَإِنَّ
الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ ، وَحِينَما كُنْتُمْ فَوَلُوا وُجُوهَكُمْ شَطَرَهُ ، وَإِنَّ
الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ ، وَمَا اللَّهُ
بِغَافَلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
السفهاءُ من الناس ولَّاهُم	الجُهَّالُ من المشركين والمنافقين واليهود . صَرَفْهُمْ وَحَوْلُهُمْ .
المَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ	{ المقصودُ أَنَّ اللَّهَ جَمِيعَ الْجَهَاتِ وَلَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ .
وَكَذَلِكَ وَسْطًا	وَكَمَا هَدَيْنَاكُمْ إِلَى الإِسْلَامِ . خِيَارًا عُدُولًا .
شَهَادَةً عَلَى النَّاسِ شَهِيدًا	{ تَشَهِّدُونَ عَلَى النَّاسِ مِنَ الْأَمْمِ الْمَاضِيَّةِ أَنَّ رَسُلَّهُمْ بَلَغُتُهُمْ . شَاهِدًا أَنَّهُ بَلَغَكُمْ .
يَنْقُلِبُ عَلَى عَقِبِيهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً	يُرْجِعُ إِلَى الْكُفَرِ . { إِنَّ التَّوْلِيَّةَ إِلَى الْكَعْبَةِ كَانَتْ كَبِيرَةً عِنْدَ مَنْ لَعَبَ الشَّيْطَانَ بِعَقْوَلِهِ .
لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ تَقْلُبُ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ	لِيُضِيعَ أَجْرَ صَلَاتِكُمْ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ . { رَفَعَ بَصَرَكَ إِلَى السَّمَاءِ مِنْ وَقْتٍ إِلَى آخَرَ ، مُنْتَظِرًا الْأَمْرَ بِاستِقبَالِ الْكَعْبَةِ .
شَطَرَ الْحَرَامُ	جَهَةً . الْحَرَامُ فِي الْقَتَالِ .

قبلة المسلمين في الصلاة

فرضَت الصلاةُ على المسلمين بمكة في ليلة الإسراء ، قبلَ الهجرة النبوية بنحو سنة ونصف ، وكان المسلمون يتجهون في صلاتهم نحو الكعبة ، فلما هاجر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، أمرُوا أن يستقبلوا بيت المقدس تألفاً لليهود ، الذين كانوا كثيرين بالمدينة وما حولها ، ولم يبعضُ النفوذ والسلطان ، فصلَّوا إلَيْهِ نحو ستة عشرَ شهراً . وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وصحابته يتعرّقون شوقاً إلى الاتجاه نحو الكعبة ، لما لها عندهم وعند آباءِهم وأجدادِهم من قبلهم من المكانة والقداسة ، ولأنها بيتُ الله الذي أقامه جدُّهم إبراهيم مع ابنه إسماعيل ، فكان النبي صلى الله عليه وسلم يرفع بصره إلى السماء يتضرّر أمرَ الله على لسان الوحي ، بالتحول إلى الكعبة ، ولا سيما بعد أن كثُر لغط اليهود بقولهم : إنَّ مُحَمَّداً يَبْعَثُ قَبْلَتَنَا ، ويُخَالِفُ دِينَنَا ، فنزل الوحي بأمر الله لرسوله أن يتجه المسلمين في صلاتهم نحو الكعبة ، وتقول الكفار والمنافقون واليهود ، الذين ينتهزون كل فرصة للطعن في الإسلام ، فاتخذوا من هذا التحول وسيلة للنيل من الرسول ، فقالوا : إنَّ مُحَمَّداً في حيرة من أمره ، لا يدري : أين يتجه في صلاته ؟ ! بل لقد ارتدى لهذا السبب عن الإسلام ، جماعةٌ من ضعاف الإيمان .

مجمل المعنى

١- سيدعو الجهل من المنافقين واليهود ، من أخفت أحلامهم ، وطاشت عقوبهم ، وبلغوا في العناد ، وأعرضوا عن النظر إلى الحكمة في تغيير القبلة من

بيت المقدس إلى الكعبة : ما الذي حول المسلمين في صلاتهم عن قبلتهمُ التي كانوا عليها ؟ ! فقل لهم يا محمد : إن الله سبحانه وتعالى لا يختص به مكان دون آخر ، والكونُ كله ملك له ، يأمر عباده بالتوجه في الصلاة إلى أى جهة شاء ، ولا اعتراض عليه فيما يشاء ، يهدي من يريد هدايته إلى الطريق السوي ، فيسدّده ويوفقه إلى السير فيه .

٢ - وكما هدیناكم يا أمّةَ محمد إلى الصراط المستقيم ، وجعلنا قبلتكم بيتَ الله الذي أقامه إبراهيم - جعلناكم خياراً عدولًا ، لتكونوا شهداء على الأمم الذين من قبلكم ، بما ورد في كتاب الله الناطق بالحق ، المبلغ إليکم على لسان رسوله ، بأن الرسل قد بلغوا ونصحوا ، وأدوا رسالتهم خير أداء ؛ ويكون الرسول شاهدًا عليکم ، بأنه بلّغكم رسالته . وما جعلنا الفترة التي بين الاتجاهين إلى الكعبة ، وهي التي اتجه فيها المسلمون عقب الهجرة إلى بيت المقدس ، إلا على سبيل الاختبار ، ليستبين أي المؤمنين يتبع رسوله فيما يأمره به الله ، وأيهم يتشكك في الدين ، فيتأثر بكلام الكفار في أن محمداً حائرٌ في توجيه المسلمين في أثناء صلاتهم ، فيضعف يقينه ، وليتميز الثابت على دين الإسلام ، من ينكّصُ على عقبيه ، ولقد كانت هذه التولية إلى الكعبة كبيرةً عند من لعب الشيطان بعقولهم ، ولم يتغلل الإيمان إلى أعماق قلوبهم ، فارتدوا عن الإسلام ؛ أما الذين هدّهم الله إلى إدراك حكمة أحکامه ، فقد ثبّتوا على إيمانهم ، وما كان الله ليضيع ثواب صلاة من صلٍ نحو القبلة الأولى ، وهي بيت المقدس ، قبل التحول ، إن الله رعوف بالناس ، فلا يُضيّع أجورهم ، ولا يحرّمُهم ثوابَ صلاتهم ، كثيرُ الرحمة لعباده .

٣ - إننا لنرى اهتمامك يا محمد بشأن التوجه إلى الكعبة ورفع بصرك إلى السماء ، انتظاراً إلى إجابتكم إلى ما تحب ، من تحويل القبلة نحو الكعبة ، وتشوّقكم إلى إصدار أمرنا بتحقيق ما تتطلع إليه ، فلنحوّلنك إلى القبلة التي تحبها

وتتشوق إليها ، فاستقبل في صلاتك الكعبة ، وأينما يكن المسلمين قليلاً وجوههم
نحوها ، وإن اليهود والنصارى ليعلمون أن هذا التحول هو الحق الذى فرضه
الله على إبراهيم وذراته وسائر عباده ، ويعلمون أنك لا تأمر بباطل ، وأنك
النبي المبشر به في كتبهم ، وما الله بعافل عما يعملون من تدبير وكيد ، لا
تحيق عاقبته إلا بهم .

(٢)

وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ كُلًّا آيَةً مَا تَبِعُمُوا قَبْلَتَكُمْ ،
وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قَبْلَهُمْ ، وَمَا بِعَصْرِهِمْ بِتَابِعٍ قَبْلَهُ بَعْضٍ ، وَلَئِنْ
اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ، إِنَّكَ إِذَنَ لَمِنَ
الظَّالِمِينَ . الَّذِينَ أَتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرُفُونَهُ كَمَا يَعْرُفُونَ أَبْنَاءَهُمْ ،
وَإِنْ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ . الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ ،
فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ . وَلِكُلِّ وِجْهَةٍ هُوَ مُوَلِّيهَا ، فَاسْتَبِقُوا
الْخَيْرَاتِ ، أَيْنَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا ، إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ
شَيْءٍ قَدِيرٌ . وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلَّ وَجْهَكَ شَطَرَ الْمَسْجِدِ
الْحَرَامِ ، وَإِنَّهُ لِلْحَقِّ مِنْ رَبِّكَ ، وَمَا اللَّهُ بِنَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ .
وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلَّ وَجْهَكَ شَطَرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ، وَحِينَما
كُنْتُمْ فَوَلُوا وُجُوهَكُمْ شَطَرَهُ ، لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ
حُجَّةٌ ، إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشُوْهُمْ وَاخْشُوْنِي ، وَلَا إِنِّي نَعْمَلُ
عَلَيْكُمْ ، وَلَا عَلَيْكُمْ تَهْتَدُونَ . كَمَا أَرْسَلْنَا فِيْكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ

يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا، وَيُزَكِّيْكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ،
وَبُعْلَمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَفْلِمُونَ . فَإِذْ كُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ،
وَاسْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
آية	حجّة وبرهان .
يعرفونه	يعرفون أنَّ الْبَيْتَ الْحَرَامَ هو القبلة .
الحق	الحقيقة المكتوبة في التوراة والإنجيل عن القبلة .
المترى	الشَّاكِيْنَ .
استبقوا الحيرات	بادرُوا وتسابقُوا .
من حيث خرجت	من أى جهة خرجت لسفي أو نحوه .
كما أرسلنا	أَتُمْ نعمتِي كِإِتَامِهَا بِإِرْسَالِنَا رَسُولًا مِنْكُمْ .
يزكيكم	يَطْهُرُكُمْ مِنَ الشَّرِكَ .
الكتاب والحكمة	الْقُرْآنُ وَالْأَحْكَامَ
فاذكروني أذكريكم	(اذْكُرُونِي بِالصَّلَاةِ وَالتَّسْبِيحِ وَنَحْوِهِمَا ، أَجَازَكُمْ بِالنَّعْمَ وَالرَّحْمَةِ .)

مجمل المعنى

١ - ولئن أتيتَ اليهودَ والنصارى بكل حجّة وبرهان على صدقك ، في
أنَّ أمر القبلةً مُوحى به من عند الله ، ما اتبعوا قبلتك عناداً واستكباراً ، ومحال

أن تتبع قبلتهم ، وإن تحدثوا إليك أذك إن عدتَ إلى قبلتهم بايوك وآمنوا بك مخادعةً ومكرًا ، وحالً أن يتبع اليهود قبلة النصارى ، وأن يتبع النصارى قبلة اليهود ، مadam كل منهما باقياً على دينه ، ولئن اتبعت ما يريدون وما يحبون من بعد ما استبان لك على لسان الوحي — على سبيل الفرض — إنك إذن لمن يرتكبون الظلم الفاحش ، وفي الكلام تحذير عام للناس أجمعين ، موجه إلى شخص النبي عن متابعة الهوى ، وفيه استعظام لصدر الذنب عن الأنبياء ، وأن الله لا يقبل من أنبيائه أن يتبعوا أهواءهم ، ويخالفوا أمره ، لأنهم لا ينطقون عن الهوى .

٢ - الذين آتيناهم الكتاب من توراة وإنجيل ، يعرفون أن البيت الحرام قبلتهم التي أمروا باتباعها ، لأنها قبلة إبراهيم ، وبقبة الأنبياء بعده ، كما يعرفون أبناءهم الذين لا يلبسون عليهم بغيرهم ، وإن فريقاً منهم ليكتمون الحق المكتوب عندهم في التوراة والإنجيل ، وهو أن الأنبياء قبل محمد كانوا يتوجهون في عبادتهم نحو الكعبة ، وهم يعلمون أن لا حَق لهم في كمانه ، ويتعبدون معصية الله تبارك وتعالى ، فاعلم يا محمد أن الحق هو ما أعلمناك به ، لا ما تكتمه اليهود والنصارى ، فلا تكن في شك في أن القبلة التي وجّهناك إليها ، هي قبلة خليلي إبراهيم ، ومن أتى بعده من الأنبياء ، وليس المراد أن النبي كان شاكراً ، وإنما جرى أسلوب القرآن على توجيه الخطاب إلى النبي ، ويقصد به الأمر أو النهي للناس أجمعين .

٣ - والواجب على كل مسلم أن يتجه في صلاته إلى الكعبة من أي جهة ، إن شمالي أو جنوبياً ، أو شرقاً أو غرباً ، أو ما بين هذه الجهات ، فتسابقاً إليها المسلمون إلى الطاعات ، وبادروا إلى ما يتحقق لكم سعادة الدارين ، من استقبال القبلة ، والتزود للآخرة بالعمل الصالح ، ل تستحقوا رضا الله عنكم يوم القيمة ، فإن الله يأتي بكم ، و benign خالف قبلكم وشريعتكم يوم القيمة ، من حيث كنتم : في باطن الأرض ، أو في قمم الجبال ، أو في أعماق البحار .

فيوفى الحسن إحسانه ، ويعاقب المسيء على إساءاته ، أو يصفح عنه ، إن الله على كل شيء قادر .

٤ - ومن أى مكان خرجت يا محمد ، لسفر أو غيره ، فول وجهك جهة المسجد الحرام إذا صلية ، وإن هذا الأمر هو الحق من ربك ، وهو ما كتمه اليهود والنصارى ، وما الله بعاقل عما تعلمون ، ومن حيث خرجت فول وجهك جهة المسجد الحرام في الصلاة ، وأينما كنت ، في سفر أو حضر ، ركوباً أو مشاة ، في المنازل أو في المساجد أو في العراء ، فولوا وجوهكم نحوه ، وكرر هذا للتوكيد إزراء باليهود والنصارى ، وتبكيتاً لهم على ما يكتمنوه من الحق الذى في كتبهم ، ثلثا يكون لهم حجة عليكم فى إنكار النبوة ، إذا لم تتجهوا إلى المسجد الحرام ، فإن المثبت فى كتبهم ، أن الرسول المنعوت فى التوراة والإنجيل قبلته الكعبة ، وبهذا تسقط حجتهم ، كما تسقط دعوى المشركين بقولهم : ما بال محمد يدعى أنه على ملة إبراهيم ، ويختلف قبلته ، اللهم إلا المعاندين منهم ، الذين يقولون : إن محمداً ما تحول إلى الكعبة إلا ميلاً إلى دين قومه ، وحياناً لوطنه الذى نشأ وعاش فيه حتى بعث رسولاً ، فإن كان قد بدأ له أن يرجع إلى قبيلة آبائه ، فإنه لا شئ معتقد لديهم ، والمعنى أنه لا يكون لأحد كلام عليكم ، إلا كلام هؤلاء المعاندين ، وهو هراء ، لا يعتد به ، فلا تعتدوا بكلامهم ، وامثلوا أمرى ، ولا تخالفوا ما أمرتكم به ، ولتكون طاعتكم سبيلاً في أن تتم نعمتى عليكم ، بإجابة سؤالكم في الاتجاه إلى قبلة أبيكم إبراهيم ، وهذا ينكم إلى الحق الذى أنكره اليهود والنصارى ، ونصركم على أعدائكم ، ولهتدوا دائمًا إلى ما فيه خيركم وصلاحكم .

٥ - ويكون إتمام نعمتى عليكم في التوجيه إلى القبلة ، كإتمامها في استجابة دعوة أبيكم إبراهيم ، حين سألنى أن أبعث من ذريه إسماعيل رسولاً منهم ، يتلو عليهم آياته ، ويعلّمهم الكتابة والحكمة ، فقد بعثت رسولاً منكم ، وهو

محمد صلی الله علیہ وسلم ، یتلو علیکم آیات القرآن ، ویطہرکم من الشرک ،
ویعلمکم ما فی القرآن من الحکم والاحکام ، ویعلمکم من أخبار الانبیاء
وقصص الأمم الخالية ، ما لم تكونوا تعلموه من قبل ، فاذکروني أیها المؤمنون
بطاعتکم إیای فیما أمرکم به ، وأهأکم عنہ ، أذکرکم برحمتی إیاکم ، وعفوني
لکم ، واسکروا لی ما أنعمت علیکم ، من التوفیق إیا الإسلام ، والهدایة للدین
الذی شرعاً له من ارتضیتم من عبادی ، ولا تجحدوا إحسانی إلیکم ، فأسلیکم
نعمتی التي أنعمت بها علیکم ، فإنی قد وعدت خلقی أن من شکر لی زدته ،
ومن کفرنی حرمته ، وسلبته ما أعطیته .

(٣)

يَأَيُّهَا الَّذِينَ آتَيْنَاكُمْ أَسْتَعِينُكُمْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ، إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ . وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ : أَمْوَاتٌ ، بَلْ أَحْيَا إِلَهٌ وَلَكُنْ لَا تَشْعُرُونَ . وَلَنَبْلُوْنَكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ، وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ : الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مَصِيرَةٌ قَالُوا : إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ . أَوْلَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَواتٌ مِّنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ، وَأَوْلَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ . إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ ، فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطْوِفَ بِهِمَا ، وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا إِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلَيْهِمْ . إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا يَنَّاهُ النَّاسُ فِي الْكِتَابِ ، أَوْلَئِكَ يَلْعَبُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَبُهُمُ الْلَاعِنُونَ . إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيْتُوا ، فَأَوْلَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ، وَأَنَا عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ . خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخْفَفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ ، وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
ولنبلوَنكم	ولنتحننكم ، ولنختبرنكم .
بشيء من الخوف	بقليل من خوف ت تعرضون له من أعدائكم .
والجوع	بالقحط والجدب ، فلا تغل أرضكم .
نقص من الأموال	نقص ما يصل إليكم من الأموال بسبب الجدب .
والأنفس	{ نقص في الأنفس منكم ومن ذراراتكم ، بالقتال والموت . }
والمراث	ونقص المراث ، بإصابة زراعاتكم ببعض الآفات .
صلوات من ربهم رحمة	مغفرة من الله .
الصفا والمروأة	لطف وإحسان ونعمه .
من شعائر الله	جبان بعنة .
اعتمر	من مناسك الحج إلى بيت الله ، ومتعبدهاته .
يَطْوِفَ بِهِما	زار ، والاعتمر أقل من مناسك الحج ، فليس فيه
تطوع خيراً	{ وقف بعرفة ، ولا مبيت بمزدلفة ، ولا رمي جمار بعنة . }
شاكر	يسعي بينهما سيعاً .
البيانات	فعل عبادة غير واجبة عليه .
المهدى	مقدر له عمله ، فيشيئه عليه .
الدلائل المبينة على بعثة محمد في كتبهم	الدلائل المبينة على بعثة محمد في كتبهم .
ما تهدى إليه كتبهم من وجوب اتباع محمد	ما تهدى إليه كتبهم من وجوب اتباع محمد .

الألفاظ	شرحها
الكتاب	التوراة .
يلعنهم الله	يُبَدِّلُهُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ .
اللاعنون	مَنْ يَتَأْتَى مِنْهُمُ اللَّعْنُ كَالْمُؤْمِنِينَ وَغَيْرِهِمْ .
وبينوا	أَظَهَرُوا مَا كَتَمَهُ الْيَهُودُ .
يُنَظِّرونَ	كُمْهُلُونَ .

مُجَمَّلُ المعنى

١ - يَأْمَنُ الْمُؤْمِنُونَ اسْتَعِينُوا عَلَى قَهْرِ نُفُوسِكُمْ ، وَزُجْرُهَا عَنِ الْمُعَاصِي ، وَعَلَى مَا تَتَوَقُ إِلَيْهِ مِنَ الْلَّذَاتِ الْمُحْرَمة ، وَعَلَى الطَّاعَاتِ مِنْ صُومٍ وَجِهَادٍ ، اسْتَعِينُوا عَلَى ذَلِكَ بِالصَّبْر ، فَهُوَ خَيْرُ عَلَاجٍ لِكُبُحِ جَمَاحَهَا ، وَاسْتَعِينُوا عَلَى قَمْعِهَا عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ بِالصَّلَاةِ ، لِتَكَارَاهَا كُلَّ يَوْمٍ عَدْلَةٍ مَرَاتٍ ، يَنْاجِي إِلَيْهَا إِنْسَانٌ فِيهَا رَبِّهِ ، إِنَّ اللَّهَ يُعِينُ الصَّابِرِينَ عَلَى أَدَاءِ الطَّاعَاتِ ، إِنْ تَغْلِبُوا بِقَوْةٍ إِذَا دَهْمُهُمْ عَلَى إِخْضَاعِ نُفُوسِهِمْ الْأَمْمَارَةِ بِالسُّوءِ .

٢ - وَاسْتَشْهِدُ فِي وَقْعَةِ بَدْرٍ أَرْبَعَةَ عَشَرَ صَحَابِيًّا ، ثَمَانِيَّةً مِنَ الْأَنْصَارِ ، وَسَتَةَ مِنَ الْمَهَاجِرِينَ ، فَنَزَّلَ قَوْلَهُ تَعَالَى : وَلَا تَقُولُوا مَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ... وَالْغَرْضُ مِنْ هَذِهِ الآيَةِ الْحُضُورُ عَلَى الْجِهَادِ ، وَبَذْلُ النَّفْسِ فِي رُفْقَةِ لَوَاءِ الإِسْلَامِ وَالْمَعْنَى : لَا تَقُولُوا مَنْ يُقْتَلُونَ فِي الدِّرْدِ عنِ حِيَاضِ الإِسْلَامِ وَإِعْلَاءِ شَأنِهِ : هُمْ أَمْوَاتٌ ، فَإِنَّهُمْ لَنْ يَأْتِهُمْ ذَكْرُهُمْ ، وَشَرْفُ قَدْرِهِمْ ، أَحْيَاءٌ حَيَاةً يُمْتَازُونَ بِهَا عَنِ غَيْرِهِمْ ، لَا نَعْرِفُ حَقِيقَتَهَا ، وَلَا نَدْرِكُ كُنْهَهَا ، فَهُمْ فِي نِعْمَةٍ سَابِغَةٍ ، وَعَطْفٍ شَامِلٍ ، وَسُرُورٍ دَائِمٍ ، بِمَا يَلْقَوْنَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ ، وَلَكُنَا لَا نَحْسُنُ مَا يَسْتَمْتَعُونَ

بـ ؟ وهم كـ الألـ خـيـاء بـيـنـكـمـ ، بـ موـاـقـفـ الجـهـادـ والـشـرـفـ الـىـ بـذـلـواـ فـيـ سـبـيلـهاـ حـيـاتـهـمـ ،
وـ قـدـمـواـ فـيـهاـ مـطـيعـينـ لـهـ نـفـوسـهـ .

٣ — وقد جرت سنة الله في خلقه ، أن يـتـقـلـيـ عـبـادـهـ بـالـخـيـرـ وـالـشـرـ . ليـسـتـيـنـ
أـمـرـ منـ يـشـكـرـ وـمـنـ يـكـفـرـ ، فـنـ شـكـرـ عـلـىـ الـخـيـرـ إـنـماـ يـشـكـرـ لـنـفـسـهـ ، لـمـاـ يـعـيـنـهـ
مـنـ ثـوابـ اللـهـ ، وـمـنـ كـفـرـ إـنـ اللـهـ غـنـيـ عـنـ شـكـرـهـ ، كـرـيمـ فـيـ الـعـفـوـ عـنـهـ إـنـ شـاءـ ،
وـفـيـ هـذـهـ الـآـيـةـ تـعـلـيمـ لـلـمـؤـمـنـيـنـ بـأـنـ يـصـبـرـوـ عـنـ الـبـلـاءـ ، وـيـوـطـنـوـ أـنـفـسـهـمـ
عـلـىـ أـنـ الـحـيـاةـ لـيـسـتـ خـيـراـ مـحـضـاـ ، وـلـاـ شـرـاـ مـحـضـاـ ، وـإـنـماـ هـيـ مـزـيـجـ مـنـهـمـ ،
تـجـرـىـ فـيـهاـ أـحـكـامـ اللـهـ عـلـىـ مـاـ يـشـاءـ ، وـلـمـؤـمـنـ المـوـقـعـ مـنـ يـسـتـفـيدـ مـاـ تـجـرـىـ بـهـ
الـأـقـدـارـ ، وـيـرـبـيـ نـفـسـهـ عـلـىـ تـحـمـلـ الشـدـائـدـ وـالـأـخـطـارـ ، إـنـ اللـهـ جـلـتـ قـدـرـتـهـ
يـتـقـلـيـ النـاسـ بـأـنـوـاعـ مـنـ الـمـكـارـهـ ، وـيـأـمـرـهـ بـالـصـبـرـ ، لـتـسـتـيـنـ قـوـةـ جـلـدـهـمـ وـثـيـاثـهـمـ ،
وـيـشـرـ الصـابـرـيـنـ الـذـيـنـ يـجـاهـدـوـنـ أـنـفـسـهـمـ ، وـيـرـضـوـنـ بـقـضـاءـ اللـهـ فـيـهـمـ ،
وـيـسـتـرـجـعـونـ حـيـنـ وـقـوعـ الـمـصـائبـ بـهـمـ ، بـقـولـهـ : إـنـاـ اللـهـ وـإـنـاـ إـلـيـهـ رـاجـعـونـ ،
يـبـشـرـهـمـ بـالـثـوابـ وـحـسـنـ الـأـجـرـ ، وـقـدـ ذـكـرـ اللـهـ فـيـ هـذـهـ الـآـيـةـ أـنـوـاعـ مـنـ الـبـلـاءـ ،
يـصـبـيـبـ بـهـاـ عـبـادـهـ ، اـمـتـحـانـاـ لـصـبـرـهـمـ ، وـاخـتـيـارـاـ لـقـوـةـ إـيمـانـهـمـ ، وـهـيـ :

(١) خـوـفـ مـاـ يـنـالـ الـأـنـسـانـ مـنـ عـدـوـهـ . (٢) وـجـمـاعـةـ تـحدـثـ بـالـجـدـبـ
وـالـقـحـطـ . (٣) وـنـقـصـ فـيـ الـأـمـوـالـ مـنـ جـرـاءـ هـذـاـ الـجـدـبـ . (٤) وـنـقـصـ فـيـ
الـأـنـفـسـ مـنـ جـرـاءـ الـقـتـالـ فـيـ حـرـوبـ تـقـعـ بـيـنـهـمـ وـبـيـنـ أـعـدـائـهـمـ ، أـوـ مـوـتـ يـصـبـيـبـ
ذـرـارـهـمـ . (٥) وـنـقـصـ فـيـ الـثـرـاتـ مـنـ جـرـاءـ بـعـضـ الـآـفـاتـ ؛ فـالـعـاقـلـ مـنـ صـبـرـ
عـنـ الـابـلـاءـ ، وـمـنـ شـكـرـ عـنـدـ إـلـيـعـاءـ . وـهـؤـلـاءـ الصـابـرـوـنـ تـحـفـهـمـ مـغـفـرـةـ اللـهـ
وـرـحـمـتـهـ ، وـأـوـلـئـكـ هـمـ الـذـيـنـ اـهـتـدـواـ بـهـدـيـ اللـهـ ، وـأـمـتـلـأـوـنـ لـقـضـائـهـ وـاسـتـرـجـعـواـ ،
وـوـكـلـواـ إـلـىـ اللـهـ أـمـرـهـمـ وـفـعـلـواـ مـاـ يـسـتـوـجـبـونـ بـهـ مـنـ اللـهـ الـثـوابـ الـجـزـيلـ .

٤ — الصـفـاـ وـالـرـوـءـةـ : جـبـلـانـ بـمـكـةـ ، كـانـ عـلـيـهـمـ صـمـانـ فـيـ الـجـاهـلـيـةـ ،

فكان على الصفا صنم يسمى إسافاً على صورة رجل ، وعلى المروة صنم يسمى نائلةً على صورة امرأة ، يزعم أهل الجاهلية أنهم ارتكبا منكراً في الكعبة ، ففسخهما الله حجرَين ، ووضعَا على الصفا والمروة للاتعاظ بهما ، فلما قدمَ العهدُ بهما عبدوهما ، فلما جاء الإسلامُ ، وكسرَت الأصنامُ – تحرّجَ المسلمون أن يسعوا بين الجبلين ، كما كان يفعل أهلُ الجاهلية ، فنزل قوله تعالى : إن الصفا والمروة من شعائر الله ، والمراد : أن السعي بينهما من المناسب التي يجب أن يؤدّيها من يقصد بيت الله الحرام للمحجّ أو العمّرة ؛ فمن حجّ البيت أو زاره ، فلا إثمٌ عليه بعد كسر الصنمين أن يسعى بين الصفا والمروة سبع مرات ماشياً ، إلا لعذر ، على أن يكون البدءُ من الصفا ، ومن تطوع بعمل خير فوق ما يجب عليه عمله ، من طواف وغيره ، وزاد على ما فرضه الله عليه ، أو كرّرَ الحجّ والعمّرة – فإن الله شاكر له ، فهو قادر على إثابة المحسنين ، ولا يضيعُ أجر العاملين ، ولا يخفى عليه شيءٌ من أمر عباده .

٥ – وسائل بعضُ الصحابة نفراً من أخبار اليهود عن بعض ما في التوراة ، فكتّبوا لهم إياته ، فأخبر الله أن الذين يكتّمون شيئاً من الآيات الواضحـة المبينـة ، من بعد ما أظهره للناس ، كبعث محمد صلـى الله عليه وسلم وغيرـه ، أولئـك يُبعـدهم الله من رحـمته ، ويذـيقـهم أليمـاً نـقـمتـه ، ويـسـتحقـون لـعـنةـ كلـ إنسـان ، إلا الذين تابوا وأمنوا بـمـحمدـ ، وأصلـحـوا أـعـالـمـ ، وبيـنـوا ما كـتـمـوهـ ، كـعـبدـ اللهـ بنـ سـلـامـ ، فأولئـكـ يـقـبـلـ اللهـ تـوبـتـهـ ، ويـغـفـرـ لهمـ ما سـلـفـ من ذـنـوبـهـ ، واللهـ كـثـيرـ التـوـبـةـ وـالـرـحـمـةـ لـمـنـ تـابـ وـأـنـابـ .

وهذه الأحكام وإن نزلت في اليهود فهي عامة ، ويتردّج تحت هذا :

- (١) إثم من كتم شيئاً من أحكام الدين قصدآً، مع ضرورة الداعي إليه، ومن يفعل ذلك يرتكب ذنباً كبيراً يقذف به في جهنم يوم القيمة؛ فعلى العلماء
- (٢) ج

أن يعلموا الجهل ، وعلى المتعلمين أن يعلموا الأميين زكاة لهم عن علمهم ؛
ولا يجوز الضن بالعلم انتظاراً لأنخذ أجر .

(ب) شناعةٌ حال من يكتم ما فيه نفع للناس .

(ج) وجوب إظهار حكم الشريعة ، فيما يعرض من أمور الدنيا ، وحرمة
كمانه ، ما دام من يظهره آمناً على نفسه .

٦ - أما الذين كفروا وما توا على كفرهم ، فهم يستحقون لعنة الله والملائكة والناس
أجمعين ، ويستحقون أن يخلدوا في النار أبداً ، فلا يخفف عنهم العذاب طرفة
عين ، ولا يمهدون لتوبة أو مغفرة .

(٤)

وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ ، لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ . إِنَّ فِي
خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، وَالْفَلَكِ الَّتِي
تَجْرِي فِي الْبَعْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ ، وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ
فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ، وَبَثَ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ ،
وَتَصْرِيفِ الرِّياحِ ، وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ،
لَا يَأْتِي لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ . وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ
آنَدَادًا يُحِبُّونَ كَحْبَ اللَّهِ ، وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُ حُبًّا لِلَّهِ ، وَلَوْ يَرَى
الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْمَعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ، وَأَنَّ اللَّهَ
شَدِيدُ الْمَعَذَابِ . إِذْ تَبَرَّا الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا
الْمَعَذَابَ ، وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ . وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا : لَوْ أَنَّ
لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّا مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّا مِنْنَا ، كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ
أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ ، وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
اختلاف الليل والنهار	تعاقبُهُما ، وما يطرأ عليهما من الزيادة والنقصان .
الفلك	السفن ، المفرد والجمع سواء .
بما ينفع الناس	بما تحمل من الناس والأقوات والبضائع .
بعد موتها	بعد أن كانت مجدهبة لا تُخرج نباتاً .
بث	نشر وفرق .
المُسخر	المذلل ، المهيأ بأمر الله تعالى .
آيات	لدلائل على قدرته .
أنداداً	أمثالاً كالأصنام .
الذين اتبعوا	الرؤساء القادة المستكرون .
الذين اتّبعوا	الاتّباع المستضعفين .
كرة	رجعة إلى الدنيا .
فتبرأ منها	فتبرأ من الرؤساء الذين كنا نقتدي بهم .
كذلك	كما يريهم الله العذاب .
حسرات	ندامت .

كان الكفار لا يفتقرون يجادلون ويعاندون ، ويستكرون عن اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالوا له يوماً : صف لنا ربك ، فنزل قوله : وإلهكم إله واحد . . . فقالوا له : إن كنت صادقاً فيما تقول ، فهات دليلاً نعرف به صدقك ، فنزل قوله : إن في خلق السموات والأرض . . الآية .

بِحَمْلِ الْمَعْنَى

١ - وَإِلَهُكُمُ الْمُسْتَحْقُ لِلْعِبَادَةِ مِنْكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ ، لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَلَا نَظِيرَ لَهُ فِي ذَاتِهِ
وَلَا فِي صَفَاتِهِ ، وَهُوَ الْمُنْتَعِمُ بِالْأَلَّاَهِ جَلِيلُهَا وَصَغِيرُهَا عَلَى جَمِيعِ خَلْقِهِ .

٢ - وَهَا كُمُ الدَّلِيلُ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ وَقُدرَتِهِ :

(١) فَإِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَمَا فِيهَا مِنَ الْكَوَاكِبِ ، وَشَدَّةِ التَّمَاسِكِ
وَالتَّجَاذِبِ بَيْنَهَا .

(٢) وَفِي خَلْقِ الْأَرْضِ وَمَا عَلَيْهَا مِنْ جَبَالٍ تَسْتَخْرُجُ مِنْهَا الْمَعَادِنُ ، وَتَتَخَذُ
مِنْهَا الْأَحْجَارَ ، وَتَهْيَئُهَا لِسَهْلَةِ السِّيرِ عَلَيْهَا .

(٣) وَفِي تَعَاقِبِ اللَّيلِ وَالنَّهَارِ فِي نَظَامٍ مُحْكَمٍ ، بِحِيثُ لَا يَعْدُ وَأَحَدٌ هُمَا
عَلَى وَقْتِ الْآخَرِ ، وَاخْتَلَافُهُمَا زِيَادَةً وَنَقْصًا ، وَظَلْمَةً وَنُورًا .

(٤) وَفِي السُّفُنِ الَّتِي تَجْرِي عَلَى سطْحِ الْبَحْرِ ، حَامِلَةً النَّاسَ مِنْ جَهَةِ إِلَى
أُخْرَى ، وَمُوَقَّرَةً بِمَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ مِنْ مَأْكُولٍ وَمُلْبِسٍ وَنَحْوِهِمَا ، مَا يَنْتَعِنُ بِهِ النَّاسُ
فِي مَعَاشِهِمْ .

(٥) وَفِيمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَطْرٍ كَثِيرٍ النَّفْعِ ، نَشَرْبُ مِنْهُ ، وَنُرْوِي
بِهِ أَرْضَنَا ، فَتَخَصِّبُ بَعْدَ جُدُّهَا ، وَتَبْتَلُ لَنَا الزَّرْوَعُ الَّتِي نَأْكُلُ مِنْ ثَمَارِهَا ،
وَنَسْتَظِلُ بِأشْجَارِهَا ، وَالْحَبُوبَ الَّتِي نَصْنَعُ مِنْهَا طَعَامَنَا ، وَتَأْكُلُ مِنْهَا دَوَابِنَا .

(٦) وَفِيمَا بَثَّ فِي الْأَرْضِ مِنَ الْحَيَوانَاتِ الَّتِي نُسْخِرُهَا لِرَكْوَبِنَا ، وَنَشَرْبُ
أَلْبَانَهَا ، وَنَتَخَذُّ مِنْ أَصْوَافِهَا وَأُوبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا مَلَابِسَ وَأَثَاثًا وَمَتَاعًا .

(٧) وَفِي تَقْلِبِ الرِّيَاحِ فِي مَهَابِهَا ، شَمَالًا وَجْنَوْبًا ، وَشَرْقًا وَغَربًا ،
حَارَّةً وَبَارِدَةً ، وَعَاصِفَةً وَلَيْنةً .

(٨) وَفِي سُوقِ السَّحَابِ الْمَهِيَّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لِلْمَطْرِ .

إن في خلق هذه الأشياء لبراهين قاطعة على وحدانية الله ، وكمال قدرته ،
وباهر حكمته ، وواسع رحمته ، لأن تدبر وتفكر وتبصر .

٣ - ولكن هناك قوماً طاشت عقولهم ، وقصدت طباعهم ، فاتخذنوا من
غير الله أنداداً ، بعبادتهم الأصنام التي لا تسمع ولا تعقل ، ولا تغنى عنهم
 شيئاً ، مقلدين في ذلك آباءهم من غير تعقل ، أو خاضعين لنفوذ رؤساء
يسلبون منهم إرادتهم ، ويغلبونهم على أمرورهم ، فهم يحبون عبادة هذه الأصنام
ويعظمونها ، كجحهم للمولى جل وعلا ، فيسرون بينها وبين الخالق القادر في
المحبة والطاعة والتعظيم ، ولكن الذين آمنوا بالله ورسوله أكثر حباً لله من حب
المشركين لأصنامهم ، لأنهم قصروا محبتهم على الله ، فلا يشركون فيها غيره ،
ولا يعدلون عن عبادته أبداً ، على أن عبادة الكفار لأصنامهم غير مستقرة ،
فهم يعدلون عنها إلى الله إذا ألم بهم خطب ، أو نزل بهم مكروه ، فإذا ركبوا
في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين ، فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون ،
يعبدون الأصنام حيناً ، ويرفضونها حيناً ، بل ربما أكلوها حين يشتد بهم
القحط ، فقد حكى أن باهلة إحدى قبائل العرب ، كانت لهم أصنام من
الحيس (وهو تمثال ينزع نوافه ويدق مع أقطه) لبني غنمى مأخذ منه زبده » ،
ويعجنان بالسمن) ، فجأعوا في قحط أصابهم ، فأكلوها .

٤ - ولو يعلم هؤلاء الذين ظلموا أنفسهم باتخاذ هذه الأصنام للعبادة ،
حين يعاينون العذاب يوم القيمة ، أن السلطان ، والنفوذ ، والقدرة والغلبة ، الله
وحده ، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ، وأن الأصنام
التي عبدوها لا تضر ولا تنفع ، لما عبدوها ، ولندموا أشد الندم على ما فعلوا ،
ولعرفوا أن الله يعاقب العاصين المعاندين بعذاب شديد .

٥ - لو يعلم هؤلاء الذين ظلموا أنفسهم حين يرون المستكرين من الرؤساء

الذين أضلّوا المستضعفين من الأتباع ، يتبرعون من هؤلاء الأتباع ، وقد رأوا ما أعيد لهم جميماً من العذاب ، وانقطعت الصلات بين الفريقين ، لفاحم أمر هؤلاء وهؤلاء ، كلّ منهم يلقى التبعية على الآخر ، يقول المستضعفون : لقد أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلّلنا السبيل ، ولو لاكم أبها الرؤساء لكنا مؤمنين ، فيجنيهم الرؤساء المستكبارون : أنحن صدّاك عن المدى بعد إذ جاءكم ؟ بل كنتم مجرمين ، وهكذا يحاول كلّ من الفريقين أن يتخلّص من التبعية ، كما يحاول أتباع الملوك في هذا الزمان أن يتبرعوا بما ارتكبوا من الجرائم والأوزار ، ويلقون تبعتها على هؤلاء الملوك ، ويقولون عنهم بعد أن ذهب ملكهم ، ودالت دولتهم ، هم الذين أمرُونا وأضلّلنا السبيل ، ولكن هذا لا يغافل ولا يغفر ملوّكهم .

٦ - حينئذ يتمنى هؤلاء المستضعفوون أن يعود الفريقان إلى الدنيا ، ليتبرعوا من المستكبارين ، كما تبرعوا منهم حين عاينوا العذاب ، ولكن الله يخيب رجاءَهم ، وكما يريهم العذاب ، يريهم أن أعمالهم السيئة في الدنيا عادت عليهم بالحسنة والندامة ، وإن خروجهم من النار للعودة إلى الدنيا من أجل هذا الغرض أمر مستحيل التحقيق .

(٥)

يَأَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا ، وَلَا تَتَّبِعُوا
خُطُوطَ الشَّيْطَانِ ، إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ . إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسَّوْءِ
وَالْفَحْشَاءِ ، وَإِنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ . وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ : أَتَبِعُوا
مَا أَنْزَلَ اللَّهُ ، قَالُوا : بَلْ . نَتَّبِعُ مَا أَفْيَنَا عَلَيْهِ آبَاءُنَا ، أَوْلَوْ كَانَ
آباؤُهُمْ لَا يَنْقُلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ؟ . وَمَثَلُ الدِّينِ كَفَرُوا كَمِيلٌ
الَّذِي يَنْسِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً ، صُمُّ بِكُمْ دُعْمَى ، فَهُمْ لَا
يَعْقِلُونَ . يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيَّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ، وَاشْكُرُوا
لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيمَانًا تَعْبُدُونَ . إِنَّمَا حَرَمَ عَلَيْكُمُ الْمُنْيَةَ ، وَالدَّمَ وَلَحْمَ
الْخَنْزِيرِ وَمَا أَهْلَكَ بِهِ لَغَيْرِ اللَّهِ ، فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغِرٍ وَلَا عَادِ فَلَا إِنْمَامٌ
عَلَيْهِ ، إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ .

شرح الألفاظ

شرحها	الألفاظ
أكلًا حلالًا يستطيعه الشرع .	حلالًا طيبًا
طرق الشيطان التي يزيّنها لكم .	خطوات الشيطان
العصبية .	السوء

الألفاظ	شرحها
الفحشاء	أقبح أنواع الذنوب .
أوَ لَوْ كَانَ آباؤهُمْ	أيتبعون الشيطان ولو كان آباؤهم ؟
مِثْلُ الَّذِينَ كَفَرُوا	مثل من يدعوا العاذرين من الكفار إلى الإيمان .
يُنْعَقُ	يَصْبِحُ بِهَا مَهْ وَ يَزْجُرُهَا .
الْمِيَةَ	بِمَا لَا يُسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً بِالَّذِي لَا يُسْمَعُ إِلَّا صَوْتاً لَا يَفْهَمُ مَعْنَاهُ كَالْجَاهِمِ .
الدَّمُ	حَرَمٌ عَلَيْكُمْ أَكْلُ الْمِيَةِ .
غَيْرُ باعِ	دَمُ الْفَصْدِ مِنَ الْحَيَّانِ ، يَأْخُذُونَهُ وَ يَضْعُونَهُ فِي
عَادٍ	مَعَى وَيَشْوُونَهُ .
مَا أَهْلَلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ	مَا نُودِيَ عَنْدَ ذِبْحِهِ بِغَيْرِ اللَّهِ .
غَيْرُ باعِ	غَيْرُ خارِجٍ عَنِ الْمُسْلِمِينَ ، أَوْ غَيْرُ مُتَجَاوِزٍ
عَادٍ	مَا يُمسِكُ الرَّمْقَ .
عَادٍ	مَتَعِدٌ عَلَيْهِمْ ، بَأْنَ يَقْطَعُ عَلَيْهِمُ الطَّرِيقَ مُثْلًا .

حرّمَ قومٌ من المسلمين على أنفسهم لذائذ الأطعمة ، وَ ثمينَ الملابس ، وبعضَ ما لم يحرمه الله عليهم ، تحرّزاً من الوقوع في الإثم ، وحرّم آخرون على أنفسهم أكل ما كان حرماً عليهم قبل إسلامهم ، كعبد الله بن سلام وأخرباته ، حرّموا على أنفسهم أكل لحم الإبل ، لأنّه كان محراً عليهم في دين اليهود : فنزلت هذه الآيات .

بِمَلِ المَعْنَى

١ - يَا إِيَّاهَا النَّاسُ ، كُلُوا مَا فِي الْأَرْضِ ، مَا يُسْتَطِيهُ الشَّرْعُ ، وَ تَقْبِلُهُ النُّفُوسُ الْمُسْتَقِيمَةُ أَكْلًا حَلَالًا ، وَ لَا تَعْمَلُوا بِمَا يَرْتَبِطُهُ لَكُمُ الشَّيْطَانُ ، مِنْ

تحليل الحرام ، وتحريم الحلال ، إنه عدو يُبَيِّنُ العداوة ، لا يريد من وسوساته إلا أن يُوقعكم في الإثم ، ويزين لكم ارتكاب ما قبحه الشرع ، وجمازو الحرام في قبحه من الكبائر ، وأن تقتروا على الله الكتاب ، بأن تقولوا بأن الله حرم هذا وأحل هذا ، فتنسبوه إلى الله افتراء ، كما يفعل الكفار .

٢ - وإذا قيل للكافار : أتَبْعَوْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ ، مِنْ تَوْحِيدِهِ ، وَإِيمَانِ بِرَسُولِهِ ، وَتَحْلِيلِ مَا أَحْلَهُ اللَّهُ ، وَتَحْرِيمِ مَا حَرَمَهُ ، جَنَحُوا إِلَى التَّقْلِيدِ ، فَقَالُوا : بَلْ نَتَعَمَّلُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاعُنَا ، وَنَعْمَلُ مَا وَرَثَنَا عَنْهُمْ ، وَعَجِيبٌ أَنْ يَؤْثِرُوا التَّقْلِيدَ عَلَى مَا يَبْدُو لَهُمْ أَنَّهُ أَوْلَى بِالاتِّبَاعِ ، وَأَنْ يَتَبَعُوا آبَاعَهُمْ وَلَوْ كَانُوا جَهَلَةً لَا يَتَفَكَّرُونَ فِي أَمْرِ الدِّينِ ، الَّذِي يَدْعُو إِلَيْهِ الْعُقْلُ السَّلِيمُ ، وَلَا يَهْتَدُونَ إِلَى التَّفْرِقَةِ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ .

٣ - ومثلُ الَّذِي يَدْعُو الْكَافَّارَ الْمُعَانِدِينَ إِلَى الْهُدَىِ الَّذِي فِيهِ نَفْعُهُمْ وَصَلَاحُهُمْ فَلَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُ ، وَلَا يَسْتَمِعُونَ إِلَى دَعْوَتِهِ ، وَلَا يَتَدَبَّرُونَ وَعَظِيمُهُ إِرْشَادُهُ - كَمَثُلُ مَنْ يَصْبِحُ فِي قَطْبِعِ مِنْ إِبْلِ نَافِرَةٍ ، فَهُوَ يَدْعُوهُ إِلَى مَعَاطِنَهَا لِتَنْعَمُ بِالْمَأْكُلِ وَالْمَشْرِبِ ، فَلَا تَلِي نَدَاءَهُ ، تَسْمَعُ دُوَى الصَّوْتِ وَلَا تَعْرِفُ مَغْزَاهُ ، وَيَصْلُ إِلَى أَسْمَاعِهَا صَوْتَهُ وَلَكِنَّهَا لَا تَفْهَمُ مَعْنَاهُ ، فَلَا كَفَّارَ آذَانُ ، وَلَكِنَّهُمْ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا ، وَلَهُمُ الْأَسْنَةُ ، وَلَكِنَّهُمْ لَا يَنْطَقُونَ بِهَا عَنْ اعْتِقَادِ وَعِلْمٍ ، وَلَهُمْ أَعْيُنٌ ، وَلَكِنَّهُمْ لَا يَيْسِرُونَ بِهَا آثارَ قُدْرَةِ اللَّهِ ، وَلَهُمْ عُقُولٌ وَلَكِنْ لَا يَعْقُلُونَ بِهَا ، أَوْلَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَصْلُ .

٤ - يَأْيُهَا الْمُؤْمِنُونَ ، كَلَوْ مَا أَبْحَنَا لَكُمْ أَنْ تَأْكُلُوهُ مِنْ مُسْتَلِذَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ، سَوَى مَا حَرَمَ عَلَيْكُمْ ، وَقَوْمًا بِحَقْوقِ اللَّهِ ، شَكَرًا لَهُ عَلَى مَا رَزَقْكُمْ وَأَحْلَ لَكُمْ ، إِنْ كُنْتُمْ تَخْصُّونَ بِالْعِبَادَةِ ، وَتَقْرَوْنَ أَنَّهُ مُؤْلِي النَّعْمَ ، فَإِنْ عَبَادَتُهُ لَا تَنْهِ إِلَّا بِالشَّكْرِ عَلَى آلَائِهِ ، وَلَا تَأْكُلُوا مَا حَرَمَ عَلَيْكُمْ ، وَهُوَ :

(ا) لحم الميتة — ما عدا السمك والخراط — وهي التي تموت من غير ذبح شرعي ، وذلك لاستقدارها ، فتنبأ عنها الطباع السليمة ، ، لأنها ربما ماتت من جراء مرض معد ، تنتقل عدواه إليكم ، أو من عارض لا يؤمن ضرره .

(ب) الدم المسفوح ، وهو الدم الذي يتزل من حيوان بشق عرق فيه ، فيؤخذ الدم ، ويملا به المصران ، ويشوى ويؤكل ، وحرمه الله لأن الدم مسرح الجرائم ، وقد يكون فيه من الجرائم ما لا تحيط به حرارة النار ، فتنتقل العدوى من الحيوان المريض إلى السليم ، لأنه عسر المضم جداً ، ويستثنى مما تكون من الدم الكبد والطحال .

(ج) لحم الخنزير ، لقدرته ، فإن أشهى غذاء له القاذورات والنجاسات ، وأكل لحمه يسبب ما يسمى بالدودة الوحيدة ، كما أثبت العلم والتجربة ، وهي دودة قاتلة فتاكة ، هذا إلى أنه أعنصر اللحوم هضما ، لكثرة ما يختلط به من الشحم ، فليتعظ من يستطيعونه .

(د) ما نودي باسم غير اسم الله عند ذبحه ، كما يفعل المحسوس وعبياد الأوثان ، فهم ينادون باسم ما يعبدونه ، وكما يقول بعض العوام حين يذبحون حبواناً نذروه لأحد الأولياء ، فيقولون مثلاً : يا سيد يا بدوى ، إذا كان هو المنذور له ، يرجون أن يتقبل منهم نذرهم ، ويقضى حاجتهم ، فأكل لحمه محرم ، لأنهم ذكروا اسم غير الله واهب النعم ، الذي أحل لحم هذا الحيوان ، وسخره لهم .

فنألحاته الضرورة إلى تناول شيء مما حرم الله ، على ألا يبغى من الأكل التلذذ ، وعلى أن يكون غير عاد ، بأن يكون في مكان يرتكب فيه معصية ، كقطع الطريق مثلاً ، وبشرط ألا يتناول إلا ما يمسك الرمق ويبيق الحياة ، فلا ذنب عليه ، ولا يؤاخذه الله على ما أكل ، وهذه الأصناف الأربع ، بعض ما حرم الله ، وسيأتي لها تفصيل في سورة المائدة .

(٦)

إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ
بِهِ ثُمنًا قَلِيلًا، أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارُ ، وَلَا
يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ .
أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالنُّهُدَى ، وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ ، فَمَا
أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ! ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ ، وَإِنَّ
الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَنِي شِقَاقٌ بَعِيدٌ .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
ثُمنًا قَلِيلًا	عِوَضًا حَقِيرًا .
لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ	يَغْضِبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .
وَلَا يُزَكِّيهِمْ	وَلَا يُطَهِّرُهُمْ مِنْ ذُنُوبِهِمْ بِالصَّفْحِ عَنْهُمْ .
الْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ	{ آثَرُوا الْعَذَابَ فِي الْآخِرَةِ عَلَى الْمَغْفِرَةِ ، بِكَتْمَانِ ما أَنْزَلَ اللَّهُ .}

اللُّفَاظُ	شِرْحُهَا
ما أصبرهم على النار	إِنْ أَمْرُهُمْ لِعْجِيبٍ، بَارِتَكَابٌ مَا يُؤْدِي بِهِمْ إِلَى النَّارِ.
نزل الكتاب بالحق	نَزَّلَ التُّورَةَ صَحِيحَةً فَحَرَفُوهَا
اختلفوا في الكتاب	فَرَقُوا دِينَهُمْ شَيْعًا.
شقاق بعيد المدى	شَقَّاقٌ بَعِيدٌ الْمَدِيٌّ.

حمل المعنى

١ - الذين يكتملون ما أنزل الله في التسورة ، بتحريم ما أحله الله ، وتحليل ما حرمته الله ، وإنكار ما ذكر في كتابهم من نعمت محمد ، ويؤولون ما في الكتاب ، ويحرفونه على حسب أهوائهم ، وعلى حسب ما يتناولونه من الرشوة ، ويؤثرون على الحقيقة التي في كتابهم عرضاً حقيراً من أعراض الدنيا ، يأخذونه من جهالهم ومرءوسيهم ، خشية أن يفقدوا رياستهم عليهم ، أولئك ما يأكلون في بطونهم إلا ما يكون سبيلاً في دخولهم النار ، ويعصب الله عليهم يوم القيمة ، ويعرض عنهم ، ولا يظهرهم من ذنوبهم بالغفرة والعفو ، ولم يعلم عذاب شديد الألم ، وهذا الحكم يصدق على المسلمين كما يصدق على أهل الكتاب ، لأن الغرض تقرير حكم عام .

٢ - أولئك الذين اتبعوا أهواهم ، فاستبدلوا بالهدى ضلالاً ، وبالغفرة يوم القيامة عذاباً ، فما أتعجبَ أمرَهُ الذي يسوقهم إلى نار يخالدون فيها ؟ وما أغربَ عدمَ مبالاتهم بسوءِ مصيرهم ؛ هذا العذاب الذين يصيرون إليه ، بسبب أن الله نزل التوراة بالحق ، الذي لا يشوبه باطل ، فحرّقوها وأولوها لطامعهم الخبيثة الفانية ، وتخلفوا عن النجح المستقيم ، الذي كان يجب أن يسيراً فيه ،

وإن الذين اختلفوا في الكتاب ، فاتبعوا ما يلائم أهواءهم ، ونبذوا ما لا يوافق
أهواءهم ، أصبحوا شيعاً وأحزاباً ، كلٌّ يؤيدُ مذهبَه ، ويصفه مذهبَ غيره ،
وطبيعي أن يدب بينهم شقاق بعيدُ الشقة ، واسع المدى .

(٧)

لَيْسَ الْبَرُّ أَنْ تُوَلُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ
وَلَكِنَّ الْبَرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَالْمَلَائِكَةَ وَالْكِتَابَ
وَالنَّبِيِّينَ، وَأَتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذُوِّ الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ
وَابْنَ السَّبِيلِ، وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرَّقَابِ، وَأَقامَ الصَّلَاةَ وَأَتَى
الزَّكَاءَ، وَالْمُؤْفُونَ بِعِهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا، وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ
وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ، أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا، وَأُولَئِكَ هُمُ
الْمُتَّقُونَ.

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
البر .	اسم "جامع لكل معانٍ الخير .
أن تُولوا وجوهكم	أن تتوجهوا وقت الصلاة .
قبيلَ المشرق والمغرب .	{في المكان الذي يقابل المشرق ، أو يقابل المغرب . والغرض : الاتجاه إلى أي جهة .}

شرحها	الألفاظ
ولكن البرَّ بِرٌّ من آمن بالله . يُوْمُ القيمة .	ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر
أعطى المال . على حبِّ صاحبِ المال لِماله .	أعطى المال على حبه
المسافر والضعيف . } جمع سائل ، وهو من أَلْحَانِهِ الضرورة وال الحاجة أن } يسأَلُ الناس .	وابن السبيل والسائلين
{ وفي سبيل الأرقاء والعبيد ، لفَكَ رقابهم من الرِّق ، } وجعلهم أحراراً . القفر والشدة .	وفي الرقاب الباساء
المرض والزمانة ، أَى العاهة . وقت مجاهمة العدو في الحرب	والصراء حين البأس
أولئك الذين أخلصوا في الدين ، واتبعوا الحق ، وتحرى البر . المجتبون للكفر ، والمبعدون عن الرذائل .	أولئك الذين صدقوا هم المتقون

مُجملُ المعنى

١ - لما هاجر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْمَدِينَةِ ، كَانَ الْمُسْلِمُونَ يَسْتَقْبِلُونَ
وقت الصلاة بيت المقدس ، واستمرروا على ذلك حوالى ستة عشر شهراً ، ثُمَّ نزلَ
قوله تعالى : قد نَرَى تَقْلِبَ وجْهَكَ فِي السَّمَاوَاتِ فَلَنُولِينَكَ قَبْلَةَ تَرْضَاهَا ، فَوَكَّلَ
وجْهَكَ شَطَرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامَ ، وَحِينَما كُنْتُمْ فَوَلَوْا وَجْهَكُمْ شَطَرَهُ ، فَحَوْلَ الْمُسْلِمُونَ
قَبْلَتِهِمْ إِلَى الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ .

٢ — وكان النصارى يستقبلون أيضاً وقت صلاتهم بيت المقدس من جهة الشرق ، كما كان اليهود يستقبلونه من جهة الغرب .

٣ — فلما حول الله قبلة المسلمين جهة المسجد الحرام بمكة ، أكثر اليهود والنصارى من الخوض في أمر هذا التحويل ، وادعى كل منها أن البرَّ كلَّ البرَّ ، والخيرَ كلَّ الخير ، إنما هو في التوجة إلى بيت المقدس ، من الجهة التي يتوجه منها .

٤ — فأنزل الله هذه الآية الكريمة ، ليسفه رأيهم ، ولبيّن أن البرَّ لا ينال ب مجرد التوجة إلى أي مكان من أي جهة ، وهي قوله تعالى : (ليس البرَّ أنْ توَلُوا وجوهكم قِبَلَ المشرق والمغرب) .

٥ — ثم رسم الله حدود البر الصحيح ، لأى إنسان مهما كانت عقidiته أو قبلته ، في الجزء الباقي من الآية الكريمة متضمناً ثلاثة أمور :

أولاً : صحة الاعتقاد .

وثانياً : صدق العون للعباد وحسن المعاشرة .

وثالثاً : تهذيب النفس .

أو بمعنى آخر متضمناً قيام كلَّ إنسان بواجبه لخالقه ، وواجبه لنفسه ، وواجبه للناس .

(صدق الاعتقاد)

أما صحة الاعتقاد ، أو قيام الإنسان بواجب الخالق ، فقد بينها الله في قوله : ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر ، والملائكة والكتاب والنبين : فكل من كفر بالله ، أو أنكر يوم الحساب ، أو كفر بملائكة الله أو كتبه المترفة ، ج ٢ (٢)

ولم يؤمن بآئيَّ نبِيٍّ أو رسول من آنبياء الله ورسله عليهم السلام ، فقد هدمَ أَوْلَ ركناً من أركان البرّ ، وأُوصَدَ أَوْلَ باباً من أبواب الخير .

(صدق العون للعباد)

وأَمَا صدق العون للعباد ، أو القيام بواجب الناس ، فقد بيَّنَ الله بقوله :
 (وَأَتَى الْمَالَ عَلَى حِبَّهِ ذُو الْقَرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ) ، وقد رسم الله حد البر في معونة العباد بأمرتين :
 الأولى : بذل المال .

والثانية : تعيين أصحاب الحق في هذا المال .

أمما المال فلا يكون من البر بمجرد بذله وإعطائه ، ولكن يجب أن يُعطى الإنسان من المال الذي يحبه ويحرص عليه ، وهو صحيحُ الجسم سليمُ البدن ، يُأْمَلُ في العيش ، وينخسِي الفقر ، وأن يعطى من خيار المال وأقومه ، وأن يكون المال الذي يعطيه تبرعاً ، لا من الزكاة المفروضة عليه .

وأَمَا أصحاب الحق في هذا المال ، فهم :

الأقارب : سواء أكانوا في احتياجٍ إليه في ضرورة العيش ، أم كانوا يرغبون فيه للتتصوّن ، أو لسد مطالب تقتضيها حالم المجتمعية ، فعليه إن وجدوا العيش فقط ، أن ينفق عليهم في طلب العلم ، إن كانوا لا يجدون نفقاته ، وعليه أن يجهز البنات للزواج بذوى الكفاية ، وعليه أن يعينهم في دفع الكوارث ، والإنقاذ من الشدائِد ، إذا يسرَ الله له في رزقه ، ووسعَ في عيشه .

٢ - واليتامى : وهم الذين حرموا منذ الصغر عطف الآباء ، وصدَّعْتُ قلوبهم في طفولتهم وحشة الحياة ، وجفوةُ الأيام ، فعلى ربَّ المال أن يؤنسهم بماله ، ويؤسِّسُهم بمعونته ، فإن كانوا محتاجين كان لهم بمنزلة الأَبِ الرحيم ،

يتفق عليهم فيما يحتاجون ، ويسرهم في كل عيد ، ويفتح لهم ذراعيه حدبًا عليهم ، متربقاً بهم ، وإن كانوا غير محتاجين أتّفهم بالهدايا التي تشرح صدورهم وتطيّب خواطيرهم ، وتُجبر قلوبهم ، وتسر نفوسهم .

٣ - والمساكين : وهم الذين يملكون من الأموال ما يقع موقعاً من حاجتهم ، ولكنه لا يكفيهم ، فلن البر لذى المال أن يعينهم بما له على سد ما يحتاجون إليه .
وابن السبيل : وهو المسافر ، الذي قطع السفر ما بينه وبين ماله وأهله ، أو الضيف الذي لا يجد وهو بعيد عن مثواه ما يسد خلته ، فعلى صاحب المال أن يمدّه بما يدفع عنه حاجته ، ويذهب بشدته .

٤ - والسائلين : وهم الذين فاجأتهم شدة ، أو ألمت بهم نازلة الجأتهم إلى طلب المعونة ، وإن كانوا من ذوى الغنى واليسار . فعلى الموسر أن يحبيب سؤلهم لدفع الشدة ، وكشف النازلة عنهم ، قال صلى الله عليه وسلم : للسائل حقٌ وإن جاء على فرسه .

٥ - وفي فلك الرقاب : أى إعطاء المال للعييد الذين يرضي سادتهم أن يحرر وهم من الرق ، نظير أن يعطوهم مالا يؤدونه إليهم ، أو إعطائه للأعداء المحاربين مقابل فلك الأسرى ، وإطلاق سراحهم ، أو شراء الأرقاء وعتقهم ، ولا ريب أن خير المال هو ما ينفق في إطلاق الأسير ، أو تحرير العبيد .

(تهذيب النفس)

أما تهذيب النفس أو قيام الإنسان بواجبه نحو نفسه فقد بينه الله في قوله :
وأقام الصلاة وآتى الزكاة ، والمؤمن بعهدهم إذا عاهدوا ، والصابرين في
الأساء والضراء وحين البأس .

ولا شك أن الصلاة تهى عن الفحشاء والمنكر ، والزكاة أداء حق معلوم
حدده الله لمن عينهم من المحتاجين ، فأداؤه على خير وجه دليل على طهور النفس ،

ونقائهما من شوائب الشح . وفي شعورها بحالات الجماعة ، وما يجحبُ بين أفرادها من
تعاون وتضارف ، والوفاء بما يرتبط به الإنسان بعهد بيته وبين الله ، أو بيته وبين
غيره من الناس ، في كل ما لا يحلُّ حراماً أو يحرمُ حلالاً — دليلُ الثقة ، وأية
الارتباط الوثيق ، بين الأسرة الإنسانية .

أما الصبر فإنه خير الحلال الإنسانية ، ولا سيما في المواطن الآتية :

- (أ) إذا أصاب الإنسان شدةً أو فقر .
- (ب) وإذا حلَّ به مرض أو عاهة .
- (ج) وإذا اشتبكت الأمة في حرب ، والتحامت مع العدو في الضرب .

نعم إن الصبر في تلك المواطن التي تكشف الخوار والضعف ، وتبعد عن
الذلة ، أو تدعو للنفع والجزاء ، هو خيرٌ ما يدل على قوة النفس وجدها
واحتمالها ، وهي أسمى غاية التهذيب ، وخيرٌ صفات البر .

ثم أشار الله إلى الذين جمعوا إلى الإيمان فضيلة البذل والصبر ، ووصفهم
 بأنهم هم الذين صدقوا في الدين ، واتباع الحق ، وعمل الخير ، وأنهم هم المتقدون
 الذين وقاهم الله من الكفر ، وسائر الرذائل ، واصطفاهم بجميع أنواع الكمال
 الإنساني .

(八)

يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِيْ : الْحُرْ
بِالْحُرْ ، وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ ، وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى ، فَمَنْ عَفَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ
شَيْءٌ فَاتَّبَاعُ بِالْمَعْرُوفِ وَادَّاهُ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ، ذَلِكَ تَحْقِيقٌ مِنْ
رَبِّكُمْ وَرَحْمَةً ، فَمَنْ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ ، فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ .
وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولَى الْأَلْبَابِ ، لَعَلَّكُمْ تَتَّقَوْنَ .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
كتب عليكم	فرض وشرع .
القصاص	أن يعاقب الحاكم الحانى على الجناية بمثلها .
في القتلى	بسبب القتلى .
فمن عفى له من أخيه شيء	{ فمن تسامح معه ولي الدم ، فرضى بالدية بدل القصاص .
فاتياب بالمعروف	دفع الديّة إلى ولي الدم من غير مماطلة .
وأداء إليه بإحسان	. فطلب الديّة من غير عنف .

شرحها	الألفاظ
العفو وأخذ الدّيَةَ تيسير ونفع . فمن قتل بعد العفو وأخذ الدّيَةَ .	ذلك تخفيف
{ فله عذاب في الدنيا بالاقتصاص منه ، وفي الآخرة بعد انتقامته من قاتلها . } بعذاب النار .	فمن اعتدى بعد ذلك
ذوى العقول الكاملة .	فله عذاب أليم
	أولى الآلاب

مُحْمَلُ المعنى

١ - كان في أهل الجاهلية بغي وطاعة للشيطان ، فكان الحِي إذا كان فيه عز ومنعه ، فقتل لهم عبد ، وكان قاتله عبد قوم آخرين ، قالوا : لا نقتل به إلا حراً منهم . وإذا قتلت منهم امرأة قالوا : لا نقتل بها إلا رجلا ، وإذا قتلت منهم وضع ، قالوا : لا نقتل به إلا شريفاً . وكان على هذا البغي حياناً من أحياه العرب ، حدثت بينهما دماء ، وكان لأحد الحيانيين طول وقوه على الآخر ، فأقسموا لنقتلن " الحر " منكم بالعبد ، والذكر بالأنثى . فلما جاء الإسلام تحكموا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنزلت هذه الآية وأمرهم رسول الله أن يكون القصاص على أساس التكافؤ في القتل ، وعلى أساس قتل من قتل ، كائناً من كان ، فلا يقتضي من غير القاتل ، وإنما يجب أن يقتضي من القاتل فقط ، فيقتل الرجل ، إذا قتل امرأة ، وتقتل المرأة إذا قتلت رجلا ، ويقتل العدد الكبير في الواحد إذا اشتركوا جميعاً في قتله عمدًا ، وقد قتل عمر سبعة برجل بصنعاء وقال : لو تملاً عليه أهل صنعاء ، لقتلتهم جميعاً ، وعلى الجماعة إذا وقع بيها قتيل أن تدل على القاتل إذا عرفوه ، فإذا أدعوا الاشتراك في قتله قتلوا

جميعاً به ، لقد قتل على^١ الحرورية وهي (طائفة من الخوارج) ، بعد الله بن خباب ، لما ناداهم أن أخرجوا إلينا القاتل ، فقالوا : كلنا قتله ، فأمر على^٢ أصحابه أن يقتلوهم جميعاً به .

٢ - ولا يزال هذا البغيُّ الجاهليُّ قائماً بين أهل الصعيد ، في مصر ، فإذا قتل من أسرة قتيل ، عمداً أهله إلى كبير من أسرة القاتل ، أو عظيم فيها ، فقتلوه بقتيلهم ، وإن لم يكن هو القاتل ، هذا إثمٌ وعدوان ، وبغيٌّ غير حق ، لا يرضي عنه الله ، ولا يقره الإسلام .

٣ - وتنفيذُ القصاص أمر واجب على الحاكم ، وليس لولي الدم أن يقتضي بنفسه ، فإن فعل ذلك عذب في الآخرة ، وعوقيب في الدنيا ، فلو ثبت القتل على شخص ، فليس لأسرة القتيل أن تقتضي منه ، فإن فعلت تعرّضت للعقاب في الدنيا والآخرة ، لأن القصاص هو من واجب الحكومة ، والفرض والإلزام في القصاص ، المفهوم من قوله تعالى : كتب عليكم : أمرٌ موجه إلى الحاكم ، الذي عليه تنفيذ القصاص من القاتل ، حقناً للدماء .

٤ - والقصاص من القاتل حقٌّ لوليِّ الدم ، فإذا أراد تنفيذ القتل في القاتل نفذ ، ولو أن يغفو عنه ، ويترك المطالبة بقتله ، وفي هذه الحالة يأخذُ من القاتل دية القتيل .

٥ - وإذا عفا وليِّ الدم عن القاتل ، ورضى بأخذ الدية فعليه أن يتبع في طلبها منه طريق اللين والمعروف ، لا طريق الشدة والعنف ، كما أنَّ على القاتل أن يدفع الدية بالإحسان ، ولا يسلك سبيل المماطلة والتسويف ، لأن الله حثَّ ولِيِّ الدِّمَ أن يحسنَ المطالبة ، كما حثَّ القاتل أن يحسن الأداء فقال : فاتباع بالمعروف ، وأداء إليه بإحسان .

٦ — وقد كتب الله على بعض الأمم السابقة القصاص فقط ، وكتب على بعضها العفو والمدية فقط ، ولكنه رحمة بال المسلمين خيرٌ على القتيل بين القصاص والعفو والدية نفعاً لهم ، ويسيراً عليهم ، وتحفيفاً ورحمة بهم .

٧ — وعليكم أيها المسلمين أن تلتزموا الحدود التي بينها الله لكم في القصاص ولا تتجاوزوها ، فلا يجوز أن ينفذ القصاص في القاتل غيرُ الحكم ، ولا يجوز أن يُقتل غير القاتل ، ولا يجوز أن يغفو على الدّم عن القاتل ويأخذ الديّة ، ثم يقتله بعد ذلك ، فمن فعل شيئاً من ذلك جوزي في الدنيا بالعقاب ، وفي الآخرة بالعذاب .

٨ — وقد شرع الله القصاص حقناً للدماء الناس ، وإبقاء على حياتهم ، فإن من عرف أن من قتل يقتل ، امتنع عن القتل ، وحفظ دمه ودم من كان يريده قتيلاً ، وهذا جعل الله القصاص حياة للناس ، لأن مجرد العلم به يردع القاتل عن القتل ، فتحيا به نفسان : نفس "كانت ستذهب بالقتل ، وت نفس كانت ستذهب بالقصاص ، وكان الناس قبل حدود القصاص يقتلون غير القاتل ، ويقتلون الجماعة بالواحد ، فتشور الفتنة بينهم ، ويقتل بعضهم بعضاً ، فلما شرع القصاص من القاتل فقط ، سلم الباقون ، وكان القصاص سبباً لحياتهم ، فعليكم يا أصحاب العقول الكاملة أن تقيموا حدودَ القصاص كما شرعها الله لكم ، وكتبها عليكم وتقوا أنفسكم أمرَ التساهل فيها ، وتحافظوا عليها ، فتحفظوا دماءكم .

(٩)

كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةَ
لِلْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِ بَيْنَ بِالْمَعْرُوفِ، حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ . فَمَنْ بَدَأَهُ بَعْدَ
مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الدِّينِ يُبَدِّلُونَهُ ، إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ . فَمَنْ
خَافَ مِنْ مُوصَى جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ يَنْهَمُ فَلَا إِثْمٌ عَلَيْهِ ، إِنَّ
اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
كتب	فرض .
إذا حضر أحدكم الموت	{ إذا حضرت أسباب الموت ، وظهرت أماراته ، من العلل والأمراض المخوفة . }
خيراً	مala كثيراً ، وحالا طيباً .
الوصية	{ هي تصرف من الموصى في حياته ، لصلاحة شخص أو جهة معينة ، في بعض ما يمتلكه ، على أن يكون فعله وتنفيذها بعد الموت . }

شرحها	الألفاظ
<p>بالعدل الذي لا وكس فيه ولا شطط .</p> <p>{ من غيره من الأوصياء والشهدود ، بزيادة أو نقص أو إنكار . }</p>	<p>بالمعرفة</p> <p>من بدله</p>
<p>بعد ما علمه وتحقق لديه .</p> <p>إثم التبديل وعقابه .</p>	<p>بعد ما سمعه</p> <p>إثمه</p>
<p>توقع وعلم .</p> <p>ميلا في الوصية من غير قصد تعمداً وقصدًا للجحف والميل .</p>	<p>خاف</p> <p>جنفاً</p> <p>إثماً</p>
<p>أصلاح بين الموصى إليهم ، بإجرائهم على نهج الشرع .</p>	<p> فأصلاح بينهم</p>
<p>فلا ذنب عليه في ذلك التبديل . لأن تبديل باطل إلى حق .</p>	<p>فلا إثم عليه</p>

جمل المعنى

١ — حدد الله حقوق الوارثين من الوالدين والأقربين في كتابه العزيز ، ولم يجعل لهم حقاً في الوصية ، لقوله صلى الله عليه وسلم : (إن الله قسم لكل إنسان نصيبه من الميراث ، فلا تجوز لوارث وصية) .

٢ — لكن . الإنسان قد يجمع مالاً كثيراً من طريق الحلال الطيب ، ثم يموت عنه ، ولا يكون لوالديه أو بعض أقاربه في هذا المال حق مقسوم ، لاختلاف الدين بينه وبين والديه ، واختلاف الدين مانع من الميراث ، أو

لحجب بعض الأقارب بطبقة أعلى ، كأن يموت الشخص عن ولدَيْنِ وابن لابنه المتوفى — أو عن أقاربَ من ذوى الأرحام ، لم يحدد لهم نصيب من الميراث ، وفي ثروته متسع لإزالة فقرهم وسد خلتهم ، فإذا أحس هذا الإنسان دنوًّا أجله ، وشعرَ أن أمارات الموت قد ظهرت ، وأسبابه قد حضرت — وجب عليه أن يوصي بـنـصـيـبـ عـادـلـ مـنـ مـالـهـ لـاـ وـكـسـ فـيـهـ لـاـ بـخـسـ ،ـ هـؤـلـاءـ الـوـالـدـيـنـ وـالـأـقـرـبـيـنـ ،ـ وـالـعـرـفـ هوـ ماـ تـطـمـئـنـ إـلـيـهـ النـفـوسـ وـالـفـطـرـ ،ـ وـلـاـ تـنـبـوـ عـنـهـ الـمـصـلـحـةـ ،ـ وـالـعـدـلـ الـذـىـ لـاـ وـكـسـ فـيـهـ لـاـ شـطـطـ ،ـ وـالـقـيـامـ بـالـوـصـيـةـ عـلـىـ حـسـبـ مـاـ شـرـعـهـ اللـهـ مـنـ شـعـائـرـ فـرـضـ وـاجـبـ عـلـىـ الـمـتـقـينـ ،ـ الـذـيـنـ يـخـافـونـ الـآـخـرـةـ .

٣ - ولا يجوز لأحد من الشهود أو الأوصياء بعدَ أن يقرَّ الموصى وصيته أن يغير فيها بزيادة أو نقص ، أو إخراج أشخاص لهم حقٌّ في الوصية ، أو إدخال آخرين فيها ، فمن فعل ذلك فقد أثُمَّ واستحق عقاب الله الذي يسمع أقوال المبدّلين في الوصية ، ويعلم بنياتهم ، فيجازيهم على ما فعلوا .

٤ - والوصية للوالدين والأقربين على الصورة التي بيَّناها ، إنما تجب على من ترك مالاً كثيراً اكتسبه من طريق الحال ، وليس الكثرة مقدرةً بـمـقـدـارـ ،ـ وـلـكـنـهاـ تـخـتـلـفـ باختلاف الشخص — فإن مقداراً من المال يملكه شخص ، يصير غنياً لقلة عياله ، ويملك شخص آخر نفسَ هذا المقدار ، فلا يصير به غنياً لكثره عياله . وإذا توقع الإنسان من الموصين ، أو من الشهداء على الوصية ، ميلاً أو جوراً في الوصية ، وذلك بإنكار حقَّ الموصى له ، أو بزيادة أو نقص في نصيبيه ، أو جورٌ وميل عن جادة العدل ، فقام بالإصلاح ، وأجرى سننَ الوصية على منهج الشرع . فإن الله يحب هذا الإصلاح ، ويقبل من أجله التبديل . فإذا جرت الوصية مثلاً على أكثر من ثلث التركة ، أو زيد نصيب فرد زيادةً فاحشة ، وهضمَ نصيب آخرَ هضمًا مُجحفًا ، ثم تدخل إنسان ، وردَ الحقوق إلى نصابها وفق العدل والحق ، فإن الله يثيب المصلح على إصلاحه ، ويعفر له سيناته ، ويشمله بفضله ورحمته .

(١٠)

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ، لَعَلَّكُمْ تَتَّقَوْنَ . أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ، فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ، فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخْرَ، وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامٌ مِسْكِينٍ، فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ، وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ، إِنْ كُثُرْتُمْ تَعْلَمُونَ . شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ، فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلِمَصْمُومٌ، وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخْرَ، يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ، وَلَا تُكْمِلُوا الْعِدَّةَ، وَلَا تُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ، وَلَعَلَّكُمْ تَشَكَّرُونَ .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
الصيام	{ الامتناع نهاراً مع النية عن جميع المفطرات المعهودة .

الألاظ	شرحها
كما كتب على الذين من قبلكم	كما فرض على الأمم التي سبقتكم .
أياماً معدودات	موقّات بعدد معلوم . أو كان مستمراً على السفر .
أو على سفر	فعليه صوم أيام بعدد أيام المرض أو السفر التي أفترط فيها .
وعلى الذين يستطيعون الصوم بجهد ومشقة .	فعدة من أيام آخر
فدية طعام مسكين	إعطاء فدية عن إفطار كل يوم ، وهي مقدار طعام مسكين .
فمن تطوع خيراً فهو خير له	فمن زاد في الفدية على مقدار طعام مسكين . فالزيادة في الفدية خير له .
وأن تصوموا خير لكم	والصيام لمن يستطيعونه مع الجهد والمشقة خير من القطر مع الفدية .
أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات	بدأ فيه نزول القرآن على محمد . وكان ذلك ليلة القدر . هادياً للناس ، بما فيه من إرشاد ل الحق .
من المدى والفرقان	آيات وأضحات ، من الحكم والتشريع والاحكام . ما يهدى الناس إلى السعادة في الدنيا والآخرة ويفرق بين الحق والباطل .
فن شهد منكم الشهر فليصمه	فمن حاضراً مقيناً وقت هلال الشهر ، وجب عليه الصوم .

شرحها	الألفاظ
<p>{ ويريد الله أن تكملوا عدة الشهر ثلاثة يوماً صائدين ، { إذا لم تروا هلال شوال .</p>	ولتكملا العدة .
<p>{ ويريد الله أن تحمدوه وتكبروه ليلة الفطر ، تعظيمها { له على هدايته إياكم ، للشائع الكفيلة بسعادتكم لتشكروه على التيسير لكم في العبادات .</p>	ولتكبروا الله على ماهداكم ولعلكم تشكرون

مُجملُ المعنى

١ - أيها المؤمنون : إن الصيام عبادة قديمة ، فرضها الله عليكم كما فرضها على الأمم السابقة من قبلكم ، فتحملوا مشقته ، لظهورها بها نفوسكم ، وتجنبوها الإمام والعصيان .

٢ - وقد حدد الله الأيام التي فرض صيامها عليكم ، ووقتها بزمان وعدد معلوم ، كما حددتها ووقتها أيضاً للأمم السالفة ، ولا يريده الله أن يشقّ عليكم في فرض الصيام ، أو يحملكم من أمره عسراً ، لأنه لم يجعل عليكم في الدين من حرج ؛ فرخيص للمريض منكم ، ولمن سافر قبل فجر يوم الصيام ، أن يفطر ، وأن يصوم أيامًا آخر من غير رمضان ، بعد أيام المرض وأيام السفر ، التي أفطراها .

٣ - ومن الناس من لا يكون مريضاً أو مسافراً ، ويمكنه أن يصوم ولكن الصوم يلحق به شدة ومشقة ، كأن يكون عاملاً مجاهداً في عمله ، والصوم ينبع منه ويرهقه ، أو يكون ضعيف البنية ، والصوم يضعفه ويوهنه ، أو يكون من يؤذيهم الحجوع ، كالشيخ الهرم ، والمُرْضَع ، والجلبي ؛ فقد رخص الله لكل

من هؤلاء أن يفطر ، وأن يعطى الفدية ، وهي طعام مسكين عن كل يوم يفطر فيه — وقد قدّرها القدماء من فقهاء العراق بنصف صاع من قمح ، وبصاع من غير القمح ، كالبلح والذرة مثلاً ، كما قدرها القدماء من أهل الحجاز بمدّ ، والصاع قدحان وثلث قدح بالكيل المצרי — والمدّ نصف قدح مصرى ، والقدح ثمن الكيلة المصرية — ونرى أن تكون الفدية عن إفطار يوم واحد لمن يشق عليه الصيام في زماننا ، قدر ما ينفقه الشخص على طعامه في وجبي الإفطار والسحور ، وتختلف باختلاف الشخص الذي يفطر ، فهو للشخص الموسر غيرها للشخص المتوسط ، وهي للشخص المقل غيرها للموسر والمتوسط ، وقد أصبح عرف عصرنا لا يستسug تقديم الفدية طعاماً للمساكين ، لأنه يؤذى شعورهم الاجتماعي ، فالأولى تقديمها نقوداً كما بيننا .

٤ — وليس تحديد فدية اليوم بإطعام مسكين واحد ، هو غاية ما ينتهي إليه الشخص ، إذا أفطر لمشقة الصوم عليه ، لكنه يزداد خيراً ويدخر عند الله ثواباً ، كلما زاد في فديته وأجزل في عطائه .

٥ — ومع أن الله شرع لكم الفطر مع الفدية ، إذا نالكم من الصوم جهد ومشقة ، وشرع لكم الفطر والقضاء في حالى المرض والسفر ، ترخيصاً لكم ، وتسيراً عليكم ، فإن الخير لكم أن تجاهدوا لأنفسكم ، وتأخذوها بتحمل المشقات ، وتصوموا ولا تفطروا ، إن كنتم تعلمون الخير ، وتريدونه لأنفسكم .

٦ — والصوم الذي كتبه الله عليكم أيها المسلمين ، قد حدّد لكم أيامه ، ووقته بشهر رمضان . وهو شهر مبارك ، نزلت فيه أول سورة من القرآن في ليلة القدر ، والقرآن هداية للناس ، ودستور الخير ، وطريق السعادة في الدنيا والآخرة ، وفارق بين المدى والضلال ، وبين الحق والباطل ، بما فيه من الحكم والأحكام ، والدلائل الناطقة بقدرة الله وعظمته .

٧ - وعلى كل مسلم مكلف ، مقيم غير مريض ، إذا رأى هلال رمضان ، أو علم به ، أن يصوم ؛ أما من كان مريضاً أو مسافراً ، فقد أباح الله له الفطر ، على أن يصوم بعد انتهاء رمضان ، الأيام التي أفطراها .

٨ - وقد أراد الله ببابحة الفطر مع الفدية ، لمن يشق عليه الصوم ، وإياحته مع القضاء للمريض والمسافر ، أن يخفف عنكم ، ولا يشق عليكم في العبادة ، وألا يجعل عليكم في الدين من حرج ، وأن ييسر عليكم ولا يعسر ، كما أراد أن تكملوا عدة رمضان ثلاثة أيام ، إذا لم ترُوا هلال شوال ، وأن تجهروا بتكبيره والثناء عليه بعد انتهاء رمضان ، حمدًا له وثناء عليه ، لأنه هداكم إلى الإسلام والإيمان ، ولتشكروه على فيض رحمته على عباده .

وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ، أُجِيبُ دَعَوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ، فَلَمَسْتَجِبِي مَا لِي، وَلَمْ يُؤْمِنُوا بِي، لَعَلَّهُمْ يَرَشِدُونَ .

(١١)

وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ، أُجِيبُ دَعَوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ، فَلَمَسْتَجِبِي مَا لِي، وَلَمْ يُؤْمِنُوا بِي، لَعَلَّهُمْ يَرَشِدُونَ .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
سألك عبادي	طلبو أن يعرفوني .
فإنني قريب	فإنني عالم بأحوالهم وأقولهم وأفعاهم ، علم القريب منهم .
فليستجيبوا لي	{ فليجيبيوني فيما دعوتهم إليه ، من الطاعة والعمل ، كما أجيبهم إذا دعوني لهماتهم . }
لعلهم يرشدون	ليستقيموا على طريق المهدى والرشاد .

مجمل المعنى

١ — جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال له : يا رسول الله ، أقرب ربينا فتناجيه ، أم بعيد فتناديه ؟ فنزل قول الله تعالى : وإذا سألك عبادي عنِّي فإنني قريب .

٢ — والله سبحانه وتعالى لا يحده زمان ولا مكان ، ولكنك موجود في كل زمان ج ٢ (٤)

وَنِيْ كُلَّ مَكَانٍ، عَلِيْمٌ مَطْلُعُ عَلَى كُلِّ مَا يَصْدِرُ مِنْ عَبَادَهُ مِنْ أَقْوَالٍ وَأَفْعَالٍ وَأَحْوَالٍ،
لَا تَسْخُنُ عَلَيْهِ خَافِيَّهُ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ، فَهُوَ قَرِيبٌ مِنْهُمْ، بَلْ أَقْرَبُ
إِلَيْهِمْ مِنْ نَفْوِهِمْ.

٣ - إِذَا كَانَ اللَّهُ أَقْرَبَ إِلَى عَبَادَهُ مِنْ جَبَلِ الْوَرِيدِ، فَهُوَ يَسْمَعُ كُلَّ
مِنْ نَادَاهُ، وَيَجِيبُ كُلَّ مِنْ دَعَاهُ، وَيَلْبِي نَدَاءَهُ مِنْ يَطْلُبُهُ مِنْ عَبَادَهُ، الَّذِينَ
يَرْجُونَ ثَوَابَهُ، وَيَخْشُونَ عَقَابَهُ، وَيَدْعُونَهُ لِيُعِينَهُمْ عَلَى الطَّاعَةِ، وَيَجِيبُهُمْ إِلَى الْبَرِّ،
وَيَكْشِفُ عَنْهُمُ الْفَضْرَ - قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَدْعُو
بِدَعْوَةِ لِيْسَ فِيهَا إِيمَانٌ وَلَا قَطْعَيْةٌ رَحْمَمْ، إِلَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ بِهَا إِحْدَى ثَلَاثَتِهِ : إِمَّا أَنْ
يَعْجِلَ لَهُ دَعَوَتِهِ، وَإِمَّا أَنْ يَدْخُرَ لَهُ، وَإِمَّا أَنْ يَكْفِيَ عَنْهُ السَّوْءَ بِمَثَلِهَا) .

٤ - وَلَا يَسْتَجِيبُ اللَّهُ دَعَاءَ إِنْسَانٍ يَرْتَكِبُ الْمُحْرَمَاتِ، وَيَخْتَرُ السَّيِّئَاتِ،
وَيَسْتَبِينُ ذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى : (وَإِذَا سَأَلَكُمْ عَبْدٌ) ، فَإِنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ وَتَعَالَى
لَا يُنْسِبُ إِلَيْهِ إِلَّا الَّذِينَ أَطَاعُوهُ، وَاتَّبَعُوا الْحَلَالَ وَاجْتَنَبُوا الْحَرَامَ. فَقَدْ قَالَ رَسُولُ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (الرَّجُلُ يَطْلِيلُ الشِّعْرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمْدُدُ يَدِيهِ إِلَى السَّمَاءِ:
يَارَبُّ، يَارَبُّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَغَذَى بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يَسْتَجِيبُ
لِذَلِكَ؟ ! وَقَيْلٌ لِإِبْرَاهِيمَ بْنِ أَدْهَمَ : مَا بِالنَّاسِ نَدْعُو اللَّهَ فَلَا يَسْتَجِيبُ لَنَا؟ ! قَالَ :
لَا يَنْكُمْ عِرْقَمُ اللَّهِ فَلَمْ تَطِعُوهُ، وَعِرْقَمُ الرَّسُولِ فَلَمْ تَتَّبِعُو سُنْتَهُ، وَعِرْقَمُ الْقُرْآنِ فَلَمْ
تَعْمَلُوا بِهِ، وَأَكْلَمُ نَعْمَ اللَّهِ فَلَمْ تَؤْدُوا شَكْرَهَا، وَعِرْقَمُ الْجَنَّةِ فَلَمْ تَطْلُبُوهَا، وَعِرْقَمُ
النَّارِ فَلَمْ تَهْرُبُوا مِنْهَا، وَعِرْقَمُ الشَّيْطَانِ فَلَمْ تَحْارُبُوهُ وَوَاقْفُمُوهُ، وَعِرْقَمُ الْمَوْتِ
فَلَمْ تَسْتَعِدُوا لَهُ، وَدَفْنَمُ الْأَمْوَاتِ فَلَمْ تَعْتَبُرُوا، وَتَرْكَمُ عِيُوبَكُمْ، وَاشْتَغَلْتُمْ بِعِيُوبِ
النَّاسِ .

٥ - وَحَقٌّ عَلَى عَبَادَ اللَّهِ أَنْ يَحِبُّهُ إِلَى الطَّاعَةِ، وَيَسْتَجِيبُوا إِلَى الْعَمَلِ بِمَا
أَمْرَهُمْ بِهِ، كَمَا أَنَّهُ يَجِيبُهُمْ إِذَا دَعَوهُ، فَيَأْتِيهِمْ بِالْخَيْرِ، وَيَدْفِعُ عَنْهُمُ الْفَضْرَ، وَأَنْ
يَصْدِقُوا فِي الإِيمَانِ بِاللَّهِ، لَكِي يَرْشِدُهُمْ إِلَى الْخَيْرِ، وَيَهْدِهِمُ الطَّرِيقَ الْمُسْتَقِيمَ.

(١٢)

أَحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ ، هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ
وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ ، عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ ، فَتَابَ
عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ ، فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ
لَكُمْ ، وَكُلُّوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَيْمَضُ مِنَ
الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ، ثُمَّ أَتَمُوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيلِ ، وَلَا
تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ ، تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا
تَقْرَبُوهَا ، كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ ، لَعَلَّهُمْ يَتَقَوَّنَ . وَلَا
تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ يَنْهَاكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُذَلُّوا بِهَا إِلَى الْحُكَمَاءِ ،
لِتَأْكُلُوا فِرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْأَثْمِ ، وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
ليلة الصيام	كل ليلة يصبح الإنسان بعدها صائمًا .
الرفث إلى نسائكم	الاستمتاع بنسائكم .
هن لباس لكم	هن يخالطنكم ويتصلن بكم ، اتصال الثوب بالجسد .

شرحها	الألفاظ
<p style="text-align: center;">٧١</p> <p>{ وأنتم تغالطونهن وتتصلون بهن ، اتصال الثوب ببالجسد . }</p>	<p>وأنتم لباس هن</p>
<p>{ تخونون أنفسكم ، فتظلمونها بتعریضها للعقاب ، وتقنيص حظها من الثواب . }</p>	<p>تخنانون أنفسكم</p>
<p>خفف عنكم . محما عنكم إثم مخالفتكم لما نهاكم عنه . استمتعوا بهن .</p>	<p>فتاح عليكم وعفا عنكم باشر وهن</p>
<p>{ واطلبوا ما أحل الله لكم منهن . البياض الممتد كالخيط في صفحة الأفق عرضاً ، عند طلوع الفجر . }</p>	<p>وابتغوا ما كتب الله لكم الخيط الأبيض</p>
<p>{ السواد الممتد كالخيط في صفحة الأفق ، قبيل نهاية الليل . }</p>	<p>الخيط الأسود</p>
<p>صوموا كل النهار ، حتى يجيء الليل فأفطروا . معتكفون في المساجد ، والاعتكاف : أن يمكن الإنسان في المسجد مدة ، مع نية التعبد والتقرب إلى الله .</p>	<p>أتموا الصيام إلى الليل عاكفون في المساجد</p>
<p>هذا ما حرمته الله عليكم ، وما منهاكم عنه . لا تقتربوا من هذه الحرمات حتى لا تقعوا فيها . لا يأخذ بعضكم أموال بعض ، ويستول علىها . بطريق غير حلال ، كالسرقة والغصب . ولا تلقوا بأمرها إلى الحكم .</p>	<p>تلك حدود الله فلا تقربوها ولا تأكلوا أموالكم بالباطل وتذلو بها إلى الحكم</p>

الألفاظ	شرحها
لتأكلوا فريقاً	لتسنموا بسبب التحاكم . طائفة وجماعة .
بالإثم	بالتمويه على القاضي ، أو بشهادة الزور ، أو بالآيمان الكاذبة ، أو المصالحة مع علمكم بأن المقصى له ظالم ، وأنتم على علم بأنكم على الباطل .
وأنتم تعلمون	

قصة الآية

لما فرض الصيامُ كان المسلمين إذا جاء الليل حل لهم أن يأكلوا ويشربوا ، ويستمتعوا بنسائهم في الليل ، بشرط ألاً يناموا ، وألا يصلوا العشاء الآخرة ، التي يأتي وقتها في الثلث الأخير من الليل ، فإذا ناموا ، أو صلوا العشاء الآخرة ، حُرِمُ عليهم جميع المفترقات من الطعام والشراب والاستمتاع النساء ، حتى تجيء الليلة القابلة .

وقد حدث أن عمر رضي الله عنه بعد أن صلى العشاء الآخرة ، استمتع بزوجته ، فارتكتب ما حُرم عليه ، فندم وبكي واغتسل ، وأخذ يلوم نفسه ، وذهب إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وأخبره بما فعل ، وقال يارسول الله : إني أعتذر إلى الله وإليك من نفسي هذه الخاطئة ، وأسائله التوبة والمغفرة ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : ما كنت جديراً بذلك يا عمر ، أى ما كان يشبعنى لشريك أن يفعل ذلك ، ويخالف ما شئ الله عنه ، فرجع عمر إلى بيته حزينًا كثييرًا .

وعند ذلك قام رجال آخرون ، وأفروا للنبي بأنهم فعلوا مثل الذي فعله عمر ،
بعد أن صَلَّوْا العشاء الآخرة ، أو بعد أن ناموا .

وكان قيسُ بْنُ صِرْمَةَ الْأَنْصَارِيَّ ، يَعْمَلُ فِي النَّحْيَلِ بِالنَّهَارِ وَهُوَ صَائِمٌ ،
حَتَّى أَجْهَدَهُ الْعَمَلُ ، فَلَمَّا انْقَضَ النَّهَارُ وَجَاءَ اللَّيلُ ، وَأَحْلَّ لَهُ أَنْ يَفْطَرُ ،
جَاءَ إِلَيْهِ امْرَأَتُهُ ، فَقَالَ لَهَا : أَعْنَدْكَ طَعَامٌ ؟ قَالَتْ لَا ، وَلَكِنْ أَنْطَلَقُ فَأَطْلَبُ لَكَ
مَا تَأْكُلُهُ ، ثُمَّ ذَهَبَتْ تَبْحَثُ لَهُ عَنْ طَعَامٍ ، فَغَلَبَهُ النَّوْمُ لَشَدَّةِ تَعبِهِ فِي النَّهَارِ ،
فَنَامَ ، فَلَمَّا رَجَعَتْ امْرَأَتُهُ وَمَعَهَا الطَّعَامُ وَجَدَتْهُ نَائِمًا ، فَقَاتَلَتْ فِي إِشْفَاقِ وَحْزَنٍ :
خَيْرَيْهِ لَكَ ، وَلَمْ تَشَأْ أَنْ تَوقظَهُ لَأَنَّهَا تَعْلَمُ أَنَّهُ لَا يَحْلِلُ لَهُ أَنْ يَأْكُلَ ، وَتَرَكَتْهُ نَائِمًا ،
فَلَمَّا طَلَعَ الصُّبْحُ ، ذَهَبَ إِلَى عَمَلِهِ صَائِمًا ، وَاسْتَمْرَرَ فِيهِ حَتَّى انتَصَفَ النَّهَارُ ،
فَأَغْمَى عَلَيْهِ لَشَدَّةِ الْجُوعِ وَالْتَّعبِ ، وَذُكِرَ أَمْرُ هَذَا الرَّجُلِ إِلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

فَكَانَ مَا حَصَلَ مِنْ عُمَرَ ، وَاعْتَرَافُ أَصْحَابِ النَّبِيِّ لَهُ بِأَنَّهُمْ فَعَلُوا مِثْلَ مَا
فَعَلُ ، وَكَانَ أَمْرُ قيسِ هَذَا سَبِيلًا فِي أَنْ يَرْفَقَ اللَّهُ بِعِبَادِهِ ، فَأَحْلَلَ لَهُمْ طَوَالَ لِيَالِي
الصِّيَامِ أَنْ يَأْكُلُوا وَيَشْرُبُوا وَيَسْمَعُوا بِالنِّسَاءِ ، مِنْ أَوَّلِ اللَّيلِ إِلَى الْفَجْرِ وَإِنْ
نَامُوا أَوْ صَلَّوْا العشاء الآخرة ، وَنَزَّلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ .

مجمل المعنى

١ - إنكم تختالطون نساءكم وينغالطونكم ، ويتصالن بكم وتتصالون بهن ،
كما يتصل الثوب بالحسد ، فيصعب عليكم في ليالي الصيام أن تصبروا عنهن ،
وتمنعوا أنفسكم من الاستمتاع بهن ، وهذا فقد أباح الله لكم ما منعكم منه ،
وأنحل لكم ما كان حرمته عليكم ، من الاستمتاع بهن في ليلة الصيام إذا نامتم أو
صليتم العشاء الآخرة .

٢ - وكان الله مطلعاً على ما كان يصدر منكم من خيانة أنفسكم ، وظلمها ، والإساءة إليها ، بتعريفها إلى العقاب ، وتنقيص حظها من الثواب ، بارتکاب ما نهاكم عنه ، من الأكل أو الشرب أو الاستمتاع بالنساء ، بعد النوم أو بعد صلاة العشاء الآخرة ، فخفف عنكم ، وما إثم هذه المعصية عنكم ، وأحل لكم أن تستمتعوا بما أحل لكم من نسائكم ، وأن تأكلوا وتشربوا حتى قبيل طلوع الفجر ، حينما يبدو سواد الليل إلى جانب بياض النهار ؛ فيجب عليكم وقتئذ أن تصوموا ، وأن تمسكونا عن جميع المفترات طول النهار ، حتى تغرب الشمس ، ويحيى الليل ، ثم تفطروا فيه كما تشعرون .

٣ - والاعتكاف من العبادات المستحبة ، وهو أن يمكث الإنسان في المسجد وقتاً بنيمة العبادة ، والقربى إلى الله ، وإذا نوى المسلم الاعتكاف في المسجد مدة ، حرُّ عليه الخروج من المسجد في أثناء المدة التي نوى فيها الاعتكاف إلا لضرورة ، كما حرُّ عليه أن يخرج من المسجد ليستمتع بزوجته ، ثم يعود إلى معتكfe ، فإن هذا حرام ، ومفسد لعبادة الاعتكاف – وكان بعض المسلمين إذا اعتكفوا خرجوا من المسجد في مدة الاعتكاف ، واستمتعوا بنسائهم ، ثم عادوا إلى الاعتكاف في المساجد ، فنهى الله عن ذلك ونزل قوله تعالى : ولا تباشرون وأنتم عاكفون في المساجد .

٤ - وقد بين الله لكم في هذه الآيات الحدود الفاصلة بين الحلال والحرام ، وبين الحق والباطل ، وبهاكم أن تقربوا الحرام ، أو تدنوا من الباطل ، فإن القرب من الحرام أو الباطل ، قد يوقعكم فيه ، والخير لكم أن تبتعدوا عنه ، قال عليه الصلاة والسلام : (إن لكل ملك حمى ، وإن حمى الله محارمه ، فمن رتع حول الحمى يُوشك أن يقع فيه .

قصة عبدان الحضرمي وأمرؤ القيس الكندي

وقد ادعى عبدان الحضرمي على امرئ القيس الكندي (وهو غير امرئ القيس الشاعر) قطعة أرض ، ولم يكن لدى عبدان بينة يثبت بها أن قطعة الأرض له ، وأنكر امرؤ القيس أن قطعة الأرض لعبدان ، وأنكر امرؤ القيس حق المدعى في امتلاك القطعة ، ولما كانت البينة على من ادعى ، والبعين على من أنكر ، فقد حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يحلف امرؤ القيس بأن قطعة الأرض له ، وليست لعبدان ، فهم بأن يحلف ، فقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثناً قليلاً ، أولئك لا خلاق لهم في الآخرة ، ولا يكلمهم الله ، ولا ينظر إليهم يوم القيمة ، ولا يزكيهم ، وهم عذاب أليم ، فارتدع عن البعين ، وسلم الأرض لعبدان ، فنزل قوله تعالى : ولا تأكلوا أموالكم بينك .. .

٦ - من الناس من يستولى على أموال غيره ، ويأخذها ظلماً ، كما كنا نرى ما يفعله بعض الأقوياء بالضعفاء ، حينما يصبح الضعيفُ فيرَى أن قطعة أرضه الصغيرة قد ضُمِّت إلى مزارع القوى الفسيحة ، وأن الحد والمعلم التي كانت تحجز بين أرضيهما وتميزهما قد أزيلت ، وصار الضعيف لا أرض له ولا مأوى ، ولا يجد له حيلة في أن يسترد أرضه ، ولا قوة له في أن يخاطب القوى أو يقاضيه ، ومن الأقوياء من يفعل غير ذلك ، فيضايق الضعيف في سقى أرضه وزرعها ، ليضطر إلى تركها له ، ومنهم من يتلمس سبيل آخر غير ذلك ، ليأخذ أموال الناس بطريق غير حلال .

ومنهم من يتخذ التحاكم والقاضي وسيلة لأخذ أموال الناس بطريق آثمة ، فيلق بقضية باطلة أمام الحكم ، ويستعين على أن يلبس الباطل أمامهم ثوب الحق ، فيوكِل بعض المحامين مثلاً فيصطنعون حجاجاً وبينات ما أنزل الله بها

من سلطان ، أو ياجئون إلى بعض من لا أخلاق لهم ، فيشهدونَ الزُّورَ أمامَ
القضاة ، أو يحلفونَ أيماناً كاذبة ، أو يقبلونَ المصالحة على بعض المال المتراضيَّ
عليه ، وهم يعلمونَ أنهم ظالمون ، وليسَ أقبحُ ممْن يُسْتَوِي على حقوق غيره باطلاً
وظلماً ، وهو يعلمُ أنه من الظالمين الباطلين .

٧ — لقد نهى الله هؤلاء وهؤلاء عن اتباع الباطل ، في أي صورة من صوره ،
وارتكاب الإثم والعصيان ، بما يُدْخلون على الحكام من كذب وزُور ، حتى
يسُتولوا بأحكامهم على بعض أموال الناس . وقد روى أن خصمين اختصما إلى
النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : إنما أنا بشر مثلكم ، وأنتم تختصمون إلى ،
ولعل بعضكم أحنُ بحجه - (أى أنهما وأفطنُ بهامن غيره ، يصرّفها إلى أي
وجه شاء) - فأقضى له على نحو ما أسمع منه ، فلن قضي له بشيء من حق
أخيه ، فإنما أقضى له قطعة من نار ، فبكيا . وقال كلُّ واحدٍ منها : حق
لصاحبِي ، فقال : اذهبوا فوختيَا ، ثم استهِما ، ثم ليُحلِّلْ كلُّ واحدٍ منكما
صاحبَه .

(١٣)

يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلَةِ ، قُلْ : هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجَّ ،
وَلَيْسَ النَّبْرُ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا ، وَلَكِنَّ النَّبْرَ مِنْ
اَتَقَ ، وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَاهَا ، وَاتَّقُوا اللَّهَ ، لَمَلَكُكُمْ تُفْلِحُونَ .
وَقَاتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ ، وَلَا تَعْتَدُوا ، إِنَّ اللَّهَ
لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ . وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ مَقْفُومُهُمْ ، وَأَخْرُجُوهُمْ
مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ، وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ القَتْلِ ، وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ
عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ ، إِنَّمَا قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ
كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ . إِنَّمَا هُوَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ .
وَقَاتَلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ ، وَيَكُونُ الدِّينُ لِلَّهِ ، إِنَّمَا هُوَ
فَلَا عُذْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ . الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ ،
وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ ، فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِعِظَلٍ
مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ ، وَاتَّقُوا اللَّهَ ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ .
وَأَنْفَقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ، وَأَخْسِنُوا
إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
يسألونك من الأهلة	{ يسألونك عن سبب ظهور الهلال صغيراً كان حيث ثم يكبر إلى أن يصير كالقرص . }
مواقف الناس	{ علامات تبين الأوقات التي تتعلق بمصالح الناس في حياتهم : كالزراعة والتجارة والمعاملات ، أو تتعلق بأمور الدين : كالصوم والفطر . }
والحج	{ ويعرف بها الناس الأوقات التي يؤدون فيها مناسك الحج . }
بأن تأتوا البيوت من ظهورها	بأن تنبقوها وتدخلوها من غير أبوابها .
تفلحون	تفوزون في الدنيا والآخرة .
وقاتلوا في سبيل الله	{ قاتلوا لإعلاء كلمة الله وإعزاز دينه ، وإقامة شرائعه . }
شققتهموهم	ظفرتم بهم ، ووجدتموهم .
أخرجوهم من حيث أخرجوكم	{ أخرجوهم من مكة بعد فتحها ، كما أخرجوكم منها مهاجرين . }
والفتنة	الشرك بالله
أشدُّ من القتل	{ أعظم من قتالهم في الحرم ، وفي الأشهر الحرم . }
حتى لا تكون فتنة	{ حتى لا يفتّن المسلمين عن دينهم ، بالقتل أو التعذيب . }
ويكون الدين لله	وخلص العبادة لله ، فلا يعبد أحد سواه .

شرحها	الأنفاظ
{ فإن رجعوا عن الشرك وعبادة الأصنام ، ودخلوا في الإسلام . }	فإن انتهوا
{ كما قاتلوكم في الشهر الحرام قاتلوكم في شهر حرام مثله ، ردًا لاعتدائهم . }	الشهر الحرام بالشهر الحرام
{ جمع حرمة ، وهي ما يمتنع اتهاكه ، ويجب احترامه مساواة . }	حرمات قصاص
{ اقتصوا منهم ، فانتهكوا من حرماتهم بمثل ما انتهكوا من حرماتكم . }	والحرمات قصاص
{ أنفقوا أموالكم في الطاعة والجهاد . }	وأنفقوا في سبيل الله
{ لا توقعوا أنفسكم في الهلاك بالشح بمال ، والقعود عن الجهاد ، فيطمع فيكم عدوكم فيهملكم . }	ولا تلقوا بأيديكم إلى التلكرة

مجمل المعنى

١ - سأله معاذ بن جبل ، وثعلبة بن غنم الأنصاري ، رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما بال الحلال يبدو دقيقاً مثل الخيط ، ثم يزيد حتى يستوي ويستدير ، ثم ينتقص حتى يعود كما كان ، فنزلت هذه الآية مبينة حكمة الله في زيادة القمر ونقصانه ، وظهوره واستخفائه كل شهر ، فإن في هذا التغير الكوني فوائد للناس ، في دنياهم ودينه ، لأن الحلال لو بقي على حال واحد ، ما حصل التوفيق ، على أن الناس أخذوا من أوضاعه المختلفة أوقاتاً يحددون بها الآجال في الديون والمعاملات ، ويقدرون على حسبها الأعمال ، ويعرفون بها مواعيد الصوم والفتر ومناسك الحج ، ومدة الحمل والرضاع ، وغير ذلك

وليس من شك في أن لمنازل الكواكب أثراً عظيماً في حياة أمة بدوية ، ليس لها حظ كبير من العلم والمعرفة .

٢ - وفي إجابة السائلين بذكر الفوائد التي تعود عليهم ، من اختلاف وجه القمر كل شهر ، دون تعرّض إلى بيان الأسباب الكونية ، كالحادبية العامة بين الكواكب ، ودوران القمر حول الأرض ، وغير ذلك مما ترتب عليه ظهور القمر كل شهر في هذه الأوضاع - تعلم ربانى ، بأن الأمة في حياتها الفطرية ، والإنسان إذا كان قليل الحظ من الثقافة والعلم ، ينبغي أن يتبصر أولاً بما هو مرتبط بشؤون الحياة ، وما هو واقع في مدار الحسن والنظر والتجربة .

٣ - كان من عادة الأنصار إذا أخرّموا بالحج أو العمرة يلتزمون ألا يحول بينهم وبين السماء حائل ، وحرّموا على أنفسهم أن يأتوا حائطاً (بستانًا) أو بيته أو داراً من الباب ، فإن كان أحد هم من أهل المدرّ ، أي من يقيمون في المدينة ويتحلّون البيوت مساكن لهم ، نقب في ظهر بيته نقباً يخرج منه ويدخل ، أو ينصب سلمًا يصعد فيه داخل البيت وخارجها ، وإن كان من أهل الوير ، أي من يسكنون الخيمة والفضاط ، خرج من خلف الخيمة أو الفساط ، وكان لا يجوز لأحد منهم أن يدخل أو يخرج من الباب ، حتى يؤدى المناسب ويتحلّ من الإحرام ، وكانوا يرّون ذلك برأ وخيّراً ، وعبادة تقربهم من الله ، وحافظ الأنصار على هذه العادة زمن الحاكمية وفي بدء الإسلام ، وكان بعض قبائل العرب يطلق عليها : الحُمْسُ وهي التي لا تأخذ بهذه العادة ، ومنها قريش وكناة وخزاعة وتفيق - ولم ينكر النبي صلى الله عليه وسلم على الأنصار عادتهم تلك ، وقد حدث أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل من الباب ، ودخل خلفه رجل من الأنصار ، وخرق عادة قومه ، فقال له النبي : لم دخلت وأنت قد أحضرت ؟ قال دخلت أنت فدخلت وراءك . فقال له النبي صلى الله عليه وسلم إني أحمس ، أي من القبائل التي لا تلزم نفسها بهذه العادة ، ولا ترى فيها برأ

وَخِيرًا، فَقَالَ الرَّجُلُ: وَأَنَا دِينِي دِينُكَ، فَنَزَّلَتْ آيَةً: وَلَيْسَ الْبَرُ بِأَنْ تَأْتِيَ الْبَيْوتَ
مِنْ ظَهُورِهَا؛ وَبِنَهِ اللَّهِ عَلَى أَنْ هَذِهِ الْعَادَةَ لَيْسَ فِيهَا شَيْءٌ مِنَ الْبَرِ وَالْخِيرِ،
وَلَا مَعْنَى لِلْتَّمَسْكِ بِهَا وَبِقَائِمِهَا، إِنَّمَا الْبَرُ الْحَقُّ، وَالْخِيرُ الْمُحْضُ، هُوَ الْعَمَلُ
الصَّالِحُ مَقْرُونًا بِتَقْوَى اللَّهِ، وَامْتَشَالُ أَوْامِرِهِ، وَاجْتِنَابُ نُواحِيهِ، وَارْتِقَابُ ثَوَابِهِ،
وَخَوْفُ عَقَابِهِ. فَعَلَيْكُمْ أَنْ تَرَاقِبُوهُ، وَتَقْصِدُوا بِأَعْمَالِكُمْ وَجْهَهُ رَاجِينَ مِنْهُ الْفَلاحَ
وَالْفَوْزَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ.

٤ - لَمْ تَقُوْ شَوَّكَةُ الْمُسْلِمِينَ قَبْلَ الْهِجْرَةِ، فَكَانَ القِتَالُ مُحَظَّرًا عَلَى
الْمُسْلِمِينَ، لَأَنَّ قُوَّتَهُمْ وَقُوَّةُ أَعْدَاءِهِمْ غَيْرُ مُتَكَافِئَةٌ، وَكَانَ دُسْتُورُ الدِّعَوَةِ إِذْ
ذَاكَ: ادْفُعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ؟ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ؟ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَيْلاً.

فَلَمَّا هَاجَرَ النَّبِيُّ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَقَوَيْتَ شَوَّكَةَ الْمُسْلِمِينَ، خَرَجَ مَعَ أَصْحَابِهِ
إِلَى مَكَّةَ لِلْعُمْرَةِ، فَنَزَّلَ الْحَدِيبِيَّةَ قَرْبَ مَكَّةَ - وَالْحَدِيبِيَّةُ اسْمُ بَئْرٍ، فَسُمِّيَ ذَلِكَ
الْمَوْضِعُ بِاسْمِ تَلِكَ الْبَئْرِ - فَصَدَّهُ الْمُشَرُّكُونَ عَنِ الْبَيْتِ الْحَرَامِ، وَكَانَ ذَلِكَ عَامٌ
سَتَّ مِنَ الْهِجْرَةِ، وَأَقَامَ بِالْحَدِيبِيَّةِ شَهْرًا، فَصَالَهُ كُفَّارٌ قَرِيشٌ عَلَى أَنْ يَرْجِعُ
مِنْ عَامِهِ ذَلِكَ كَمَا جَاءَ، عَلَى أَنْ تَخْلِيَ لَهُ مَكَّةَ فِي الْعَامِ الْقَابِلِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، وَأَلَا
يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنِهِمْ قَتَالٌ عَشَرَ سَنِينَ، فَرَجَعَ النَّبِيُّ وَأَصْحَابُهُ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَلَمَّا كَانَ
الْعَامُ الْقَابِلُ تَجَهَّزَ النَّبِيُّ وَأَصْحَابُهُ لِعُمْرَةِ الْقِضَاءِ.

وَخَافَ الْمُسْلِمُونَ غَدْرَ الْكُفَّارِ، وَكَرِهُوا القِتَالَ فِي الْحَرَامِ، وَفِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ،
فَنَزَّلَتْ آيَةً: وَقَاتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَقْاتَلُونَكُمْ، فَكَانَتْ أَوَّلْ آيَةً نَزَّلَتْ فِي
الْأَمْرِ بِالْقِتَالِ، وَأَحْلَّ اللَّهُ لِلْمُسْلِمِينَ أَنْ يَقْاتَلُوا الْمُشَرُّكِينَ إِذَا قَاتَلُوهُمْ، وَلَوْ كَانُوا
فِي الْحَرَامِ أَوْ الشَّهْرِ الْحَرَامِ، وَصَارَ حَقًّا عَلَى الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَقْاتَلُوا مَنْ يَنْاجِيُوهُمْ
الْقِتَالَ، وَيَبْدُوُهُمْ بِهِ، وَأَنْ يَقْاتَلُوا فِي سَبِيلٍ إِلَاعَلَاءٍ كَلْمَةَ اللَّهِ، وَإِعْزَازِ دِينِهِ،
وَإِقَامَةِ شَرَائِعِهِ، وَأَنْ يَكْفُوا عَنْ قَتْلِ مَنْ لَيْسُوا أَهْلًا لِلْقِتَالِ، وَمَنْ لَيْسَ لَهُ قَدْرَةً

عليه ، ومن لا يقع منهم أذى للمسلمين ، كالنساء والصبيان ، والشيوخ والرهبان ، فقد نهى الله عن الاعتداء عليهم ، وأعلن بغضه وعدم حبه لمن يعتدون على الضعفاء الذين لا يقاتلون ، ولا يسبون أذى للمسلمين ؛ وقد نهى أبو بكر يزيد ابن أبي سفيان عن قتل هؤلاء ، وعن تحرير العامر ، وذبح الشاة والبقر لغير مأكل ، وإفساد شجرة مشمرة بحرق أو غيره .

٥ - عليكم أهـا المسلمين أن تقتلوا من يقاتلـكم من المشركـين حيث لقيتهمـهم ، وظفرتمـ بهـم ، سواء أكانـ القتـالـ فيـ الحـلـ أمـ الحـرـامـ ، فيـ الأـشـهـرـ الحـرـامـ أمـ فيـ غـيرـهاـ ، وأـخـرـجـوهـمـ منـ مـكـةـ بـعـدـ أـنـ قـوـيـ أـمـرـكـمـ ، وـاشـتـدـ أـزـرـكـمـ ، كـماـ أـخـرـجـوكـمـ مـنـ هـاـ مـهـاجـرـيـنـ ، وـإـنـ بـقـاءـهـمـ عـلـىـ الشـرـكـ وـهـمـ فـيـ الحـرـامـ وـصـدـهـمـ لـكـمـ عـنـهـ ، أـشـدـ مـنـ قـتـلـكـمـ إـيـاهـمـ فـيـهـ ، وـلـاـ تـكـوـنـواـ وـأـنـمـ عـنـدـ الـمـسـجـدـ الـحـرـامـ الـبـادـئـينـ بـقـاتـلـهـمـ اـحـتـرـاماـ لـهـ ، فـإـنـ هـتـكـواـ حـرـمـةـ الـمـسـجـدـ الـحـرـامـ ، وـبـادـعـوكـمـ بـالـقـتـالـ فـيـهـ ، فـقـاتـلـهـمـ وـاقـتـلـهـمـ ، وـلـاـ تـبـالـواـ بـقـاتـلـهـمـ فـيـهـ ، فـإـنـهـمـ هـمـ الـذـيـنـ هـتـكـواـ حـرـمـتـهـ ، فـاستـحـقـواـ عـذـابـ اللهـ ، وـاسـتـحـقـواـ أـنـ تـنـكـلـواـ بـهـمـ ، وـأـنـ تـجـازـواـ الـكـافـرـيـنـ بـمـثـلـ مـاـ فـعـلـوـ بـكـمـ ؛ فـإـنـ رـجـعواـ عـنـ الـكـفـرـ ، وـكـفـواـ عـنـ الـقـتـالـ ، فـإـنـ اللهـ يـقـبـلـهـمـ فـيـ عـبـادـهـ الـصـالـحـيـنـ ، وـيـغـفـرـ لـهـمـ مـاـ قـدـ سـلـفـ مـنـ سـيـئـهـمـ ، وـيـدـخـلـهـمـ فـيـ رـحـمـتـهـ .

٦ - اـقـتـلـواـ الـمـشـرـكـيـنـ كـافـةـ حـتـىـ تـقـضـواـ عـلـىـ عـبـادـةـ الـأـصـنـامـ ، وـتـرـوـلـ الـفـتـنـةـ ، وـيـذـهـبـ الشـرـكـ ، وـيـصـيـرـ الدـيـنـ خـالـصـاـ لـلـهـ ، وـلـاـ يـكـوـنـ لـلـشـيـطـانـ فـيـ نـصـيبـ ، فـإـنـ رـجـعواـ عـنـ شـرـكـهـمـ ، وـكـفـواـ عـنـ قـتـالـهـمـ ، فـكـفـواـ عـنـ قـتـالـهـمـ ، وـلـاـ تـعـتـدـواـ عـلـيـهـمـ ، فـإـنـ اـعـتـدـيـمـ عـلـيـهـمـ ، كـمـنـ أـنـتـمـ الـظـالـمـيـنـ .

٧ - وـكـانـ الـمـشـرـكـونـ قـدـ قـاتـلـواـ الـمـسـلـمـيـنـ فـيـ عـامـ الـحـدـيـثـيـةـ فـيـ ذـيـ الـقـعـدـةـ ، وـهـوـ شـهـرـ حـرـامـ لـاـ يـحـلـ الـقـتـالـ فـيـهـ ، فـلـمـ خـرـجـ الـمـسـلـمـيـنـ فـيـ عـامـ التـالـيـ فـيـ عـمـرـةـ الـقـضـاءـ فـيـ ذـيـ الـقـعـدـةـ أـيـضـاـ ، كـانـواـ كـارـهـيـنـ لـلـقـتـالـ فـيـهـ ، فـقـيـلـ لـهـمـ هـذـاـ الشـهـرـ

الحرام الذى خرجم فيه للعمره ، بالشهر الحرام السابق الذى صدّوكم فيه عن المسجد الحرام ، فلكم أن تقاتلوهم فيه كما قاتلوكم فيه ، ولا تبالوا أن تهتكوا بالقتال ، كما هتکوه بالقتال ، وافعلوا بهم مثل ما فعلوا بكم ، وانهكوا من حُرُمَاتِهِم مثل ما انتهكوا من حرماتكم ، اقتلواهم إن قاتلوكم ، فعدُوانْ بعدوان ، واقوا الله إذا نصركم على أعدائكم ، ولا تعتمدوا فيما لم يرخص لكم أن تفعلوه ، لأن الله يحب عباده المتقين ، فيحرسهم ، ويصلح شأنهم بالنصر والتكمين .

٨ - وليس ما يجب على المسلمين هو القتال فحسب ، ولكن عليهم الجهاد بالنفس والمال ، فعليكم أن تنفقوا أموالكم في الإعداد للقتال والجهاد ، وإياكم أن تقبضوا أيديكم عن الإنفاق ، فيطمع فيكم العدو ، ولا توقدوا أنفسكم في الهلاك ، بالكف عن الجهاد ، والإنفاق في سبيله ، فإن ذلك يقوى العدو ، ويسلطهم على إهلاكم ، ولذلك قيل : إن الاستعداد للحرب ، مما يمنع الحرب وأحسنتوا أخلاقكم وأعمالكم ، فإن الله يحب المحسنين ، ويزيد لهم الخير .

(١٤)

وَأَتَمُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ، فَإِنْ أَخْصَرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ
الْهَدْنِي ، وَلَا تَحْلِقُوا رُؤُسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْنِي مُحَلَّهُ ، فَمَنْ كَانَ
مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذْنِي مِنْ رَأْسِهِ ، فَفَدِيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ
أَوْ نُسُكٍ ، فَإِذَا أَمْنَتُمْ ، فَمَنْ تَمَّسَّ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجَّ ، فَمَا
اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْنِي ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامًا ثَلَاثَةً أَيَّامٍ فِي الْحَجَّ
وَسَبْعَةً إِذَا رَجَعْتُمْ ، تَلْكُلَتْ عَشَرَةً كَامِلَةً ، ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلَهُ
حَاضِرٍ الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ ، وَاتَّقُوا اللَّهَ ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ
الْعِقَابِ . الْحَجَّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ ، فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ
وَلَا فُسُوقٌ وَلَا جِدَالٌ فِي الْحَجَّ ، وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ
وَتَرَوَدُوا ، فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى ، وَاتَّقُونِ يَا أُولَى الْأَنْبَابِ .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
أَحْصَرْتُمْ	مُسْتَعْتَمْ من أداء النسك بعد الإحرام .
اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْنِي	تيسِيرَ لِمَنْ هُدِيَ عَلَى حَسْبِ حَالِهِ، بَدْنَةً أَوْ بَقْرَةً أَوْ شَاهَةً .

شرحها	الألفاظ
<p>ولا تتحلوا من الإحرام بحلق رءوسكم . حتى يصل المدى إلى محله ، وهو الحرم . في رأسه أذى من هوام ، أو التهاب ، أو صداع يشتد ببقاء الشعر ، فحلق رأسه .</p> <p>فعليه أن يفدي ، إما بصيام ثلاثة أيام ، أو بالتصدق بثلاثة صيغان من غالب قوت البلد ، على ستة مساكين .</p> <p>أو ذبح شاة .</p>	<p>ولا تحلقوا رءوسكم حتى يبلغ المدى محله به أذى من رأسه فقدية من صيام أو صدقة</p> <p>أو نُسك</p>
<p>إذا كنتم في أمان ، ولم يمنعكم مانع من عنبر أو مرض .</p>	<p>فإذا أمنتم فإن تمتع بالعمرمة إلى الحج</p>
<p>فهن نوى الإحرام بالعمرمة ، مع الإحرام بالحج . فعليه المدى الذي تيسر له من الإبل أو البقر أو الغنم .</p>	<p>فإن لم يجده . فما استيسر من المدى</p>
<p>فهن لم يجد البدنة أو البقرة أو الشاة ، لعدم وجودها أو لعجزه عن دفع ثمنها .</p>	<p>فإن لم يجده .</p>
<p>فعليه أن يصوم ثلاثة أيام وهو محروم بالحج .</p>	<p>فصيام ثلاثة أيام في الحج</p>
<p>وصيام سبعة أيام ، إذا فرغتم من أعمال الحج ، ورجعتم إلى وطنكم .</p>	<p>واسعة إذا رجعتم ذلك</p>
<p>الحكم المذكور من وجوب المدى ، أو الصيام على من تمتع .</p>	<p>من يكن أهله حاضري المسجد الحرام</p>
<p>لمن لم يكن مستوطناً مكة أو ضواحيها .</p>	<p>37 ()</p>

الألفاظ	شرحها
أشهر معلومات	شوالٌ وذو القعدة ، وعشرين ليال من ذي الحجة . فمن نوى الحج وأحرم به في هذه الأشهر ، فقد ألزم نفسه بشعائره .
فنَّ فرض فيهن الحج	فلا يحل له الاستمتاع بأمرأته . الفسوق : جمِيع ما نهى الله عنه في الحج وفي غيره . المجادلة والمخاصلة الشديدة ، والماراة المغضبة ، والسباب .
فلا رَفَثَ	وما تقدمو من صدقة .
ولا فسُوقَ	{ خلوا معكم ما يكفيكم من الزاد ، حتى لا تكونوا كَلَّاً على أهل هذه البلاد .
جدَّال	{ هو ما يستصحبه الإنسان في السفر من مأكل ومشرب وملبس ومركب . العقل .
وَزْرُ وَدْوَا	
الزاد	
الأَلْبَاب	

مُجملُ المعنى

الحج والعمرة من شعائر الدين ، فرض الله عليكم أيها المسلمين أن تؤدوا جميع مناسكهما ابتعاء وجه الله ، لا يشوبها غرض من أغراض الدنيا ، كالظهور أو التفاخر والرياء ، وأن تؤدوها مستجتمعين كل الشروط والأركان .

١ - وأول ما يجب عليكم من شعائرهما الإحرام بهما من الميقات ، وهو المكان المعين للإحرام ، فإذا نويم الإحرام ، ثم أحصرتم ، ومنتم من أداء بقية المنسك ، كأن يحول بينكم وبين أدائها عنز ، كما وقع عام الحديبية ، حين

صدَّ المشركون النبيَّ ومنعوه من دخول مكة بعد أن أحرم بها ، وكأنَّ أصحابَ الإنسانَ مرض ، أو مات زوجُ المرأة أو محْرِمها المرافقُ لها ، فلهم أن تتحلوا من هذا الإحرام ، وعليكم الهدىُّ الذي يتيسر لكم ، وهو أن تذبحوا شاة في المكان الذي أحصرتم فيه ، وترسلوها إلى الحرم ليأكُلها مساكينة ، ولهم أن ترسلوا ثمنَ الهدى ليشتري في الحرم ويدبّح فيه ، ولكنكم أن ترسلوه حياً إلى الحرم ويدبّح هناك ، ولا يحلُّ لكم أن تتحلوا من محظورات الإحرام ، كحلق الرأس مثلاً إذا أحصرتم ، حتى تعلموا أن الهدىُّ الذي قدمتموه قد وصل محله ، وهو الحرم .

٢ - محظور عليكم إذا كنتم محربين ، أن تزيلوا شعراً من رعوискكم أو وجوهكم ، أو من أي جزء من أجزاء الجسم ، فإن هذا مظهر من مظاهر الرفاهية والزينة والتجميل ، وهي أمور لا تناسب الحاجَّ الذي ينبغي أن يقصد إلى بيت الله أشعثَ أغبرَ ، لكن إذا كان برعوискكم ، أو في أي موضع من منابت الشعر ، قروح أو صداع أو أذى ، وينشى الضررُ معبقاء الشعر ، فقد رخص الله لكم أن تزيلوه ؛ وعليكم فديةٌ واحدة من ثلاثة ، أنتم مخيرون فيها : إما صيام ثلاثة أيام ، وإما أن تتصدقوا بما يكفي لإطعام ستة مساكين يوماً كاملاً ، وإما أن تقدموا نسكاً ، أي تذبحوا شاة ، أو تتصدقوا بثمنها على مساكين الحرم .

٣ - فإذا أتيتم من العدو ، أو برئتم من المرض ، ولم يمنعكم مانع من أداء المناسك ، وتمتعتم بأداء فريضة العمرة والحج بسفر واحد ، وباستمتاعكم بالإحلال بين العمرة والحج ، فعليكم الهدىُّ الذي يتيسر لكم ؛ والهدىُّ هو ما يهدى من النعم للحرم ، وهو من الإبل والبقر والغنم ، وهي على هذا الترتيب في الأفضلية ، فإذا لم تجدوا الهدىُّ لعدم وجوده ، أو للعجز عن ثمنه ، فعليكم صيام عشرة أيام كاملة ، ثلاثة منها في أثناء الحج ، وسبعة إذا رجعتم إلى بلدكم بعد إتمام الحج - وإنما تجب فدية المتع على غير سكان البيت الحرام ، والمقصودُ بهم سكانُ مكة وضواحيها - والمقصود بالتعتُّع ، أن يُحرِم الإنسان بالعمرَة أولاً ،

بحيث يؤدى بعض مناسكها ، ولو ركناً واحداً في أشهر الحج ثم يحجُ في العام نفسه ، واتقوا الله ، ولا تتعدوا ما بيَّنَ الله لكم من حدود ، فإن تعديتموها ، فاعلموا أن الله شديد العقاب .

٤ - وليس للعمرة وقت مخصوص تؤدى فيه ، فيمكن أداؤها في جميع أيام السنة ، أما الحج فلا يؤدى إلا في أشهر معلومات محددة ، وهى شوال وذو القعدة وعشرين ليل من ذى الحجة ، فمن عزم على الحج ، وألزم نفسه به ، ونوى الإحرام ، فعليه أن يؤدىه خالصاً لله ، وليجرد نفسه من المعاصي ، ولبياعد بينها وبين الشهوات ، وليؤيد الحج تقىياً تقىياً ، كيوم ولادته أمه ، لأن الحكمة من الحج هى اجتماع المسلمين من مشارق الأرض ومغاربها لله ، وفي بيت الله ، متجردين من نعيم الدنيا وزينة الحياة ، طائعين مخلصين لله ، لا تتزع نفوسهم إلى الشهوات ، ولا يُميز بينهم اختلاف الملبس ، وتبان المظهر ، ولهذا فلا يجوز لهم أن يستمتعوا بنسائهم ، وقد أحل الله لهم أن يستمتعوا بهن في غير الحج ، ولا يجوز لهم أن يأتوا بمعصية مما حرم الله عليهم ، في وقت الحج أو في غيره ، وإذا كان الله يعاقب على المعصية في أى حال ، فإنه شديد العقاب ، شديد الغضب على من يعصيه في الحج ؛ فلا ينبغي لعباده أن يفعلوا ما نهاهم عنه في الحج ، من التنعم والترفة ، كحلق الشعر ، وقص الظفر ، والتطيب ، فضلاً عن المعاصي التي حرمتها عليهم في كل وقت ، وفي كل حال ، ولا يجوز لهم متجهون إلى الله ، أن يصدر منهم جدال ومخا صمات أو سباب ، كما لا يجوز أن تكون منهم مماراة على أشهر الحج أو مناسكها ، فقد عين الله المناسب ، وحدد لهم أوقاتها ؛ قال صلَّى الله عليه وسلم : (والذى نفسي بيده ، ما بين السماء والأرض عملٌ أفضل من الجهاد في سبيل الله ، أو حجَّة مبرورة لا رَفَثَ فيها ولا فسوق ولا جدال) ؛ والمحجَّ المبرور هو الذى لم ترتكب فيه أو بعده معصية ، ومعلوم أن المعاصي محَّمة دائماً ، ولكن الله نبه بمنعها في الحج ، تعظيمها لحرمتها ، لأن في التلبس بالمعاصي

فِي أَيَّامِ الْحِجَّةِ فَجُورًا صَارَخًا ، وَتَحْدِيًّا فَاحْشَاً . وَتَبَّهُ الْآيَةُ عَلَى أَنَّ الْحِجَّةَ هُوَ عَهْدٌ^{*}
بَيْنَ الْعَبْدِ وَخَالِقِهِ ، عَلَى التَّوْبَةِ وَالطَّاعَةِ ، وَالإِقْلَاعِ عَنِ الْإِثْمِ وَالْمُنْكَرِ ، فَيَجِبُ
قَهْرُ الشَّهْوَاتِ بِتَرْكِ الرُّفْثِ ، وَقَهْرُ النَّفْسِ الْأَمَّارَةِ بِالسُّوءِ ، بِإِبعادِهَا عَنِ الْفَسْوَقِ
وَالْمُعَاصِي ، وَقَهْرُ الْعَاطِفَةِ بِتَرْكِ الْجَهَالِ ، لِأَنَّ مِنْشَأَ الشَّرِّ وَمِبْعَثُ الْخَصْوَمَاتِ
مُحَسُّورٌ فِي تِلْكَ النَّوَاحِي الْمُلْتَسَى .

٥— وَمَا دَامَ اللَّهُ قَدْ نَهَاكُمْ فِي الْحِجَّةِ عَنِ الرُّفْثِ وَالْفَسْوَقِ وَالْجَهَالِ ، فَإِنَّهُ تَعَالَى
يَحِشِّكُمْ فِيهِ عَلَى نَقِيقَتِ ذَلِكَ ، وَيُطَلِّبُ أَنْ يَصْدُرُّ مِنْكُمْ فِي الْحِجَّةِ التَّعْقِفُ ،
وَالْكَلَامُ الْحَسَنُ ، وَالْفَعْلُ الْجَمِيلُ ، وَالطَّاعَةُ ، وَالْوَفَاقُ ، وَالْحَلْمُ ، وَسُعَةُ الْصَّدْرِ ،
وَبَنْدُ الْخَصْوَمَاتِ ، إِنْكُمْ إِنْ فَعَلْتُمْ ذَلِكَ ، فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ ، وَيَحْازِيَكُمْ عَلَيْهِ
بِالثَّوَابِ . وَعَلَيْكُمْ أَنْ تَزَوَّدُوا بِالطَّعَامِ وَالشَّرَابِ ، وَالْمَرْكَبِ وَالْمَالِ ، لِسَفَرِ الْعِبَادَةِ
وَالْمَعَاشِ وَيَتَقَوَّى اللَّهُ وَطَاعَتْهُ ، لِسَفَرِ الْآخِرَةِ ، وَهَذَا خَيْرٌ زَادُ . ذَلِكَ الْإِنْسَانُ فِي
الْدُّنْيَا ، يَنْبَغِي أَنْ يَحْمِلَ عَبْءَ نَفْسِهِ ، وَلَا يَكُونَ كَلَّاً عَلَى غَيْرِهِ ، أَمَّا فِي الْآخِرَةِ
فَإِنَّ عَمَلَ صَالِحًا فَلَنْفَسِهِ ، وَإِنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ؛ هَذَا قَانُونُ الْحَقِّ وَالْعَدْلِ الإِلهِيِّ ،
فَعَلَيْكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا بِهِ ، وَتَتَقَوَّلُوا اللَّهَ يَا أَوْلَى الْأَلْبَابِ ، وَأَصْحَابَ الْعُقُولِ السَّلِيمَةِ ،
وَالْبَصَائِرُ الْحَكِيمَةُ ؛ وَقَدْ كَانَ نَاسٌ مِنَ الْيَمِنِ يَحْجُجُونَ بِغَيْرِ زَادٍ ، وَيَقُولُونَ: نَحْنُ
ذَاهِبُونَ إِلَى حَجَّ بَيْتِ اللَّهِ، أَفَلَا يَطْعَمُنَا؟ فَإِذَا ذَاهَبُوا صَارُوا كَلَّاً عَلَى أَهْلِ بَيْتِ
اللَّهِ الْحَرَامِ، وَهُمْ قَوْمٌ فَقِيرٌ ، مُحْتَاجُونَ إِلَى الْمَعْوَنَةِ وَالصَّدَقَةِ ، وَرَبِّمَا ظَلَمُوا وَغَصَبُوا،
فَأَمْرَهُمُ اللَّهُ أَنْ يَأْخُذُوا الزَّادَ لِسَفَرِهِ ، وَلَا يَظْلَمُوا وَلَا يَغْتَصِبُوا ، وَأَنْ يَعْتَمِدُوا عَلَى
أَنْفُسِهِمْ ، وَلَا يَكُونُوا كَلَّاً عَلَى غَيْرِهِمْ ، وَنَزَّلَ قَوْلُهُ تَعَالَى: « وَتَزَوَّدُوا ، فَإِنَّ خَيْرَ
الْزَّادِ التَّقْوَى » .

(١٥)

لِيَسْ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْقُعُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ، فَإِذَا أَفَضْتُمْ
مِنْ عَرَفَاتٍ فَإِذَا كُرُوا اللَّهُ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ، وَإِذَا كُرُوهُ كَمَا
هَدَاهُمْ، وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ
أَفَاضَ النَّاسُ، وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ، إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ. فَإِذَا قَضَيْتُمْ
مَنَاسِكُكُمْ فَإِذَا كُرُوا اللَّهُ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَ ذِكْرًا، فَمِنْ
النَّاسِ مَنْ يَقُولُ : رَبَّنَا آتَنَا فِي الدُّنْيَا، وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ.
وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ : رَبَّنَا آتَنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً ،
وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ. أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا، وَاللَّهُ سَرِيعُ
الْحِسَابِ. وَإِذَا كُرُوا اللَّهُ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ، فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي
يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ، وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى، وَاتَّقُوا
اللَّهَ، وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ. وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعِجِّلُكَ
قَوْلَهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَيُشَهِّدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ، وَهُوَ أَلَّا
الْخِصَامُ. وَإِذَا تَوَلَّ سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا ، وَيَهْلِكَ

الْحَرَثَ وَالنَّسْلَ ، وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ . وَإِذَا قِيلَ لَهُ : أَتَقِنَ اللَّهَ ،
أَخْدَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِيمَنِ ، فَحَسِبَهُ جَهَنَّمُ ، وَلَيَنْسِيَ الْمِهَادُ . وَمِنْ
النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ ، وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ .

شرح الألفاظ

الأنماط	شرحها
جناح	أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ
أفضض من عرفات	أَنْ تَدْفَعُمُ فِي زَحْمٍ وَكَثْرَةِ مَرْفَاتٍ ، بَعْدَ الْوَقْفِ فِي جَنَاحٍ ذَاهِبِينَ إِلَى الْمَبْيَتِ بِمَزْدَلَفَةٍ ، وَهُوَ مِنْ إِفَاضَةِ الْمَاءِ أَيْ اِنْدِفَاعِهِ بِكَثْرَةِ .
فاذكروا الله عند	فَكَبَرُوا اللَّهُ وَهَلَلُوا بَعْدَ الْمَبْيَتِ بِمَزْدَلَفَةٍ . بِالْقَرْبِ أَوْ مَا يَلِي .
المشعر الحرام	جَبَلٌ فِي آخِرِ المَزْدَلَفَةِ .
واذكروه كما هداكم	وَأَذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاهُمْ
الضالين أفيضوا	الْمُتَأْهِلِينَ الْجَاهِلِينَ عَنِ الإِيمَانِ وَالطَّاعَةِ . قَفُوا بِمَرْفَاتٍ ، كَمَا يَقْفُ جَمِيعُ النَّاسِ .

الألفاظ	شرحها
واستغروا الله فإذا قضيتم مناسككم	اطلبوا من الله المغفرة مما ارتكبتم من الإثم . أديتم عبادات الحج ، من رمي جمرة العقبة ، والطواف والمبيت بمنى . ليس له في الآخرة حظ ونصيب ، لاقتصر همه على الدنيا .
ما له في الآخرة من خلقنا	احفظنا من الشهوات والذنوب المؤدية إلى عذاب النار .
ونقى عذاب النار نصيب ما كسبوا	حظ من الثواب ، لطلب خير في الدنيا والآخرة . يحاسب عباده على كثرةهم في وقت قصير . أيام التشريق الثلاثة التي تتلو يوم عيد النحر . استعجل السفر في مني في ثاني أيام التشريق بعد رمي جماره .
والله سريع الحساب أيام معدودات	شديد الخصم لك يا محمد ، ولأتباعك . تجمعون يوم القيمة للاحساب . تستحسن وترضاه وتميل إليه . انصرف .
فن تعجل في يومين ألد الخصم	حملته الأنفة والحمية بفعل ما يأثم به . الفراس ، والمراد به المترهل والمشوئ .
تحشرون يعجبك قوله	
أتولى أخذته العزة بالإثم	
المهاد	

بِحَمْلِ الْمَعْنَى

١ — كانت عكااظُ ومجنةُ وذو الحجاز أسوقاً للعرب يجتمعون فيها ، يتفاخرون ويتناسدون الشعر ، وبيعون ويشترون ، وكان من عادتهم أن يصيروا بعكااظَ أول يوم من ذى القعدة ، ثم يذهبوا إلى مجنةَ بعد مضى عشرين يوماً من ذى القعدة ، فإذا رأوا هلال ذى الحجة ذهباً من مجنةَ إلى ذى الحجاز ، فلبثوا به ثمانَ ليال ، ثم ذهبا إلى عرفة للحج ، وكانت معايشهم من هذه الأسواق ، فلما جاء الإسلامُ وفرض الحج ، وعيت أيامه ومناسكه ، تأثر الناس فيها ، وتحرّجوا من البيع والشراء ، والتجارة والكراء ، وكانت معايشهم منها ، فنزل قوله تعالى : ليس عليكم جناحٌ أن تتبعوا فضلاً من ربكم ، ورفع عنهم الجناحُ والإثم من كسب الرزق بالتجارة والعمل ، إذا لم يشغلهم عن عبادة الله ، وأداء فريضة الحج .

٢ — وقد فرضَ الله عليكمُ من الأركان التي لا يتمُّ الحج بدونها ، أن تقموا بعرفةَ يومَ عرفة بعد الزوال ، ويستحبُ أن تقفوا بها راكبين إن استطعتم تعظيم لشعائر الله ، وأن تجتمعوا فيها بين صلاتي الظهر والعصر ، فإذا أديتم هذا المنسكَ فاندفعوا مسرعين إلى المزادفة لتقفوا فيها وتبثتوا بها ، ثم تذكروا الله مهليين مُلبيين مكبرين ، في المكان الذي يلى المشعرَ الحرام ، وهو جبلٌ في آخر المزادفة قبيلَ الفجر إلى أن تطلع الشمس ، ويحسنُ أن تجتمعوا في المزادفة بين صلاتي المغرب والعشاء ، وأن تخلصوا في التهليل والتكبير ، حمدًا لله ، واعترافاً بفضله عليكم ، واذكروه ذكراً حسناً كما هدأكم هداية حسنة ، وأرشدكم إلى معلم الدين ومناسك الحج ، وقد كنتم من قبل هدايته لكم ضالين ، تجهلون الإيمان والطاعة ، ولا تعرفون الدينَ الحق ، والمناسك الصحيحة .

٣— وقد كانت قريش^{*} في الجاهلية تترفع عن الناس ، وتعالى عليهم ، وتأنى أن تساوى بهم في الحياة والعبادة، إذ كان العرب في الحجّ يقفون بعرفة ، وقريش^{*} تقف بمزدلفة ، ولما كان الله قد سوّى بين الناس في العبادة ، كما سوّى بينهم في الحقوق ، وكان من أهم أغراض الإسلام تجمع الناس ليتألفوا ويتحا bóوا ويتعاونوا ، وفي اجتماعهم لعبادة الله تأليف للقلوب ، ومبادئ للعطف والرحمة والصفاء ، فقد جعل من سنن عبادته ، وشعائر دينه ، الجماعة ، ولهذا أقيمت المساجد ، ليجتمع الناس فيها كل يوم خمس مرات في خمس صلوات ، وجعل صلاة الجماعة خيراً من صلاة الفرد . وفرض صلاة الجماعة كل أسبوع ، ليجتمع في المسجد خلق كثير ، وجماعة أكثر من جماعة الصلوات المفروضة كل يوم ، وسن صلاة العيدين كل عام ، ليجتمع أهل القرية أو المدينة في مؤتمر ديني ، تخلص فيه قلوبهم من شوائب الحقد والحسد ، والعداوة والبغضاء ، وينخرجون منه متصرفين يهني بعضهم بعضاً ، ثم شرع المؤتمر الأكبر والمجتمع العام الذي يجمعهم من جميع أقطار الأرض على اختلاف ألوانهم ، وأجناسهم ومنازلهم ، متجردين من مظاهر الشوّب والمكان ، التي تفرق بينهم ، ليتدارسوا شؤونهم ، ويتعاونوا على ما يصلح حالتهم ، فلما جاء الإسلام لم يرض الله من قريش أن تنفرد بالوقوف بمزدلفة ، وأن تميز دون الناس بمظهر خاص ، وهو الذي يقول : أيها الناس ، إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ، لهذا أمرهم أن يقفوا مع الناس بعرفة ، وأن يفيضوا بعد موقفهم فيه من حيث أفضى الناس ، وينخرجو معهم جميعاً - لا فرق بين شعب وشعب ، أو قبيلة وقبيلة - من عرفة بعد أن يقفوا بها ، ويبيتها معهم في المزدلفة ، ويؤدوا شعائر دينهم ، ومتناسك حجتهم ، كما يؤديها جميع الناس سواءً بسواء ، وقد طلب الله إليهم أن يستغفروه مما ارتكبوا من الإثم لتغييرهم متناسك حجه في الجاهلية ، والله سبحانه وتعالى يقبل التوبة من عباده ، ويغفر لهم ما فرط من ذنوبهم ،

إذا أخلصوا في التوبة إليه ويسملهم بعظيم رحمة . وهنا ينبغي أن ننبه إلى أن ما يقيمه أصحابُ الغنى والسلطان للمباهاة والعظمة ، من مساجدَ يخصصونها لصلاتهم ، وصلاة أعونهم وخدمتهم ، ليس من سنن الإسلام ، ولا يقبلُ الله لهم فيها صلاةً ولا عبادةً ، لأن المساجد لله ، وليس لعبد عليها سلطان ، يُدخلُ فيها من يشاء ويمنعُ من يشاء . وحيثما يبني المسجدُ يخرجُ عن ملكية بانيه ، ويصبحُ بيته من بيوت الله ، مباحاً لل المسلمين ، يؤدون فيه صلاتهم وعبادتهم .

٤ — وكان العرب في الجاهلية يقفون في موسم الحجَّ ، يفاخرون بآباءِهم ، ويدكرون ما كان من فعائم ، ومحاسن أيامهم ، ومنهم من كان يقفُ ويقول اللهم إن أبي كان عظيم القبة ، عظيم الجنة ، فأعطيه مثل ما أعطيته . فنزلت الآية : فإذا قضيتم منا سكركم فاذكروا الله كذلك كركم آباءكم أو أشد ذكرأ : مبيناً لهم سوءَ ما كانوا يفعلون ، قاتلوا لهم : إن الواجب عليكم إذا أديتم عبادات الحجَّ ، وقضيتم مناسككم ، وأن تذكروا الله ، ذكرأ كثيراً ، كما كنتم تذكرون آباءكم ، وأن تركوا التباهي ، بأفعالهم ، وأن تحمدوا الله وتكبروه على ما أسبغ عليهم من نعمه ، وأن تذبُّوا عن حرمه ، وتغضبوا لعصيته ، كما تذبُّون عن آبائكم ، وتغضبون لسيارتهم ؛ بل يجب أن تكون غيركم على الله ، وحيثكم له . وثناؤكم عليه ، أشد من غيركم وحيثكم ، وثنائهم على آبائكم ، لأنه هو الذي خلقكم ، وهذاكم للإيمان ، وهو الذي ربكم ، وخصصكم بنعمة العقل ، وفضلكم على كثير من العالمين .

٥ — وقد بين الله حالَ ما كان عليه العرب في الجاهلية ، وحالَ من يكون على شاكلتهم من الناس ، من يطلبون مصالحَ الدنيا ، ولا يرجون ثوابَ الله في الآخرة ، ويجعلون كلَّ همهم الحصولَ على المال والجاه ، وابتغاءَ الزينة واللذات على أى وجه كان ، لا يخافون الله ، فيما يقولون ، ويفعلون ويكسبون ، يطلبون

الدنيا ولا يطلبون الآخرة ، هؤلاء ليس لهم نصيب من ثواب الله ، ولا حظ لهم في الآخرة ، لأنهم لم يعرفوها ، ولم يعملوا لها ، ولم يؤمنوا بها .

٦ - ومنهم من يطلبون من الله أن يعطفهم حسنة الدنيا ونعمها ، وحسنـةـ الآخرة وثوابها ، أما نعمـ الدينـا فـهيـ حـسـنـ الذـكـرـ ، وسـعـةـ الرـزـقـ ، ومحـبةـ النـاسـ ، وعزـةـ النـفـسـ ، وصحـةـ الـبـدـنـ ، وذـجاـرـةـ الـوـلـدـ ، وخدمـةـ الـجـمـعـ ، والتـوفـيقـ لـعـملـ الخـيرـ ؛ وأما حـسـنـةـ الـآخـرـةـ ، فـهيـ ثـوابـ اللهـ ورحـمـتهـ ، وهـيـ الجـنـةـ دـارـ المـتـقـينـ ، ويطلبـونـ أـنـ يـقـيمـهـ اللهـ النـارـ بـعـفوـ دـمـهـ وـمـغـفـرـةـ ، هـؤـلـاءـ الـذـينـ يـطـلـبـونـ حـسـنـاتـ الـدـنـيـاـ وـالـآخـرـةـ ، وـيـعـمـلـونـ لـلـعـاجـلـةـ وـالـأـجـلـةـ ، يـحـبـ اللهـ دـعـاءـهـ ، وـيـجـعـلـ لـهـ حـظـاـ منـ نوعـ ماـ طـلـبـهـ ، وـهـوـ حـسـنـةـ الـدـنـيـاـ وـالـآخـرـةـ ؛ وـالـلـهـ سـبـحـانـهـ وـتـعـالـىـ يـحـاسـبـ النـاســ علىـ كـثـرـهـمـ وـكـثـرـهـمـ فـيـ لـحـةـ سـرـيـعـةـ ، لـاـ يـعـجـزـهـ شـيـءـ فـيـ الـأـرـضـ وـلـاـ فـيـ السـمـاءـ ، وـيـعـطـيـهـمـ مـنـ الـثـوابـ وـالـعـقـابـ بـقـدـرـ ماـ قـدـمـواـ مـنـ حـسـنـاتـ ، أوـ اـجـرـحـواـ مـنـ سـيـئـاتـ ، لـاـ يـؤـخـرـ ثـوابـ مـحـسـنـ ، وـلـاـ عـقـابـ مـسـيءـ .

٧ - وـعـلـيـكـمـ أـنـ تـذـكـرـواـ اللهـ بـالـتـهـلـيلـ وـالـتـكـبـيرـ وـالـتـلـبـيـةـ ، بـعـدـ رـمـيـ الـجـمـارـ ، وـعـقـبـ الـصـلـاـةـ ، وـأـنـمـ مـقـيـمـونـ بـمـنـيـ فـيـ أـيـامـ مـعـلـوـمـةـ ، وـهـيـ أـيـامـ التـشـرـيقـ الـثـلـاثـةـ ، الـتـىـ تـلـىـ يـوـمـ الـنـحرـ . وـأـنـمـ مـخـيـرـونـ بـيـنـ أـنـ تـقـيـمـواـ بـهـاـ يـوـمـيـنـ ، ثـمـ تـعـجـلـواـ العـودـةـ إـلـىـ مـكـةـ بـعـدـ رـمـيـ الـجـمـارـ . أـوـ تـقـيـمـواـ بـهـاـ أـيـامـ التـشـرـيقـ الـثـلـاثـةـ ، لـاـ إـثـمـ عـلـىـ مـنـ يـفـعـلـ هـذـاـ أـوـ ذـاكـ ، وـإـنـ كـانـ الـأـفـضـلـ لـكـمـ أـنـ تـقـيـمـواـ ثـلـاثـةـ أـيـامـ ، وـهـذـاـ التـخـيـرـ فـيـ التـعـجـلـ بـيـوـمـيـنـ ، أـوـ بـإـقـامـةـ ثـلـاثـةـ أـيـامـ لـلـحـاجـ التـقـيـ"ـ ، فـلاـ يـصـبـيهـ إـثـمـ مـنـ هـذـاـ أـوـ ذـاكـ ، وـهـذـهـ الـأـحـكـامـ الـتـىـ بـيـسـنـهـ اللهـ لـكـمـ ، يـحـبـ عـلـيـكـمـ أـنـ تـؤـدـوـهـاـ ، وـتـحـذـرـوـاـ الـإـخـلـالـ بـهـاـ ، وـتـقـوـاـ اللهـ الـذـىـ يـجـمعـكـمـ يـوـمـ الـقـيـامـةـ ، ليـحـاسـبـكـمـ عـلـىـ أـعـمـالـكـمـ .

٨ - كانـ الـأـخـنـسـ بنـ شـرـيقـ التـقـيـ"ـ حـسـنـ الـمـنـظـرـ ، حـلـوـ الـمـنـطـقـ ، يـوـالـىـ رـسـولـ اللهـ ، وـيـظـهـرـ لـهـ الـحـبـةـ ، وـالـتـعـلـقـ بـالـإـسـلـامـ ، وـيـسـخـقـ فـيـ نـفـسـهـ الـكـفـرـ ،

وينطوى قلبه للإسلام وللنبي على العداوة والبغضاء ، وكان كلامه يرُوِّق النبِيَّ
ويعجبه ، وكان من خبره أنه انصرف من مجلس النبِيَّ ، ورجع إلى قومه ، فـ
في طريقه بزرع لقوع لقوم من المسلمين ، فأحرق الزرع ، وقتل الماشية ، فنزلت فيه
الآية : ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا . . .

٩ - وفي هذه الآية تحذير من الذين يقولون بـأسنتهم ، ما ليس في قلوبهم ،
فتراهم يقولون : آمنا بالله وبالـيـوم الآخر ، وما هم بـمـؤـمـنـين ، وـتـراـهـمـ يـبـهـرونـ السـاعـمـينـ
بـجـسـنـ مـنـطـقـهـمـ ، وـحـلاـةـ لـسـانـهـمـ ، فـي تـقـواـهـمـ وـإـيمـانـهـمـ ، وـمـحـبـهـمـ لـهـ وـرـسـوـلـهـ ،
ويـشـهـدـونـ اللهـ عـلـىـ أـنـ مـاـ يـقـولـونـهـ بـأـسـنـتـهـمـ ، موـافـقـ لـمـاـ فـيـ قـلـوبـهـمـ ، يـرـيـدـونـ بـهـذاـ
الـبـهـتـانـ أـنـ يـتـالـواـ حـظـاـ مـنـ حـظـوظـ الدـنـيـاـ ، وـهـمـ فـيـ حـقـيـقـةـ أـمـرـهـمـ مـنـ أـشـدـ الـحـصـومـ
لـلـمـسـلـمـيـنـ ؛ فـإـذـاـ اـنـصـرـفـ وـاحـدـ مـنـ هـؤـلـاءـ ، وـأـتـيـحـتـ لـهـ الفـرـصـةـ ، وـخـلـصـيـ يـبـيـنـهـ
وـبـيـنـ الـأـنـقـامـ ، اـرـتـكـبـ كـلـ شـنـيـعـةـ وـجـرـيـةـ ، وـأـهـلـكـ الـحـرـثـ وـالـنـسـلـ ، وـأـفـسـدـ كـلـ
مـاـ وـصـلـتـ إـلـيـهـ يـدـهـ ، وـالـلـهـ يـعـضـنـ الـفـسـادـ ، وـيـمـقـتـ الـمـفـسـدـيـنـ .

١٠ - ومن هذا القبيل ما يقع من ولادة السوء ، لتحقيق أغراض
خسيسة ، من ظهورهم أمام الناس بمظاهر التقى والورع ، أو بما يبدونه من
الحرْص على خير الشعب ومصلحة الأمة ، ثم هم في الحقيقة يكيدون للأمة ،
ويـبـرـونـ لهاـ الشـرـ ، بـقـتـلـ الـمـصـلـحـيـنـ مـنـ رـجـالـهـ ، وـالـجـاهـدـيـنـ مـنـ أـبـنـائـهـ ،
وـيـحـرـقـونـ مـدـنـهـ ، وـيـتـلـفـونـ أـمـوـالـهـ ، وـيـحـرـضـونـ أـعـدـاءـهـ عـلـىـهـ ، وـإـذـاـ زـجـرـهـمـ زـاجـرـ ،
أـوـ عـظـهـمـ وـاعـظـ ، فـقـالـ لـهـ : اـتـقـ اللـهـ فـيـ عـبـادـ اللـهـ ، وـكـفـ عنـ ظـلـمـكـ
وـطـغـيـانـكـ ، أـمـعـنـ فـيـ ظـلـمـهـ وـطـغـيـانـهـ ، لـاـ دـيـنـ يـرـدـعـهـ ، وـلـاـ تـقـوـيـ تـمـنـعـهـ ،
وـأـخـذـتـهـ العـزـةـ وـالـحـمـيـةـ ، فـأـمـعـنـ فـيـ الـإـثـمـ ، وـمـضـيـ فـيـ الـطـغـيـانـ ، فـتـسـوـءـ عـاقـبـتـهـ ،
وـيـذـهـبـ عـنـهـ عـزـهـ وـسـلـطـانـهـ ، وـيـأـخـذـهـ اللـهـ أـخـذـ عـزـيـزـ جـبارـ ، وـيـلـقـيـهـ فـيـ
جـهـنـمـ مـهـادـ الـفـاطـلـمـيـنـ ، وـمـثـوىـ الـجـارـيـنـ .

١١ — ومن الناس من يبيع نفسه في سبيل مرضاه الله ، فيينهـا في الطاعة والجهاد ، والدعوة إلى الخير ، ومقاومة الفساد ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، وإصلاح ذات البين ، والمجاهدة بالرأي ، وإعلان الحق ، والغيرة على دين الله ، وإن بذل في سبيل ذلك حياته ، وقدم نفسه للفتك والقتل ، لا يبتعـى بذلك عرـض الدنيا ، وإنما يبـتعـى به وجه الله والدارـ الآخرة ، هؤلاء عباد الله وأحبـاؤه ، هو رـعـوف بهـم ، يـعـينـهم على مشـاقـ الطـاعـة ، وتحـمـلـ ألوـانـ الـاضـطـهـادـ، وفي سـبـيلـها خـرـجـ صـهـيبـ الروـيـ مـهـاجـراـ منـ مـكـةـ إـلـىـ المـدـيـنـةـ، فـاعـتـرـضـهـ نـفـرـ منـ قـرـيـشـ ، فـنـزـلـ عنـ رـاحـلـتـهـ ، وـأـخـرـجـ الأـسـهـمـ منـ كـنـانـتـهـ ، ثـمـ قالـ : ياـعـشـرـ قـرـيـشـ ، لـقـدـ عـلـمـتـ أـنـيـ مـنـ أـرـمـاـكـمـ رـجـلاـ ، وـإـيمـ اللهـ لـاـ تـصـلـوـنـ إـلـىـ حـتـىـ أـرـمـيـ كـلـ سـهـمـ مـعـيـ فـيـ كـنـانـتـيـ ، ثـمـ أـضـرـبـ بـسـيـفـيـ مـاـ بـقـىـ فـيـ يـدـيـ مـنـهـ شـيـءـ ، ثـمـ اـفـعـلـواـ ماـ شـئـتـ ، وـإـنـ شـئـتـ دـلـلـتـكـمـ عـلـىـ مـالـيـ بـمـكـةـ ، وـخـلـلـيـمـ سـبـيلـيـ ، قـالـواـ : نـعـمـ ، فـدـلـلـمـ عـلـىـ مـالـهـ ، وـخـلـلـواـ سـبـيلـهـ ، فـلـامـ حـضـرـ المـدـيـنـةـ ، قـالـ لـهـ النـبـيـ : رـبـحـتـ أـبـاـ يـحـيـيـ : فـنـزـلـ قـولـهـ تـعـالـىـ : وـمـنـ النـاسـ مـنـ يـشـرـىـ نـفـسـهـ اـبـتـغـاءـ مـرـضـاهـ اللـهـ ، وـقـدـ قـدـمـنـاـ تـفـصـيـلـ شـرـحـهـاـ وـتـفـسـيـرـهـاـ

مبـحـثـ مجـمـلـ فـيـ الحـجـ وـالـعـمـرـةـ

فرض اللهـ الحـجـ وـالـعـمـرـةـ عـلـىـ كـلـ مـسـلـمـ ، مـرـةـ فـيـ حـيـاتـهـ ، إـذـاـ كـانـ بـالـغاـ عـاقـلاـ ، حـرـّاـ قـادـراـ ، وـأـرـكـانـ الحـجـ هـيـ : الإـحرـامـ ، وـطـوـافـ الزـيـارـةـ ، وـالـسـعـىـ بـيـنـ الصـفـاـ وـالـمـرـوـةـ ، وـالـوقـوفـ بـعـرـفـةـ .

أـمـاـ الإـحرـامـ فـهـوـ نـيـةـ الدـخـولـ فـيـ الحـجـ ، وـلـكـلـ قـطـرـ مـكـانـ خـاصـ ، يـجـبـ عـلـىـ الـحجـاجـ مـنـ أـهـلـ هـذـاـ القـطـرـ إـذـاـ وـصـلـوـاـ إـلـىـ هـذـاـ المـكـانـ ، أـوـ كـانـوـاـ بـمـحـاذـاتـهـ ، أـنـ يـدـعـواـ إـحرـامـهـمـ ، وـيـسـمـيـ : الـمـيـقـاتـ ؛ وـمـيـقـاتـ أـهـلـ مـصـرـ وـالـشـامـ وـبـلـادـ

المغرب وما إليها : الجُحْفة وهي موضع معروف بين مكة والمدينة — إن لم يروا
بالمدينة ، فإن مروا بها ففيقاتهم ذو الحُلْيَفَة .

وميقات أهل العراق وسائر بلاد المشرق : ذات عِرْقٍ ، وهي قرية على
مرْحلتين من مكة ، والمرحلة مسيرة يوم بالإبل .

وميقات أهل المدينة : ذو الْحُلْيَفَة : وبينها وبين مكة تسعُ مراحل .

وميقات أهل اليمن والهند : يَلَمْلَمْ ؛ وهو جبل يبعد مرْحلتين عن مكة .

وميقات أهل نجد : قَرْنٌ : وهو جبل مشرف على عرفات يبعد مرْحلتين
عن مكة .

ومن كان من مكة ، فيقاته مكة .

وإذا أراد الإنسان أن يحرم ، استحب أن يقص أظفاره ، ويخلق رأسه
إذا كان رجلا ، وتنصر شعرها إذا كانت امرأة ، ويعتسل ، ثم يلبس إزاراً
ورداء ، ويتطيب ثم يصلى ركعتين ، وبعد ذلك كله ينوي الإحرام فيقول :
بسانيه وقلبه : اللهم إني أريد الحجج فيسّره لي ، وتقبله مني ؛ ثم يلبس بعد ذلك ،
فيقول : لبيك اللهم لبيك ، لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة والملك لك ،
لا شريك لك ؛ ويصلى على النبي صلى الله عليه وسلم بعد الفراغ من التلبية بصورت
منخفض ، ويحرُّم على الحرم عقد الزواج ، والاستمتاع بالنساء ، والتطيب
بالطيب ، وتشتد الحمرة ، ويزداد غضب الله ، على الذين يرتكبون الأفعال
الحرّمة ، وهو حُرْمَون بالحج .

ويحرُّم على الحرم أيضاً صَيْدُ البر بالقتل أو الذبح أو الإشارة إليه ،
ويحرُّم عليه إذا كان رجلا أن يلبس ثوباً مخيطاً ، أو محيطاً بيده أو ببعضه ،
كالقميص والسرابيل والحداء ، وأن يغطى رأسه ووجهه ، كما يحرُّم على
المرأة ستر وجهها ويديها ، فإذا دخل مكة كان مستحبًا أن يعتسل ، وأن

يدخلها نهاراً ، ويبدأ الدخول بالمسجد الحرام من باب السلام ، مليئاً ، متواضعاً ، خاشعاً .

أما الطواف فهو الركن الثاني من أركان الحج ، وهو طواف الزيارة أو الإفاضة ، ويبدأ وقته من فجر يوم النحر ، وهناك طواف مستحب قبل ذلك ، وهو طواف القدوم ، ويبدأ من وقت دخول مكة إلى الوقوف بعرفة ، وطوافُ واجبٌ ، وهو طوافُ الوداع ، ويجب أن يكون الطواف حول الكعبة في داخل المسجد الحرام ، وأن يبدأ الطواف من الحجر الأسود ؛ ويستحب طهارة الثوب والبدن قبل الطواف ، وأن يكون مشياً للقادر عليه ، وأن يكون سبعة أشواط ، وأن تصل ركعتان عقب الطواف .

أما السعي بين الصفا والمروءة فهو الركن الثالث من أركان الحج ، ويجب أن يؤخر بعد طواف الإفاضة ، وأن يكون سبعة أشواط مشياً للقادر ، وأن يبدأ في السعي بالصفا ، وينتهي بالمروءة .

والركن الرابع : هو الحضور بأرض عرفة بأى حال من الأحوال ، سواء أكان الحاج يقطان أو نائماً ، قاعداً أو قائماً ، واقفاً أو ماشياً ، بشرط أن يكون ذلك بعد زوال شمس اليوم التاسع من ذى الحجة ، إلى فجر يوم النحر .

ويجب على الحاج الإحرام من الميلات كما سبق ، والوجود بمذكفة ولو لحظة ، بشرط أن يكون ذلك في النصف الثاني من الليل بعد الوقوف بعرفة ، ورمي الجمار بأن يرمي جمرة العقبة وحدها يوم النحر ، ويرمى الجمرات الثلاث كل يوم من أيام التشريق الثلاثة ، التي تجيء عقب يوم النحر ، ومن واجبات الحج : المبيت بمنى أيام التشريق الثلاثة ، ويفسد الحج بالجماع للرجل والمرأة ، إذا كان قبل الوقوف بعرفة ، ويجب قضاوتها ، وعلى كل منها دم ، وإن كان بعد الوقوف بعرفة ، وقبل الحلق ، كان محرماً ،

ولكن الحج لا يفسد ، وعلى كل منهما بذاته : والبدنة من الإبل : هي ما طعن في السادسة ، ويحرم الطواف على الجنب والخائض والنفساء ، فمن فعل فعله أيضاً بذاته . ولا يجوز للمحرم أيضاً الاستمتاع بالنساء بغير الحج ، كالمعاقنة واللباسة والتقبيل ، ويلزمه إن حصل شيء من ذلك دم شاة أو بقرة أو بذنة ، وكذلك من أزال شعر رأسه أو لحيته أو إبطه أو رقبته بغير عذر ، فإن فعل ارتكب إثماً ، ووجب الدم ، وإن كان قد أزاله بعدر ، كان مخيراً أن يذبح شاة ، أو يصوم ثلاثة أيام ، أو يطعم ستة مساكين ، لكل مسجين نصف صاع ، وزرى أن يعطيهم مقدار ما ينفقون على طعامهم في يوم ، ويجب الدم أيضاً على الرجل إذا لبس مخيطاً ، أو ستر رأسه ، أو تطيس ، أو قص أظفاره أو بعضها ، وعلى الحاج أن يعوض صيد البر ، وقطع الحشيش في الحرم ، بأن يشتري بقيمتها هديةً يذبحه في الحرم ، أو طعاماً يوزعه على الفقراء ، أو يصوم .

والعمرة فرض واجب كالحج ، وأركانها : الإحرام ، والطواف والسعى بين الصفا والمروءة ، ويصبح الإحرام والعمرة في جميع أوقات السنة ، ويندب تأخير الإحرام بها لمن يحج ، حتى تغرب شمس اليوم الرابع ، ويجب للعمرة ما يجب للحج ، وعلى كل حال فهو كالحج ، ولكن ليس لها وقت معين ، وليس فيها وقوف بعرفة ، أو نزول بمزدلفة ، أو رمي جمار .

أوجه تأدية الحج والعمرة

يؤدي الحج والعمرة على أوجه ثلاثة :

أولاً : الإفراد ، وهو أن يحرم بالحج وحده ، ويؤدى مناسكه ، فإذا فرغ منها أحمر بالعمره ، وطاف وسعى لها ،

ثانياً : القران ، وهو الجمع بين الحج والعمره في إحرام واحد من ميقات الحج .

ثالثاً : التمتع ، وهو أن يؤدى مناسك العمرة أولاً ، فإذا فرغ منها أحرم بالحج في نفس العام ، والقران أفضل من التمتع ، والتمتع أفضل من الإفراد .

ويجب على كل من المتمتع والقارن هدئ ، إذا لم يكن متوطناً بالبيت الحرام ، وأن تقع عمرة المتمتع في أشهر الحج ، وأن يحج في عام العمرة .

والهدى بدنة ، وهى ذكر أو أنثى من الإبل أتمت خمس سنين ، ودخلت في السادسة ، أو بقرة أتمت ستين ودخلت في الثالثة ، أو شاة أتمت سنة ، وهى على هذا الترتيب في الأفضلية .

(١٦)

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السَّلْمَ كَافَةً ، وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوطَاتِ
الشَّيْطَانِ ، إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ . إِنَّ زَلَّتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ
الْبَيِّنَاتُ ، فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ . هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنَّ
يَأْتِيهِمُ اللَّهُ فِي ظُلْلٍ مِنَ الْفَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ ، وَقَضَى الْأُمْرُ ، وَإِلَى اللَّهِ
تُرْجَعُ الْأُمُورُ . سَلَّمَ بَنِي إِسْرَائِيلَ : كُمْ أَتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ يَبْيَنُهُ ؟
وَمَنْ يُبَدِّلُ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ ، إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ .
زُينُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ، وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا
وَالَّذِينَ اتَّقُوا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ
حِسَابٍ . كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً ، فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ
وَمُنذِّرِينَ ، وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ
فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ ، وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ
الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا يَبْيَنُهُمْ ، فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنْ
الْحَقِّ يَأْذِنُهُ ، وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ . أَمْ

حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مِثْلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ
قَبْلِكُمْ ، مَسْتَهْمُ الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَزُلْزَلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ
وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ : مَتَى نَصْرُ اللَّهِ ؟ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ .

شرح الألفاظ

شرحها	الألفاظ
المقصود بهم من آمنوا من أهل الكتاب . الإسلام . جميعاً .	يأيها الذين آمنوا السلام كافة
لَا تسلكوا السبيل الذي يدعوكم إليه الشيطان ، لَا تتبعوا خطوات الشيطان إن عداوته لكم بينة ظاهرة .	ولا تسلكوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين
لَا تتحيّم عن طريق الاستقامة ، وملتم عن اتباع جميع أحكام الشريعة .	زلزال
لَا ينتقم إلّا بحق وحكمه . لَا ينتظرون .	من بعد ما جاءتكم عزيز حكيم هل ينتظرون
يأتّهم أمر الله وحكمه ، وبأسه وانتقامه .	يأتّهم الله

شرحها	الألفاظ
<p>{ جمع ظلة ، وهي ما يستظلّ به ، والمعنى : غمام كالظلل . }</p>	ظلل
<p>السحاب الأبيض .</p>	الغام
<p>أتم أمر إهلاً كهم وتدميرهم ، وفرغ منه .</p>	وقضى الأمرُ
<p>اسأل يا محمد بنى إسرائيل ، تبكيتاً وتقرعوا لهم .</p> <p>{ من معجزة ظاهرة ، كفلق البحر ، والمن والسلوى ، فبدّلواها كفراً . }</p>	سل بنى إسرائيل
<p>من آية بينة</p>	
<p>{ ومن يغيّر الآيات البيّنات ، وهي نعمة من الله ، لأنها سبيل الهدایة إلى الحق . }</p>	ومن يبدل نعمة الله
<p>يعاقبه أشد عقوبة ، لارتكابه أشنع جريمة .</p> <p>حُبُّ للكافر من قريش .</p>	شديد العقاب
<p>متعاعها وزخرفها ومنافعها .</p>	زُين للذين كفروا
<p>يهزعون ويستذلون فقراء المؤمنين .</p>	الحياة الدنيا
<p>{ والمؤمنون المتقوون ، الذين اجتنبوا الشرك ، واتبعوا الإيمان . }</p>	ويسخرون من الدين آمنوا
<p>يرفعهم الله يوم القيمة في غرف الجهنّم ، فيشرفون على المشركين في الدرك الأسفل من النار .</p>	والذين اتقوا
<p>والله يوسع في الرزق على من يشاء من عباده .</p> <p>بغير حصر ولا تقدير .</p>	فَوَّهُمْ يوْمَ الْقِيَامَةِ
<p>متقفين على الإيمان ، أو على الجهالة والضلال .</p> <p>فيما التبس عليهم من الحق .</p>	وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ
<p>حسداً بينهم وظلمًا .</p>	بَغْيًا

الألفاظ	شرحها
مثلُ الذين خلوا من قلبك	{ مثل ما أصاب الأمم السالفة ، من الشدائـد والكوارث . }
البأساء	شدةُ الخوف والضرر .
الضراء	الأمراض والألام .
زُلزلوا	أزعجوا إزعاجاً شديداً .
مني نصر الله	اشتد بهم الفصرجر ، وذهب صبرهم ، فقالوا ذلك .
ألا إنَّ نصر الله قريب	{ نصر الله لعباده المتقيـن ، مهما بلغت بهم الشدة ، مؤكـدـاً قـرـيبـاً . }

مجمل المعنى

١ - لما دخل أهل الكتاب في الإسلام ، كان بعضُهم يراعي بعض أحكام دينه القديم ، فنـهم من كان يعظم السبت على عادة اليهود ، ويحرّم لحم الإبل وألبانها ، حتى إن عبد الله بن سلام ، استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقيم على عادة تعظيم السبت ، وأن يقرأ من التوراة صلاتـه من الليل ، فنزلـت هذه الآية ، مخاطبة المؤمنـين من أهل الكتاب ، بأن ادخلـوا في الإسلام كلـية ، وأدوا جميع شرائعـه وأحكـامـه ، ولا تخلـطا بهـ غيرـهـ من الأديـانـ ، وإذا كـنـتمـ قد اعـتنـقـتمـ الإـسـلـامـ بـقـلـوبـكـمـ لا بـأـفـواـهـكـمـ ، فلا يـنـبغـىـ أن تـقـيـمـوـاـ معـهـ أـىـ عـبـادـةـ من دـيـنـ آخرـ لمـ يـقـرـهـ الإـسـلـامـ ؛ وإـيـاكـمـ أـنـ تـسـلـكـواـ سـبـيلـ الشـيـطـانـ فـيـماـ يـزـينـ لـكـمـ ، مـنـ الـانـحـرـافـ عـنـ بـعـضـ شـرـائـعـ الإـسـلـامـ ، وـأـنـ تـمـيلـواـ بـعـضـ المـيلـ عـنـ دـيـنـ الـحـقـ ، فـإـنـكـمـ إـنـ انـحـرـقـمـ عـنـهـ بـعـدـ مـاـ وـصـلـتـ لـكـمـ الـحـجـجـ الـظـاهـرـةـ ،

والبراهين القاطعة ، والمعجزات الساطعة ، الموجبة للدخول فيه ، والتسلك به ، فاعلموا أن الله ينتقم منكم أشد انتقام ، لأنه عزيز غالب ، لا يعجزه شيء عن الانتقام منكم بحق وحكمة . وفي تهديد الله الذين يمليون عن الدين بعد ما وضحت لهم بيئاته ، وظهرت آياته ومعجزاته ، دليل على أن عقوبة العالم بالذنب أشد وأعظم من عقوبة الجاهم به ، وأن الله لا يعذب الناس حتى يرسل لهم النبيين مبشرين ومنذرين ، وأن من لم تبلغه دعوة الإسلام بينة ظاهرة ، لا يؤاخذه الله ، إذا لم يعتقد الإسلام ويتبغ أحکامه ، فعلى المسلمين أن يدعوا إلى دينهم بالحججة الثقة ، والبرهان الواضح ، إن شاءوا أن يعرف الناس دينهم على حقيقته ، ويتبعوا أصول عقائده ونظمها وأحكامه .

٢ — وماذا يتضرر الخالفون عن أمر الله ، المصررون على العناد ، وعدم الامتثال لما أمروا به ، والانتهاء عما نهوا عنه ، إلا أن يأتיהם بأس الله وغضبه ، في ظلة من الغمام ، والملائكة ، ومن حيث كانوا يتوقعون الغيث والرحمة من الغمام والملائكة ، إذا بهم يتوحدون من حيث لم يتحسبوا ، و يأتيهم الشر من حيث يتظرون الخير ، والشر إذا وقع من مظنة الخير ، كان أشد وقعاً ، وأعظم هولا ، فيُقضى أمر إهلاكهم وتدميرهم ، ويفراغ منهم على أبغض صورة وأسوأ حال ، والله جل شأنه هو المتصرف في خلقه ، لا عاصم من أمره ، ولا فرار من حكمه ، وإليه ترجع كل أمور عباده .

٣ — سل بني إسرائيل مقرعاً وموسخاً لهم ، عن الآيات الكثيرة ، والبيئات الواضحة ، التي عرّفوها حق المعرفة في التوراة ، عن أمر محمد ورسالته ، وعدَّ المعجزات الظاهرة التي جاءهم موسى بها ، كفلق البحر وإنزال المن والسلوى ، ليؤمنوا به ، ويتبعوا رسالته ، فبدّلوها جحوداً وإنكاراً لرسالة محمد ، كما بدّلوها كفراً بموسى ، ومن يغير الآيات البيئات ، والحجج الواضحات ، وهي

نعم من الله ، لأنها سبيل المداية إلى الحق ، فيجعلها سبيلاً للزيف والضلال ،
بما يدخل فيها من تحريف وتأويل ، ونسخ وتبديل ، فإن الله يعاقبه أشد العقاب .

٤ — ولقد زينت الحياة الدنيا في عيون الكفار من قريش ، وحسنَت لهم ، وأشربت محبتهما قلوبُهم ، حتى تهالكوا عليها ، وتهافتوا فيها ، معرضين عن غيرها ، وخيل إليهم أن المال ولا شيء غيره — هو سبيل السعادة والسلطان ، فسخروا من فقراء المؤمنين ، وضعفاء المسلمين ، كبلال وصهيب ، وابن مسعود وعمار ، رضي الله عنهم ، واستهزءوا بهم ، واسترذلواهم ، كما حاولوا أن يفتنوهم بالمال ، ويردُّونهم عن دينهم ، فما زادوا إلا استمساكاً بدينهم ، وعزوفاً عن الدنيا وزيتها ، وإن هؤلاء المؤمنين المتقيين ، الذين يسخر منهم الكافرون لفقرهم ، هم في أوج السعادة بإيمانهم ، وفي ذروة العز بدينهم ، وأنهم يوم القيمة سيحلُّهم الله غرفَ جناته ، وسيشرفون من علينا على هؤلاء المشركين ، وهم في الدرك الأسفلي من النار ، والله خالق العباد ، ورازقهم بغير حساب ، يوسع لمن شاء من عباده في رزقه من غير حساب أو تقدير ، لحكمة يقتضيها ناموس الكون ، وسنة الله .

٥ — ولقد كان الناس أمة واحدة ، يعيشون على غير هدى من دين ، وعلى غير يقين من إيمان ، فبعث الله لهم أنبياء ، يبشرُون المحتدين بشواب الجنة ، ويخوّفون الصالحين عذابَ النار ، وأنزل معهم الكتبَ تبين الحق من الباطل ، وتميّز الخير من الشر ، فإذا اختلفوا في أمر ، والتبس عليهم طريق الحق فيه ، رجعوا إلى هذه الكتب لتحكم بينهم ، وتهديهم صراطاً مستقيماً ؟ ولم يقع اختلافٌ في الحق ، وتأويل فيه ، إلا بين الذين أنزل الله لهم الكتاب ليهدِّيهم ، من بعد أن وضحت فيه البيانات ، ووقفوا منه على معلم الحق ظاهرة نيرة ، لما شاع بينهم الحسد والظلم حرصاً على الدنيا ، فعموا عن الحق

وضلوا سوء السبيل ؟ وقد شاء الله أن يرشد المؤمنين من أمة محمد إلى الحق الذي اختلف فيه أهل الكتابين بإذنه وإرادته ، فهداهم ، والله يهدى من يشاء من عباده إلى طريق مستقيم ، لا يصل من سلكه ، ولا يشقي من اتبعه .

٦ - وقد أصاب المسلمين في غزوة الخندق جَهَد وبلاء ، وفاسوا فيها من الحر والبرد وسوء العيش ، وأنواع الشدائِد ، ما جاوز احتمالهم ، وتعدَّ طاقتهم ، فأنزل الله على نبيه : أَمْ حَسِبُتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ ... إِلَى آخِرَ الْآيَةِ : لِيُشْدُّ مِنْ أَرْزَهُمْ ، وَيَقُولُ فِيهِمْ احْتِمَالُ الشَّدَائِدِ ، وَالصَّابَرُ عَلَى الْمَكَارِهِ ، وَيَحْثُ نَبِيُّهُ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الشَّبَاتِ وَالْحَلَدِ ، فَإِنْ سَعَادَةُ الدَّارِينَ لَا تَجْنِي إِلَّا بِالْمَشْقَةِ وَالْجَهَادِ ، قَدْ حَفَّتِ الْجَنَّةَ بِالْمَكَارِهِ ، وَحَفَّتِ النَّارَ بِالشَّهْوَاتِ ، فَيَقُولُ لَهُ : أَظَنْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ ، دُونَ جَهَدٍ وَمَشْقَةٍ ، وَدُونَ صَبَرٍ عَلَى الْقَتَالِ فِي سَبِيلِ اللهِ ، وَلَا يَنْزَلُ بِكُمْ مِنَ الْبَلَاءِ ، وَمِكَابِدَ الشَّدَائِدِ ، وَمِقَاسَةَ الْمَوْلِ ، مِثْلُ مَا نَزَلَ بِالْأَمْمِ الَّتِي خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ ، فَقَدْ ابْتَلَاهُمُ اللهُ بِالْفَقْرِ وَالْجُوعِ ، وَالْخُوفِ وَالْمَرْضِ وَالآلَامِ ، وَأَزْعَجَهُمُ الْكَوَافِرُ إِزْعَاجًا شَدِيدًا ، كَأَنَّ الْأَرْضَ زُلْزَلتْ بِهِمْ ، وَاشْتَدَّ بِهِمُ الْفَزَّعُ وَالْبَرَزَعُ ، حَتَّى اسْتَسْلَمُوا أَوْ كَادُوا إِلَى الْيَأسِ وَالضَّيْجَرِ ، وَحَلَّهُمْ ذَلِكَ عَلَى أَنْ يَقُولُ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ الْمُقْتَدُونَ بِآثَارِهِ ، السَّائِرُونَ عَلَى هُدَيهِ ، مُسْتَبِطَيْنَ فَرْعَانِينَ : مَتَى نَصْرُ اللهِ ؟ فَأَسْعَفَهُمُ اللهُ بِرَحْمَتِهِ ، وَأَدْرَكَهُمْ بِنَصْرِهِ ، وَأَذْهَبَ عَنْهُمْ خَوْفَهُمْ ، وَأَزْالَ عَنْهُمْ ضَيْجَرَهُمْ ، وَقَالَ لَهُمْ : أَلَا إِنْ نَصْرَ اللهُ مَوْكِدٌ ، قَرِيبٌ لَا رَيْبٌ فِيهِ ، وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ رَمْزٌ إِلَى أَنَّ رَضْوَانَ اللهِ لَا يَدْرَكُ إِلَّا بِمِكَابِدَ الْمَشْقَاتِ ، وَرَفْضِ اللَّذَاتِ .

(١٧)

يَسْأَلُونَكَ : مَاذَا يُنْفِقُونَ ؟ قُلْ : مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلَمَّا الْدِينِ
وَالْأَقْرَبَ بَيْنَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ، وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ
خَيْرٍ إِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ . كُتُبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهَ لَكُمْ ،
وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ، وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا
شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ . يَسْأَلُونَكَ
عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ، قُلْ : قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ، وَصَدَقَ
عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ، وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ ،
أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ ، وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ ؛ وَلَا يَزَالُونَ
يُقَاتِلُوكُمْ حَتَّى يَرْدُو كُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنْ اسْتَطَاعُوا ، وَمَنْ يَرْتَدِدْ
مِنْكُمْ عَنِ دِينِهِ فَإِمْتُ وَهُوَ كَافِرٌ ، فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي
الْدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ، وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ . إِنَّ
الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهُدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، أُولَئِكَ يَرْجُونَ
رَحْمَةَ اللَّهِ ، وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ .

شرح الألفاظ

ال ألفاظ	شرحها
ماذَا ينفِقُونَ	أى شَيْءٍ ينفِقُونَ ؟ .
وَابْنُ السَّبِيلِ	المسافِرُ والضَّيْفُ .
كَتَبَ عَلَيْكُمُ القَتْالَ	فرضُ عَلَيْكُمُ الْجَهَادَ .
كَرْهٌ	مشَقَّةٌ مُكْرَهَةٌ .
قَتْالٌ فِيهِ	يُسَأَلُونَكُمْ عَنِ القَتْالِ وَقَعَ فِي الشَّهْرِ الحَرَامِ .
قَتْالٌ فِيهِ كَبِيرٌ	الْقَتْالُ فِيهِ وِزْرٌ عَظِيمٌ .
وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ	وَمَنْعِمٌ عَنْ دِينِ اللَّهِ .
وَكَفَرٌ بِهِ	وَفِيهِ كُفْرٌ بِاللَّهِ .
الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ	مَكَّةُ .
إِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ	إِخْرَاجُ النَّبِيِّ وَاصْحَابِهِ مِنْهُ .
أَكْبَرُ عَنْدَ اللَّهِ	أَعْظَمُ وَزْرًا مِنِ الْقَتْالِ فِيهِ أَعْظَمُ اللَّهَ .
وَالْفَتْنَةُ أَكْبَرُ مِنِ الْقَتْلِ	وَالشَّرْكُ مِنْكُمْ بِاللَّهِ وَأَنْتُمْ فِيهِ ، أَشَدُ عَنْدَ اللَّهِ مِنِ الْقَتْلِ .
وَلَا يَزَالُ الْكُفَّارُ يَقْاتِلُونَكُمْ	وَلَا يَزَالُ الْكُفَّارُ يَقْاتِلُونَكُمْ أَهْيَا الْمُسْلِمِينَ .
يَرْدُ وَكُمْ عَنْ دِينِكُمْ	لِيُخْرِجُوكُمْ مِنِ الإِسْلَامِ ، وَيُعِيدُوكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ .
حَبَطَتْ أَعْمَالُهُمْ	بَطَّسَتْ أَعْمَالَهُمُ الصَّالِحةَ .
هَاجَرُوا	فَارَقُوا أُوطَانَهُمْ .
جَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ .	قَاتَلُوا لِإِعْلَاءِ دِينِ اللَّهِ .

مجمل المعنى

١ - جاء عمرو بن الجحوم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو شيخ مسن ، وله مال كثير ، فقال : يا رسول الله ماذا نتفق من أموالنا ؟ وأين نضعها ؟ فنزل قوله تعالى : يسألونك ماذا يتفقون

٢ - وقد بين الله سبحانه وتعالى ما يجب على الموسر أمثال عمرو بن الجحوم من فعل الخير ، بإنفاق المال على الوالدين والأقربين ، واليتامى والمساكين وابن السبيل ؛ والتعبير بالخير عن المال الذي ينفق ، إشارة إلى أن المقصود به المال المكروب من طريق الحلال ، وأن الله لا يقبل من عباده أن يحمموا المال الحرام ، ثم يتفقون منه في طاعته ، لأن الطاعة لا يمكن أن يكون أساسها معصية أو حراماً ، كما أنها تشير إلى أن إنفاق المال تقرباً إلى الله ليس له حد يقف عنده الموسرون ، فكلما استكثروا من الإنفاق في وجوه الخير والبر ، ازدادوا ثواباً وأجرًا عند الله ، وأن إنفاق المال المقصود في هذه الآية ، هو غير مال الزكاة ، فإنه حق معلوم ، ونصيب مقرر في مال الإنسان ، خرج عن ملكه ، وعدم إخراجه عن حوزته ، وإعطائه للمستحقين ، اغتصاب وتعطيل لركن من أركان الدين ، يعاقب عليه في الدنيا والآخرة .

٣ - وفي هذه الآية بيان عنْ يَحِبُّ اللَّهُ أَنْ يَنْفَقَ الْمَالَ عَلَيْهِمْ ، وهم مرتبون على حسب وقوع الإنفاق موقعه من البر والخير ، واكتساب ثواب الله :
ا - الوالدان أولاً ، فإن الإنسان مهما أحاطهما بصنوف البر ، وأغدق عليهم من الخير ، فلن يوْفيهما حقهما .

ب - ثم الأقربون بتفضيل الأقرب فالأقرب ، وليس ما يتحقق ما حث الله عليه من التعاون على البر ، أكثر من أن يُقيس الإنسان بعطفه وبره على ذوي قرباه ، ولو قام كل موسر بمعونة أقاربه ، لكن في ذلك خير ما يعبر عن

الضمان الجماعي ، الذي تدعوه إليه الحضارة الأمريكية وتقوم به مصر هذه الأيام ،
وقد دعا إليه الإسلام منذ جاء .

ج — واليتأمِّى: ومعلوم أن البر بهم يخفف من لوعتهم ، ويزيل وحشتهم ، ويُجبرُ
ما انصدع من قلوبهم ، بحربمان رعاية الأب .

د — والمساكين : وهم الذين لا يجدون ما ينفقون ، وما أَبَرَّ أن يعين القادر
مسكيناً على الحياة ، فيسد جوعه ويكسو عُرُبِيه ، ويشعره بإنسانيته ! ولاشك أن
الإنسان إذا وفر السعادة وخفض العيش لمن ولدها ورياه ، ولن تصله بهم
صلات الدم والقربي ، ثم لمن حوله من اليتامى والمساكين ، فقد حمل على تحقيق
الخير للأسرة الإنسانية ، التي تعيش معه في محيط حياته وب بيته ، وربط بينهم
وبينه برباط المودة والمحبة ؛ فإذا اتسع ماله بذلك ، فلينتفق منه في سبيل الله ،
وإعلاء دينه ، وإحياء شريعته :

وفي عموم ذلك ينطوي كل خير وصلاح وتهذيب ، وعزّة الله ورسوله وللمؤمنين .

ه — أما الإنفاق على ابن السبيل ، وهو المسافر أو الضيف ، أو من
انقطعت به الغربة في طلب علم ، أو سعي في كسب الرزق ، وحمل بيته وبين
الحصول على ماله ، أو عجز عن كسب رزقه ، فباب الخير مفتوح لعونته ،
حتى يتحقق بذلك التكافل والتراحم ، بين أبناء الأسرة الإنسانية الكبرى ؟
أرأيت أوثق للتعاون ، وأقوى في التكافل والتآزر ، وأوفق في الخير والبر من
أن يبذل المreu ماله في تلك الوجوه التي بينها الله ؟ وإن كل خير تععلنـه ،
وكل مال تنفقـونـه ، فإن الله يعلم كل العلم كيف اكتسبتموه وكيف أنفقتموه ،
وهو الذي يثيـكم على قدر ما أنفقـتم ، وعلى حسـبـ ما قـصـدمـتـمـ .

٥ — ولا يبيـنـ اللهـ فيـ الآيـتـينـ السـابـقـتـينـ أـنـ ثـوابـ الإـنـسـانـ عـنـهـ عـلـىـ قـدـرـ
ما يـحـتـمـلـ منـ مشـقةـ فـ الشـدائـدـ ، وبـقـدـرـ ما يـبـذـلـ منـ جـهـدـ وـمالـ فـ سـبـيلـ
الـخـيرـ ، فـرـضـ عـلـيـهـمـ القـتـالـ لـحـمـاـيـةـ الدـيـنـ ، وـالـجـهـادـ فـ سـبـيلـ اللهـ ، وـالـقـتـالـ
فـرـضـ عـيـنـ عـلـىـ كـلـ إـنـسـانـ ، إـذـاـ اـعـتـدـيـ عـلـىـ دـيـنـهـ أـوـ وـطـنـهـ ، وـالـتـجـنـيدـ عـامـ

لا يغى منه أحد ، ولم يصبح القتال المطلوب للنذود عن البلاد ، أو الحماية الدين ، مقصوراً على الذهاب إلى الميدان ، أو حمل السلاح ، وإنما ينبغي أن يقاتل كل فرد في الأمة لکفاح العدو ، والنذود عن الوطن ، فهذا بالمال ، وذاك بالقلم واللسان ، وهذا بالعلم أو الطب ، وذاك بالمجووم والضرب ، وهذا بالدعائية أو التجسس ، وذاك بقوية الروح المعنوية ، وشد أزر الأمة .

٦ - والقتال مكروه للنفس بطبيعتها ، لما فيه من التعرض للقتل والأسر ، وتشويه البدن ، وإتلاف المال ، وتدمير المصنع ، وتخريب البلاد ، وإشاعة الرّعب والقنوع في النفوس ، ولكن لا تظنوا أن كل ما تكرهون شر لكم ، وأن كل ما تحبون خير لكم ، فقد تكرهون شيئاً كالحرب والقتال ، لما فيه من الأذى والإتلاف والهلاك ، ثم يكون فيه الخير لكم ، فتغلبون وتنظرون ، وتعزون وتنتصرون ، ويخشاكم العدو ، وتعودون الأساس ، وتتدرّبون على الحرب ، وقد تحبون شيئاً كالسليم وترك القتال مثلاً ، لما فيه من السلامة والراحة والدعة ، ثم يكون شرّاً لكم ، لأنكم تضعفون ، وتُطْمِعون العدو فيكم ، فيستول على بلادكم ، ويذهبُ بأسكم ، وتقعون في ذل الاستعباد ، وقبضة الاستعمار .

٧ - والله يعلم ما فيه خيرٌ وشر لكم ، وانت لا تعلمونه ، فلا تقيسوا الخير والشر بمقاييس آرائكم ، وعلى حسب أهوائكم ، فاعتقدوا الخير الذي بيته الله لكم وافعلوه ، واعرفوا الشر الذي بيته لكم واجتنبوا .

٨ - وقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث عبد الله بن جحش على سرية - والسرية : قطعة من الجيش - في جمادى الآخرة، قبل قتال بدر بشهرين ، ليترصدُوا عيراً لقريش - والعير إبل تسير في قافلة ، تتحمل تجارة القوم وطعامهم - وكان مع العير عمرو بن عبد الله الحضرمي وثلاثة معه ، فقتلوه وأسروا اثنين ، واستأقوا العير وما فيها من تجارة ، وكان ذلك أولَ

يوم من رجب ، وهو من الأشهر الحرم ، التي حرم الله فيها على المسلمين أن يبدعوا بالقتال ، فقالت قريش قد استحل محمد الشهر الحرام ، وهو الشهر الذي يأمن فيه الخائف ، ويذهب الناس فيه آمنين ، سعيًا وراء أرزاقهم : فعظام ذلك على أصحاب السرية ، وعنتفهم المسلمون لما رجعوا إليهم ، بقتل الحضري في الشهر الحرام ، فشق عليهم ذلك ، وظنوا أنهم أغضبوا الله بما فعلوا ، وأنهم لا ثواب لهم ، ولا أجر في جهادهم وقتلهم ، فنزلت الآية : يسألونك عن الشهر الحرام والآية : إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا

٩ - يسألك كفار قريش يا محمد عن حكم الإسلام في قتال يحصل في الشهر الحرام ، استفطاعاً وتعجباً ، من هتك حرمته ، بقتل الحضري فيه ، فقل لهم : حقاً إن القتال في الشهر الحرام إثم كبير ، ولكنكم تتعجبون وتستفطرون ما أخطأ في نفر من القتال فيه ، فلماذا لم تتعجبوا ولم تستفطروا ما وقع منكم من منكرات ، هي أشد من القتال في الشهر الحرام ، من صدكم الناس عن دين الله ، وكفركم به ، ومنعكم المؤمنين من دخول المسجد الحرام للحج والعمرة ، وإخراجهم منه وهو وطنهم وهم أهله ، كما فعلتم برسول الله وأصحابه ، حينما أخرجتموه من مكة ، وحينما منعتموه عند الحدودية من الدخول إلى المسجد الحرام ، أليس هذا منكم أكبر جرمًا ، وأعظم نكراً ، من القتال في الشهر الحرام ؟ وإن بقاءكم على كفركم في المسجد الحرام ، وإخراج المؤمنين منه ، ومنعهم عنه ، لفتنة أكبر وزراً ، وأعظم إثماً ، من القتال في الشهر الحرام .

١٠ - والله يخدركم أيها المؤمنون السكوت عن الكفار ، وينبهكم إلى أنهم حريصون على قتالكم ، متى ستحت لهم فرصة الإيقاع بكم ، في الأشهر الحرم أو في غيرها ، ليروعوك عن الإسلام ، ويعيدوك إلى الشرك إن استطاعوا ، ولن يستطيعوا ، لأن الله حب الإيمان إلى نفوسكم ، وثبته في قلوبكم ، وإن

الذين يرتدون عن الإسلام ، ويرجعون كفاراً ، سيعطل الله كل أعمالهم في الدنيا ، فلا يعاملون فيها معاملة المسلمين ، بل قد أحل الله سفك دمائهم ، ولهم في الآخرة عذاب النار ، يقيمون فيها ، ولا يخرجون منها أبداً . وإن أصحاب السريّة من المؤمنين المهاجرين المجاهدين في سبيل الدين ، الذين يطمعون في رحمته ، قد جعل الله لهم ثواب إيمانهم وهجرتهم وجهادهم ، ولن يؤخذهم بخطأ القتال في الشهر الحرام ، والله عظيم المغفرة ، عيم الرحمة بعياده المؤمنين المجاهدين .

(١٨)

يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْحُمْرِ وَالْمَيْسِرِ، قُلْ : فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ، وَمَنْ أَفْعُ
لِلنَّاسِ، وَإِنَّهُمَا أَكْبَرُ مِنْ تَقْرِيمِهِمَا، وَيَسْأَلُونَكَ : مَاذَا يُنْفِقُونَ ؟
قُلْ : الْعَفْوُ ، كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ، لَعَلَّكُمْ
تَتَفَكَّرُونَ، فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى، قُلْ :
إِصْلَاحُهُمْ خَيْرٌ، وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِلَّا خَوَانِكُمْ، وَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ
مِنَ الْمُصْلِحِ، وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْتَدَكُمْ، إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ.

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
يَسْأَلُونَكَ	السائلون هم المؤمنون .
الْحُمْرُ	كل سائل أو دقيق أو جاد ، ويؤثر تعاطيه من الضم أو غيره في الأعصاب ، فيغير طبيعة العقل والتمييز .

الألفاظ	شرحها
الميسر	التمار، وهو المراهنة على منفعة أو مال يظفر به
فيهما	الغالب في هدوء أو قرعة .
لائم كبير	في تعاطيهما .
ماذا ينفقون	وزر عظيم .
الغفو	{ وعذاب الإثم في تعاطيهما ، أكبر من المنافع التي تعود منها .
كذلك	ما الذي ينفقونه من أموالهم ؟
لعلكم تتذكرون	الفضل عن النفقة الواجبة للعيال .
ويسألونك عن اليتامى	مثل ذلك البيان الواضح في الإجابة عما سألكم .
لأنكم تخلطون	{ لتفكروا فيما أمركم الله به ، وما نهاكم عنه ، فتأخذوا
إصلاح لهم خير	الحلال ، وتتركوا الحرام .
مخالطتهم	ماذا يفعلون في الخرج من أجل اليتامي ؟ وهل
يألفونكم	تجوز مخالطتهم في النفقة والكسوة والسكنى ؟
إلا أنكم تخلطون	{ مخالطتهم مع مراعاة الصالح لهم ، وتنمية أموالهم ،
لأنكم تخلطون	ورعاية شئونهم ، خير من تركهم .
لأنكم تخلطون	تخلطوا نفقتهم بمنفعتكم ، وتعيشوا وتسكنوا معهم ،
لأنكم تخلطون	على وجه ينفعهم .
والله يعلم المفسد من	{ إخوانكم في الدين ، وهو أقوى رابطة من
المصلحة	النسب ، وأوثق علاقة من القرابة .
لأنكم تخلطون	{ والله يعلم من يصلح في أمورهم ومن يفسد ؛ بالمحافظة
لأنكم تخلطون	على أموالهم أو تضييعها .
لأنكم تخلطون	لكلفكم مشقة ، وضيق عليكم ، فحرمواكم مخالطتهم .

مجمل المعنى

١ - الخمر من المفاسد التي إذا اعتمادها إنسان ، تحكمت في إرادته ، وملكت عليه هوا ، وشق عليه أن يتركها ، وقد سلك الله في تحريمها التدرج ، حتى لا تشعر النقوس بمشقة المنع ، ولا يحملها شدة التعليق بها على عدم امتثال البعض إلى أمر الله في اجتنابها ، فأنزل الله فيها أربع آيات : أولاًها : « ومن ثمرات التحيل والأعناب تخذلون منه سكراً ورزقاً حسناً » فكان المسلمون يشربونها ، وهي لهم حلال ، ثم إن عمرَ ومجاذاً وبجماعة من الصحابة ، قالوا يا رسول الله : أفتنا في الخمر ، فإنها تذهب بالعقل ، وتسلب الأموال ، فقتل قوله تعالى : « فيهما إثم كبير ، ومنافع للناس » فشربها قوم ، وتأتم منها آخرون ؛ ثم دعا عبد الرحمن بن عوف ناساً من ظلوا يشربونها ، فشربوا وسکروا ، فلما حضرت الصلاة ، قاموا إليها ، فأم بعضهم المصليين ، وقرأ : « قل يأيها الكافرون ، أعبد ما تعبدون »؛ ولم يقل ، لا « أعبد »، فنزلت الآية : « لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى »، فقلل من يشربها ؛ ثم دعا عقبان بن مالك قوماً ، فيهم سعدُ بن أبي وقاص ، وسقاهم ، فلما سكرروا افتخروا ، وتناشدوا الشعر ، حتى أنشد سعد شعر فيه هجاء الأنصار ، فصر به أنصارى بلسحى بغير - واللبحى : العظم الذي تبت عليه الأسنان - فشجبه موضحة - أى جرحه جرحًا أبان العظم - فشكى إلى رسول الله ، فقال عمر : اللهم بِيْنَ لِنَافِ الْخَمْرِ بِيَانًا شافِيًّا ، فنزل قوله تعالى : يأيها الذين آمنوا ، إنما الخمرُ والميسرُ والأنصابُ والأذلامُ ، رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه ، لعلكم تفلحون ، إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ، ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة ، فهل أنتم منهون ؟ » فقال عمر : انتهينا يا رب ، وحرّمت الخمر ، وصارت من الكبائر .

٢ - والميسركان شائعاً بين العرب ، وهو يطلق على كل أنواع القمار ، وكل متبرص يعلم أن كثيراً من المفاسد الشائعة ، والأموال الضائعة ، والأسر المنحلة ، والأخلاق المذولة ، والأعراض المسلوبة ، يرجع إلى الخمر والقمار ، أو إلى المائدة الخضراء ، والليلي الحمراء ، كما يقولون ، ولما جاء الإسلام كان حريصاً أن يوْقِنَّ أبناءهُ شرور المفاسد ، فحرمها تحريراً قاطعاً

٣ - وكان سؤال بعض المسلمين من سلمت فطرتهم ، وصدق إيمانهم ، عن حكم الله في تعاطي الخمر ولعب الميسر ، بعد ما ظهر من ضررهما ، وشيوخ تعاطيهما بين العرب - مقدمة للتحريم والمنع ، فطلب إلى النبيَّ أن يجيب السائلين : بأنَّ في تعاطي الخمر والميسر إثماً كبيراً ، وزراً عظيماً ، لأنَّ شارب الخمر يذهب عقله - والعقل عماد التفكير السليم ، والتصرف الحكيم - فيصدر عنه المذَرُ والسباب ، والمخاصة وقولُ الفحش ، ولا يبالي بإتلاف المال ، وإهدار الكرامة ، وابتذال النفس ، والقمار يجلب الخراب ، ويفيد الأموال ، ويورث بين لاعبيه العداوة والبغضاء ، ويفيدُ في النفوس الشقاوة والخصام ، وليس بعد الذي ذكرنا من إثم أكبر ، وضرر أخطرَ على المال والنفس والدين منه ، وللخمر والميسر إلى جانب إثمهما ومفاسدهما بعض المنافع للاعبين والشاريين ، وللبائعين والشاريين ، فلقد قيل : إنَّ الخمر تبعث السرور والفرحَ في القلب ، وتقوى الضعف ، وتشجع الجبان ، وفيها كسب - وهو كسب خسيس - لأصحاب الحانات ، وقيل في القمار : إنَّ الفائز فيه يشعر بالظفر ، ويحصلُ على ربح بغير كد أو تعب ، وهما معًا حبائلُ لصيد النساء ، وانتهاك الأعراض ، وسلب الأموال ، وهذا النفع الذي يهدِّمُ الأخلاق ، ويذهبُ بالمال ، وينخدشُ الشرف ، نفع ضئيل ، وأقل من القليل ، إلى جانب الآثام الكبرى ، التي يجر إليها الخمر والقمار .

٤ - وقد بيَّنَ الله في آية سابقة خير الوجوه لإنفاق المال ، وذكر أنها

للوالدين والأقربين ، واليتامى والمساكين وابن السبيل ، بعد سؤال بعض المؤمنين
رسول الله عن ذلك ، ولكنهم ما زالوا يسألون عن المقدار الذى ينفقونه في
جهات الخير . فأجيبوا إلى ما سألوا ، وطلب إلى النبي أن يقول لهم : إن
ما تتفقون للخير من أموالكم هو العفو ، وهو القدر الرائد عما يحتاج إليه
الإنسان لنفقة عياله ، وكان الرجل من أصحاب رسول الله بعد نزول هذه
الآية ، إذا كان له مال من ذهب أو فضة ، أو زرع أو ضرع ، قد رأى
ما يكفيه وعياله لنفقة سنة ، فامسكه ، وتصدق بسائره ، وإن كان من يعمل
بيده ، أمسك ما يكفيه وعياله يوماً ، وتصدق بالباقي ، وكان بعض المسلمين
يبلغ ، فينزل عن كل ما يملك ، تصدق على الناس ، وتقربا إلى الله ،
ولكن النبي لم يقر هؤلاء على المغالاة في الصدقات إلى هذا الحد ، فقد روى
أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم بيضة من ذهب ، أصابها في بعض المغازي ،
فقال : خذها مني صدقة ، فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
فأتاها من الجانب الأيمن ، فقال : خذها مني صدقة ، فأعرض عنها ، ثم
أتاها من الجانب الأيسر ، فأعرض عنه ، وقال مفضيا : هاتها ، فأخذها فحذفه
بها حذفاً لو أصابه لشجه أو عقره ، ثم قال : يحيى أحدكم به كله يتصدق
به ، ويجلس يتكشف الناس ، إنما الصدقة عن ظهر غنى . فأى ميد
اشتراكى من المبادئ التي تقوم بين الأمم المتحضرة ، جعل المنافع جارية بين
الناس ، والتعاون بينهم أساساً مقرراً في حياتهم ، وناظم به سعادتهم في الدنيا
والآخرة ، كما شرع الإسلام ؟ ومثل ذلك البيان الواضح للإجابة عما سأتم
أيها المسلمين ، والنظام الحكم الدقيق الذى يضمن لكم خيراً الدارين ، بين
الله لكم آياته ، ويهديكم سبile ، لتفكروا فيما هو خير لكم في الدنيا والآخرة ،
فتحبّسوا من أموالكم ما يصلحكم في معاش الدنيا ، وتنفقوا الباقى فيما ينفعكم
عند الله في الآخرة .

هـ — لما نزل قوله تعالى : إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظَلَمًّا ، إنما يأكلون في بطونهم ناراً ، وسيصلون سعيراً ، انطلق من كان عنده يتيم فعزل طعامه من طعامه ، وشرابه من شرابه ، فاشتد ذلك على اليتامي والأوصياء جميعاً ؛ وذُكرروا لرسول الله ، فأنزل الله تعالى : قل : إصلاح لهم خير ، فخلطوا طعامهم بطعمهم ، وشرابهم بشرابهم ، وبيَّنَ الله ما يجب عليهم لليتامي ، لينالوا به الخير ، وهو أن يكون المقصود من مخالطتهم ومعايشتهم ومساكنهم ، هو الإصلاح لهم ، فلقد أباح الله للأوصياء أن يخلطوا نفقةتهم بنفقة اليتيم ، بشرط ألا يغبنوهم ولا يظلموهم ، لأن من العسير تحديد ما يمكن أن يأكل اليتيم ، كما أنه من الشاق عزل طعامه وشرابه ، فإن هذا يوحش نفسه ، ويوقع على وصيئه عنتاً ومشقة ، وهذا بيَّنَ الله ما يجب أن يرَاعيه الأوصياء في شأن اليتامي ، وهو أن يراعوا مصالحهم ، وأن يعتبروهم إخواناً لهم ، تربط بينهم أخوة الدين ، وهي أقوى من أخوة الصهر والنسب ، وليس رعاية مصالح اليتامي مقصورة على التصرف في أموالهم فقط ، ولكنها مبسوطة على الإشراف على تعليمهم وتربيتهم ، والمحافظة على صحتهم ، وصيانة أخلاقهم ، وتشمير أموالهم ، وتنميتها في خير الوجوه ، وأن يشعرونهم بالأخوة ، وبالملودة والرحمة ، ويظهروا اهتمامهم بهم ، وقربهم من نفوسهم ، ويعترجوا بهم في شؤون الحياة امتزاج المخالطة ، حتى لا تستوحش نفوسهم ، ولا تتصدع باليتيم قلوبهم . وقد جعل الله أموال اليتامي ، وحقوقهم ورعايتها ، في ذمة الأوصياء ، وهو الذي يعلم من يصلح في أمورهم ومن يفسدها ، وأراد الله التيسير عليكم بمخالطة اليتامي ، ولو أراد لضيق عليكم ، وكلفك مشقة ، فائتمكم بمخالطتهم . ومفهوم الآية أن الله أباح للأوصياء أن يخلطوا من أموال اليتامي بأموالهم ؛ ما يصعب عليهم تحديده ، كثمن الطعام والشراب ، ويُقبَلُ تقديرهم في ذلك على حسب مستوى المعيشة والحياة التي يعيش فيها اليتيم ، أما التصرفات التي جرت العادة بالتَّوْثِيق فيها ، فعلى الأوصياء أن يقدموا عليها البينات .

(١٩)

وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَ ، وَلَا مَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ
 مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَغْبَيْتُكُمْ ، وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا ،
 وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَغْبَيْتُكُمْ ، أُولَئِكَ يَدْعُونَ
 إِلَى النَّارِ ، وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ ، وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ
 لِلنَّاسِ ، لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ . وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيصِ قُلْ : هُوَ
 أَذَىٰ ، فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيصِ ، وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرُنَّ
 فَإِذَا نَطَهُرُنَّ فَأُتْوُهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمْرَكُمُ اللَّهُ ، إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ
 التَّوَّابَيْنَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرَيْنَ . نِسَاءُكُمْ حَرَفٌ لَكُمْ ، فَأُتْوِا
 حَرَفَكُمْ أَنِّي شَيْمٌ ، وَقَدْمُوْا لِأَنْفُسِكُمْ ، وَاتَّقُوا اللَّهَ ، وَاعْلَمُوا
 أَنْكُمْ مُلَاقُوهُ ، وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ . وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً
 لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَنْقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ ، وَاللَّهُ سَمِيعٌ
 عَلِيمٌ . لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ ، وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ
 بِمَا كَسَبْتُمُ قُلُوبُكُمْ ، وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
ولا تنكحوا	ولا تترجوها .
المشركات	المراد بهن : الالئي لا يؤمن بكتاب سماوي ،
وأئمة مؤمنة خير من	كالتوراة والإنجيل .
مشركة	ولأئمة مسلمة مع ما بها من خساسة الرّق ووضاعة
مشركة	الشأن ، خير من مشركة مع ما بها من شرف
ولو أعجبتكم	الحرية ورفعه الشأن .
المشركين	ولو أعجبتكم بحلماها وما لها ونسبها .
يدعون إلى النار	المراد بهم : غير المسلمين .
عن الحيض	يدعون من يتزوجهم ويعاشرهم ، إلى ما يؤدي إلى
أذى	النار ، من الكفر والفسق .
فاعتزلوا النساء في الحيض	عن وقت الحيض وموضعه ، ماذا يكون شأن
ولا تقربوهن حتى يطهرن	الرجال مع النساء فيه .
فأتوهن من حيث أمركم الله	شيء مستقلن ، وفيه أذى لمن يقربه .
المنظهرين	لا تقربوا النساء وقت الحيض .
نساؤكم حرث لكم	لا تباشرون حتى ينقطع الحيض ويعتنسن .
	فأتوهن بعد انقطاع الحيض والظهور ، كما أمركم الله
	المتزهين عن الفواحش والأقدار .
	فيهن تحرثون الأولاد ، أى تزرعنهن ، كما يزرع
	البذر في الأرض .

شرحها	الألفاظ
فأتوا موضع النسل والحرث كيف شئتم . واعملوا العمل الصالح الذى تجلدونه أمامكم يوم القيمة .	فأتوا حرثكم أنى شئم وقدموا لأنفسكم
{ ستلاقوه يوم القيمة ، ليحاسبكم على ما فعلتم من خير أو شر .	ملاقوه
{ قدم للمؤمنين البشري ، بما أعد الله لهم من الكراهة في دار النعيم .	وبشر المؤمنين
قرة لأنفسكم ، وعدة في الامتناع من البر . لأجل ألا تبروا . لا يعذبكم .	عرضة لأيمانكم أن تبروا لا يؤاخذكم
اللغو : ما لا خير فيه ، والساقط الذى لا يعتد به من الكلام وغيره ، واليمين اللغو : ما لا يعقد عليه القلب ، والمراد : المزلل والمزاح ، والأيمان جمع يمين ، وهو الحلف .	باللغو في أيمانكم
{ بما انعقدت عليه قلوبكم ، وطابق حقيقة ما في نفوسكم .	بما كسبت قلوبكم

جمل المعنى

شملت هذه الآيات خمسة أحكام :

١ - لا يجوز زواج المسلم من المشاركة ، وهى التي لا تدين بكتاب
سماوى ، كالخجosity والوثنية ، إلا إذا أسلمت ، فله أن يتزوجها بعد إيمانها ،

أما الكتابية كاليهودية والنصرانية ، فيجوز له أن يتزوجها وهي على دينها ، وقد فضل الله الأمة المملوكة المسلمة ، على ما بها من خساسة الرق ، ووضاعة الشأن ، فأحل تزوج المسلم بها ، على المرأة الحرة المشركة ، على ما بها من شرف الحرية ، ورفة الشأن ، فحرم عليه أن يتزوج بها ، ولو وقع في نفسه الإعجاب بها ، بجمالها وما لها وشرفها — فقال : **ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم .**

٢ — ولا يجوز أن تتزوج المرأة المسلمة من مشرك ، والمراد بالمشاركة في هذا الحكم : من [°] كان على غير دين الإسلام — وقد فضل الله العبد المسلم ، على الكافر الحر ، ولو كان ذا مال وجاه ، لأن الكفار يدعون من يعاشرهم ويقارنهم إلى ما يؤدى إلى النار ، من الكفر والفسق والعصيان ، والله يدعو من يقارن [°] ويعاشر عباده المؤمنين إلى الجنة ، بالاعتقاد الحق ، والعمل الصالح ، بإذنه وتوفيقه ، ويبين آياته وأحكامه ، للناس ، ليتعظوا ويعملوا بها ، فيفوزوا بما دعوا إليه من الجنة والغفران .

٣ — ويجب على الرجل ألا يباشر امرأته ، إذا كانت حائضًا ، حتى ينقطع الحيض [°] وتظهر ، أى تغسل منه ، وتنظف جميع جسمها ، لأن الحيض مستقذر كريه ، وفيه أذى للرجل والمرأة ، إذا حصلت المباشرة فيه ، فإذا تظهرت المرأة واغسلت بعد انقطاع الحيض ، فقد حل لزوجها أن يباشرها ، كما أمر الله ، أى بعد انقطاع الحيض وبعد الطهر . والله سبحانه وتعالى يحب عباده الذين يتوبون من الذنب ، ويحب المتظاهرين المتزهين عن المعاصي والأقدار ، ولما نزل قوله تعالى : فاعتزلوا النساء في المحيض ، أخذ المسلمون بظاهر الاعتزال ، فأخرجوهن من البيوت ، فقال ناس من الأعراب : يا رسول الله ، البرد شديد ، والثياب قليلة ، فإن آخرناهن هلك سائر أهل البيت ، وإن استأثرنا بها هلك الحُيُّض [°] ، فقال صلى الله عليه وسلم : إنما أمرتم

أن تعترلوا مجتمعهن إذا حضن ، ولم يأمركم بإخراجهن من البيوت ، كفعل الأعاجم .

٤ — النساء حرث للرجال ، يلقون فيهن بأصل النسل ، ويزرعون فيهن الولد ، وقد حل لرجالهن أن يباشروهن ، في موضع النسل ، وفي مسلك الولد ، ويستمتعوا بهن كيف شاءوا ، وفي أى حال أرادوا ، ما داموا لا يشندون في الاستمتاع ، ولا يخالفون ما أحل الله في الجماع ، وعليكم أيها الرجال أن تقدموا لأنفسكم الأعمال الصالحة ، لتجدوها أمامكم عند الله يوم القيمة ، واعلموا أنكم ستلاقون وجهه ، ليحاسبكم على ما فعلتم من خير أو شر ، فبشر يا محمد أتباعك المؤمنين ، الذين امتحنوا أوامر الله ، واجتنبوا نواهيه ، بما أعد لهم من الكرامة في دار النعيم .

٥ — حذر الله عباده أن يلجموا للأيمان والخلف ، ليتخذلوا وسيلة وتعلة ، وقمة يستندون إليها في الامتناع عن عمل الخير ، والتقوى والإصلاح بين الناس ، فقال : ولا يجعلوا الله حاجزاً لكم عن فعل البر والتقوى والإصلاح ، ولا ينبغي أن يتذكّر اسم الله ، و يجعلوه معرضًا لأيمانكم بكثرة الحلف ، والله سميع لما يقوله عباده ، عليم بنيتهم ، وما تكن صدورهم . وقد نزلت هذه الآية في شأن أبي بكر الصديق ، إذ حلف ألا ينفق على مسطح ، وكان من ذوي قرباه ، لافتائه على عائشة رضي الله عنها في الإفك . . . وبعض الناس تجري على لسانه ألفاظ الحلف والأيمان في أمور تافهة ، فتسمع منهم في أثناء كلامهم : تعالـ والله ، نعم والله ، تفضل بالله ، لا والله ، فهو بهذه الألفاظ وأمثالها أمان لغو ، لا يعاقبكم الله أيمان المؤمنون عليها ، ولا يوجد عليكم كفارة لها ، وإن كان من اللائق ألا يجعلوها جارية على ألسنتكم ، وإنما يؤاخذكم ويعاقبكم بما قصدتم إليه ، وتمددتم فيه الكذب ، وكان عقدُه ونتهـه في قلوبكم ، والله غفور لمن يقصد العمد والكذب في أيمانه ، حليم على المتعمدين الكاذبين فيها ، لم يتعجل بعقوبـتهم تربصاً لتوبـتهم .

(٢٠)

لِذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَاءِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ ، فَإِنْ فَادُوا
فِيْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ . وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ .
وَالْمُطْلَقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُونٍ ، وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ
يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْبَاعَاهُنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الآخِرِ ، وَبِمُوَلَّهُنَّ أَحَقُّ بِرَدَهُنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا ،
وَلَهُنَّ مِثْلُ الدِّيْنِ عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ، وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ،
وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ . الطَّلاقُ مَرْتَانٌ ، فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ ، أَوْ
تَسْرِيْحٌ بِإِحْسَانٍ ، وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا ،
إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ ، فَإِنْ خَفْتُمْ أَلَا يُقِيمَا حُدُودَ
اللَّهِ فَلَا جُنَاحٌ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ ، تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا
تَعْتَدُوهَا ، وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ . فَإِنْ
طَلَقَهُمَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ حَتَّى تَنْسِكْحَ زَوْجًا غَيْرَهُ ، فَإِنْ
طَلَقَهُمَا فَلَا جُنَاحٌ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجِعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ
اللَّهِ ، وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَغْلَمُونَ .

شرح الألفاظ

شرحها	الألفاظ		
<p>{ يخلفو ن ألا يقربوا نساعهم ، إما مطلقاً وإما مدة تزيد { على أربعة أشهر .</p>	<p>يؤلدون من نسائهم تربص أربعة أشهر</p>		
<p>رجعوا في الإيلاء في أربعة الأشهر من يوم الحلف يغفر في المؤلِّ إثيم حسنه في اليمين ، بفيته ورجوعه . { وإن تركوا الفيضة مدة الأربعة الأشهر ، وصمموا { على الطلاق فليوقعوه .</p>	<p>فأعوا</p>	<p>غفور</p>	<p>وإن عزموا الطلاق</p>
<p>يتربصون ويعنون أنفسهن من التزوج برجل آخر . { جمع قُرْء ، وهو الطهر مع الحيض ، أو الخروج { من الطهر إلى الحيض .</p>	<p>يتربصن بأنفسهن</p>	<p>ثلاثة قُرْء</p>	
<p>يختفين الحمل ، أو حالة الحيض عندهن . أزواجهن .</p>	<p>يكتمن ما خلق الله في أرحامهن</p>	<p>بعولتهن</p>	
<p> أصحاب الحق بمراجعةهن في العدة ، إذا كان الطلاق دون الثلاث .</p>	<p>أحق بردنه</p>		
<p>إن قصدوا بالمراجعة إصلاح حياتهما معاً . { ولهن على الرجال حسن العاشرة ، مثل ما للرجال { عليهم من الطاعة :</p>	<p>إن أرادوا إصلاحاً</p>	<p>ولهن مثل الذي عليهم بالمعروف</p>	
<p>منزلة ومزية .</p>	<p>درجة</p>		

الألفاظ	شرحها
فإمساك بمعرفة	فلكلم إمساك ومراجعة للزوجة ، مع المعروف وحسن الصحبة .
أو تسرير بإحسان	أو تركها بلا مراجعة ، وإطلاق سراحها حتى تنتهي عدتها ، من غير أن يظلمها شيئاً من حقها ، أو يسمى القول فيها .
أن يخافا	أن يظننا .
ألا يقينا حدود الله	ألا يؤدي ما فرض الله من القيام بواجبات الزوجية . فلا إثم على الرجل فيأخذ ما افتدى به نفسها من
فلا جناح عليهم فيما	المال ، ولا على المرأة في إعطائه .
افتدى به	أن يتراجعوا كل منها إلى حالة الزوجية .

مجمل المعنى

١ - الإيلاء : أن يخلف الرجل على امرأته ألا يقربها مطلقاً ، أو مدة تزيد على أربعة أشهر ، فإن حلف على أربعة أشهر فقط ، أو أقل ، فلا يعتبر ، والرجال الذين يؤمنون نسائهم ، ويخلفوهم ألا يقربوهن مطلقاً ، أو مدة تزيد على أربعة أشهر ، تأدبياً لهن بالهجر ، لهم أن يتضرر النساء عليهم أربعة أشهر ، فإن فاعوا في أثنائها ، ورجعوا إلى معاشرة نسائهم فيها ، وحشوا في يمينهم ، غفر الله لهم ما أحقوه بهن من ضرر ، هجر فراشهن مدة الأربعة الأشهر ، وزحمهم ، فلم يشدد عليهم ، ولم يلزمهم المضي في تنفيذ القسم ، ووجبت عليهم كفارة الحث ، إن كانوا قادرين عليها ، وإن كانوا غير قادرین أفعاهم منها ؛ وإذا كانوا لا يستطيعون في مدة الأشهر الأربعة أن يفيموا

بمعاشرهن ، لغيبتهم في سفر ، أو تجنيد ، أو مرض ، فلهم أن يعلنوا رجوعهم عن الإيلاء ، وحينما ينتهي المانع من المعاشرة ، بالعودة من السفر ، أو بالشفاء من المرض ، ويستطيعونها ، وجبت عليهم ، ولزتمهم الكفاره إن كانوا قادرين .

٢ - أما إذا لم يفيئوا في الأربعة الأشهر التي تبدأ من يوم الحلف ، فلم يقربوا نسائهم خلالها ، كان معنى هذا أنهم عازمون على طلاقهن ، مصممون في قطع رباط الزوجية ، ولزوجة حينئذ أن ترفع أمرها إلى القاضي ، ليحكم لها برجوع زوجها إلى فراشها ، وقيامه بما أحل الله منها ، فإن لم يفعل ، طلق عليه طلقة واحدة ، والله سميع لإيلاء الرجال من النساء ، وتتطليقهم هن بعد ذلك ، عليم بنياتهم في ضرارهن وإينادهن بالإيلاء وبالطلاق ، وسيحاسب كلًا منهم على إساعته ، ويأخذه بظلمه .

٣ - وإذا طلت النساء المدخول بهن ، فإن كن من يخصن ، وكن من غير ذوات الحمل . وجب عليهن أن يتربصن بأنفسهن ، ويتظرن ، فلا يتزوجن ب الرجل آخر ثلاثة قروء ، والقرء هو الطهر مع الحيض ، أو هو الخروج من الطهر إلى الحيض ، وتسمى مدة الأقراء الثلاثة التي تنتظر فيها المرأة بعد الطلاق لتنبغي الرحم من الحمل : عدّة ، فإن كانت المطلقة غير مدخلو بها ، فلا عدّة عليها . وإن كانت من لا يخصن لصغر أو أكبر ، فعدتها ثلاثة أشهر ، وإن كانت حاملا فعدتها تنتهي بوضع الحمل ؛ والعبرة بقول المرأة في أمر العدّة ، وهي وحدها مؤمنة على ذلك ، ولهذا لا يحل للنساء أن يخفين ما خلق الله في أرحامهن من الحمل أو الحيض ، استعجالا في العدة ، حتى يفوتن على الرجال حق مراجعتهن فيها ، أو يغتصبن نفقة العدة مدة أطول ، وفي إخفاء أمر الحيض أو الحمل إثم كبير ، فلا ينبغي للمطلقات أن يختزنن عليه ، إن كن يؤمنن بالله واليوم الآخر ، ويخشين الله ، ويخفن حسابه في يوم الجزاء

٤ - وكما أن المطلقة هي صاحبة الحق ، ومسموحة^١ القول في أمر العدة ، إن كانت بالآباء أو المدة ، أو وضع الحمل ، فإن الأزواج لهم أيضاً الحق في رد المطلقات طلاقاً رجعياً ، قبل انقضاء العدة ، إن كانوا يقصدون بالمراجعة العودة إلى الحياة الزوجية ، التي تقوم على الإصلاح وحسن العشرة ، أما إذا أرادوا بها الإساءة إلى المرأة ، فإن الله يعاقبهم عليها ، وليس القصد من إرادة الإصلاح والإحسان في رد المطلقة ، أن المراجعة لا تصح إلا بها ، ولكن الله يحث الرجال على الالزام^٢ جعل المطلقات بقصد الضرر بهن ، وإنما يرد^٣ وهن بقصد الإصلاح والإحسان ، ويحذرهم مراجعة النساء للإضرار بهن

٥ - ولا ينبغي للرجال أن يظلموا النساء ، كما لا ينبغي للنساء أن يخربن عن طاعة الرجال ، فلهن من حقوق الزوجية على الرجال ، كحسن الصحبة والعشرة بالمعروف ، مثل الذي عليهم من الطاعة لهم ، فعلى الرجال أن يتقيوا الله في النساء ، وعلى النساء أن يتقيين الله في الرجال ؛ وقد جعل الله للرجال منزلة ودرجة^٤ ، بما ألقى على كاهل الرجال من واجبات وتعاتب دون النساء ، فعليهم القتال والجهاد^٥ ، وعليهم الصداق والإإنفاق ، هذا إلى أنهم أكثر احتفالاً لتعاب الحياة ، وأكثر تعلاً وتفكيراً ، وتبصرأ للأمور من النساء ، وبما أن الله فضل الرجال بهذه المزايا ، وجب عليهم حسن^٦ معاشرة النساء ، وأن تتسع لهن أخلاقهم ، لأن الأفضل ينبغي أن يتحامل على نفسه ، فيجب على الرجال أن يحسنوا إلى النساء ، بقدر ما خصهم الله من فضل ومزية عليهم ، وبقدر ما ألقى عليهم من واجبات ، ومن يخالف ما أمر الله به ، فإن الله قادر على الانتقام منه ، لأنه وضع للناس شرائعه بحكمة توافق مصالحهم في الدنيا ، وتضمن سعادتهم في الآخرة .

٦ - وعدد الطلاق الذي يحق للرجال فيه الرد والرجعة ، على حسب ما يبيّنا ، مرتان ، فإذا طلق الرجل مرة ، فله أن يرد امرأته ويرجعها ، فإن

طلقها مرة ثانية ، فله أيضاً أن يردها ويرجعها ، وبعد الرجعة الثانية ، ليس له إلا إمساك وإبقاء على الزوجية ، بمعرف وحسن معاشرة ، ولفظ معاملة في هاتين المرتين . فإن طلقها مرة ثالثة ، فلا يحل لها مراجعتها ، وعليه أن يتركها تقضى عدتها ، ويطلق سراحها بمحسان ، فلا يسمى فيها القول ، ولا يحول بينها وبين الزواج من غيره .

٧ — وكانت جحيلة بنت عبد الله بن أبي زوجة ثابت بن قيس ، وكانت تبغضه وهو يحبها ، فشكنته إلى أبيها فلم يقبل شكواها ، فأتت النبي صلى الله عليه وسلم ، وشكنته إليه ، وأرته أثر الضرب ، وقالت : لا أنا ولا ثابت : لا يجمع رأسه ورأسه شيء ، والله لا أعتبر عليه في دين ولا خلق ، لكنني ما أطيقه بغضنا ، وإن أكره اللغو في الإسلام : « أكره أن يؤدى بغضي له إلى ما هو كفر في الدين » إن رفعت جانبَ الحيام ، فرأيته أقبل في عدّة رجال ، وهو أشدّهم سواداً ، وأقصرهم قامة ، وأقبحهم وجهاً ، فقال ثابت : ما لي أحب إلى منها بعدك يا رسول الله ، وقد أعطيتها حديقة تردّها على ، وأنا أخاً سبيلها ، ففعلت ذلك ، فدخلت سبيلها ونزل قوله تعالى : ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيسنون شيئاً . الآية . فكان أول خلع في الإسلام . والخلع : معناه أن يطلق الرجل زوجته على الفدية ، وقد حرم الله على الرجال أن يضاروا نسائهم ، ويسيئوا إليهن ، حتى يتضايقن ويطلبن الطلاق ، نظير أن يعطينهم شيئاً من الصداق الذي دفعوه إليهن ، ولكن قد تسوء الحياة بين الرجل وزوجته ، ويقع بغضنه في قلبها ، وتتصبح حياتها في كفنه شقية ، وتعمل على النشور وفساد العشرة ، ويعلم أنهما لا يقيمان حدود الله في الزوجية ، ويظن كل واحد منهما أنه لا يؤدى لصاحبه حقه ، لاستحكام الكراهة بينهما ، فلا حرج على المرأة حينئذ من أن تفتدى نفسها ، بأن تعطى الرجل بعض ما أخذته من الصداق ، ولا حرج على الرجل أن يأخذ ما أعطته المرأة ،

لِيُطْلَقَ سِرَاحَهَا وَيُطْلَقَهَا ، وَيُسمَى هَذَا الطَّلاقُ الَّذِي تَدْفَعُ فِيهِ الْمَرْأَةُ عَوْضًا مِنْ مَالٍ أَوْ عَقَارٍ لِقاء طَلاقَهَا خَلْعًا ، وَلَيْسَ لِلرَّجُلِ حَقٌّ مَراجِعَتِهَا فِي الْخَلْعِ إِلَّا بِرَغْبَتِهَا ، وَقَدْ طَلَبَ اللَّهُ مِنَ الْحَكَامِ وَالْمُتَوَسِّطِينَ فِي نَظَرِ قَضِيَّةِ الزَّوْجَيْنِ ، أَنْهُمْ إِذَا حَشِوا مِنْهُمَا تَرَكَ حَدُودَ اللَّهِ ، إِنْ بَقِيتَ صَلَةً زَوْجِيَّةً قَائِمَةً بَيْنَهُمَا ، أَنْ يَتَدَخَّلُوا لِفَصْمِ عُرَاهَا . لِيَنْهَبَ كُلُّهُ إِلَى حَالِ سَبِيلِهِ ، وَيَتَصَالِحَا عَلَى أَنْ تَفْتَدِيَ الْمَرْأَةُ نَفْسَهَا بِعَضِّ مَا أَخْدَتْ مِنَ الصَّدَاقِ ، وَأَنْ يَخْالِعَهَا الرَّجُلُ ، وَيُطْلَقُهَا دُونَ أَنْ يَكُونَ لَهُ حَقٌّ مَراجِعَتِهَا إِلَّا بِإِذْنِهَا ؛ وَتَرَكَ إِقَامَةُ حَدُودَ اللَّهِ مِنَ الْمَرْأَةِ ، هُوَ اسْتِخْفَافٌ بِحُقُوقِ الزَّوْجِ ، وَعَدْمُ طَاعَتِهَا ، وَكُرْهَهَا لَهُ ، كَمَا حَصَلَ مِنْ جَيْلَةِ بَنْتِ عَبْدِ اللَّهِ ، لِزَوْجِهَا قَيْسِ بْنِ ثَابِتٍ فِي الْقَصَّةِ السَّابِقَةِ . وَهَذِهِ الْأَحْكَامُ الْمَذَكُورَةُ هِيَ الْحَدُودُ الَّتِي رَسَمَهَا اللَّهُ بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ ، فَلَا يَنْبَغِي لَهَا ، أَوْ لَمْ يَحْكُمْ بَيْنَهُمَا ، أَنْ يَتَعَدَّهَا بِالْخَالِفَةِ وَالرَّفْضِ ، وَمَنْ يَتَعَدَّهَا ، فَإِنَّهُمْ يَكُونُونَ ظَالِمِينَ لِأَنفُسِهِمْ ، لَأَنَّهُمْ يَعْرِضُونَهَا لِسُخْطَ اللَّهِ وَغَضْبِهِ .

٨ - وَإِذَا طَلَقَ الرَّجُلُ زَوْجَتِهِ مَرْأَةً ثَالِثَةً ، فَلَا تَحْلُ لَهُ مَراجِعَتِهَا ، وَالْعَدْدُ عَلَيْهَا ، وَلَا يُمْكِنُ أَنْ تَعُودَ إِلَى عَصْمَتِهِ بِأَيِّ حَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ ، إِلَّا إِذَا تَزَوَّجَتْ بِرَجُلٍ غَيْرِهِ ، وَيَدْخُلُ بَهَا ، وَتَنْوِيقُ عُسْيَلَةَ ، وَتَنْوِيقُ عُسْيَلَةَ ، فَإِنْ طَلَقَهَا الزَّوْجُ الثَّانِي ، وَانْفَضَّتْ عَدْدٌ طَلاقَهَا مِنْهُ ، جَازَ لِلزَّوْجِ الْأَوَّلِ أَنْ يَتَزَوَّجَهَا بِعِقْدٍ وَمِهْرٍ جَدِيدَيْنِ ، إِنْ رَغَبَ كُلُّهُمَا فِي تَجْدِيدِ الزَّوْجِ ، وَالْعُودَةِ إِلَيْهِ ، وَظَنَّا أَنَّهُمَا يَقِيمَانِ حَدُودَ اللَّهِ الَّتِي أَوْجَبَهَا عَلَى الزَّوْجَيْنِ ، مِنْ حَسْنِ الْعَشْرَةِ ، وَجَمِيلِ الْخَالِطَةِ ، وَهَذِهِ الْحَدُودُ يَبْيَسُهَا اللَّهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ مَا يُرْتَبِطُونَ بِهِ ، وَيَفْهَمُونَ مَا يَأْخُذُونَ بِهِ أَنفُسِهِمْ مِنْ مَوَاتِيقِ الزَّوْجِ ، وَلَيْسَ مِنْ سُنْنَ الْإِسْلَامِ ، وَلَا مَا يُقْرَرُهُ الدِّينُ ، مَا يَلْجَأُ إِلَيْهِ بَعْضُ الْمُخْتَالِيْنَ عَلَى شَرَائِعِ اللَّهِ ، إِذَا رَغَبَ فِي إِعادَةِ زَوْجَتِهِ الْمُطْلَقَةِ مِنْهُ ثَلَاثَةً ، مِنَ الْاِتْفَاقِ عَلَى أَنْ يَعْقُدَ عَلَيْهَا لِرَجُلٍ آخَرَ ، وَيَدْخُلُ بَهَا لِيَلَةً أَوْ لِيَلَتَيْنِ ، ثُمَّ يُطْلَقُهَا ، لِيَحْلِلَهَا لَهُ ، وَقَدْ سَيِّرَ رَسُولُ اللَّهِ مِثْلُ هَذَا

الرجل تيَسِّاً، ولعنه فقال : لعن الله التيس المستعار، وقال : لعن الله المخلل
والمخلل له؛ والحكمة في هذا التشريع الحكيم ، الردع عن المسارعة في الطلاق ،
ثم العودة إلى المطلقة ، فإن رباط الزوجية عُقد باسم الله ، وعلى سنة رسول الله ،
فلا ينبغي أن يتهاون الزوجان في بته . وأن يتסהهلا في فصم عراه .

سَمَّ
يَفْ
وَأَ
وَأَ
شَهَ
أَزَّ
مُؤْ
أَزَّ

(٢١)

وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجْلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَرْوِفٍ أَوْ سَرْحُونَ بِمَرْوِفٍ ، وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِتَعْتَدُوا ، وَمَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ، وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوا ، وَإِذْ كَرُوا تَعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ، وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةَ يَعْظِمُكُمْ بِهِ ؛ وَأَتَقُوا اللَّهَ ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ . وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجْلَهُنَّ فَلَا تَمْضِلُوهُنَّ أَنَّ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضُوا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ، ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، ذَلِكُمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
فبلغن أجلهن	قاربن الانتهاء من العدة .
فامسكون بهروف	فردوهن إلى عصمتكم ، وعاشروهن بهروف

شرحها	الألفاظ
{أو اتر كوهن حتى تنقضى عدتهن بمعرفه ، من }غير ضرر .	أو سرحون بمعرفه
{ولا تراجعون وتمسكون في عصمتكم ، بقصد }الإضرار بهن ، والانتقام منها .	ولا تمسكون ضراراً
{لتظلموهن حتى تجبروهن على أن يفتدين أنفسهم }منكم بمال .	لتعتدوا
ومن يمسك المرأة بقصد ضررها .	ومن يفعل ذلك
فقد عرضها لعقاب الله .	فقد ظلم نفسه
ولا تأخذوا أحكام الله هازئين غير جادين .	ولا تأخذوا آيات الله هزواً
هي الإسلام .	نعمه الله عليكم
هي سنة رسول الله فيما لم ينص عليه في الكتاب .	والحكمة
يخوكم به .	يعظكم به
انقضى أجل عدتهن .	فبلغن أجلهن
لا تحبسوهن ، ولا تمنعوهن أن يتزوجن .	فلا تعذلوهنهن
خير لكم ، وأبعد لنسائكم عن الريبة .	أزكي لكم وأظهر
والله يعلم وأنتم لا تعلمون	والله يعلم وأنتم لا تعلمون

مُجملُ المعنى

١ - ثبت أن أهل الجاهلية لم يكن عندهم للطلاق عدَّ ، وكانت العدة معلومة مقدَّرة ، واستمر هذا في أول الإسلام ببرهة ، فكان الرجل يطلق امرأته ما شاء من الطلاق ، فإذا كادت عدتها تنقضى ، وتحل من طلاقه

يراجعها ، ليقيها ضِراراً ، فلا هو يحسن عذرها ، ولا هو يدعها لتنقضى عدتها وتتزوج بغيره من الرجال ، وقد فعل رجل في عهد النبي بأمرأته ذلك ، فكان لا يؤويها ولا يخلها من عصمتها ، فهو يطلقها فإذا دنا أجل انقضاء عدتها راجعها ، فشكك المرأة أمرها إلى عائشة رضي الله عنها ، فذكرت ذلك للنبي ، فأنزل الله آيات الطلاق المذكورة .

٢ - وإذا طلقت النساء ، فلهم قبل أن ينقضى أجل العدة أن تمسكوهن وتردوهن إليكم بالمعروف ، فنقوموا بواجبات الزوجية ، من الإنفاق وحسن العشرة ، أو تسرّحون وترتكوهن حتى تنقضى العدة ، ويصير أمرهن لأنفسهن ، ولا يحل لكم أن تراجعوهن وتمسکوهن في عصمتكم لتضروهن وتعتدوا عليهن ، وتظلموهن حتى تلجهوهن إلى الافتداء منكم بمال ؛ ومن يفعل ذلك منكم فقد ظلم نفسه ، وعرضها لعقاب الله ؛ ويجب أن تكونوا جادين في الأخذ بأحكام الله ، والعمل بها ، وأن ترْعُوها حق رعايتها ، وألا تخذلوها هُرُواً ولعباً ، لتنفيذ أغراضكم ، وتحقيق مكاييدكم ، واذكروا نعمة الله عليكم ، إذ هداكم للإسلام ، ومنَّ عليكم بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، وأنزل عليكم القرآن والسنة ، فقابلوها بالشكر ، واهتدوا بهديها ، يعظكم الله بكل ذلك ، ويحذركم مخالفة كتابه ، وسنة نبيه ، فعليكم أن تتقوه باتباع حادده ، وامتثال أوامره ، واجتناب نواهيه . واعلموا أنه مطلع على كل ما يصدر منكم ، عليم بكل أحوالكم ، قال أبو الدرداء : كان الرجل يطلق في الجاهلية ويقول : إنما طلقت وأنا لاعب ، وكان يعتق ويتزوج ويقول : كنت لاعباً : فنزل قوله تعالى : ولا تخذلوا آيات الله هُرُواً . وقال عليه السلام : من طلق أو أعتق أو نكح أو أنكح ، فرغم أنه لاعب ، فهو جاد .

٣ - وقد روى أن معْقِلَ بنَ يسار ، كانت أخته تحب أبا البداح ، فطلّقها ، وتركها حتى انقضت عدتها ، ثم ندم فخطبها ، فرضيت ، وأبى

أَخْوَهَا أَن يَزُوجَهَا وَقَالَ : وَجْهِي مِنْ وَجْهِكَ حَرَامٌ إِن تَزَوَّجْتَهُ ، تَرْكُكَ حَتَّى
انْفَضَتْ عَدْتُكَ ، فَلِمَا خَطَبَكَ خُطَابًا خَرُونَ يَحْيَى وَيَخْطُبُكَ مَعْهُمْ ، لَا أَزُوْجَهَ
أَبْدًا ؛ فَنَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى : فَلَا تَعْصِلُوهُنَّ أَن يَنْكُحُنَ أَزْوَاجَهُنَّ ، فَدُعَاهُ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَرَأَ عَلَيْهِ الْآيَةَ ، وَقَالَ لَهُ : إِن كُنْتَ مُؤْمِنًا فَلَا تَمْنَعْ
أَخْتَكَ عَنْ أَبْنَى الْبَدَّاحَ : فَقَالَ : آمَنْتُ بِاللَّهِ ، وَزَوْجَهَا مِنْهُ .

٤ - وَإِذَا طَلَقَ النِّسَاء أَزْوَاجَهُنَّ ، أَوْ تَسْبِيبَمْ فِي طَلاقَهُنَّ أَيْهَا الْأُولَىءِ ،
وَانْفَضَتْ عَدْتُهُنَّ ، وَرَغْبَ كُلِّ مِنِ الرَّجُلِ وَالْمَرْأَةِ أَنْ يَتَزَوَّجَا ثَانِيًّا ، فَلَا يَنْبَغِي
لِلْأُولَىءِ أَوِ الْأَقْرَبِ أَوِ الْعِشِيرَةِ أَنْ يَعْصُلُوا الْمَرْأَةَ ، وَيَمْنَعُوهَا مِنِ الزَّوْجِ بِالرَّجُلِ
الَّذِي عَرَفَتْهُ وَعَرَفَهَا ، وَأَحْبَبَتْهُ وَأَحْبَبَهَا ، وَحَدَثَ بَيْنَهُمَا التَّرَاضِيُّ عَلَى أَنْ يَعِدَا
حَيَاةَ الْزَّوْجِيَّةِ ، فِي ظَلِ السَّعَادَةِ وَالْمَعْرُوفِ وَحَسْنِ الْعِشْرَةِ ، وَذَلِكَ النَّهْيُ عَنِ الْعَصْلِ
عَبْرَةٌ وَعَظَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَخَافُونَ اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ ، وَهَذَا أَزْكِنِي لَكُمْ ، وَخَيْرُ
لِحَيَاتِكُمْ ، وَأَطْهَرُ لِأَعْرَاضِكُمْ ، وَأَبْعَدُهَا عَنِ الرِّبَّيَّةِ ، لَأَنَّكُمْ لَا تَأْمُنُونَ إِن
مَنْعِمَتُهُنَّ مِنِ الزَّوْجِ ، أَنْ يَقُعُ بَيْنَهُمَا مَا يَغْضِبُ . وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِيهِ مَصْلَحَتُكُمْ ،
وَأَنْخَيْرُ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَهُ ، فَاتَّبِعُوا مَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ ، وَاجْتَنِبُوا مَا يَنْهَاكُمْ عَنْهُ .

٥ - وَمِنِ الْمَعْرُوفِ الشَّائِعِ بَيْنِ بَعْضِ النَّاسِ ، أَنْ تَأْخُذُهُمْ أَنْفَقَةً وَحَمِيمَةً ،
فَلَا يَسْمَحُوا لِلْمَرْأَةِ إِذَا طَلَقَهَا زَوْجَهَا ، وَأَرَادَ أَنْ يُعِيدَ الْعَدَدَ عَلَيْهَا بِرْجُوعِهَا إِلَيْهِ ،
بَعْدَ أَنْ تَكُونَ قَدْ صَفَّتْ أَنْفُسَهُمَا ، وَرَغْبَ كُلِّ مِنْهُمَا فِي أَنْ يَعُودَ إِلَى صَاحِبِهِ ،
وَمِنْهُمْ مَنْ تَكُونُ قَدْ تَكَبَّرَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الزَّوْجِ عَدَاؤُهُ أَوْ ضَغْنِيَّتِهِ ، فَيَطْلُقُهُ مِنْهُ قَرِيبَتِهِ أَوْ ابْنَتِهِ ،
فَإِذَا رَغَبَتِ فِي أَنْ تَعُودَ إِلَيْهِ ، عَارِضَتْ وَتَشَدَّدَ ، وَأَبَى وَهَدَّدَ . وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْنَعْ
زَوْجَ الْبَنْتِ ، لَأَنَّهَا مِيرَاثًا يَخْشَى أَنْ يَنْتَقِلَ إِلَى بَيْتِ زَوْجِهَا بَعْدَ الزَّوْجِ .
هَذِهِ أَنْوَاعُ مِنِ الْعَصْلِ الَّذِي حَرَمَهُ اللَّهُ ، وَقَدْ يَؤْدِي إِلَى فَسَادٍ كَبِيرٍ ،
هَذَا إِلَى مَا فِيهِ مِنْ تَحْكُمٍ وَاسْتَعْبَادٍ ، وَلَا يَرْضِي عَنْهُ دِينَ أَوْ خَلْقَ .

(٢٢)

وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أُولَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُمْ
الرَّضَاعَةَ، وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ، لَا تُكَافِئُ
نَفْسًا إِلَّا وُسْمَهَا، لَا تُضَارَّ وَالْدَّةُ بِوَلَدِهَا، وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ، وَعَلَى
الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ، فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاءُرٍ
فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا، وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أُولَادَكُمْ فَلَا
جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ، وَاتَّقُوا اللَّهَ ،
وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
والوالدات يرضعن أولادهن	يحب على الوالدات أن يرضعن أولادهن .
المولود له	الوالد .
رزقهن	أجر طعامهن .
بالمعرفوف	على حسب المتعارف ، من غير إيمان أو تقيير .

شرحها	الألفاظ
قدر استطاعتها .	وُسْعَهَا
لا يقع الضررُ على الأم بسبب ولدها . ولا يقع الضرر على الأب بسبب ولده .	لاتضار والدة بولدها ولا مولودٌ له بولده
{ وعلى ورثة الأب إذا مات ، ما يجب على الأب ، من نفقة الرضاع .	وعلى الوارث مثل ذلك
فقطاماً .	فصالاً
أن تُرضعوهم من مراضع أجنبيات . ما أعطيم .	أن تسترضعوا أولادكم ما آتنيم

جمل المعنى

١ - فرض الله على الأمهات أن يرضعن أولادهن عامين كاملين ، إذا لم يقبل الطفل غير ثديٍ أمه ، أو لم توجد له ظئر ، أي مرضعةٌ ترضعه ، أو وجدت وكان الأب عاجزاً عن دفع أجرتها ، وعلى المولود له وهو الأب ، أن يقوم بأجرة طعام الأمهات المرضعات وكسوتهن ، سواء أكنت في عصمة الآباء ، أم كن مطلقات ؛ وقد حدد الحولان الكاملان مدة للرضاع ، من أراد أن يكملها ، ولن يكون في تحديد هما قطعٌ للتنازع بين الزوجين على مدة الرضاع ، فإذا أراد الأب فطم الطفل قبل العامين ، ولم ترض الأم ، فليس له ذلك ، وإذا طلبت الأم نفقة الرضاع بعد الحولين ، فليس لها ذلك أيضاً .

وتقدر نفقة الوالدة لطعامها وكسوتها ، إذا أرضعت ولدها ، على حسب

المعارف مثلها ، وعلى قدر حال الزوج ، من غير إفراط ولا تفريط ، وبدون إسراف أو تفتيت ، لا تكلف نفس " إلا وسعها ، فلا يُطلبُ من الوالدة الصبرُ على التفتير عليها في قيمة نفقتها ، وزوجها قادر موسر ، ولا يطلبُ من الزوج ما فيه إسراف عليه ، بل يراعي القصدُ والاعتلال .

٢ - ولا ينبغي أن تضر الوالدة زوجها بسبب ما ذكرنا من حق إرضاع ولدتها واستحقاقها للنفقة على أبيه ، فترهقهُ بالمطالب ، وتعنفَ عليه في المطالبة ، وتكلفة ما لا يُطيق ، وما ليس بعدهُ من الرزق والكسوة ، فإن سوء معاملتها ، يحمله على إهمال شأن ابنه أو كراهيته ؛ ولا ينبغي أن يضر والد زوجته بسبب ولدتها ، بأن يمنعها حقوقها عليه في الرزق والكسوة ، أو يأخذَ منها إلى مرضع أخرى ، وهي تريد إرضاعه من ثديها ، لأنها أحنَ عليه ، وأرعى لشونه من الظُّرُر . وعلى وارث الأب أن يقوم بنفقة إرضاع الطفل إذا مات الأب ؛ ولا شك أن الطفل الرضيع هو أحد ورثة الأب ، فتجب نفقة رضاعته في ماله إن كان له مال ، وإن لم يكن للطفل مالٌ فعلى باقي ورثة أبيه أن يتتكلوا بها ، فإن لم يستطعوا ، فالرضاعة مفروضة على الأم حتماً بدون أجر .

٣ - وإذا رأى الوالدان أن الطفل قبل أن يبلغ الحولين لا يحتاج إلى الاغتناء ببلين الأم ، ولا يضر الطعام صحته ، وتشاورا في أمره ، ووجد أن مصلحته تقضى بفطامه ، واتفقا على ذلك ، فلا جناح عليهما ، ولا إثم في أن يفطم قبل الحولين . ومفهوم الآية أن الرضاع بعد الحولين لا يترتب عليه أحكام التحرير في الزواج ، كما لا يستوجب نفقة للأم كما أسلفنا

قام الآباء بإعطاء الظُّلْمَ أَجْرَهَا ، على قَصْدِ خَيْرٍ وَمَعْرُوفٍ ، حَتَّى تَكُونَ رَاضِيَةً
النَّفْسَ ، طَبِيَّةُ الْخَاطِرِ بِالرَّضَاعِ ، إِصْلَاحًا لِشَأْنِ الصَّبِيِّ ، وَاحْتِيَاطًا فِي أَمْرِهِ
بِالْمَعْرُوفِ ، وَاتَّقُوا اللَّهَ فِي شَأْنِ أَوْلَادِكُمْ ، فَلَا تُسْيِئُوا أَمْهَاتِهِمْ ، وَلَا تُمْنِعُوهُنَّ
رِزْقَهُنَّ وَكَسْوَتِهِنَّ ، وَأَعْطُوهُنَّ الْمَرْاضِعَ أَجْوَرَهُنَّ بِقَوْلِ مَعْرُوفٍ ، وَوِجْهٌ مُسْتَبِّشَرٌ ،
إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِكُلِّ مَا تَعْمَلُونَ .

بِالْحَمْدِ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ . بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . هَذَا لِمَنْ تَقْتَلَ لِهِ الْحَسْنَاتُ لِمَنْ
لَمْ يَكُنْ لَهُ فِتْنَةٌ . فَقِيلَ لَهُ . قَاتَلْتَ أَهْلَنَا . فَقَالَ . لَمْ يَكُنْ لَهُ فِتْنَةٌ
لِمَنْ تَقْتَلَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ فِتْنَةٌ . فَقِيلَ لَهُ . قَاتَلْتَ أَهْلَنَا لِمَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ فِتْنَةٌ . فَقَالَ
لَمْ يَكُنْ لَهُ فِتْنَةٌ . فَقِيلَ لَهُ . قَاتَلْتَ أَهْلَنَا لِمَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ فِتْنَةٌ . فَقَالَ
لَمْ يَكُنْ لَهُ فِتْنَةٌ . فَقِيلَ لَهُ . قَاتَلْتَ أَهْلَنَا لِمَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ فِتْنَةٌ . فَقَالَ
لَمْ يَكُنْ لَهُ فِتْنَةٌ . فَقِيلَ لَهُ . قَاتَلْتَ أَهْلَنَا لِمَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ فِتْنَةٌ . فَقَالَ
لَمْ يَكُنْ لَهُ فِتْنَةٌ .

لَمْ يَكُنْ لَهُ فِتْنَةٌ . فَقِيلَ لَهُ . قَاتَلْتَ أَهْلَنَا لِمَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ فِتْنَةٌ .
لَمْ يَكُنْ لَهُ فِتْنَةٌ . فَقِيلَ لَهُ . قَاتَلْتَ أَهْلَنَا لِمَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ فِتْنَةٌ . فَقَالَ
لَمْ يَكُنْ لَهُ فِتْنَةٌ . لَمْ يَكُنْ لَهُ فِتْنَةٌ . فَقِيلَ لَهُ . قَاتَلْتَ أَهْلَنَا لِمَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ
فِتْنَةٌ . فَقَالَ . لَمْ يَكُنْ لَهُ فِتْنَةٌ . فَقِيلَ لَهُ . قَاتَلْتَ أَهْلَنَا لِمَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ فِتْنَةٌ .
وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا يَعْلَمُ . فَقِيلَ لَهُ . قَاتَلْتَ أَهْلَنَا لِمَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ فِتْنَةٌ . فَقَالَ
لَمْ يَكُنْ لَهُ فِتْنَةٌ . وَمَا لَقَيْتَ بِهِ فِتْنَةً . فَقِيلَ لَهُ . قَاتَلْتَ أَهْلَنَا لِمَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ فِتْنَةٌ .

فَقِيلَ لَهُ . قَاتَلْتَ أَهْلَنَا لِمَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ فِتْنَةٌ . فَقَالَ . لَمْ يَكُنْ لَهُ فِتْنَةٌ .
لَمْ يَكُنْ لَهُ فِتْنَةٌ . لَمْ يَكُنْ لَهُ فِتْنَةٌ . فَقِيلَ لَهُ . قَاتَلْتَ أَهْلَنَا لِمَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ فِتْنَةٌ .
لَمْ يَكُنْ لَهُ فِتْنَةٌ . فَقِيلَ لَهُ . قَاتَلْتَ أَهْلَنَا لِمَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ فِتْنَةٌ .

(٢٣)

وَالَّذِينَ يُتَوَفَّونَ مِنْكُمْ وَيَدْرُوْنَ أَزْواجًا ، يَتَرَاضَفُنَّ بِأَنفُسِهِنَّ
أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ، فَإِذَا بَلَغُنَ أَجْلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا
فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ، وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ . وَلَا جُنَاحَ
عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَضْتُمْ بِهِ مِنْ حِطْبَةِ النِّسَاءِ ، أَوْ أَكْفَنْتُمْ فِي
أَنفُسِكُمْ ، عَلَمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذَكُّرُوهُنَّ ، وَلَكِنْ لَا تَوَاعِدُوهُنَّ
سِرًا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْمًا مَعْرُوفًا . وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ
حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ
فَاخْذُرُوهُ ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ . لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ
إِنْ طَلَقُوكُمُ النِّسَاءَ ، مَا لَمْ تَمْسُوْهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيشَةً ،
وَمَتَّعُوهُنَّ ، عَلَى الْمُوْسِعِ قَدْرِهِ ، وَعَلَى الْمُقْتَرِ قَدْرِهِ ، مَتَّاعًا
بِالْمَعْرُوفِ ، حَقًا عَلَى الْمُحْسِنِينَ . وَإِنْ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ
تَمْسُوْهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيشَةً ، فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ ، إِلَّا أَنْ
يَعْفُونَ ، أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي يَبْدِئُ عُقْدَةَ النِّكَاحِ ، وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ
لِلتَّقْوَى ، وَلَا تَنْسُوْا الْفَضْلَ يَبْنِكُمْ ، إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ .

شرح الألفاظ

شرحها	الألفاظ
يموتون .	ينتوفون
ويتركون .	ويذَرُون
يعتمدون وينعن أنفسهن من التزوج .	يتربصن بأنفسهن
انقضت عدتهن .	بلغن أجلهن
فلا إثم عليكم .	فلا جناح عليكم
(فيما اتخذن لأنفسهن من وسائل الزينة والتطيب ، والتحلى والتزوج .)	فيما فعلن في أنفسهن
على حسب ما هو معروف بين النساء ، حينما يُيدِّين زيهن للخطاب .	بالمعرفة
لا وزرَ عليكم في التعريض بخطبة النساء وهن في عدة الوفاة ، والتعريض ضد التصرير ، وهو إفهام المعنى بعبارة تحمله ، وتحتمل شيئاً آخر غيره .	ولا جناح عليكم فيما عرضتم
خطبة بكسر الخطاء : ما يصدر من الرجل للمرأة من قول أو فعل ، يدل على إعجابه بها ، و واستلطافه إليها ، بغية زواجه منها .	خطبة
سترم وأضرمت ، من التزوج بها بعد انقضاء عدتها . علم الله أنكم ستدِّركونهن سراً وإعلاناً في نفوسكم وبالاستكم ، فرخص لكم في التعريض دون التصرير .	أكنتم في أنفسكم علم الله أنكم ستدِّركونهن

الألفاظ	شرحها
لاتواعدوهن سرّاً	<p>لَا تأخذوا مِنْهُنَّ الْعَهْدُ وَالْمَوْاثِيقَ فِي سُرُّ وَخْفَيَّةٍ ، عَلَى لَا يَتَرَوْجِنَ غَيْرَكُمْ .</p>
قولاً معرِوفاً	<p>الْمَرَادُ بِالْمَعْرُوفِ مِنَ الْقَوْلِ : هُوَ الَّذِي يَدْلِي عَلَى التَّعْرِيْضِ الْمَبَاحِ فِي وَقْتِ الْحِدَّةِ .</p>
ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب أجله	<p>وَلَا تَنْوِوا عَقْدَ الزَّوْجِ وَلَا تَبْرُمُوهُ . حَتَّى يَنْتَهِ الْوَقْتُ الْمُفْرُوضُ الْمُحْدَدُ لِلْعِدَّةِ .</p>
يعلم ما في أنفسكم فاحذر و ما لم تمسوهن	<p>يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ .</p>
أو تفرضوا لهن فريضة ومتعوهن	<p>أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ مَهْرًا . أَعْطُوهُنَّ شَيْئًا يَكُونُ مَتَاعًا لَهُنَّ ، وَهَذَا الشَّيْءُ يُسَمِّي مُتَعَّجِّهًةً .</p>
على الموسوع قدره	<p>عَلَى الْمَوْسُوعَ قَدْرُهُ وَمَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ .</p>
المقت	<p>الْمَقْتَرُ .</p> <p>مَتَاعًا عَلَى حُسْنِ الْعِدَّةِ ، بِقَدْرِ اتساعِ حَالِهِ ، وَعَلَى حُسْبِ مَا يَطْبِقُ .</p>
متاعاً بالمعروف	<p>مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ .</p> <p>مَتَاعًا عَلَى حُسْنِ الْعِدَّةِ ، بِقَدْرِ اتساعِ حَالِهِ ، وَمَرْوِعَةٌ ، وَمَا هُوَ مَنْسَابٌ لِحَالِكُمْ ، وَلَا يَقْتَنِ بِعَطْلَقَاتِكُمْ .</p>
حقاً على المحسنين	<p>حَقًا عَلَى الْمُحْسِنِينَ .</p> <p>إِلَى أَنفُسِهِمْ ، بِاِمْتِنَالِ أَوْامِرِ اللهِ .</p>
فنصف ما فرضتم إلا أن يعفون	<p>فَالْوَاجِبُ لَهُنَّ نَصْفُ مَا فَرَضْتُمْ .</p> <p>إِلَّا أَنْ يَعْفُوْنَ ، وَيَتَرَكُنَ نَصْفَ الْمَهْرِ الْمُسْتَحْقَقِ لَهُنَّ .</p>

شرحها	الألفاظ
{ أو يترك الزوجُ الذي بيده عقدةُ النكاح لمطلقته { التي لم يدخلُ بها ، نصفَ المهر المستحق له . { وترككم أيها الأزواج جميع المهر لمطلقاتكم ، أقرب { لائقوا الله ، وأجبر لقلوبهن .	أو يغفو الذي بيده عقدة النكاح وأن تعفوا أقرب للتقوى
ولا تنسوا أيها الأزواج أن يجعلوا البر والفضل { يجري بينكم ، والفضل هو فعل ما ليس بواجب ، { لمن البر والخير .	ولا تنسوا الفضل بينكم

مجمل المعنى

١ - **بِيَّنَ اللَّهُ تَعَالَى عَدَةُ النِّسَاءِ الْلَّائِي يَمُوتُ عَنْهُنَّ أَزْوَاجُهُنَّ بَعْدَ الدُّخُولِ بَهْنَ ، بِأَنَّهَا أَرْبَعَةُ أَشْهُرٍ وَعُشْرَةُ أَيَّامٍ بِلِيَاهَا ، فَعَلَيْهِنَّ أَنْ يَتَبَصَّرْنَ فِيهَا بِأَنفُسِهِنَّ ، وَلَا يَتَزَوَّجْنَ حَتَّى تَنْقُضُ مَدَدُ الْعِدَةِ كُلَّهَا ، هَذَا إِذَا كَنْ غَيْرُ حَامِلَاتِ ؛**
أَمَا أَوْلَاتُ الْأَحْمَالِ ، فَعَدَتْهُنَّ تَنْقُضُ بِوَضْعِ الْحَمْلِ وَالظَّهُورِ مِنَ النَّفَاسِ . وَفِي
مَدَدِ الْوِفَاءِ ، يَجِبُ عَلَى الْمَرْأَةِ أَنْ تَلَزِّمَ الْحَدَادَ عَلَى زَوْجِهَا ، وَتَلَزِّمَ الْبَيْتَ ،
فَلَا تَخْرُجُ مِنْهُ ، وَلَا يَنْسَغِي لَهَا أَنْ تَتَرَزَّنَ أَوْ تَتَحَلَّ أَوْ تَتَطَبِّبَ ، أَوْ تَلَبِّسَ
الْمَلَابِسَ الَّتِي تَضَاهِرُ جَمَالَهَا وَحْسِنَهَا ، وَفَاءُ لِزَوْجِهَا ، وَصُونَانًا لِنَفْسِهَا مِنَ الْقَلِيلِ
وَالْقَالِ ؛ وَعَلَى الْأُولَيَاءِ وَالْحَكَامِ إِذَا رَأَوْا أَنَّ النِّسَاءِ الْلَّائِي مَاتَ عَنْهُنَّ أَزْوَاجُهُنَّ ،
لَمْ يَرْعِيْنَ لَهُمْ عَهْدًا ، وَلَمْ يَقْمِنْ بِوَاجِبِ الْحَدَادِ عَلَيْهِمْ فِي مَدَدِ الْعِدَةِ ، فَخَرَجْنَ
مِنْ مَنَازِلِهِنَّ ، أَوْ أَظْهَرْنَ زِينَتِهِنَّ ، أَنْ يَمْنَعُوهُنَّ ذَلِكَ ، وَيَرْجِعُوهُنَّ إِلَى
مَا أَوْجَبَ عَلَيْهِنَّ مِنَ التَّرْبِصِ بِأَنفُسِهِنَّ ، أَيِّ امْتَنَاعُهُنَّ عَنِ التَّرَوِيجِ ، وَاتِّخَاذِ
الْحَدَادِ ، حَتَّى يَنْقُضُ أَجْلُ الْعِدَةِ . فَإِنْ امْتَشَّنَ فَلَا جَنَاحٌ لَأَثْمِ عَلَيْكُمْ فِي أَنْ

يتعرضن للخطاب ، ويفعلن ما حرم عليهم ، وما منعن منه في العدة ، ولهن أن يتجمعن ويتزرين ، ويجلسن ما شئن ، ويترجون على حسب ما هو معروف في الشرع ، من إباحته للمرأة أن تختار زوجها ، وأن تجهز نفسها ، وتقدّر صداقها ، وتنتكمّل ما تتطلبه شئون الزواج .

٢ - وكما أوجب الله على المرأة الحداد على زوجها المتوفى حتى تنقضى عدتها ، حرم على الرجال أن يصرحوا بخطبة النساء ، أو يعلّموا رغبتهن في الزواج منها في أثناء العدة ، ولا إثم عليهم — إذا أحسوا ميلاً إليهن ، ورغبة فيهن — أن يعرضوا بخطبتهن تعريضاً ، وأن يذكروها تلوياً لا تصريحًا ، فيذكروا لهن العبارات التي لا تكون نصاً في الخطبة ، أو رغبة حقيقة في طلب الزواج ، كأن يقول لها الرجل مثلاً : سعيد من تكونين زوجة له ، أو أنا ممن يقدرون الزوجة الصالحة ، أو لعل الله يوفقني لزوجة صالحة ، أو أن حالي والحمد لله طيبة ؛ ولا جناح أيضاً في أن يكن الرجل في نفسه رغبته في المرأة ، وهي في عدة الوفاة ، ويسترنّيتها على التزوج بها ، وقد علم الله أن بعض الرجال سيذكرون النساء المتوفى عنهن أزواجاً هن ، وستتجه نفوسهم إلى الرغبة في الاقتران بهن سراً أو علناً ، فرخص لكم في التعريض دون التصرّح ، وحرم عليكم وهن في العدة أن تعطوهن وعداً بالزواج ، أو أن تأخذنّها عليهن عهداً أو ميثاقاً في سر وخفية ، ألا يتزوجن بغيركم ، أو أن تقولوا لهن قولًا فيه إفحاش واستهجان ، لكن لم يحرم عليكم أن تقولوا لهن قولًا معروفاً ، غير منكر ، لا يتتجاوز حد التعريض إلى التصرّح ، ولا يتعدى الإشارة الخفية والتلميح ، إلى الإبانة والتوضيح ؛ ولا يحل لكم والنساء في عدة الوفاة أن تعزموا على أن تعقدوا عليهن عقد النكاح ، وإذا كان مجرد العزم ، وانعقد القلب عليه ، محظياً في العدة ، فالزواج فعلاً حرام تحريراً باتاً ، ومنعه منعاً قاطعاً ؛ فإذا حصل أن رجلاً وأمرأة حدثت بينهما مواعدة على الزواج ، أو تصرّح

بالخطبة في عدة الوفاة أثما على ذلك ، بل حرم عليهمها بعض الأئمة أن يتزوجاً أبداً ؛ أما إذا حصل زواجٌ في العدة بالفعل فيفرقُ بينهما ، ويقام عليهمما حد الزنا ، ويحرم على الزوج الزوج بها إلى الأبد ، هذا رأي عمر بن الخطاب ، أما على فرأى الاقصرار على التفرق بينهما ، وفي ذلك قصة يحسن أن نوردها:

بلغَ عمرَ بنَ الخطابَ أَنْ امرأةً مِنْ قُرِيشٍ ، تزوجها رجلٌ مِنْ ثَقِيفٍ فِي عدتها ، فأرسل إلَيْهَا ، ففرقَ بَيْنَهُمَا وعاقبَهُمَا ، وَقَالَ : لَا ينكحُهَا أبداً ، وجعل صداقها في بيت المال ، وفشا ذلك في الناس ، فبلغَ عَلَيْهِ فَقَالَ : يرجم اللهُ أمير المؤمنين ، ما بال الصداق وبيت المال ؟ ؛ إنما جهلا ، فينبغي للإمام أن يردها إلى السنة . قيل : فما تقول أنت فيما ؟ فَقَالَ : لها الصداق بما استحصل من فرجها ، ويفرق بينهما ، ولا جلد عليهما ، وتكمُلُ عدتها من الأول ، ثم تعتد من الثاني عدة كاملة ، فبلغ ذلك عمرَ ، فخطب الناس فَقَالَ : أيها الناس : ردوا المحالات إلى السنة . ومعنى هذا أن عمرَ أخذ بقضاء على ، رضي الله عنهمـا .

أما إذا انقضت عدة النساء ، فلهم أن تعزموا على عقد النكاح عليهن ، ولهم أن تتزوجوا بالفعل منهـن ؛ واعلموا أن ما تفعلونه سراً مما نهاكم الله عنه ، معلوم لله ، لأنـه يعلم ما في أنفسكم ، فاحذرـوا أن تفعلوه ، واعلموا أن الله واسع المغفرة لمن عزم على فعل أمر مخالف ، ثم اجتنبه خشية من الله ، حليم على عباده المذنبـين ، فلا يعاجلـهم بالعقاب ، بل يفسح لهم بباب المتاب .

٣ - وفي سابق الآيات ، بيـن الله أن الرجل إذا طلق امرأته بعد الدخول بها ، فإنه لا يستحق شيئاً من مهرها ، إلا ما افتديت به نفسها في الخلع السابق بيانـه . وإذا لم يكن دفع لها مهراً مسمـى ، أو لم يسم لها مهراً ، استحقـت في ذمتـه المهر المسمـى ، أو مهر المثل إذا لم يكن سـمى لها مهراً ، وفي هاتـين بيـن الله حـكم :

(١) المطلقة قبل أن يدخل بها زوجها ، ولم يفرض لها مهر .

(٢) والمطلقة قبل أن يدخل بها زوجها وقد فرض لها مهر .

أما الأولى فلا يجب لها مهر ، ولكن لها المتعة لقوله تعالى : لا جناح عليكم إن طلقتم النساء ما لم تمسوهن أو تفرضوا لهن فريضة ، ومتعوهن ، أى لا تبعة ولا إثم عليكم ، إذا لم تدفعوا مهراً لمن طلقتموهن قبل أن تدخلوا بهن ، ولم تفرضوا لهن فريضة ، وإنما يجب عليكم لهن المتعة . ونحسب أن عصراً هذا يطلق عليها التعويض – وهي مال أو عقار أو منفعة تفرض على الرجل لمطلقته التي لم يدخل بها ، ولم يفرض لها مهر ، وتقدر المتعة لها على حسب ما يطيق الزوج ، وبقدر حاله من اليسر أو العسر ، بالمعروف الذي يقتضيه الشرع ، وتوجيهه مروعة الرجل ، ومكانته وطاقته . والمتعة حق واجب على المؤمنين الذين يحسنون إلى أنفسهم ، بامتثال أوامر الشرع ، واجتناب نواهيه ؛ وقد نزلت آية : ومتعوهن . . . إلخ : في أنصارى تزوج امرأة من بنى حنيفة ، وكانت مفوضة في تعين مهرها ، فطلاقها قبل الدخول بها ، فتخاصها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له عندما أظهر الرجل أن لا شيء له : متعها بقلنسوتك .

أما الثانية ، وهي التي طلقت قبل الدخول بها ، وقد فرض لها مهر ، فيجب لها نصف المهر المفروض ، إلا أن تعفو عنه ، وترد المهر كله للزوج ، وتسقط حقها هذا في النصف ، أو يغفو الزوج الذي بيده عقد النكاح عن النصف المستحق له ، ويترك المهر كله لها ؛ وغفو الأزواج ، وتركهم المهر كله للمطلقات اللائي لم يدخلوا بهن ، ولم يفرض لهن مهر ، أقرب إلى تقوى الله ورضائه ، ففيه جبر لقلب امرأة فاتها من زوجها صحبته ، فلا يغلوها منه نحلته ؛ والنحللة : المهر ، وفي ترك المهر كله لها إشعار بأن لها مكانته

ومنزلة تخفف عليها لوعة الطلاق ، وصَدْمةَ الفراق . واعملوا أيها الأزواج
إذا طلقتم نساءكم على هذه الصورة ، أن تحبظوهن بالفضل والبر ، وأن تجعلوا
الخير جارياً بينكم ، فتتركتوا لهن جميع المهر ، فإن ذلك أكرم لكم ، وأظهر
لمرءاتكم . لقد دخل جابر بن مطعم على سعد بن أبي وقاص ، فعرض عليه
بناتاً له ، فعقد عليها ، فلما خرج طلقها ، وبعث إليها بالصداق كاملاً ، فقيل له :
لم تزوجتها ؟ فقال : عرَضْها على ، فكرهت رده ، قيل : فلم بعثت بالصداق
كاماً ؟ قال : فأين الفضل ؟ إشارة إلى قوله تعالى : ولا تنسو الفضل بينكم ،
والله لن يضيع عنده ما قدمتم من التفضل والإحسان ، وهذا وعد جميل للمحسن ،
وحرمان وتهديد للمسىء .

(٢٤)

حَافِظُوا عَلَى الصَّلَواتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى، وَقُومُوا اللَّهُ قَاتِنِينَ .
 فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا ، فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَادْكُرُوا اللَّهَ كَمَا
 عَلِمْتُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ . وَالَّذِينَ يَتَوَفَّونَ مِنْكُمْ وَيَذْرُونَ
 أَزْوَاجًا ، وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ ، مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ، فَإِنْ
 خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ مِنْ مَعْرُوفٍ
 وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ . وَلِمُطْلَقَاتِ مَتَاعٍ بِالْمَعْرُوفِ ، حَقًا عَلَى
 الْمُتَّقِينَ . كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ ، لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
حافظوا على الصلوات	{ داوموا وواظبو على إقامتها في أوقاتها ، بجميع شروطها .}
الوسطى	{ الفضل . والصلاحة الوسطى : صلاة العصر (على ما اخترنا) . }

شرحها	الألفاظ
ساكنتين خاشعين .	قانتين
فليوصوا وصية لآزواجهم	وصية لآزواجهم
{ يتمتنع بالإنفاق عليهن من مال آزواجهن ؟ مدة سنة .	متاعاً إلى الحول
يلزمن البيوت ولا يخرجن منها .	غير إخراج

بِحَمْلِ الْمُعْنَى

١ - لقد أمر الله بالحافظة على إقامة الصلوات ، وأدائها في أوقاتها ، مستكملة جميع الشروط والأركان ، وقد جاءت آية الصلاة معترضة بين آيات المطلقات ، والمتوفّ عنهن آزواجهن ، وهي تشمل أحكاماً متعلقة بأحوال الناس في الدنيا ، وقد ينحرف العبد مع الهوى ، فيحييده عن القصد في اتباعها ، فجاء نسق آية الصلاة بين هذه الآيات المتعلقة بحقوق الناس في الدنيا ، حتى تذكرهم بوجوب طاعة الله في تنفيذ أحكامه ؛ والصلاحة عبادة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، وهي أيضاً ذكر ودعاة الله ، تشير إلى أن أمور الحياة ، ومشاغل الدنيا مهما كثرت وتزاحت ، لا ينبغي أن تلهينا عن حقوق الله ، وأداء الصلوة ، رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ؛ والوسطى مؤنة الأوسط ، وهو خير الشيء وأعدله ، والصلاحة الوسطى خير الصلوات وأفضلها ؛ والمراد بها – في خاصة رأينا – : صلاة العصر ، لما استفاض من الحديث الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال يوم الأحزاب : شغلونا عن الصلاة الوسطى ، صلاة العصر ، ملأ الله قلوبهم وبيوتهم ناراً ؛ وإنما كانت العصر أفضل الصلوات ، لأن وقتها يجيء وسط زحمة الأعمال

في آخر النهار ، وفي ساعة اهتمام الناس بإنجاز هذه الأعمال قبل انقضاء اليوم ، وربما شغلتهم أعمالهم وشونهم عن الصلاة ، وفي أدائها في مثل هذا الوقت إيثار "لحر الله" ، وقيام "بواجب عبادته" ، برغم مشاغل الدنيا . فلذلك كانت خير الصلوات وأفضليها ؛ وعليكم إذا قمتم لله في الصلاة ، أن تكونوا قانتين خاشعين ، ساكنين منقطعين لله ، متوجهين إليه بالدعاء والتكبير . خشية له ، ومراقبة لحنايه المقدس ، روى عن عبد الله بن مسعود قال : كنا نسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في الصلاة ، فيرد علينا ، فلما رجعنا من عند النجاشي سلمنا عليه ، فلم يرد علينا ، فقلنا : يا رسول الله : كنا نسلم عليك في الصلاة قردا علينا ، فقال : إن في الصلاة شغلا . وروى زيد بن أرقم ، قال : كنا نتكلّم في الصلاة ، يكلّم الرجل صاحبه ، وهو إلى جانبه في الصلاة ، حتى نزلت : وقوموا لله قانتين ؛ فأمرنا بالسكت ، وهيئنا عن الكلام في الصلاة

٢ - والصلاحة ذكر الله ، يجب ألا يغفل عنه قلب مسلم ، ولا يعوق عنه عائق ، مهما اشتتد ، وقد رخص الله لكم أن تؤدوها على أى حال : قائمين ، أو قاعدين ، ماشين أو راكبين ، إذا أصابكم مرض ، أو وقع بكم خوف أو فزع . فإن خفتم من عدو ، وكنتم في حال رعب وفرع ، أو كنتم في صفوف القتال ، وفي ميادين الحرب والجهاد ، فأدوا صلاتكم حيث أنتم ، أدوها راجلين أى ماشين أو راكبين ، قائمين أو قاعدين ، متوجهين للشرق أو للغرب ، لا يشغلكم شاغل ، ولا يمنعكم مانع من ذكر الله ، فهو الذي سيشف قلوبكم ، وينزل السكينة على نفوسكم في حال الفزع والخوف ، فإذا ذهب عنكم الخوف ، وعادت إليكم الطمأنينة والأمن ، فاذكروا الله ، وعودوا إلى صلاتكم بقيامتها وركوعها وسجودها ونظامها وجماعتها ، واشكروه شكرأ يوازى تعليميه إياكم ما لم تكونوا تعلمونه ، من إقامة الصلاة في حالتي الأمان والخوف .

٣ - ذهب جماعةٌ من المفسرين في تأويل الآية الثالثة ، إلى أن المشفق عنها زوجها كانت تجلس في بيت الزوج حولاً ، وينفق عليها من ماله ، ما لم تخرج من المنزل ، فإن خرجت لم يكن على الوراثة جناح في قطع النفقة عنها ، وقد قالوا : إن هذه الآية نسخت أحكامها ، يجعل عدتها أربعة أشهر وعشراً . ونسخت النفقة بفرض ميراثها الربع أو الثمن . وذهب آخرون إلى أن هذه الآية محكمة لا نسخ فيها ، والعدة كانت قد ثبتت أربعة أشهر وعشراً ، ثم جعل الله لمن وصية منه سكناً سبعة أشهر وعشرين ليلة لإتمام الحول ، فإن شاعت المرأة سكنت في وصيتها ، وإن شاعت خرجت ، ولا إثم عليكم إذا خرجت المرأة بعد العدة الشرعية ، وفعلت ما هو معروف للمرأة التي تستعد للخطاب ، من التزيين والتجميل ، ولعل الله تعالى أراد أن يلزم الزوجة بعد وفاة زوجها ، فجعل لها بعد انقضاء عدتها - إذا أرادت - أن تبقى في منزل الزوجية ، وينفق عليها من مال زوجها ، بقية الحول ، ولا ينبغي أن تطرد من مسكنها بعد أربعة أشهر وعشراً ، وكان هذا حقاً لها قبل نزول قوله تعالى : « والذين يتوفون منكم ويدرُّون أزواجاً يتربص بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً ، ثم تسخ هذا الحق بهذه الآية ، آية الميراث التي في سورة النساء ، وقد قدمنا في صفحة ٨١ من تفسير الحزء الأول أن هذه الآية نسخت حكماً لا تلاوة .

٤ - وقد أحاط الله سبحانه وتعالى بالمطلقات اللائي فرض لهن مهر ، ولم يدخل بهن - بالرعاية والصيانة بعد طلاقهن : فجعل من حقهن المتعة لهن على الرجال الذين طلقوهن ؛ وذلك بأن يعطوهن من المال والكساء والنفقة ما يتعهن المتعة الحسن المعروف لأمثالهن ، على حسب طاقة الرجال الذين طلقوهن ، لكيلا يتعرضن للفاقة والاحتياج والتبدل ، بعد أن يتخلىوا عنهن .

٥ - وهذه المتعة التي جعلها الله حقاً واجباً للمطلقات على الرجال المؤمنين المتقيين ، هي فوق ما يجب لهن من نفقة العدة التي قد تكون غير

كافية لسد احتياجات المرأة وصيانتها ، بعد خروجها من بيت زوجها ؛ ومثل هذه الأحكام التي تحدد واجبات الرجال ، وحقوق النساء ^{بِيَمْنَانِ اللَّهِ لَكُمْ فِي} آياته ، لتحكموا عقولكم ، وتأخذنوا بها في حياتكم ؛ لأنها كفيلة بسعادتكم أفراداً وجماعات .

(٢٥)

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أَلْوَفُ حَذَرَ الْمَوْتَ ،
فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ : مُؤْتُوا ، يُمْ أَحْيَا هُمْ ، إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى
النَّاسِ ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ . وَقَاتَلُوا فِي سَبِيلِ
اللَّهِ ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ . مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ
قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَعِّفُهُ لَهُ أَصْعَافًا كَثِيرَةً ؟ وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ ،
وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
أَلَمْ تَرَ	{ قد علمت وتعجبت من شأنهم ، أو : ألم ينته إلى علمك ؟ }
حَذَرَ الْمَوْتَ	خوف الموت في القتال .
فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُؤْتُوا	{ فأما هم الله جمِيعاً في وقت واحد ، ميته نفس واحدة يتفضُّل عليهم بالحياة والأرزاق والنعم ، التي يضمنون إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى الناس } بِيَدِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ .

الألفاظ	شرحها
أكثر الناس لا يشكون وقاتلوا في سبيل الله	قليلًا من الناس يشكون الله على تفضيله عليهم . أمر محمد وأمته بالجهاد لإعلاء دين الله ، وإقامة شرائعه .
سبعين	يسمع ما يقوله المتخلفون عن الجهاد ، والمسارعون إليه .
يُقرض الله قرضاً حسناً	ينفق في سبيل الله إنفاقاً طيبة به نفسه ، من مال حلال ، ابتناء ثواب الله .
فيصاغره له أضعافاً كثيرة .	(فيجازيه بقدره مرات كثيرة ، نماء وسعادة في الدنيا ، وحسن ثواب في الآخرة .
يقبض ويحيط وإليه ترجعون	يقترب في الرزق على عباده ، ويحيطه ويحيط به عليهم . وسترجعون إليه يوم القيمة ، فيجازيكم على أعمالكم .

مجمل المعنى

١ - هذه الآية تحكى قصة قوم من بنى إسرائيل ، طلب إليهم ربهم أن يخرجوا لقتال أعدائهم ، والدفاع عن حياتهم ودينهما ، فخافوا أن يقتلوا في الحرب ، وأثروا أن يفروا من الموت ، وتركتوا ديارهم وأوطانهم حرصاً على الحياة ، فأراد الله أن يعلموا أنهم لا يمكنون لأنفسهم موتاً ولا حياة ، وأنه وحده هو الذي يحيي ويميت ، وأن الفرار من القتال لا ينجي من الموت ، وأن القتال لا يسلب الحياة إلا بإرادته جل شأنه : « قل إن الموت الذي تفرون منه فإنه ملاقيكم » ، فصدر عليهم قضاؤه العاجل ، فأماتهم جميعاً في وقت واحد ، ميتة نفس واحدة ، وسلبهم الحياة التي كانوا يحرصون عليها ، ويفرون

من أجلها ، ثم أعادها إليهم ، ليستيقنوا أنهم لا يملكون لأنفسهم ضرًّا ولا نفعًا ،
ولا موتًا ولا حياة ، مهما كثُر عددهم ، وأن الله وحده هو المفضل على
عباده بجنياتهم وأرزاقهم ، ولكن أكثر الناس لا يشكرونه على ما أعدّ عليهم
من النعم ، وأسبغ عليهم من الفضل .

٢ - وقد نزلت هذه الآيات حينما فرضَ الله القتال على المسلمين ، تذكرة لهم
وعبرة ، وحثًا على الجهاد ، والتعرض لأسباب الاستشهاد ، وليعلموا أن الموت
إذا لم يكن منه بد ، ولم يمنع منه مفر ، فأولى أن يكون في الجهاد في سبيل
الله ، وأن الاستباق إلى القتال في سبيل الله ، إن كان من ورائه الموت ،
فهو موت كريم ، يفضي إلى دار النعيم ، وإن كان من ورائه النصر ،
فهو نصر مبين ، وعزّة لله والرسول والمؤمنين .

٣ - وقد أمر الله المسلمين أن يقاتلوا في سبيله ، وألا يفروا من القتال خوف
الموت كما فربنوا إسرائيل ؛ وسبيلُ الله هو ما شرعه للمسلمين من دين وأحكام
تنظيم حياتهم ، وتكفلُ لهم سعادة الدنيا والآخرة ؛ والآية صريحة في وجوب
القتال على المسلمين ، دفاعًا عن دينهم وحقوقهم وحياتهم ، وذلك بأن يقاتلوا
كل من يعتدى على حرياتهم ، أو ينزعهم في ديارهم وأوطانهم ، أو يضيق
عليهم في أقواتهم وأرزاقهم ، أو يصادرهم في دينهم ومعتقداتهم ؛ ولا يقبل الله
منهم تخلصًا أو قعودًا عن القتال ، فهو الذي يسمع ما يقوله المتخلفون القاعدون
عن القتال من علل لا يقبلاها منهم ، وما يقوله المسارعون السابدون إلى الجهاد
كسبًا لثوابه ، وابتغاء مرضاته ، ويعلم ما يخفيه هؤلاء وهؤلاء ، فيجزى هؤلاء
بالعقاب ، وهوئلاء بالثواب .

٤ - وليس الأمر مقصورًا على أن يقاتل المسلمون دفاعًا عن دينهم
وحياتهم وكرامتهم فحسب ، ولكن الله تعالى أمرهم أن ينفقوا من الأموال ،

التي يمتلكونها من الطرق الحلال المشروعة في سبيله وابتغاء ثوابه ، طيبة بها نقوصهم ،
دفعاً عن دينه ، وتأييداً لشرائعه ، وتنمية لروح التعاون والتراحم بين جماعة
المسلمين .

٥ - وقد جعل الله ما ينفقه المسلمون في سبيل البر والخير والصدقة
قرضاً له ، يرده عليهم بركة ونماء في أموالهم ، وسعادة وتوفيقاً في حياتهم ،
وثواباً وإحساناً في آخرتهم ، حثا لهم على البذل والإنفاق ، وترغيباً في التبرع
والصدقات ، والتوسعة على الفقراء والمحاجين ، والله هو الغنى الحميد - ووعدهم
أن يضاعف لهم الثواب ، ويرد عليهم ما أنفقوا بقدره أضعافاً كثيرة ، ونبههم
إلى أن الله هو الذي يبسط الرزق ويضيقه ، وهو الذي يعطي ويمعن ، فلا
ينبغى لمن وسع عليهم في الرزق ، وأكرمه بالغنى ، أن يقبحوا أيديهم عن
الإنفاق في وجوه البر والخير ، لأنهم سيرجعون إليه يوم القيمة ، فيحاسبهم
على ما كسبوا وما أنفقوا .

٦ - أبو الدَّحْدَاح يُقرِضُ اللهُ قرضاً حسناً

عن زيد بن أسلم قال : لما نزلت «منْ ذَا الَّذِي يَقْرَضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَنَاً»
قال أبو الدَّحْدَاح : فداك أبي وأمي يا رسول الله ، اللَّهُ يُسْتَقْرِضُنَا ، وهو غني عن
القرْض ؟ قال : نعم ، يريدهُ أن يدخلكم الجنة به ، قال : فإني إن
أقرضتُ ربِّي قرضاً يضمون لي به ، ولصبيتِ الدَّحْدَاحَةَ معِي الجنة ؟ قال :
نعم ، قال : ناولني يدَكَ ، فتناوله رسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدَهُ ، فقال :
إن لي حديقتين ، إحداهما بالسفلة ، والأخرى بالعلية ، والله لا أملك غيرهما ،
قد جعلتهما قرضاً لله تعالى — قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (اجعل
إحداهما لله ، والأخرى دَعْها معيشة لك ولعيلك ، قال : فأشهدك يا رسول
الله : أني قد جعلت خيرهما لله تعالى ، وهو حائط فيه ستمائة نخلة ، قال :
إذن يجزيك الله به الجنة .

(٢٦)

أَلْمَ تَرَ إِلَى الْعَمَلِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى، إِذْ قَالُوا
لِنَّا يٰ رَبُّنَا مَلِكًا نُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ قَالَ: هَلْ
عَسِيتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَا تُقَاتِلُوا؟ قَالُوا: وَمَا لَنَا
أَلَا نُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا؟
فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ، وَاللَّهُ عَلَيْهِ
بِالظَّالِمِينَ. وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ
مَلِكًا، قَالُوا: أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا، وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ
مِنْهُ، وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْأَمْالِ؟ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ،
وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجَسْمِ، وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ،
وَاللَّهُ وَاسِعٌ عِلْمًا. وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ: إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ
يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ، وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى
وَآلُ هَارُونَ، تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَا يَهِيَّ لَكُمْ، إِنَّ
كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ. فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ، قَالَ: إِنَّ اللَّهَ

مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ ، فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي ، وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ
 فَإِنَّهُ مِنِّي ، إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ ، فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا
 مِنْهُمْ ، فَلَمَّا جَاءَوْزَهُ هُوَ وَالذِّينَ آمَنُوا مَعَهُ ، قَالُوا : لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ
 يُحَاوِلُونَ وَجْنُودِهِ ، قَالَ الَّذِينَ يَظْئُونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُ اللَّهِ : كُمْ مِنْ
 فِتْنَةٍ قَاتِلَةٍ غَلَبَتْ فِتْنَةً كَثِيرَةً بِيَدِنِ اللَّهِ ، وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ .
 وَلَمَّا بَرَزَ وَالْجَالُوتَ وَجْنُودِهِ ، قَالُوا : رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبَرًا ، وَبَلَّتْ
 أَفْدَامَنَا ، وَانْصَرَنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ . فَهَزَمُوهُمْ بِيَدِنِ اللَّهِ ،
 وَقُتِلَ دَاوُدُ جَالُوتَ ، وَأَتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ ، وَعَلَمَهُ مِمَّا
 يَشَاءُ ، وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ يَعْضُنُ لَفْسَدَتِ الْأَرْضُ ،
 وَلَكِنَّ اللَّهَ دُوْ فَضْلٌ عَلَى الْعَالَمِينَ . تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَنْتَلُوها
 عَلَيْكَ بِالْحَقِّ ، وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
المأ	الأشراف من الناس ، والقوم .
من بعد موسى	من بعد وفاة موسى .

شرحها	الألفاظ
<p>{ هو صمويل أو شمويل أو شمعون كلها بمعنى واحد ، ويسمى بابن العجوز ، لأن أمه ولدته على كبر .</p> <p>{ ولَّ علينا أميرًا .</p>	<p>لنبي لهم</p>
<p>{ أتوقع أنكم تجبنون وتمتنعون عن القتال إن فرض عليكم .</p> <p>{ أى سبب لنا في ألا نقاتل ؟</p>	<p>ابعث لنا ملكاً</p>
<p>{ وقد عرض لنا ما يستوجب القتال ، وهو إخراجنا من أوطاننا ، وأوطان أبنائنا وذرياتنا .</p>	<p>هل عسيم إن كتب عليكم القتال ألا تقاتلوا وما لنا ألا نقاتل</p>
<p>أعرضوا وتخلعوا ، ولم يتحقق ما طلبوه من القتال .</p> <p>{ الذين ظلموا أنفسهم ، وخالفوا عن أمر الله ، في ترك الجهاد .</p>	<p>وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا</p>
<p>{ كيف يستحق أن يكون ملكاً علينا ، وهو فقير وضع النسب ؟</p>	<p>تولوا والله عالم بالظالمين</p>
<p>نحن أولى ، لأننا أغنياء ، ومن أسباط الملوك والأنبياء .</p>	<p>أنى يكون له الملك علينا</p>
<p>{ صندوق من خشب ، فيه التوراة ، وقطع من ألواح موسى ، وعصاه ، وثيابه ، وعمامة هارون .</p>	<p>ونحن أحق بالملك منه</p>
<p>{ توجه الثوريين اللذين يحرانه ، ليرجعاه من فلسطين إلى بني إسرائيل .</p>	<p>التابوت تحمله الملائكة</p>
<p>{ انفصل بهم عن بلده ، وبعد عنها ، وهو ذا布 لقتال العمالقة والفلسطينيين .</p>	<p>فصل طالوت بالجنود</p>
<p>محتركم .</p>	<p>مبتي لكم</p>

الألفاظ	شرحها
فليس مني ومن لم يطعْه	فليس من أنصارى وأشياعى . ومن لم يذقه ولم يشرب منه .
إلا من اغترف بُغرفة بيده	إلا من شرب قليلا ، ولم يكروع منه كثيراً ، فذاك مرخص به لهم .
فسربوا منه آمنوا معه	أفرطوا في الشرب منه . أطاعوه وشربوا قليلا منه .
الذين يظنون أنهم ملّاقو الله	المخلصون الذين تيقنوا لقاء الله ، وتوقعوا ثوابه .
فثة	فرقة وجماعة .
بإذن الله	بإرادته وحكمه وتسيره . ظهرروا لهم ، ودَنَوا بهم .
برزوا بحالوت وجندوه	جعله الله ملكاً على بني إسرائيل جميعهم ، ولم يجتمعوا قبله تحت لواء ملك واحد .
وأتاهم الله الملك	والنبيوة .
والحكمة وعلمه مما يشاء	علمه منطق الطير والدواب ، وصنعة الدروع .

قصة طالوت وجالوت ومجمل المعنى

لما دخل بنو إسرائيل أرض فلسطين بعد وفاة موسى ، ظلوا ستة وخمسين وثلاثة سنة ، وليس عليهم ملك ، وإنما كان يقيم الأمر فيهم ، ويحكم بينهم فيما اختلفوا فيه ، قضاة يعينهم الأنبياء ، وفي بعض الأحيان كان الأنبياء يقيمون أنفسهم قضاة عليهم .

وكان بنو إسرائيل في هذه الأزمان ، عرضة للغزو والقتال من الأمم المجاورة لهم ، كالفلسطينيين والمديانيين ، والعلاقة من العرب ، كما كان الانتصار في الحروب تارة يكون في جانب بنى إسرائيل ، وتارة يكون في جانب خصومهم المغاربين ، وكان المتع في بنى إسرائيل أنهم إذا دخلوا في حرب ، قدموا أمام الجنود التابوت ليقوى من عزائمهم ، ويستنصروا به على أعدائهم ، وكان في هذا التابوت ، عصاً موسى وثيابه ، وقطعٌ من الألواح التي جاء بها قومه ، فوجدهم قد عبدوا العجل ، فغضب ، وألقاها فتكسرت ، فترع منها ما كان صحيحًا ، وأخذ القطع المتكسرة فجعلها في التابوت ، كما كان فيه ثياب هارون وعامتة ، وكان النصر حليفًا لبني إسرائيل ببركة هذا التابوت ، حينما كانوا في طاعة الله ، واتباع شرائعه ، يثبت به أقدامهم ، ويغلبون به من قاتلهم ؛ فلما عصوا ربهم ، وخالفوا أنبياءهم ، غلبوا سُلْبَ منهم التابوت ، حينما اشتباكوا في حرب مع الفلسطينيين ، فهزموهم هزيمة منكرة ، وأخرجوهم من ديارهم ، وأسرموا أبناءهم ، وأذلوهم دهرًا طويلا ، وقدروا التابوت ، الذي كان يعلأ قلوبهم سكينة وطمأنينة أمام الأعداء ، ويقوى من عزائمهم ، فلا يفرون ولا ينهزمون .

حاق الذل والهوان ببني إسرائيل بعد انهزامهم ، وأخذ التابوت منهم ، فذهب أشرافهم ووجوههم ، إلى نبيهم « صمويل » ، وطلبوا منه أن يقيم عليهم ملكاً ، يجتمعون تحت رايته ، ويحضرون تحت قيادته ، ليقاتلوا أعداءهم الذين أذلوهم ، واغتصبوا التابوت الذي يحفظ شريعتهم ، وتراث أنبيائهم ، ويعطهم النصر على أعدائهم ، فقال النبي صمويل : أنا أعلم بحالكم ، وما أنتم عليه من التخاذل ، وأتوقع أنني إن أقمت لكم ملكاً كما تريدون ، ثم فرض الله القتال عليكم ، ستتجنبون وتقعدون ، فقالوا : وأى غرض لنا في ترك القتال ، بعد أن عرض لنا ما يوجهه علينا ، ويدفعنا إليه دفعاً ؟ لأن العدو قد أخرجنـا

من أوطاننا ، وأسرَّ أبناءنا فلماذا نجبن عن قتاله ، أو نفر من لقائه ؟ لكن
نبِّهُمْ كان أعلم بحالهم ، فلما **فُرِضَ** القتال عليهم أعرضوا عنه ، وتخاذلوا ،
إلا قليلاً منهم .

أخبرهم « صمويل » أن الله قد أجابهم لما سألوا ، وأقام طالوت ملكاً
عليهم ، وكان شاباً عالماً جيلاً ، طويل القامة .

ومن خبر تمليك طالوت على بني إسرائيل ، أن أباه كان له **أَتُنْ** ضلت ،
فأمر ابنه أن يبحث عنها ، فانطلق يسأل عن هذه الأتن ، حتى أتى المدينة
التي فيها صمويل ، والتقي به ، فأكرمه وباركه ، ومسح رأسه بالزيت المقدس ،
 وأنبأه أنه سيصير ملكاً على بني إسرائيل ؟ فلما عرف بنو إسرائيل ذلك عجبوا ،
ولم يرتاحوا لاختيار طالوت ملكاً عليهم ، ذلك لأن المُلُكَ في بني إسرائيل كان
في بني « يهودا » ، والنبوة كانت في بني « لاوي » ، أما طالوت فكان من أبناء
« بنiamين » ، الذين هم عامة الشعب ، فلا يكونون ملوكاً أو أنبياء ، هذا إلى أن
طالوت كان فقيراً ؟ فقالوا : من آية ناحية من نواحي الحجد تجعل لطالوت
الحق في أن يكون ملكاً علينا ؟ فقال لهم صمويل : هو ملك عليكم ، لأن الله
اصطفاه واختاره ، وميزه بصفات الملك ، فقد آتاه علماً واسعاً ، يصرف به
أموركم بحكمة وحرز ، وآتاه جسماً قوياً طويلاً ، يعينه عند اللقاء ، ويجعله
مهيئاً في عيون الأعداء ، وأن الصفات الضرورية للملك هي العلم والدين والقوه
لا النسب ، هذا إلى أن الله يصرف الكون كما يريد ، ويعطي ملكه من يشاء ،
فليس لكم على إقامة طالوت ملكاً عليكم من حجه أو اعتراض .

قالوا لصمويل النبي : **وَمَنِ الْبَيِّنَةُ** على أن الله اختار طالوت ملكاً علينا ؟
فدعى ربـهـ أن يأتـهـ بالـبـيـنـةـ على تمـلـيكـ طـالـوتـ عـلـيـهـ ، فـقـالـ : « إـنـ آـيـةـ مـلـكـهـ

أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ » الَّذِي اغْتَصَبْتُمُوهُ مِنْكُمْ أَهْلَ فَلَسْطِينَ ، وَأَن يُعِيدَهُ كَمَا كَانَ إِلَى أَرْضِ إِسْرَائِيلَ ؛ ثُمَّ سَلْطَ اللَّهُ الْبَلَاءَ وَالْوَيْءَ عَلَى أَهْلِ فَلَسْطِينَ ، الَّذِينَ اغْتَصَبُوا التَّابُوتَ ، فَأَصَابَتْهُمُ الْبَوَاسِيرُ وَالْأَوْجَاعُ ، وَكَانَتِ الْمَصَابِيبُ تَأْتِيهِمْ أَوْلًا مِنِ الْمَكَانِ الَّذِي فِيهِ التَّابُوتُ ، ثُمَّ تَنْتَشِرُ فِيهِمْ ، حَتَّى ظَنَّوا أَنَّ الْبَلَاءَ الَّذِي حَاقَّ بِهِمْ ، وَالْمَصَابِيبُ الَّتِي نَزَّلَتْ عَلَيْهِمْ ، هِيَ مِنْ بَقَاءِ التَّابُوتِ عِنْهُمْ ، وَقَرَرُوا أَنْ يَرْدُوُهُ إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ ، وَوَضَعُوهُ عَلَى عَجَلَةٍ يَمْرُّهَا ثُورَانٌ ، وَأَمْرَ اللَّهِ الْمَلَائِكَةَ أَنْ تَوْجِهُهُمَا وَتَسْوِقُهُمَا بِالْتَّابُوتِ إِلَى أَرْضِ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، وَبَيْنَا هُمْ فِي أَخْذٍ وَرَدٍ فِي شَأْنِ طَالُوتَ ، رَأُوا التَّابُوتَ وَقَدْ جَاءَ إِلَيْهِمْ ، كَمَا أَخْبَرَهُمْ « صَمْوَيلٌ » ، فَأَنْتَوْا وَصَدَقُوا بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الَّذِي اصْطَفَاهُ مَلِكًا عَلَيْهِمْ ، وَأَيْقَنُوا بِالنَّصْرِ عَلَى أَعْدَائِهِمْ .

عَقَدَ طَالُوتُ لِوَاءَ الْحَرْبِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ ، وَدَعَاهُمْ لِلْجَهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَقَاتَلَ أَعْدَائِهِمُ الَّذِينَ أَذْلَوْهُمْ وَأَهَانُوهُمْ ، فَاجْتَمَعَتْ لِوَائِهِ مِنْهُمْ جَيْشٌ كَبِيرٌ ، وَسَاقُوهُمْ إِلَى قَتَالِ الْفَلَسْطِينِيِّينَ ، وَكَانَ قَائِدُهُمْ « جَالُوتُ » الَّذِي اشتَهِرَ بِالشَّجَاعَةِ وَالثَّقَوَةِ ، وَسَارَ ذَكْرُ بَطْوَاهُ وَانتِصَارِهِ بَيْنَ جَمِيعِ الْأَمْمِ الْجَارِيَّةِ لِفَلَسْطِينِ ، وَمِنْهُمْ بَنُو إِسْرَائِيلَ ، فَهَابُوهُ وَتَجَاهَوْهُ الْأَشْتِبَاكُ مَعَهُ فِي حَرْبٍ أَوْ قَتَالٍ ، وَدَانُوا لِهِ بِالطَّاعَةِ وَالْوَلَاءِ .

سَارَ طَالُوتُ بِجُنُودِهِ ، وَانْفَصَلَ بَعْدَهُمْ عَنِ الدِّيَارِ ، وَبَعْدَهُ عَنِ الْأَوْطَانِ ، وَأَصْبَحُوا قَرِيبَيْنِ مِنْ لِقَاءِ الْعَدُوِّ ، وَأَرَادَ الْمَلَكُ الْقَائِدُ « طَالُوتُ » أَنْ يَعْرِفَ صَلَابَةَ جَنَدِهِ وَعِزَّهُمْ ، وَيَقْفَى عَلَى مَدَى صَبَرَتِهِمْ وَجَلَدَهُمْ وَإِيمَانَهُمْ ، فَقَالَ لَهُمْ «— وَقَدْ بَلَغَ بِهِمُ الْجَهَدُ ، وَنَالَ مِنْهُمُ الظُّلْمُ— إِنَّكُمْ سَتَمْرُونَ بِنَهْرٍ ، وَاللَّهُ مُخْتَبِرُكُمْ وَمُبَتَّلِكُمْ بِهِ ، حَتَّى يَتَمَيَّزَ الْمَطْبِعُ مِنِ الْعَاصِيِّ ، وَالصَّادِقُ مِنِ الْكَاذِبِ ، وَالْوَاهِنُ الْمُضَعِّفُ مِنِ الْحَلَدِ الصَّبُورِ ، فَرَخَصَ لَكُمْ فِي أَنْ يَنْتَلَ كُلُّ مِنْكُمْ مِنْ مَائَةِ غُرْفَةٍ بِيَدِهِ ، يَقْتَلُ بِهَا ظَمَاءً ، وَيَزِيلُ عَطْشَهُ ، وَمُنْعِكُمْ أَنْ تَشْرِبُوا مِنْهُ

كثيراً ، وترتوا من مائه ، وسأميّز بذلك جنودي المخلصين ، والصابرين المؤمنين من غيرهم ، فلما جاءوا إلى النهر خالف معظمهم أمر طالوت ، وأقبلوا عليه يعبون منه عبا ، ويكرعون فيه كرعا ، ويشربون منه شرب الheim – (والheim الإبل التي يصيّبها داء فلا تروي من الماء) – وأطاع قليل منهم ، فبعضهم لم يطعهموا ماءه ، وبعضهم نالوا منه غرفة كما أمرهم طالوت ، فترك من خالفة ، وصحب من أطاعه ، حتى جاوز بهم النهر ، وعلموا أنهم لا محالة سيلاقون جالوت وجنوده ، وهم أشد منهم بأساً، وأوفر عدداً، وأكثر عدداً ، فقال فريق منهم : لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده ، لأننا قلةٌ وهم كثرةٌ ، فقال ألوى العزم منهم – وهو الذي يعتقدون أنهم إذا قتلوا في الجهاد فسيلاقون وجه الله شهداء مؤمنين ، محظيين على القتال أولئك الصعفاء الجبناء ، الذين تخوفوا لقاء جالوت وجنوده ، مستشرين الصبر والعون من الله : كم من فتة قليلة غلبتْ فتة كثيرة بإذن الله ، والله مع الصابرين ، فلما دنوا من العدو ، وظهروا له ، ووقفوا أمامه وجهاً لوجه ، فزعوا إلى الله تعالى أن يفرغ الصبر في قلوبهم ، حتى يملكون أمرهم ، وتقوى عزائمهم فثبتت أقدامهم ، ويصبروا على ملاقاة عدوهم ، فيكتب النصر لهم ، فاستجاب الله دعاءهم ، وهزموهم بإذنه وقتل داودُ جالوت .

كيف قتل داودُ جالوت

كان داودُ أصغر إخوته ، وقد ذهبوا في جند طالوت ، وبقي داودُ يرعى الغنم ، وكان قصيراً نحلاً سقيناً ، فطلب منه أبوه أن يذهب ليقف على خبر إخوته ، ويطمئنهم عليهم ، فحمل مِحْلاته على عاتقه ، ووضع فيها بعض الزاد والحجارة ، وأخذ مِقلاعه ، وانطلق حتى وصل إلى مقر الجيش ، فسمع جالوت

يطلب أن يخرج له بطلٌ من جند طالوت ليارزه ، فلم يخرج أحدٌ لمبارزته ، فنادي ثانية وثالثة ، فجبنوا وخافوا ، فقال طالوت : من يبرز إلينه ويقتله ، فأنا أزوجه ابنتي ، وأحكمه في مالي ، فتقدم داود وقال : أنا أبُرُّ إلينه وأقتله . فازدراه طالوت ، لصغر سنّه ، وقصر قامته ، وضآلة جسمه ، فاغتر جالوت وكرر النداء ، في زَهْو وخِيلاء ، فلم يخرج إلا داود ، فقال له طالوت : هل جربت نفسك ، واجتبرت قوتك ؟ قال : وقع ذئب في غنمٍ فضربه ، ففصل رأسه عن جسده ، قال طالوت : الذئب ضعيف ، ألم تجرب نفسك في غيره ؟ قال : دخل أسدًا في غنمٍ فضربه ، ثم أخذت بالسيف فشققتها ، أليس الأسد أقوى من جالوت ؟ قال طالوت : بلى ، فألبسه الدرع ، وأركبه فرسه ، وأعطيه سلاحه ، ومشى داود قليلاً ثم رجع ، فظن الناس أنه تهيب لقاء جالوت ، لكنه نزل عن الفرس ، وخلع الدرع ، وألقى السلاح ، وقال : أحب أن أقاتله على عادتي ، وأنخذ مقلاعه ، وتقلد مخلافته ، وخرج إلى جالوت وهو شاكٍ السلاح على جواهه ، فلما رأى داود على هذه الحال سخر منه وقال : أنت ياقٍ تخرج إلى بخلة ومقلاع ؟ هل زعمت أنك تطارد كلباً ؟ ! قال داود : وأنت أهون ؟ قال جالوت : لأنّ عمن لحمك اليوم للطير والسباع ، واقترب من داود ليتناوله بيده ، استخفافاً به ، وسرعان ما وضع داود حجراً في مقلاعه ، وأداره ، ورمى به جالوت فقتله ، فساد الذعر والخوف جنود جالوت ، وانهزموا أمام داود ، فزوجه طالوت ابنته ، وآتاه الله النبوة والملك على بني إسرائيل قاطبة ، وعلمه منطق الطير ، وصناعة الدروع .

والله يهدى عباده الصالحين إلى الخير ، ويملا قلوبهم بالإيمان ، ويعينهم بالقوة والنصر على المفسدين في الأرض ، فيظهر ونهَا من شرورهم ، وينعنون الناس من ظلمهم وبغيهم ، ولو لا أن الله يدفع الكافر بالمؤمن ، والمفسد بالصالح ، والمحسن بالمسيء ، تفضل منه على عباده ، لانتشر البغي ، وسادت الفوضى ،

وعلم الفساد ، وقد نزلت الآيات السابقة تحكى هذه القصة ، وتحرض النبي وأصحابه على القتال ، دون أن يهولهم كثرة من الكفار ، وزيادة العدّ والعدة ، لأن الإيمان والصبر يثبت الأقدام ويعقب النصر ، وقد بيّن الله في هذه الآيات أخبار بني إسرائيل في حقبة من الزمان ، ليعلم الناس أن محمداً على حق ، ولأن هذه الأنبياء لا يعلمها إلا نبي مرسى للعالمين .

وَلِمَنْجُونْ وَلِكُوْنْ وَلِهَيْلَانْ
وَلِبَالْ وَلِبَرْ وَلِدَلْ وَلِهَيْلَانْ
وَلِهَيْلَانْ وَلِهَيْلَانْ وَلِهَيْلَانْ
وَلِهَيْلَانْ وَلِهَيْلَانْ وَلِهَيْلَانْ

تفسير القرآن الكريم

لِبِرْلَانْد

تأليف

حسين علوان

الරاقب بوزارة المعارف

محمود محمد حمزة

المفتش بالتعليم الثانوى والفنى (سابقاً)
والأستاذ بدار العلوم (سابقاً)

محمد أحمد برانق

المفتش العام بالتعلم الابتدائى

جميع الحقوق محفوظة للمؤلفين



ملزم الطبع والنشر
دار المعارف مصر

بِيَكُونُ الْأَشْرِقَةُ

لِلْمُؤْمِنِينَ

تراجم الخطبة التي في صدر تفسير الجزء الأول

نَاهِيَةُ الْمُؤْمِنِينَ

سَعَادَةُ الْمُؤْمِنِينَ

(لِلْمُؤْمِنِينَ) سَعَادَةُ الْمُؤْمِنِينَ

(لِلْمُؤْمِنِينَ) سَعَادَةُ الْمُؤْمِنِينَ

نَاهِيَةُ الْمُؤْمِنِينَ

سَعَادَةُ الْمُؤْمِنِينَ

نَاهِيَةُ الْمُؤْمِنِينَ



سَعَادَةُ الْمُؤْمِنِينَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١)

تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلَنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ، مِنْهُمْ مَنْ كَلَمَ اللَّهُ ،
وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ ، وَأَيَّدْنَاهُ
بِرُوحِ الْقُدْسِ ؛ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَلَ الدِّينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ
مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ، وَلَكِنَّ أَخْتَلَفُوا ، فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ ،
وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَلُوا ، وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ . يَأْمُلُهُمُ الَّذِينَ
آمَنُوا ، أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَنَا كُمْ ، مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا يَعْلَمُ فِيهِ
وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعةٌ ، وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
تلك الرسل	إشارة إلى الرسل الذين وردت أسماؤهم وأنباؤهم في القرآن .
فضَّلَنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ	فضَّلَنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ بالخصائص والمعجزات ، وسوينا بينهم في الرسالة .
منهم من كلام الله	هو موسى عليه السلام ، كَلَمَهُ اللَّهُ فِي الطورِ مِنْهُمْ مَنْ كَلَمَ اللَّهُ غَيْرَ سَفِيرٍ .

شرحها	الألفاظ
هو محمدٌ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، اخْتَصَّ اللَّهُ عَلَى سَائِرِ الرَّسُولِ الْمُتَفَاوِتِينَ فِي الْفَضْلِ ، بِمَرَاتِبِ الْشَّرْفِ وَالْكَمالِ .	ورفع بعضهم درجاتٍ
كَإِحْيَا الْمَوْتَىٰ ، وَإِبْرَاءِ الْأَكْمَهِ وَالْأَبْرَصِ بِإِذْنِ اللَّهِ .	وَآتَيْنَا عِيسَىً بْنَ مَرِيمَ
قُوَّيْنَاهُ .	الْبَيِّنَاتُ
بِحَبْرِيْلَ .	وَأَيَّدَ نَاهَ
مِنْ بَعْدِهِمْ كُلُّ رَسُولٍ مِّنْ الرَّسُولِ .	بِرُوحِ الْقُدُّسِ
مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمْ الْمَعْجَزَاتُ الْبَاهِرَةُ ، وَالآيَاتُ الظَّاهِرَةُ .	مِنْ بَعْدِهِمْ
يَفْعُلُ حَسْبَ مَا يَرِيدُ ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَوْجِبَهُ عَلَيْهِ مُوجِبٌ ، أَوْ يَنْعِنُهُ مَانِعٌ .	مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمْ الْبَيِّنَاتُ
شَيْئًا مَا أَعْطَيْنَاكُمْ إِيَاهُ .	مَا رَزَقْنَاكُمْ
صَدَاقَةٌ وَمُودَّةٌ خَالِصَةٌ .	خُلَّةٌ
وَسِيلَةٌ أَوْ وَاسْطَةٌ ، بِلَحْبِ خَيْرٍ أَوْ دُفْعِ ضُرٍّ .	شَفَاعَةٌ
الَّذِينَ ظَلَمُوكُمْ فَأَخْرَجُوكُمْ مِّنْ دِيَارِكُمْ ، وَهَارَبُوكُمْ دُعْوَةُ نَبِيِّكُمْ ، فَكَافَّحُوهُمْ بِالنَّفْسِ وَالْمَالِ .	هُمُ الظَّالِمُونَ

مجمل المعنى

١ - هؤلاء الرسل الذين وردت أسماؤهم ، أو ذكرت أخبارهم في القرآن ، قد سوَّى الله بينهم في الرسالة ، وهداية الخلق ، والعصمة من الزَّلل ، فلا ينطقون عن هُوَّي ، وإنما يقولون ويفعلون بِوَحْيٍ يُوحَى . لكنَّ اللَّهَ فضل

بعضهم على بعض بالخصائص والمعجزات ، وجعلهم متفاوتين في مراتب الكمال ، فجعل منهم أولى العزم الذين ثبتوه وجداً ، وصبروا على أمر الله فيما عهد إليهم فيه ، وهم نوح وإبراهيم وموسى ومحمد ، واتخذ الله إبراهيم خليلاً ، ورفع إدريس مكاناً عالياً ، وفضل موسى فكلمه على الطور من غير واسطة أو سفير ، ورفع محمد صلى الله عليه وسلم على سائر الرسل المتفاوتين في معراج الفضل درجات عالية ، فخدم به النبيين ، وأرسله رحمة للعالمين ، ونعته بالخلق العظيم ، وأنزل عليه القرآن معجزة باقية على الدهر دون سائر المعجزات ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد ، وفضل عيسى عليه السلام بمعجزات باهرات ، وأيات ظاهرات ، كإحياء الموتى ، وإبراء الأكمه والأبرص ، وخلق الطير من الطين ، والإخبار بما يأكل الناس ، وما يدّخرنون ، وقواته بجبريل روح القدس ، تأييداً لرسالته ، وردّاً على تفريط اليهود في شأنه ، وشدة طعنه فيهم ، ومعارضتهم له ، وعلى إفراط النصارى في تقديره ، وزعمهم أنه ابن الله .

٢ - ولقد جاء الرسل إلى الأمم بالبيانات الدالة على رسالتهم ، والمعجزات القاطعة بصدقهم ، بيد أن الخلاف كان يقع بينها ، من بعد أن يظهر فيهم الرسول وأئتهم بالمعجزات ، ويحدث القتال بين من صدقه وبين من كذبه منهم ، ولو أراد الله لهدى الناس جميعاً إلى اتباع الرسل ، فلم يختلفوا ولم يقتتلوا ، لأن الله لا يقع في ملكه إلا ما يريد ، ولا يحدث من أفعال العباد إلا ما يوافق مشيئته ، لكن إرادته اقتضت - حكمة يعلمنها هو في نظام الكون - أن يختلفوا بمشيئته هو في أمر الرسل ، فلم يجتمع لأحد منهم طاعة جميع أمته ، فنهم من آمن بما جاء به الرسول ، وعمل بمحاجبه ، ومنهم من خالفه حسداً

أو عناداً ، أو بغيًّا وطمعاً ، ولو أراد الله غير ذلك لحدث ، لأنه يفعل حسب ما يريد ، من غير أن يوجِّب الفعل عليه موجب ، أو يمنعه منه مانع .

٣ - وبعد أن بينَ الله أنه أرسل الرسُّل وفضل بعضهم على بعض ، وأيَّدَهم بالمعجزات ، وأنَّ الأُمُّ قد اختلفوا على الرسُّل بعد ما جاءتهم البِيَنَات ، فنَّهم من آمن ، وفَنَّهم من كفر ، أمرَ المسلمين أنْ يُنفِقُوا بعض ما رزقَهم اللهُ من مال ، وأنَّ يتبَرَّعوا به لإعانتِ المجاهِدين في سبيله ، وإعدادِ وسائل الكفاح والقتال ، من العُدَّة والسلاح ، لمجاهدة الكافِرِينَ الظالمُونَهم بالعُدُّ وَانْ على ديارِهم ، وَخُنْقٌ حرياتِهم ، ومحاربِهم في دينِهم وعقائدهِم ، وقد حثَّ الله المؤمنين على الإنفاقِ في سبيله ، وبينَ أنَّ الأموالَ التي عندِهم لم يجتمعوها بمحضِ كدِّهم وكسبِهم ، ولكنها رزقٌ لهم من عندِ الله ، فيجب أنْ ينفِقُوا منها في سبييلِ الله ، ونبَّهَهم على وجوبِ إدراكِ الفرصة ، وإنفاقِ المالِ الَّذِي أعطاهُم في سبييلِه وابتغاءِ مرضاتهِ ، قبلَ أنْ يأتِيهِم يومُ الحساب ، يوم لا ينفعُهم فيه مالٌ ولا بنون ، ولا يستدركون فيه ما فاتُهم ببعض أو شراء ، ولا تُجْدِي فيه صدقة الأصدقاء ، أو حُلْةُ الأخلاقيَّةِ ، أو شفاعة الشافعين ، لمن يبخلون أو يَجْبَثُونَ ، فكلُّ أمرٍ بما كسبُ رهين ، وقد مضت الآيات المتضمنةُ القصصُ وأحوالُ الأُمُّ ، مقدمةً بين يديِ آياتِ القتال والجهاد والإِنفاقِ في سبييلِ الله ، حتَّى للمسلمين على بدْلِ النفس والمال دفاعاً عن دينِهم وأوطانِهم ، لعَلَّهُمْ يستيقظُونَ ويَتذَكَّرونَ ويَتعظُّونَ .

(٢)

اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُ الْقَيُومُ ، لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ،
 لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ، مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْهُ
 إِلَّا بِإِذْنِهِ ؟ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ، وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ
 مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ، وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ،
 وَلَا يَوْدُهُ حِفْظُهُمْ ، وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ . لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ،
 قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْفَيْ . فَمَنْ يَكْفُرُ بِالطَّاغُوتِ ، وَيُؤْمِنُ بِاللهِ
 فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا ، وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ .
 اللَّهُ وَلِيُّ الدِّينِ أَمَّا مَنْ يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ، وَالَّذِينَ
 كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ ، يُخْرِجُوهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ ،
 أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُ	هو المستحقُ أَنْ يُعْبَدَ دُونَ غَيْرِهِ . الباقيُ الَّذِي لَا يُفْتَنُ .

شرحها	الألفاظ
ال دائمُ القيام على تدبير الكون وحفظه . ارتخاء في الأعصاب ، وثقل في الرأس ، وفتور في الجسم يتقدم النوم . حالة تعرض للحيوان من استرخاء أعصاب الدماغ ، تقف معها المشاعر الظاهرة عن الإحساس .	القيوم سنة نوم
ليس لأحد أن يبتغي عنده وسيلة لغافو عن العاص ، أو إثابة غير مستحق للشواب . إلا بأمره وإرادته .	من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه
يعلم ما حادث قبليهم ، وما حادث بعدهم ، وما يد ركونه وما لا يدركونه ، من أمور الدنيا والآخرة . من معلوماته . مُلْكُه وعظمته ، وعلمه وسلطانه . لا يقله ولا يشق عليه .	يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم من علمه كرسيه لا يغدوه على العظيم
المتعالي بذاته عن الأنداد ، القاهر الغالب للأشياء . الذى يُحترق بالنسبة إليه كل ما سواه . قد تبين الإيمان من الكفر ، والمهدى من الضلال . كل ما عُبِدَ من دون الله ، أو صدَّ عن سبيل الله . بالاعقاد الحق ، والإيمان الوثيق . لا انقطاع لها . مُعينُهم ومتولى أمرهم .	قد تبين الرشد من الغي الطاغوت بالعروة الوثقى لا انفصام لها ولى الذين آمنوا
الكفر والمعاصي والشبه ، وجميع فنون الضلال . الإيمان والهدایة والتوفيق ، وجميع فنون الحق . الملازمون لها بسبب ما ارتكبوا من الجرائم . ما كثون فيها أبداً .	الظلمات النور أصحاب النار حالدون

آية الكرسي

(١) مناسبتها لما قبّلها

لما ذُكرَ في الآيات السابقة أنه تعالى فضل بعض الأنبياء على بعض ، وأن منهم من كلام الله ، ورفع بعضهم درجات ، وآتى عيسى ابنَ مريم البينات ، وكان اليهود والنصارى قد أحدثوا بعد أنبيائهم بدأً في أدیانهم وعقائدهم ، ونسبوا لله تعالى ما لا يجوز عليه ، وكان من العرب من اتخذوا من دون الله آلهة ، فصار جميع الناس الذين بعثَ إليهم محمدٌ كافية على غير استقامة في شرائعهم وعقائدهم ، فقد آتى الله بهذه الآية العظيمة ، الدالة على تفرُّدِه تعالى بالوحدانية ، وعظم الصفات ، ليردَّهم إلى الحق ، وإلى طريق مستقيم ، وقد سميتْ آية الكرسي ، لأنَّه ذكر فيها .

مجمل المعنى

١ - الله جلَّ قدرته هو وحده المستحقُ للعبودية ، المتفَرِّدُ بالوحدانية ، الباقي الذي لا يموت ، القائم دائمًا بتدبير خلقه بدقة ونظام محكم ، ويقطنة تامة ، ليس من شأنه أن يتعريه فتور أو غفلة ، له ملك السموات والأرض ، وما فيهما من مخلوقات عاقلة وغير عاقلة ، هو موجدها ومالكها وربها ، عظيم الكبriاء ، ليس لأحد أن يشفع عنده في جلب ثواب ، أو إزالة عقاب ، إلا بإذنه ، وفي قوله تعالى : « من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه » : رد على المشركين الذين كانوا يزعمون أن الأصنام تشفع لهم عند الله ، وكأنوا يقولون : « ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفي » ، كما أن فيها دليلاً على

وجود الشفاعة عنده بإذنه وأمره ، لمن اصطفاهم من عباده من الملائكة والأنبياء والعلماء ، والمجاهدين والمؤمنين الصالحين ، علیم بكل أمور الدنيا والآخرة ، وما وقع قبلنا وما يحدث بعدهنا ، ولا معلوم لأحد من خلقه إلا ما شاء الله أن يعلمه ، وسع ملکه وعلمه وقدرته جميع السموات والأرض ، فقام على تدبيرها بسلطان وحكمة وقوة ، ونسبة الكرسي له تعالى ، تصوير لعظمة ملکه ، وعلمه وقدرته ، كما أن كرسى الملك رمز لسلطانه وحكمه وقوته ، لا يُشَكِّله ولا يشق عليه حفظها ، وأمر تدبيرها ، وهو المتعال بذاته عن الأنداد والنظراء ، القاهر الغالب لجميع الأشياء ، العظيم في سلطانه ، الذي يستحقر بالنسبة إليه كل ما سواه .

٢ - لما بين الله في الآية السابقة دلائل الوحدانية ، وصفاته الإلهية ، وأنه جل شأنه هو المعبد دون سواه ، وأضاء للعقل طريق معرفته ، والإيمان به ، لم يُجْرِ أمر الإيمان على الإكراه والقسر ، بل جعل الدخول في الإسلام من شاء بمحض الاعتقاد والاختيار ، بعد أن استبان الرشدُ من الغيّ ، والإيمان من الكفر ، والحق من الباطل ، « فَنَّ شَاءَ فَلِئِمْنَ ، وَمَنْ شَاءَ فَلِيَكْفُرَ » ، ومن ترك عبادة الأوثان والشيطان ، وهجر طريق الصلاح ، وآمن بالله ، واتبع هداه ، فقد اعتمد بالدين الصحيح ، واستمسك بالإيمان الوثيق ، واهتدى إلى الخير والتوفيق ، وسلك السبيل الموصل إلى رضائه تعالى ، وعقد لنفسه من الدين عقداً متيناً ، لا تحله شبهة أو ضلاله ، والله سميع لما يقوله كل عبد ، علیم بما يعتقده ، لا يخفى عليه ما يجري على الألسنة ، وما تكُنُ الصدور ؛ وقد نزلت هذه الآية في أنصارٍ من بنى سالم بن عوف ، كان له ابنان ، فتنصرا قبل أن يُبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قدِّما المدينة ، فلزمهما أبوهما ، وقال : والله لا أدعكم حتى تُسلِّما ، فأبيا ، فاختصموا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

قال الأنصارى : يا رسول الله ، أيدخل بعضى النار وأنا أنظر ، فنزل قوله تعالى : « لا إكراه في الدين » ؛ فخلاًّهم رسول الله ودينهم الذى يريدان . ۲ - والله سبحانه وتعالى يعين الذين يريد لهم الإيمان ، ويتولى أمورهم ، فيخرجهم بطريقه وتأييده ، وهدايته وتوفيقه ، من الكفر إلى الإيمان ، ويكشف عنهم ظلمات الشبه في الدين ، ويهديهم إلى نور اليقين ، ويطمس على بصيرة أولئك الذين ثبت في علمه كفرهم وضلالهم ، فيجعل أولياءهم الطاغوت : أئ الشياطين والأصنام والأوثان ، وسائر المسلمين عن طريق الحق ، فيخرجونهم بالإغواء والتمويه والضلالة من نور البصائر التي جاءهم بها محمد صلى الله عليه وسلم ، إلى ظلمات الكفر ، والانهماك في الغنى ، وسائر فنون الضلالة ، أولئك الذين ضلوا عن الحق ، وتربدوا في الكفر والغنى ، ملزمون للنار ، ما كثون فيها أبداً .

(٣)

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ ؟
إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ : رَبِّي الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ ، قَالَ : أَنَا أَخِي وَأَمِيتُ ،
قَالَ إِبْرَاهِيمُ : فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ ، فَأَتَ بِهَا مِنَ
الْمَغْرِبِ ، فَبَهِتَ الَّذِي كَفَرَ ، وَاللَّهُ لَا يَهْدِي النَّقْوَمَ الظَّالِمِينَ .
أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَلْوَيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا ، قَالَ : أَنَّى يُحْيِي
هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ؟ فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةً عَامٍ ثُمَّ بَعْثَهُ ، قَالَ :
كَمْ لَبِثْتَ ؟ قَالَ : لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ، قَالَ : بَلْ لَبِثْتَ مِائَةً
عَامٍ ، فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهُ ، وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ ،
وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ ، وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ تُنْشِرُهَا ثُمَّ
نَكْسُوْهَا لَحْمًا ، فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ ، قَالَ : أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
قَدِيرٌ . وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ : رَبُّ ، أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى ، قَالَ :
أَوْلَمْ تُؤْمِنُ ؟ قَالَ : بَلَى ، وَلَكِنْ لِيَطَمِئْنَ قَلْبِي ، قَالَ : فَخُذْ أَرْبَعَةَ
مِنَ الطَّيْرِ ، فَصُرْهُنَ إِلَيْكَ ، ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَ جُزْءًا ،
ثُمَّ ادْعُهُنَ يَأْتِنَكَ سَعِيْمًا ، وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
الذى حاجَ إبراهيم في ربه	المزود الذى جادل إبراهيم وعارضه فى ربوبية الله . لأن الله جعله ملكاً ، فاستكبر وبطэр .
أنا أحيي وأميت	أعفو عن القتل وأقتل .
يأتي بأشمس	يطلعها فى الصباح .
فهبت الذى كفر	تحير ودهش ، وانقطعت حجته .
أو كالذى مر على قرية	{ أو كعُزير الذى مرَّ على بيت المقدس ، بعد أن خربَه بُختننصر .
خاوية على عروشها	خالية ، ساقطة حيطانها على سقوفها ، والعروش : { جمع عرش ، وهو السقف .
أني يحيى هذه	كيف يعيد الله العمran والحياة فى هذه القرية ؟ ثم أحياه .
ثم بعثه	قال له ملك من عند الله : كم سنة مكثت ميتاً ؟ لم تغيره السنون .
قال : كم لبشت	{ لتعتبر أنت ، ولتكون آية للناس على البعث ، ودليلًا على قدرة الله .
لم يتسعه	ظام حماره .
لنجعلك آية للناس	نحركها ونركبها ، وننفح فيها الروح ، ونبعث الحياة .
العظم	فلما ظهرت له قدرة الله على أنه يحيى ويميت .
أننى نشرتها	بصريني
بلى آمنت .	بلى آمنت .

شرحها	الألفاظ
ولكن سألت ذلك إرادة طُمأنينةِ القلب . فأمْلُهم ، واصْمِمُهم إِلَيْكَ ..	ولَكُنْ لِي طمَنْ قلْبِي فَصُرُّهُنَّ إِلَيْكَ
ثم جزئُهم ، وفرقُ أجزاءِهم على الجبال التي حولك . قل هن : تعالَينَ بِإِذْنِ اللهِ .	ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جَزءاً
{ ساعِياتٍ مُسْرِعَاتٍ فِي طَيْرِهِنَّ ، أَوْ فِي مُشَيْهِنَّ عَلَى أَرْجَاهِهِنَّ	سَعِيًّا
لَا يَمْتَنَعُ عَلَيْهِ مَا يَرِيدُ . لَا يَفْعُلُ إِلَّا مَا فِيهِ الْحَكْمَةُ .	عَزِيزٌ حَكِيمٌ

لما بيَّنَ اللهُ أَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أُولَئِكُمُ الطَّاغُوتُ ، أَنْزَلَ الآيَةَ الْأُولَى مِنْ هَذِهِ
الآيَاتِ اسْتَشْهَاداً عَلَى ذَلِكَ ، بِأَمْرِ النَّبِيِّ الْمَرْوُذِ الَّذِي غُلِبَ وَقُهُورٌ فِي مَحاجَتِهِ وَمُجَادَلَتِهِ ،
إِذْ كَانَ الطَّاغُوتُ وَلِيَهُ ، وَبِأَمْرِ إِبْرَاهِيمَ الَّذِي غَلَبَ فِي الْحِجَةِ وَأَفْحَمَهُ ، إِذْ كَانَ
اللهُ وَلِيَهُ ، حَتَّى يَعْلَمَ النَّبِيُّ أَنَّ اللَّهَ يُضْلِلُ مَنْ يَشَاءُ ، وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ .
ثُمَّ ذَكَرَ الآيَةَ الثَّانِيَةَ وَالثَّالِثَةَ ، اسْتَشْهَاداً عَلَى أَنَّ اللَّهَ يَحْيِي وَيَمْتَيِّتُ ، وَيُنْشِئُ
الْخَلْقَ وَيَعِيدُهُ ، وَأَنَّهُ وَلِيُّ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ، يَهْدِيهِمْ بِالْحِجَةِ وَالْبَيْنَاتِ ، وَالْأَدَلَّةِ
الْوَاضِحَاتِ .

(١) قصة إِبْرَاهِيمَ وَالنَّبِيِّ الْمَرْوُذِ ، وَمُجَمِّلُ الْمَعْنَى

أَلمْ يَتَّهِي إِلَى عِلْمِكِي يَا مُحَمَّدُ أَمْرُ النَّبِيِّ الْمَرْوُذِ ، الَّذِي رَكِبَهُ الْبَطْرُ وَالْطَّغَيَانُ وَالْعَتُُّ ،
بَعْدَ أَنْ أَعْطَاهُ اللَّهُ الْمَلْكَ وَالْقُوَّةَ وَالْسُّلْطَانَ ، كَيْفَ تَصْدِيَ لِإِضْلَالِ النَّاسِ
وَإِخْرَاجِهِمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ ؟ وَكَيْفَ أَنْهِ جَادِلُ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبُوبِيَّةِ اللَّهِ

عز وجل ضلالاً وطغياناً؟ وكيف أنه لما عرف أن إبراهيم كسرَ الأصنام سبّنه ، ثم أخرجه من السجن ليحرّقه؟ فسأله : من ربك الذي تدعوه إليه؟ فقال إبراهيم : رب الذي يحيي ويميت ، أى يخلق الحياة وينزعها من الأجساد ، فهو المتصرّف فيك وفي أشخاصك ، بما لا تقدر عليه أنت ولا أشخاصك ، فقال الملك : أنا مثل ربك في ذلك ، ودعا برجلين ، فقتل أحدهما ، وأطلق الآخر ، وقال : هأنذا : أحسي وأميّت ، فلما عرف إبراهيم حماقته ومغالطته ، أراد أن يُفحّمه بدليل لا يقبل الجدل والمغالطة ، والتويه والتلبيس ، وعدل عن مثالٍ خفيٍ إلى مثالٍ جليٍ ، فقال : فإن الله يأتي بالشمس من المشرق ، فأت بها من المغرب ، إن كان لك مثل قدرة الله ، فأفحّمه إبراهيم ، وقطع عليه حجّته ، وبهت الذي كفر ، ولم يستطع أن يقول : أنا الآتي بها من المشرق ، كما قال : أنا أحسي وأميّت ، لأن ذوى الألباب يكذبونه ؛ وإن الله لا يهدى أولئك الذين ظلموا أنفسهم ، فأبعدوها عن الإيمان ، وأوقعوها في الكفر ، فاستحقّت العذاب الحاله ، « أَفَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ كَلْمَةُ الْعَذَابِ ، أَفَأَنْتَ تَنْقَذُ مَنْ فِي النَّارِ؟ »

(٢) قصة عزير ، والقرية الخاوية على عروشها

لما بالغ بنو إسرائيل في تعاطي الشر والفساد ، وجاوزوا في العتوا والطغيان كل حدّ معتاد ، سلط الله عليهم : بختنصر : ملك بابل ، فسار عليهم في جيش كثيف ، حتى وطى الشام ، وخرّب : بيت المقدس ، سنة ٧٠٩ قبل الميلاد ، وقتل منهم من قتل ، وأسر من أسر ، وشرّد من شرد ؛ وكان عزير فيمن شرّدوا ، وعاد إلى بيت المقدس بعد خرابها ، ومرّ عليها راكباً حماره ، ومعه طعامه من التين والعنب والعصير ، مما يُسرع إليه العطب والفساد بعد وقت قصير . فلما رآها على هذا الخراب ، وقد سقطت سُقُفُها ، وانهارت عليها

حيطانها ، وصارت تلاً من التراب ، وأكواً من الأنفاس ، استبعد إعادتها كما كانت ، وعمارتها بالبناء والسكان من بقایا أهلها الذين تفرقوا في كل مكان ، فقال في حسرة وتلهف واستبعاد : أَنِّي يُحِي هذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ، وَيُعِيدُ إِلَيْهَا مبانِيهَا بَعْدَ هَدْمِهَا ، وَعِمَارَتِهَا بَعْدَ خَرَابِهَا ؟ . فَأَرَادَ اللَّهُ أَنْ يُرِيهِ أَنَّ مَا استبعده في بناء القرية ، وفي إعادة المشردين من أهلها إليها ، أمر ليس بعيداً على قدرة اللَّهِ ، وضرب له المثل في نفسه ، بما هو أعظم مما سُئل عنه سؤال حسرة وتلهف واستبعاد ، لِيُوكِدَ لَهُ قدرته على كل شيء ، فآمَاتَهُ اللَّهُ مائةَ عَامٍ ، وأمَاتَ حماره ، وأبى تينه وعنبه وشرابه بجواره ؛ وفي أثناء موته وجَهَ اللَّهُ ملِكًا عظيمًا من ملوك فارس إلى بيت المقدس ، فأعاد عمارتها وبناعها ، بعد أن استمرت خراباً سبعين سنة ، وأعاد إليها السكان ، ودبَت فيها الحياة والعمَرَان ، وصارت أحسن مما كانت عليه ، فلما انقضت المائة السنة من موته عزير ، بعثه اللَّهُ وأحياء كھيئته يوم موته ، ووجهَ إِلَيْهِ ملِكًا ، فسأله ليظهر له عجزه عن الإحاطة بشؤونه تعالى : كم لبست ؟ فقال عزير على التخمين والظن : مكثت يوماً ، ثم نظر فوجد أن الشمس لم تغرب ، فقال : أو بعض يوم ، فقال له الملك : بل لبشت في موتك مائةَ عَامٍ ، فانظر لأُمرين آخرين من دلائل قدرة اللَّهِ تعالى : فهذا طعامك وهذا شرابك ، انظر إليهما ، لم يتغير شئ فيهما ، بعد أن مررت عليهما هذه السنون الطويلة ، وهذا حمارك ، انظر كيف نخرت عظامه ، وتفرقـت أوصاله ، ليتبين لك ما ذكرناه من اللثـبـ المـدـيدـ ، والمـكـثـ الطـوـيلـ ، لـتـعـتـرـ فيـ نـفـسـكـ ، ولـنـجـعـلـكـ عـبـرـةـ وـآيـةـ لـلـنـاسـ مـنـ قـوـمـكـ ، حين ترجع إليـهمـ فيـ المـدـيـنـةـ العـامـرـةـ ، وـكـانـتـ خـرـبـةـ خـاوـيـةـ عـلـىـ عـرـوـشـهـ ، ثـمـ انـظـرـ إـلـىـ عـظـامـ الـحـمـارـ الـتـيـ أـرـيـنـاـ كـهـاـ بـالـيـةـ مـتـنـاثـرـةـ ، كـيـفـ نـجـمـعـ أـمـامـكـ أـجـزـاءـهـ ، وـنـرـدـهـ إـلـىـ أـمـاـكـهـامـ الـجـسـدـ ، ثـمـ نـكـسـوـهـاـ لـهـماـ ، ثـمـ نـعـيـدـ إـلـيـهـ الـحـيـاـةـ أـمـامـكـ ، لـتـشـاهـدـ بـعـيـنـيـكـ كـيـفـ نـقـدـرـ عـلـىـ

إِحْيَاء غَيْرِكَ ، كَمَا عَلِمْتَ كَيْفَ أَعْدَنَا الْحَيَاة إِلَيْكَ بَعْدَ مُوتَكَ؟ فَلَمَّا تَجَلَّتْ لَهُ قُدْرَةُ اللَّهِ ، وَتَبَيَّنَ لَهُ كَيْفَ أَعْادَ اللَّهُ الْحَيَاة لِمِيتَأَمَامَهُ ، قَالَ: أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، لَا يَسْتَعْصِي عَلَيْهِ أَمْرُ مِنَ الْأَمْوَرِ؛ رَوَى أَنَّهُ رَكِبَ حَمَارَهُ ، وَأَتَى مَحْلَتَهُ ، فَأَنْكَرَ النَّاسُـ ، وَأَنْكَرَهُ النَّاسُـ ، وَأَنْكَرَ الْمَنَازِلَ ، وَمَضَى عَلَى وَهْمٍ مِنْهُ حَتَّى أَتَى مَنْزِلَهُ ، فَإِذَا هُوَ بِعِجَوزِ عَمِيَّاءٍ مَقْعُدَةٍ ، قَدْ أَدْرَكَتْ زَمْنَ عَزِيزٍ ، فَقَالَ لَهُ: يَا هَذَا ، أَهْذَا مَنْزِلَ عَزِيزٍ؟ قَالَتْ: نَعَمْ ، وَأَيْنَ عَزِيزٌ؟ لَقَدْ قَدَنَا هُوَ وَأَنَا فِي شَرْخِ الصَّبَا ، وَبَكَتْ بِكَاءً شَدِيدًاً ، فَقَالَ لَهُ: أَنَا عَزِيزٌ ، فَأَنْكَرْتُ عَلَيْهِ ، وَقَالَتْ: إِنَّ عَزِيزًاً كَانَ مُسْتَجَابَ الدُّعَاء ، فَإِنْ كُنْتَ عَزِيزًاً حَقًّا ، فَادْعُ اللَّهَ يَرْدِعْ بَصَرِي ، فَدَعَاهُ رَبُّهُ ، وَمَسَحَ عَلَى عَيْنِيهِ ، فَأَعْادَ إِلَيْهَا بَصَرَهَا ، وَرَأَتْ عَزِيزًاً كَمَا فَارَقَهَا مِنْذَ مائَةَ عَامٍ ، وَأَنْخَذَ بِيَدِهَا ، وَقَالَ لَهُ: قَوْمٌ بِإِذْنِ اللَّهِ ، قَفَّامُتْ صَحِيحَةً ، فَأَسْرَعَتْ إِلَيْهِ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، وَأَخْبَرَتْهُمْ خَبْرَهُ ، فَاجْتَمَعُوا إِلَيْهِ ، وَقَرَأُلَيْهِمُ التُّورَةَ عَنْ ظَهَرِ قَلْبِهِ ، فَضَلَّوْا ، وَقَالُوا: عَزِيزُ ابْنِ اللَّهِ . تَعَالَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ عَلَوْاً كَبِيرًا
وَهَذِهِ الْقَصَّةُ دَلِيلٌ مَحْسُوسٌ عَلَى الْبَعْثَ ، وَفِيهَا آيَةٌ لَهُ ، جَعَلَهَا اللَّهُ لِعَزِيزٍ
فِي نَفْسِهِ ، وَآيَةٌ شَاهِدَةٌ أَمَامَهُ فِي حَمَارِهِ

(٣) اللَّهُ تَعَالَى يُرِي إِبْرَاهِيمَ كَيْفَ يَحْيِي الْمَوْتَى

كَانَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا مُسْلِمًا ، مُؤْمِنًا بِوَحْدَانِيَّةِ اللَّهِ ، وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ، عَلَى يَقِينٍ بِأَنَّ اللَّهَ يَحْيِي وَيَمْتَيِّتُ ، فَلَمْ يَسْأَلْهُ جَلَّ قَدْرُهُ عَنِ الْإِحْيَاءِ وَالْإِمَاتَةِ ، لَأَنَّ إِيمَانَهُ بِهِمَا مُقْرَرٌ ، مَقْطُوعٌ بِهِ ، لَكِنَّهُ سَأَلَ عَنْ كَيْفِيَّةِ الْإِحْيَاءِ ، فَسَأَلَ اللَّهَ أَنْ يُرِيهِ ذَلِكَ عَيْنَانِّا ، لِيَتَأْيِدَ الْيَقِينَ بِالْعَيْنَ ، وَيُظَاهِرَ الإِيمَانَ الْأَطْمَئْنَانَ ، وَيُشَاهِدَ بَعْنَيْهِ مَا يَعْلَمُهُ بِقَلْبِهِ ، وَإِذَا كَنَا نَشَعِرُ بِلَذَّةِ وَارْتِياحٍ ، فِي الْأَطْلَاعِ عَلَى أَجْزَاءِ الْوَسَائِلِ الَّتِي ابْتَكَرَهَا الْإِنْسَانُ ، وَمُشَاهِدَةِ عَمَلِهَا وَتَرْكِيَّهَا ، مَعَ أَنَّا نَقْطَعُ ج ٢ (٢)

عن يقين بالنظريات التي أنشئت تبعاً لها ، كالسيارة والطيرارة والمذيع ، أليس
ما يشتق إلية إبراهيم ، وقد اتخذه الله خليلا ، وجعل النار عليه بردًا وسلامًا ،
ونصره على المزود العائلي الجبار ، أن يسأل الله أن يريه آية من قدرته ، رؤية
مشاهدة وعيان ، لرى قوّة الله جليلة ظاهرة ، ويستجيب إلى ما ركب الله في طبيعة
الإنسان من حب الإطلاع ، بالرؤى والعيان ، لما هو ثابت في النفس والحنان .

من أجل هذا سأله إبراهيم ربه سؤال تشوق واستعطاف ، ودعاه دعاء تأدب
واستكشاف ، أن يريه كيفية إحياء الموتى ، ويجعله ينظر بعينيه قدرته على الخلق ،
حتى يتأنزز العلم بالاستدلال والمشاهدة والنظر ، فإن ذلك أسكن للقلب ،
وأهدى لل بصيرة ؛ والعلم بالدليل مما يجوز معه الجداول والتشكيك ، ولكن العلم
بالمشاهدة ، مما يقطع ألسنة المكابرین ، ويأخذ الحجة على الكافرين المعاندين ؟
ولما كان الله يعلم إيمان إبراهيم وحسن اعتقاده ، سأله سؤال تقرير لما في نفسه ،
وتحقيق لما ينطوي عليه ضميره ، فقال : أو لم تؤمن ؟ قال إبراهيم : بلى قد آمنت ،
وأنت تعلم ما في نفسى ولا أعلم ما في نفسك .

ثم إن الله أمره أن يأخذ أربعة من الطير ، قيل إنها طاوس وديك وغراب
وحمام ، وأن يصيّر هنّ ويضمّهن إليه ، ويجمعهن ويلعبن نحوه ، ليتحقق بيديه
ونظره من أنواعها وألوانها وحجمها ، ويتأمل أشكالها وألوانها ، ويستيقن من
معرفتها ، ثم يقطعها قطعاً ، ويخلط جميع أجزائها المقطعة ، ودمائها وريشه ،
ثم يجعل على كل جبل من الجبال التي حوله بعضاً من أجزائها المختلطة ، ثم
يدعوهن ، ويقول لهن : تعالين بإذن الله ؛ فلما فعل ما أمره الله به ، جعل كل جزء
منها يطير نحو صاحبه ، وصار الدم إلى الدم ، والريش مع الريش ، حتى صارت
كما كانت أولاً ، وأقبلت نحوه مسرعات ، تمشي مشياً ، وتطير طيراً ؛
فلما رأى إبراهيم بعيني رأسه ، كيف أعاد الله للطير الحياة بعد الموت كما سأله ،

قال له : أعلم أن الله جل شأنه ، عزيز غالب على أمره ، لا يعجزه شيء ، حكيم فيما يفعل وفيما يذر .

وهذه القصة أيضاً تدل على فضل إبراهيم عليه السلام ، وعلوم كافته عند الله ، ويعن الضراعة في الدعاء ، وحسن الأدب في السؤال ، حيث أراه الله في الحال ما سأله ، على أيسير ما يكون ، وأرى عزيزاً ما أراه ، بعد مائة عام .

(٤)

مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ
سَبْعَ سَنَابِلَ، فِي كُلِّ سَنْبُلَةٍ مِائَةً حَبَّةً، وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ،
وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ. الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، ثُمَّ لَا يُنْبِغِيُونَ
مَا آنْفَقُوا مَمَّا وَلَا أَذَى، لَهُمْ أَجْرٌ هُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ، وَلَا خَوْفٌ
عَلَيْهِمْ، وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ. قَوْلُ اللَّهِ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ
يَتَبَعُهَا أَذَى، وَاللَّهُ غَنِيٌّ عَنِ الْحَلِيمِ. يَأْمَاهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا
صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنَّ وَالْأَذَى، كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رَءَاءُ النَّاسِ، وَلَا يُؤْمِنُ
بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ، فَأَصَابَهُ
وَابْلٌ، فَتَرَكَهُ صَلَدًا، لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا، وَاللَّهُ
لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ. وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ
رَزْنَاءِ اللَّهِ وَتَبْيَتِا مِنْ أَنْفُسِهِمْ، كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ، أَصَابَهَا وَابْلٌ،
فَأَاتَتْ أَشْكَاهَا ضِعْفَيْنِ، فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابْلٌ فَطَلْ، وَاللَّهُ عَمَّا
تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ. أَيُوْدُ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ
وَأَغْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ، لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الشَّمَراتِ

وَأَصَابَهُ الْكِبْرُ وَلَهُ ذِرْيَةٌ صُعْفَاءٌ ، فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ ؟
كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ ، لَمَّا كُمْ تَفَكَّرُونَ .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
فِي سَبِيلِ اللهِ كَمْثُلْ حَبَّةٍ .	فِي وجوهِ الْخَيْرِ ، وَأَعْظَمُهَا الْجَهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ . كَمْثُلْ بَاذْرِ حَبَّةٍ .
أَنْبَتَتْ سِعْ سَابِلْ وَاللهِ يَضْعِفُ لَمْ يَشَاءُ .	أَخْرَجَتْ سَاقًا تَشَعَّبُ مِنْهَا سَبْعَةُ أَفْرَعٍ ، بِكُلِّ أَفْرَعٍ سَبْنَلَةٌ . يَزِيدُ أَضْعَافًا مِنَ الْخَيْرِ وَالثَّوَابُ لِمَنْ يَشَاءُ ، عَلَى حَسْبِ إِخْلَاصِهِ ، وَجُودُهِ وَتَعَبُّهِ .
وَاسِعٌ عَلِيمٌ	لَا يَضِيقُ عَلَيْهِ مَا يَتَضَرَّعُ بِهِ مِنَ الْزِيَادَةِ . يَعْلَمُ بُنْيَةَ الْمَنْفَقَ ، وَمَقْدَارَ مَا أَنْفَقَ ، وَالطَّرِيقَ الَّتِي حَصَّلَ مِنْهَا الْمَالُ .
الْمَنْ وَالْأَذَى	أَنْ يَعْتَدَ عَلَى النَّعْمَ عَلَيْهِ بِإِحْسَانِهِ وَيُفْخَرُ عَلَيْهِ بِهِ ، وَيُسْتَوْجِبُ بِذَلِكَ حَقًّا عَلَيْهِ . أَنْ يَتَطَاوِلَ عَلَيْهِ بِسَبِبِ إِحْسَانِهِ إِلَيْهِ .
وَلَا خَوْفُ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزُنُونَ	لَا يَخَافُونَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ أَى مَكْرُوهٍ يَقْعُدُ بِهِمْ . لَا يَشْعُرُونَ بِالْحُزْنِ عَلَى فَوَاتِ أَى مَطْلَبٍ فَاتَّهُمْ مِنْ مَطَالِبِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ .
قُولُ مَعْرُوفٍ	عَدْمُ إِعْطَاءِ السَّائِلِ مَعَ كَلَامِ لِينٍ تَقْبِيلِهِ النَّفْسِ .

شرحها	الألفاظ
{ واحتمال وستر لما وقع من السائل ، من الإلحاد في المسألة . }	ومغفرة
{ خير للسائل من عطاء مشوب بإهانة وأذى ، وإذلال له . }	أذى
{ لا يحوج عياله القراء ، فيرزقهم من طريق آخر ليس فيه أذى }	والله غنى
{ لا يعاجل أصحاب المن والأذى بالعقوبة ، ولكنهم يهلكهم كي يرتدعوا . لا تضيعوا أجراها . }	حليم
{ مثل الذين ينفقون أموالهم مراهقين للناس ، لا قاصدين كالذى ينفق ماله رباء وجه الله . }	لا تبطلوا صدقاتكم
{ ويكون حالمهم كحال الكافر الذى لا يرجو ثواباً ولا يؤمن بالله واليوم ولا يخشى عقاباً . فثل هدا المرأى المนาقة . }	كالذى ينفق ماله رباء الناس
{ حجر كبير أملس . عليه يسير من التراب كالغبار . مطر عظيم . }	ولا يؤمن بالله واليوم الآخر
{ أملس ليس عليه شيء من الغبار أصلاً . لا ينتفعون بشيء مما أنفقوا رباء ونفاقاً ، ولا يجدون له ثواباً . }	فثله
{ لا يهدى لهم إلى الخير والرشاد . }	صفوان عليه تراب

شرحها	الألفاظ
وتيقناً من أنفسهم لهم ، على إنفاق ذلك في طاعة الله ، وأنه يشتهم عليها .	وثبّتَ من أنفسهم
بأرض مرتفعة طيبة .	بربوة
فأعطت ثمرها الذي يؤكل .	فآتَتْ أكلَهَا
أعطت ضعف ثمر غيرها من الأرض .	ضعفين
الطل : القطر الخفيف المستدق ، أى أضعف المطر ، أو الندى .	فطل
ريح شديدة ترتفع ، فيرتفع معها غبار : الزوبعة .	إعصار

الجهاد والإنفاق

جعل الله عزة المسلمين والحياة الكريمة للمؤمنين في أمرتين :

(ا) الجهاد ، حتى تكون كلمة الله هي العليا ، وقتل المعتدين على أوطانهم ، الغاصبين لحقوقهم .

(ب) إنفاق المال في سبيل الله ، أى في وجوه الخير ، كمساعدة الفقراء ، وصلة الأقارب ، وإقامة منشآت البر ، كمعاهد التعليم ، ودور العلاج ، والمستشفيات ، والتمريض ، والإسعاف ، وتزويد المجاهدين بالسلاح والمئونة والعتاد .

ولما كان من طبيعة الإنسان أن يحرص على الحياة وعلى المال ، وهما أعز شيء عنده ، وليس من الهين بذلهما إلا ببعض ، هو خير منها وأبغي ، فقد قص الله قبل هذه الآيات قصصاً من أخبار الأمم التي باعـت بالذل والهوان ، لقعودها عن القتال ، وحرصها على المال ، ولم ينجها من الموت أو الفقر جبن أو بخل ، وهذه القصص تقطع بأن الحياة والموت بيد الله وحده ، وأن الله سيبعث عباده

يُوْمَ لَا يَنْفَعُهُمْ فِيهِ مَالٌ وَلَا بَنْوٌ ، حَتَّىٰ يَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فِي سَبِيلِ الْبَرِّ ، مَا يَحْدُوْنَهُ شَفِيعًا لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

عَثَمَانُ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ يَجْهَزُانْ جَيْوشَ الْمُسْلِمِينَ

وقد نزل قوله تعالى: « مثُلُ الَّذِينَ يَنْفَقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمُثُلُ حَبَّةٍ » الآية ، في شأن عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما حث الناس على الصدقة ، حين أراد الخروج إلى غزوة تبوك ، جاءه عبد الرحمن بأربعة آلاف ، فقال : يا رسول الله ، كانت لي ثمانية آلاف ، فأمسكت لنفسي وعيالي أربعة آلاف ، وأربعة آلاف أقرضتها لربى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بارك الله لك فيما أمسكت ، وفيما أعطيت ! وقال عثمان : يا رسول الله : على جهاز من لا جهاز له ، وجهز الجيش بألف بعير بأقطابها وأحلا سهاما ، وسيجيشه غزوة تبوك هذه : جيش العُسْرَة ، لأن النبي ندب الناس إلى الغزو في شدة القيظ ، وكان وقت إيناع المهر ، وطيب الظلال ، فعسر ذلك عليهم وشق ، ولم يكتف عثمان بذلك ، بل جاء بألف دينار ، فصبها في حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخذ يدخل يده فيها ويقلبها ويقول : ما ضر ابن عفان ما عمل بعد اليوم ، اللهم لا تنسى هذا اليوم لعثمان ، فعَلَّا ذلك ولم يكدر يخطر ببالهما شيء من الم والأذى ، فنزل قوله تعالى : « الَّذِينَ يَنْفَقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، ثُمَّ لَا يَتَبَعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنَّا وَلَا أَذى ، هُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ ، وَلَا خُوفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزُنُونَ » .

مجمل المعنى

١ - مثُلُ الَّذِينَ يَنْفَقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي وِجْهِ الْبَرِّ وَالْخَيْرِ ، مِنْ جَهَادٍ فِي سَبِيلِ عَزَّةِ الْمُسْلِمِينَ ، وَإِعْطَاءِ الْمُحْتَاجِينَ ، وَإِعْسَافِ الْمَصَابِينَ ، وَعَلَاجِ الْمَرْضِ ، وَتَعْلِيمِ

الحالين ، وتدبير الأعمال للمتعطلين ، في أن الله يضاعف أجراهم بمقدار سبع مائة ضعف لما أنفقوا — كمثل باذر حبة في أرض طيبة ، تعهد بها بالرعاية والسوى ، فأخرج الله له ساقها قويةً ، وتفرع منها سبع شعب ، في كل شعبة سبعة ، وفي كل سبعة مائة حبة ، والله يزيد من يشاء من المنافقين المتصدقين فوق هذه الأضعاف أضعافاً من الأجر والثواب لا حد لها ، على حسب جوده وإخلاصه ، وفضل الله واسع ، لا يضيق على من يشاء أن يتفضل عليه بمضاعفة الأجر والثواب ، وهو عالم بنية المنافق ، وبقدر ما أنفق ، وبالطريق الذي كسب منه المال ، فيشيئه على قدر ما يستحق .

٢ — والذين ينفقون الأموال في وجوه البر والخير وفي سبيل الله ، فاصادين بإتفاقهم وجه الله ، مبتغين ثوابه ورضاه ، لا يريدون من أنفقوا عليهم جزاء بوجه من الوجوه ، ولا يتبعون الإنفاق مناً عليهم ، ويتنا夙ون الإحسان إليهم ، فلا يذكرونهم ، ولا ينحررون به في مجالسهم ، ولا يؤذونهم بقول أو عمل ، كأن يقول منع من أنعم عليه : لقد أحسنت إليك ، أو أنت لـ فضلاً عليك ، أو كيف تجرؤ علىَّ وأنت مغمور بنعمتي ؟ وغير ذلك مما يقوله من يمنون على الناس إن أعطوههم ، ويؤذونهم لأنهم أحسنا إليهم ، قال أسامة بن زيد : لئن ظننت أن سلامك ينتقل على من أنفقت عليه تريده وجه الله لا تسلم عليه — فمن أنفق في سبيل الله ، ولم يتبع إتفاقه مناً ولا أذى ، فقد كتب الله له الجنة أجراً ، وأمنه من الخوف والهول يوم القيمة ، وأذهب عنه الحزن على الدنيا ، وسر قلبه بالأخرة .

٣ — والصدقة المتبوعة بأذى ، تعتبر صدقة في ظاهرها ، وهي ليست شيئاً في حقيقتها ، يحيط الله أجراها ، ولا يثيب عليها ، وخير منها ، بل أولى وأمثال ، عدم الإعطاء مع قول معروف ، ورد جحيل للسائل ، بكلمة طيبة تقع في نفسه موقعاً حسناً ، ومغفرة وغفو لما يصدر عنه من إلحاح في المسألة ، وإلحاح على المسؤول ، ومضايقة له ، هذا الرد الجميل مع

عدم الإعطاء خير عند الله وله ثواب ، أما الصدقة التي يتبعها الأذى فلا خير فيها ولا ثواب ؛ قال صلى الله عليه وسلم : « الكلمة الطيبة صدقة ، وإن من المعروف أن تلقى أخاك بوجه طلق » ؛ والله غنى عن الذين يتبعون إنفاقهم مناً وأذى ، لا يحوج عياله القراء إليهم ، ويرزقهم من طريق آخر لا يؤذى نفوسهم ، ولا يجرح عزتهم ، حليم لا يعجل أصحاب الم والأذى بالعقوبة ، وإزالة النعم ، فهو القادر أن يجعلهم هم القراء ، ويجعل القراء أغنياء

٤ - يناديكم الله أيها المؤمنون ، وبينهاكم عن إحباط أجر الصدقات ، وتضييع ثواب الإنفاق ، بالمن والأذى ، فيكون شأنكم في ذلك شأنَ من ينفق ماله رباء وسمعة ، ليقال : إنه سخى كريم ، ويشئ عليه الناس ويحملوه ، وشأنَ الكافر الذي ينفق المال مباهة ووجاهة ، ولغايات دنيوية ، لا لدافع الإيمان بالله في الدنيا ، والخوف منه في الآخرة ؛ وقد ضرب الله مثلًا لمن سقط أجر صدقاتهم ، ولم يثابوا على الإنفاق بسبب المن والأذى والرباء والكفر بالصفوان ، أى الحجر الكبير الأملس ، الذي تغطيه طبقة من التراب ، فيقع في ظن من يراه أنه أرض طيبة منبتة ، فإذا أصابه وابل ، ووقع عليه مطر شديد ، أذهب عنه التراب ، وظهر صلداً لا يصلح للإنبات ، وأخلف ما ظنه الظان حينما رأه وعليه التراب ، كذلك هؤلاء الذين أنفقوا رباء أو مناً أو كفراً ، يرى الناس أن لهم إنفاقاً وصدقة ، كما يرون التراب على الصفوان ، فيظنون أن لهم بما أنفقوا ثواباً ، فإذا كان يوم القيمة انكشفت نياتهم ، وذهب ثوابهم ، كما ذهب الوابل بما كان عليه من التراب ، ولم ينتفعوا بشيء مما أنفقوا بالمن أو الرباء أو الكفر ، ولم يجعلوا ثوابه عند الله ، والله لا يهدى الكافرين إلى الخير والرشاد .

٥ — في الآية السابقة ضرب الله مثل من أنفق ماله رباء الناس فحيط ثوابه ، وضاع أجره ، بصفوان مغطى بتراب ، سقط عليه المطر ، فأزال التراب ، وكشف عن حجر صلد لا يخرج زرعاً ولا ثمراً ، وفي هذه الآية يضرب الله مثلاً محسوساً ، مقابلاً للآية السابقة ، للذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ، قاصدين بالإنفاق وجهه ، طالبين رضاعه ، منبعين للإنفاق بتشييت وإيمان ويقين من أنفسهم ، ليس لهم دافع أو باعث إلا طاعة الله وطلب ثوابه — ضرب الله مثل هؤلاء — في أن الله يضاعف أجرهم ، ويزكي عملهم ، ويجعله في الدنيا والآخرة أبهى عملاً ، وأحسن مدخراً — بصاحب بستان أورقت فروعه وأزهرت ، وامتدت أغصانه وأثمرت ، والتفت أشجاره وأورقت ، فرق ربوة عالية قليلاً ، وقد رق نسيمها ، وراق منظرها ، وطابت تربتها ، وأخصبت أرضاها ، فإذا أصابها طلّ ، أى مطر ضعيف ، وقطر خفيف ، كفاحاً سقياً ، لكرم أرضاها وطبيها ، وإذا أصابها وابل أى مطر شديد ، سقاها ولم يفسدها ، وأزهى أشجارها ولم يتلفها ، فأعطت ثمارها ضعفين ، أى ضعفاً بعد ضعف ، وجادت من أكلُها بأضعف مصاغنة ، بالنسبة لغيرها من الأراضي وأربت كثيراً طيباً ، كما يربى الله نفقات المخلصين ، سواءً أكانت قليلة أم كثيرة ، ما دام يطلب بها رضا الله تعالى ، والله يرى أعمالكم كثُرت أو قلت ، ويعلم نياتكم فيها من رباء أو إخلاص ، فيحيط أجر المرائين ، ويضاعف أجر المخلصين .

٦ — والآية الأخيرة تمثيل لم ينفقون الأموال رباء ، ولن يفعلون الخيرات ، ويعملون الطاعات ، ثم يختمون كل ذلك بإساءات ، فلا يثابون يوم القيمة على ما أنفقوا ، ولا يجزون بما فعلوا ، ولا يستطيعون مردًا أو استدراكاً لما فاتهم ، فيبقون في ندم وحسرة .

قال ابن عباس : إن هذا مثل ضربه الله للمرائين بالأعمال ، يبطل ثوابهم يوم القيمة ، وهم في أشد الحاجة إليه ، كمثل شيخ كبير ، كان له بستان فيه من كل المثارات ، وله صبيةة صغار محاويج ، لا يقدرون على عمل أو كسب ، فأصاب البستان ريح عاصف ، فيه نار أحرقت أشجاره ، وأذهبت ثماره ، في وقت لا يستطيع فيه العمل ، ولا يقدر صبيته على كسب ، فيندم ، ولا يفيده الندم .

ومعنى الآية : لا يحب أحدكم أن يفعل الخير ، ويعمل عملاً طيباً ، وينفق المال ، فإذا جاء يوم القيمة لم يجد له ثواباً على ما عمل وما أنفق ، رباء ومناً ، وتفاخراً وتظاهراً ، فيندم ويتحسر ، ويكون كصاحب بستان فيه تخيل وأعناب ، وفيه كل المثارات ، أشجاره مورقة ، وظلالة وارفة ، تناسب تحتها المياه انسياجاً ، وتجري بينها الأنهار جرياناً ، فيريح النفس مرآه ، ويروق العين منظره ، وقد أصابه الكبر ، وأدركه الشيخوخة ، وله صبيةة صغار محاويج من بنات وبنين ، لا قدرة لهم على الكسب ، فكانت معيشته ومعيشة ذريته من ذلك البستان ، فأرسل الله عليه رحمة شديدة فيها نار فأحرقته ، وليس له من القوة ما يعيد غرسه ، ولم يكن في استطاعة ذريته أن تعينه لضعفهم ؛ كمثل ذلك يضرب الله لكم الأمثال ، وبين الآيات ، لتفكروا وتنبهوا إلى زوال الدنيا وفنائها ، وإقبال الآخرة وبقائها .

(٥)

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَقْتُلُوْا مِنْ طَيَّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ، وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ، وَلَا تَيْمِمُوا الْحَمِيمَةَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ، وَلَا سُمْمُ بِأَخْذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِّهِمْ . الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمُ بِالْفَحْشَاءِ، وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا، وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلَيْهِمْ . يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ، وَمَنْ يُؤْتِ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ، وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَبْلَابِ . وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ ، وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ . إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنَعِمَّا هِيَ ، وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءُ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ، وَمَا يَكْفُرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ ، وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَيْرٌ .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
من طيات ما كسبتم وَمَا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنْ الأرض	من خيار ما حصلتم عليه بالكسب . وَمَا جعلناكم قادرين على إخراجه من الأرض ، من الزرع والمعادن والركاز .

شرحها	الألفاظ
ولا تقصدوا الردىء مما عندكم . تخصصونه بالإلتفاق منه في سبيل الله .	ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون
{ وأنتم لا ترضون أن تأخذوه في حقوقكم ، أو ديونكم التي لكم على الناس .	ولستم بآخذيه
{ إلا أن تتساهلوا فيه ، لأن رداءته خفيت عليكم وقت أخذه .	إلا أن تغمضوا فيه
مستغف عن تصدقكم على القراء بالردىء . مستحق على كل حال لأن تمددو على ما أعطاكما	غنى حميد
يغوفكم ويخدركم الفقر إذا تصدقتم . ويغريكم بالبخل وإغراء الأمر ، والفحشاء هنا : البخل	يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء
{ والله يعذكم ويبشركم إذا تصدقتم ، أن يغفر لكم ذنوبكم .	والله يعدكم مغفرة منه
ويعدكم أن يخلف عليكم أفضل مما أنفقتم في الدنيا ، وأعظم ثواب في الآخرة .	وفضلا
يوسع في الرزق والثواب على من أنفق . يعلم أفعالكم ونياتكم .	واسع علم
طاعة الله ، والفقه في الدين ، والعمل به . ومن يؤته الله الحكمة .	الحكمة ومن يؤت الحكمة
يتذكر . أصحاب العقول السليمة .	يدكر أولو الألباب
{ يعلم كل نفقة صغيرة أو كبيرة ، ويعلم كل نذر في طاعته أو معصيته .	يعلمه

الألفاظ	شرحها
وما للظالمين من أنصار	{ ليس للظالم الذي يمنع الصدقات ، أو ينذر المال أو ينفقه في المعاصي ، من ناصر ينصره ، ويمنعه من عقاب الله . }
إن تبدوا الصدقات	إن تظهروا الصدقات التي تعطونها .
فنعم شيئاً الصدقات التي تظهرونها	فنعم شيئاً الصدقات التي تظهرونها .
وإن تخفوها	وإن تعطوا الصدقات خفية .
وتؤتواها الفقراء	{ وتعطوهما الفقراء ، عالمين بوصولها إليهم في حال إخفاءها . }
فهو خير لكم	{ فإن حفاء الصدقة على هذا الوجه خير لكم ، لأنه يرفع عنكم مظنة التظاهر . }
ويكفر عنكم من سيئاتكم	والتصدق يكفر عنكم بعض سيئاتكم .
بما تعملون	بما عملونه من إخفاء الصدقات وإظهارها .
خبير	علم بما خفي وما ظهر من كل ما عملون .

حمل المعنى

١ - لما نزل الأمر بالصدقة ، كان بعض المسلمين يحيىء بقينو التر الحيد : (السباطة) ، ويعلقة في المسجد ، ليأكل منه المحاويخ ، فجاء بعض الصحابة بأقناء في بعضها حشف ، وفي بعضها شيس ، وفي بعضها ردىء ، وهم يرون أن ذلك جائز ، وأن صدقهم مقبولة ، فنزلت الآية : « يأيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ».

٢ - والمناسبة بين هذه الآية والآيات التي قبلها واضحة ، فإن الآيات السابقة جاءت مبينة فضل النفقة في سبيل الله ، من وجوه البر المتعددة ، مقبحة

صدقية المن" والأذى والرياء ، وجاءت هذه الآية مكملة لآداب الإنفاق إلى جانب ما تقدم ، حتى يكون مقبولا عند الله ، وهو أن يكون ما نفق من الجيد الختار مما نكتبه من أي عمل مشروع ، سواء أكان تجارة أم صناعة أم غيرها ، أو مما نستخرجه من الأرض بالزرع أو التعدين ، أو مما نعثر عليه من كنوز فيها .

٣ - يأمركم الله أيها المؤمنون أن تخرجو صدقاتكم من أجود ما كسبتموه من حلال ، ومن خير ما تخرجونه من الأرض ، فعليكم إذا ربحتم مالا ، وُنتجم شيئاً من عمل في تجارة أو صناعة أو حرفة أو مهنة ، أو أخرجم خيراً من الأرض زرعاً أو ثمراً أو حبباً ، أو خشباً أو معدناً ، أو عثمت فيها على كثر - عليكم أن تتصدقوا منه ، وأن تنفقوا في سبيل الله مما أنعم عليكم من ذلك ، على أن تكونوا حصلتم عليه من طريق حلال ، وتخرجم من طيبه وجيده ، فقد متممه صدقة .

٤ - وفيها كم الله عن أن تعمدوا إلى ردئ ما عندكم ، وخبث ما لديكم ، من مال أو كساء ، أو طعام أو ثمار أو أثاث ، فتخرجو منه صدقاتكم ، وتخصصوا منه نفقتكم في سبيل الله ، فإنكم لا تقبلون أن تأخذوا هذا الرديء في حقوقكم ، أو ديونكم التي لكم عند الناس ، وتعملدون أن تتقاضوها من الجيد الممتاز ، ولا ترضون أن تأخذوا الرديء لأنفسكم في حقوقكم أو ديونكم ، إلا أن تغمضوا أو تساهلوا في أخذها ، لأنكم لم تتحرروا الدقة عند أخذها ، أو لم تجدوا غيره ، أو لم تعرفوا ما فيه من رداءة وقت أخذها ، فكيف تعطون حقوق القراء عليكم من خبيث ما لديكم ، أو ردئ ما عندكم ؟ ألا فلتعلموا أن الله الذي وسع عليكم من فضله ، غنى عن صدقاتكم التي تقدمونها من الرديء الخبيث ، ولن يقبلها الله منكم

لعياله القراء ، مستحق لأن تحمدوه على نعمه ، وتعرروا بفضله ،
فتجعلوا صدقاتكم من خير ما عندكم .

٥ — الشيطان شر خلق الله من إنس وجن ! من يغون ويصلون عن سبيل الله ، وشيطان النفس هواها الذي يأمرها بالسوء ، ويزين لها الشر ، والشيطان يخوكم الفقر أهلا الناس ، فيمنعواكم من الصدقات ، ويقبض أيديكم عن الإنفاق ، ويفربكم بالبخل والفحشاء إغراء الأمر لكم ، المتسلط على نفوسكم ، والله يعدهم ويشعركم أنكم إذا أتفقتم من طيبات ما كسبتم ، أن يغفر لكم خطاياكم ، ويغفر عنكم سيناتكم ، وأن يختلف عليكم من فضله خيراً مما أتفقتم في الدنيا ، ويصافح لكم الثواب في الآخرة ، وهذا وعد من الله ، والله لا يخلف الميعاد ، وهو واسع الفضل ، يحيط الرزق والثواب للمحسنين ، علم بنيات المنافقين المتصدقين .

٦ — والله يهب الحكمة لمن رضى عنه من عباده ، ولمن شاء له السعادة في الدنيا والآخرة من خلقه ؛ والحكمة هي الاهتداء إلى صواب القول ، وخير العمل ، وكسب العلم ، والتوفيق إلى طاعة الله ، وفهم دينه ، والعمل بشرعه ، ولا شك أن من آتاه الله ذلك ، فقد جمع بين سعادتي الدنيا والآخرة ، وأوى خيراً كثيراً ، وما يتذكر ذلك إلا أصحاب العقول السليمة

٧ — ولقد بيَّنَ الله لكم حلال الإنفاق وحرامه ، والصدقات المقبولة والمردودة ، فكل نفقة أتفقتموها — قليلة أو كثيرة — يعلم الله مقصدكم فيها ، وغرضكم منها ، إن كان في سبيل الله ، أو في سبيل الشيطان ، كما يعلم كل نذر ندرتموه ، إن كان في طاعته أو في معصيته ، فيشييكم على ما أتفقتم في سبيله ، وما نذرت في طاعته ، ويعاقبكم على ما أتفقتم في سبيل الشيطان ، وما ندرتم في معصية الله ، وليس للظالمين الذين يمنعون الصدقات ، وينفرون

المال في سبيل الشيطان ، ويندرنون النذر في المعصية ، من أنصار ينصرفهم
ويمعنوهم عقاب الله وعذابه .

٨ - وعليكم في إظهار صدقاتكم ، وإخفاءها ، أن تستهداها الخير ، وتتجهوا
إلى غاية البر ، فإذا كان في إظهار صدقاتكم حث لغيركم على أن يتصدق
مثلكم ، وإبراء الذمتك ، وإعلام للناس بأنكم آتيم القراء حقهم في
أموالكم ، وأخرجتم الصدقات من طيبات ما عندكم ، دون أن يكون في
ذلك مظاهر للرياء أو المن أو الأذى ، فنعم عملا صدقاتكم الظاهرة المبينة ،
أما إذا أخفيتها إبعاداً لكم عن مظنة الرياء ، أو إبقاء على تعفف
القراء ، وحفظاً لكرامتهم ، وعدم تأديبهم بظهور احتياجهم إلى صدقاتكم ،
ووثقتم من وصوتها كاملة إليهم في خفية وستر ، فإن إخفاءها خير لكم ،
لأنه يرفع عنكم مظنة التظاهر ، ولأنها تؤدي للقراءة وكرامتهم مصونة ،
فتطيب بها نفوسهم ، ولا تؤدي شعورهم ، والله يغفر لكم من ذنبكم ،
بالصدقات ظاهرة وخفية ، ويکفر بها بعض سيئاتكم ، وهو بما تعلموه
من إبداء الصدقات وإخفائها ، خير بما تنطوي عليه أنفسكم ، عليم بما
خفي وما ظهر من أعمالكم .

(٦)

لِيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ،
وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَا نَفْسَكُمْ ، وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ ،
وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوْفَ إِلَيْكُمْ ، وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ، لِلْفَقَارَاءِ
الَّذِينَ أَحْصَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، لَا يَسْتَطِيْعُونَ ضَرَبًا فِي الْأَرْضِ ،
يَحْسِبُهُمُ الْجَاهِلُونَ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّقْفِ ، تَعْرِفُهُمْ بِسِيَاهَمُهُمْ ، لَا يَسْأَلُونَ
النَّاسَ إِلَّا حَافَّا ، وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ . الَّذِينَ
يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًا وَعَلَانِيَةً ، فَلَهُمْ أَجْرٌ هُمْ
عِنْدَ رَبِّهِمْ ، وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ، وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
ليـس عـلـيـك هـداـهـم	{ لا يـحب عـلـيـك أـن تـجـعـلـهـم مـهـتـدـيـن ، وإنـما عـلـيـك الـبـلـاغـ . }
يـهدـى مـن يـشـاء	يـرـشـدـ إـلـى إـلـاسـلـامـ مـن يـرـيدـ .
مـن خـيـرـ	مـن مـالـ حـلـالـ .
فـلـأـنـفـسـكـمـ	فـثـوـابـهـ عـائـدـ عـلـى أـنـفـسـكـمـ .

شرحها	الألفاظ
وليس النفقات التي تنفقون إلا طلباً لثواب الله .	وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهَ اللَّهِ
تُعطوا أجره أضعافاً مضاعفة .	يُوفِّ إِلَيْكُمْ
لا تُبْخِسُونَ وَلَا تُنْقَصُونَ عَلَى الإنْفَاقِ مِنْ ثَوَابِكُمْ شَيْئاً .	لَا تُظْلَمُونَ
اجعلوا ما تنفقون للقراء .	لِلْقَرَاءِ
منعوا من الکسب لاشتغالهم بالجهاد في سبيل الله .	أَحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ
سعياً في الأرض لکسب الرزق .	ضَرَبَّاً فِي الْأَرْضِ
يضمهم من يجهل حالتهم أَهْمَمُ مُسْتَغْنِوْنَ .	بِحَسْبِهِمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءُ
لأجل تعففهم ، وامتناعهم عن سؤال الناس .	مِنَ التَّعْفُفِ
{سياهم : علامتهم ، أى تعرفهم بما يظهر عليهم	تَعْرِفُهُمْ بِسِيَاهِمْ
من اصفار الوجه ورثاثة الثياب .	إِلْحَافًاً
ملحين بشدة في السؤال .	بِاللَّيلِ وَالنَّهَارِ
في كل وقت .	سَرًّاً وَعَلَانِيَةً
مسرين ومعلنين ، أى في جميع الأحوال .	

مجمل المعنى

١ - لا يجب عليك أيها الرسول أن تجعل الناس مهديين إلى اتباع ما أمروا به من الحasan والطاعات وكريم الحصول ، وترك ما نهوا عنه من القبائح والمعاصي وسوء الأفعال ، وإنما الواجب عليك أن تبلغهم الأوامر والنواهى ، وترشدهم إلى الخير ، وتحثهم عليه ، وتهنئهم عن الشر ، وتردعهم عنه ، بما أوحينا إليك من الآيات والذكر الحكيم ، أما المهدى فإنه هدى الله يهدى به

من يشاء هدايته ، فيتبع الخير ، ويسلك طريق الحق والرشاد ، ولا يمنع المسلمين إصرار فقراء المشركين على الكفر ، وعدم اهتمامهم إلى الإيمان ، أن يكونوا خيرين ، يعطونهم الصدقات ، ويؤتونهم النفقات .

٢ — روى أن أناساً من المسلمين كانت لهم أصحاب وأقارب من فقراء المشركين ، فامتنعوا عن أن ينفقوا عليهم ، حتى يحملهم الاحتياج والفقر إلى اعتناق الإسلام ، فكره الله أن يُكره إنسان على الدخول في الإسلام تحت ضغط العوز والفاقة ، كما كره أن يكون اختلاف الدين مقطعاً لأواصر التراحم والتعاطف بين بني الإنسان ، ونزل قوله تعالى : « ليس عليك هداهم ، ولكن الله يهدى من يشاء » ، أى ليس عليك هدى من خالفك ، حتى تمنعهم الصدقة ، لتحملهم على الدخول في الإسلام ، والمقصود من جواز إنفاق المسلمين على غير المسلمين ، إنما هو من صدقة التطوع ، وأما الصدقة الواجبة ، فإنما تنفق على المسلمين فقط ، لقوله صلى الله عليه وسلم : « أمرت أن آخذ الصدقة من أغنىائكم ، فأرددها على فقراءكم » ؛ أى الزكاة الواجبة .

٣ — وأى شيء تنفقوه من مال حلال لنصرة الدين ، أو لمساعدة المحتاجين ، أو لإقامة مشروع للبر والخير ، فأئتم تنفقونه لأنفسكم ، لا ينتفع به غيركم ، فلا تمنوا على من أعطيتموه ، ولا تزدوه ، ولا تخرجوا نفقتكم من خبيث ما تملكون ، كإعطاء الفقير درهماً زائفاً ، وليس النفقة التي يقبلها الله منكم ، إلا التي تطلبون بها شواب الله ، وتبتغون بها مرضاته ، فإذا صاحبها منْ أَوْذى أو رباء ، فلا يقبلها الله منكم ، ولا يشيككم عليها ؛ وأى عذر لكم في ألا تنفقوا النفقة الطيبة ، وتصدقوا بالمال الحلال على أحسن الوجوه وأفضلها ، والله تعالى يوفر لكم عليه الأجر مضاعفاً ،

ويوفيكم من الثواب بأكثـر مما أتفقـتم ، ولا تبخـسون من أجركم شيئاً ،
ولا تنقصـون من ثوابكم جـزءاً ، ولا تظلمـون فـتيلـاً ؟

٤ - وقد خـص الله الفـقراء المـجاهـدين باستـحقـاق النـفـقة قـبـل غـيرـهم ، لـقولـه
تعـالـى : "لـلفـقراء الـذـين أـحـصـروا فـي سـبـيل الله" أـى اـجـعـلـوا النـفـقة أـولـا لـلفـقراء
الـذـين مـنـعـهـم الـجـهـاد فـي سـبـيل الله ، مـنـ التـقـلـب فـي الـأـرـض ، وـأـقـعـدـهـم
حـبسـ أـنـفـسـهـم لـلـقـتـال ، عنـ السـعـى فـي طـلـب الرـزـق ، وـقد رـضـوا بـمـا هـمـ فـيهـ
مـنـ الـجـهـد وـالـضـنـك وـالـحـاجـة ، وـأـبـتـ عـلـيـهـم قـنـاعـهـم أـنـ يـطـلـبـوا الـمـعـونـة مـنـ
أـحـد ، فـانـطـوـوـا عـلـى أـنـفـسـهـم ، وـلـزـمـوا السـكـوتـ عنـ النـاس ، وـقد حـسـبـ مـنـ
يـجـهـلـ حـالـهـمـ ، أـنـ اـمـتـنـاعـهـم عنـ السـؤـال إـنـما كـانـ عـنـ غـنـى ، لـأـنـ مـنـ شـأنـ
الـغـنـى أـنـ يـتـعـالـى عنـ السـؤـال ، وـأـنـ يـتـعـفـفـ عـمـا فـي أـيـدـى النـاس ، وـإـنـكـ لـتـعـرـفـهـمـ
إـذـا وـجـهـتـ نـظـرـكـ إـلـيـهـمـ ، وـتـبـيـنـتـ حـقـيقـةـ أـمـرـهـمـ ، بـسـيـعـى تـدـلـ عـلـيـهـمـ ،
وـعـلـامـةـ تـفـصـحـ عـنـ حـالـهـمـ ، مـنـ صـفـرـةـ الـوـجـهـ ، وـرـثـائـةـ الشـيـابـ ، لـا يـطـلـبـونـ
مـنـ أـحـدـ عـطـاءـ ، وـلـا يـسـأـلـونـ نـفـقـةـ أـبـدـاً فـي إـلـحـاجـ أوـ فـي غـيرـ إـلـحـاجـ ، لـأـنـ
الـتـعـفـفـ صـفـةـ ثـابـتـةـ لـهـمـ ، وـالـلـهـ تـعـالـى عـلـيـهـ بـمـا يـنـفـقـهـ الإـنـسـانـ مـنـ الـخـيرـ
وـبـمـقـدـارـهـ ، وـالـجـهـاتـ الـتـى يـتـرـبـ عـلـيـهـ ثـوابـهـ .

قصـةـ أـهـلـ الصـفـةـ

نـزـلتـ هـذـهـ فـي أـصـحـابـ الصـفـةـ ، وـهـمـ أـرـبـعـمـائـةـ رـجـلـ مـنـ الـمـهـاجـرـينـ ، هـاجـرـوا
إـلـى الـمـدـيـنـةـ ، وـلـمـ يـكـنـ لـهـمـ مـسـاـكـنـ أـوـ عـشـائـرـ ، أـوـ أـزـواـجـ أـوـ أـوـلـادـ ، فـأـقـامـهـمـ
رـسـولـ اللـهـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ فـيـ الصـفـةـ : وـهـىـ سـقـيـفـةـ فـيـ الـمـسـجـدـ ، أـمـرـ
بـيـنـائـهـ لـهـمـ ، فـكـانـوا يـسـتـغـرـقـونـ أـوـقـاتـهـمـ فـيـ الـعـبـادـةـ ، وـحـفـظـ الـقـرـآنـ ، وـالـحـدـيـثـ ، وـالـتـقـيـفـهـ
فـيـ الـدـيـنـ ، وـالـجـهـادـ ، إـذـ كـانـوا يـخـرـجـونـ فـيـ كـلـ سـرـيـةـ بـعـثـهـ رـسـولـ اللـهـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ

وسلم ، ومن كان من المسلمين لديه فضل من طعام أو تمر ، أتاهم به إذا أمسى ، حتى لا يراه أحد ، فيظن به رباء وظاهرةً ، ولا يراهم أحد ، فتتأذى نفوسهم ، وبغض من تعففهم ؛ ولقد وقف رسول الله عليهم يوماً ، فرأى فقرهم وجهدهم ، وطيب قلوبهم ، فقال : « أبشروا يا أصحاب الصفة ، فمن بي من أمتى على العت الذى أنت عليه ، راضياً بما فيه ، فإنه من رفقاء في الجنة ». .

٥ - وقد أثني الله على الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار في السر والعلانية ، ووعدهم أن يدخلن لهم عظيم الأجر والثواب ، وأن يذهب عنهم الحزن على ذهاب الدنيا ، لأنَّه أعد لهم السعادة والسرور في الآخرة ، ذلك لأنَّهم يعمون جميع أوقاتهم وأحوالهم بالخير والصدقة ، فكلما عرفوا حاجة محتاج ليلاً ، سارعوا إلى قصائِها ، ولم يؤخرُوها إلى النهار ، أو نهاراً ، سارعوا إلى قصائِها ، ولم يؤخرُوها إلى الليل ، ويضعون الصدقة حيث تقع موقعاً حسناً من نفوس المتصدق عليهم ، سرًّا إنْ كان السر أحفظ لكرامتهم ، وأصون لماء وجوههم ، وعلانية إنْ كانت العلانية مما يحفز الناس إلى الصدقات ، ويحثُّهم على عمل الخيرات ؛ نزلت هذه الآية في أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، تصدق بأربعين ألف درهم ، عشرة بالليل وعشرة بالنهار ، وعشرة في السر ، وعشرة في العلانية .

(٧)

الَّذِينَ يَا كُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُولُونَ إِلَّا كَمَا يَقُولُ الَّذِي يَتَخْبَطُهُ
الشَّيْطَانُ مِنَ الْأَمْسِ، ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا: إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا، وَأَحَلَّ
اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَمَ الرِّبَا، فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةً مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَمْ
مَا سَلَفَ، وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ، وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ، هُمْ
فِيهَا خَالِدُونَ. يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرِيُّ بِالصَّدَقَاتِ، وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ
كُلَّ كَفَّارٍ أَنِيمٍ. إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ، وَأَقَامُوا
الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ، لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ، وَلَا خُوفٌ عَلَيْهِمْ،
وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ. يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ، وَذَرُوا مَا بَقَى مِنَ
الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ. فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأَذْنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ
وَرَسُولِهِ، وَإِنْ تَبْتُمْ فَلَا كُمْ رُءُوسُ أُمُوَالِكُمْ، لَا تَظْلِمُونَ
وَلَا تُظْلَمُونَ. وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرْتُهُ إِلَى مَيْسَرَةٍ، وَإِنْ
تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ. وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَمَعُونَ فِيهِ
إِلَى اللَّهِ، ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ، وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ.

شرح المفردات

الألفاظ	شرحها
يأكلون	يأخذونه ويسكبونه ويفعلونه ..
الربا	معناه في اللغة : الزيادة ، والربا الحرام المقصود في الآية : كل قرض يؤخذ به أكثر منه ، أو تجرب به منفعة .
لا يقومون	لا يقومون يوم يبعثون من قبورهم .
الشيطان من المس	لَا كَمَا يَقُومُ النَّذِيْرُ بِخَطْبِهِ وَخَبْطِهِ فِي غَيْرِ اسْتَوَاءِ ، فَيَقُومُ وَيَسْقُطُ مِنَ الْجَنَّوْنِ .
ذلك بأنهم قالوا . . .	ذلك العقاب بسبب أنهم قالوا : إن البيع يشبه الربا ، فكيف يحل البيع ويحرم الربا ؟
إنما البيع مثل الربا	إنما الربح الذي يحصل من البيع عند البيع ، زائداً على الثمن الذي اشتري به ، مثل الفائدة التي تؤخذ زائدة على المثل في الربا ، عند حلول الأجل .
وأهل الله البيع	وأهل الله البيع ، لأن فيه فائدة للبائع والمشترى .
ورحم الربا	ورحم الربا ، لأنه متلفة للأموال ، مهلكة للناس .
فإن جاءه موعظة من ربه	فمن بلغه وعظ من الله ، ونذر بالنهى عن الربا .
فانتهى	فامتنع عن الربا .
فله ما سلف	فله ما أخذ من الربا قبل التحرير ، ولد يرد منه شيئاً .
وأمره إلى الله	وأمر الربا قبل التحرير إلى الله في العفو عنه ، وإسقاط التبعية فيه .
ومن عاد	ومن رجع إلى استحلال الربا وأخذه وفعله .
يمحق الله الربا	يدهب ببركته ، ويهلك المال الذي دخل فيه .

شرحها	الألفاظ
{ ينعي ويزيـد المال الذى أخرجـت منه الصدقـات ، وبيـاركـ فيه . }	ويـربـي الصدقـات
{ عـظـيمـ الـكـفـرـ ، لـاستـحـلـالـهـ ماـ حـرـمـ اللهـ منـ الـرـبـاـ ، وإـصـرـارـهـ عـلـىـ تـحـلـيلـ الـحـرـمـاتـ . مـهـادـ فـيـ الإـثـمـ ، بـالـسـتـمـرـارـ فـيـ أـكـلـهـ ، وـالـانـهـمـاـكـ فـيـ اـرـتكـابـهـ . }	كـفـارـ
{ أـجـعـلـواـ بـيـنـكـمـ وـبـيـنـ عـذـابـ اللهـ وـقـاـيـةـ ، بـتـرـكـكمـ مـاـ بـقـىـ لـكـمـ مـنـ الـرـبـاـ ، وـصـفـحـكـمـ عـنـهـ . وـاتـرـكـواـ مـاـ بـقـىـ لـكـمـ عـنـدـ النـاسـ مـنـ بـقـايـاـ الـرـبـاـ ، وـلـاـ تـطـالـبـوهـ بـهـ بـعـدـ التـحرـيمـ . }	أـثـمـ
{ فـإـنـ لـمـ تـقـوـاـ اللـهـ ، وـتـنـهـيـاـ عـنـ الـرـبـاـ ، وـتـرـكـواـ بـقـايـاـهـ . الـتـىـ لـكـمـ عـنـدـ النـاسـ . }	وـذـرـواـ مـاـ بـقـىـ مـنـ الـرـبـاـ
{ فـأـعـالـمـواـ أـنـكـمـ تـعـرـضـونـ لـحـرـبـ مـنـ اللـهـ وـرـسـولـهـ ، وـسـيـحـارـ بـاـنـكـمـ ، وـيـعـدـانـكـمـ مـنـ أـعـدـائـهـمـاـ . وـإـنـ كـفـفـتـمـ وـنـدـمـتـ عـلـىـ الـرـبـاـ . }	فـأـذـنـواـ بـحـرـبـ مـنـ اللـهـ وـرـسـولـهـ
{ فـخـذـواـ أـمـوـالـكـمـ الـتـىـ أـعـطـيـتـهـاـ بـلـ زـيـادـةـ عـلـىـهـاـ . لـاـ تـطـلـبـونـ مـنـ الـمـدـيـنـيـنـ زـيـادـةـ عـلـىـ رـعـوسـ أـمـوـالـكـمـ فـظـلـمـوـهـمـ . }	وـإـنـ تـبـتـمـ فـلـكـمـ رـعـوسـ أـمـوـالـكـمـ
{ لـاـ يـظـلـمـكـمـ الـمـدـيـنـيـنـ بـالـمـماـطـلـةـ ، أـوـ النـقصـ مـنـ رـعـوسـ أـمـوـالـكـمـ . }	لـاـ تـظـلـمـوـهـمـ
{ ذـوـ عـسـرـةـ فـنـظـرـةـ مـيـسـرـةـ . ذـوـ إـعـسـارـ لـاـ يـقـدرـ عـلـىـ أـدـاءـ الـدـيـنـ . فـإـنـظـارـ وـإـمـهـالـ وـتـأـخـيرـ . يـسـارـ وـقـدـرـةـ عـلـىـ أـدـاءـ الـدـيـنـ . }	ذـوـ عـسـرـةـ

الألفاظ	شرحها
وأن تصلدوا خير لكم	وأن تتجاوزوا عن ديونكم على المعاشرين ، وتصلدوا بها ، خير لكم .
واتقوا يوماً	احفظوا أنفسكم من عقاب الله يوم الحساب . جزاء ما عملت من خير أو شر .
ما كسبت	لا تنقص حسناتهم ، ولا تزاد سيئاتهم .
وهم لا يظلمون	

مجمل المعنى

١ - تضمنت هذه الآيات فيما تضمنت أحكام الربا ، وقد كان مباحثاً في الجاهلية ، فنزل القرآن بتحريره ، لأنَّه كسب لبعض الناس ، وخسران الآخرين ، ولأنَّه فائدة لا تحصل من عمل أو سعي ، ينبع منه تبادل منفعة بين الناس ، والربا الحرام : هو أن تبيع أو تفرض مالاً أو حبوباً أو ثمراً ، أو أي شيء ، على أن يرد إليك من جنسه ، أي ذهباً بذهب ، ونقداً بنقد ، وحباً بحب ، وقطناً بقطن ، مع زيادة على المثل ، أو منفعة تعود عليك من هذا القرض ؛ فلو أقرض إنسان آخر مائة جنيه مثلاً مدة ستة أشهر ، على أن يردها عند الأجل مائة وعشرة ، أو على أن يردها إليه مائة فقط ، بشرط أن يوظف له ابنه ، أو يرقيه ، أو يساعده لدى الحاكم في قضاء أمر من الأمور ، أو يعطيه حُجْرة من منزله يسكن فيها مدة ، أو يعرفه بشخص له عنده مصلحة ، فهذا كله ربا حرام .

فإذا اختلفت هذه الأصناف : أي ذهبأ بقمح مثلاً ، فيبعوا كيف شئتم ، إذا كان يدأ بيد ، أو مقايضة من غير نسيئة أو تأخير ؛ وعن أبي سعيد الخدري قال : جاء بلال بتمرَّرنى : وهو تمر جيد عذب الحلاوة ، فقال له

رسول الله صلى الله عليه وسلم : من أين هذا ؟ فقال بلال : من تمر كان عندنا ردئ ، فبعث منه صاعين بصاص ، لمطعمك يا رسول الله ، فقال عند ذلك : « أُوه ! عين الربا ، لا تفعل ، ولكن إذا أردت أن تشتري التمر الذي تريده ، فيبع ما عندك منه بشيء آخر ، ثم اشتري بالثمن التمر الذي تريده ». .

٢ - وقد كان من مزاعم العرب في الجاهلية ، أن الشيطان ينحطط الإنسان فيصرعه ، وأن الجنّ يمسه فيختلط عقله ، فلذلك يقال جنُ الرجل ، فصور الله حال المتعاملين بالربا حينما يبعثون يوم القيمة ، بصورة بشعة ، يعرفونها في الدنيا ، وتمثلها عقوبهم مقيدة محيفة — تلك الصورة هي أن الذين يتعاملون بالرباأخذوا أو إعطاء أو شهادة ، لا يقومون من قبورهم يوم البعث ، إلا في حال من الصراع والفرز ، يقومون فيسقطون ، وينهضون فيقعون ، ويهمسون ويصرخون ، ويضحكون وبيكون ، كمثل شخص ينحطط الشيطان في كل جزء من جسمه ، فيصييه بمس وصرع ، وهذيان وجنون ، فيتحرّك في غير اتزان أو استواء ، ويهرف بما لا يعرف ، ويقول ما لا يعي ؛ وقد جعل الله تلك الحال للمرءين يوم القيمة ، لا لاحتلال عقوبهم ، أو تحبّل أصابعهم ، ولكنها سيمى لهم يعرفون بها بين أهل الخشر يوم القيمة ، تحقيراً لهم ، وسخرية بهم ، يبعثون وفي بطونهم ما أكلوا من الربا ، فتنتفخ وتتقلّ ، فلا يقومون إلا وقعوا ، ولا ينهضون إلا سقطوا . وإنما يبعثهم الله بهذه الحال الشنيعة عقاباً لهم ، لأنهم نظموا البيع والربا في سلك واحد ، فقالوا : كما أنه يجوز بيع سلعة قيمتها خمسون قرشاً بمائة قرش ، كذلك يجوز أن تبيع خمسين قرشاً بمائة قرش ، وهذه دعوى ظاهرة البطلان ، لأن خمسين قرشاً ضائعة لا حالة في الربا ، أما في البيع فليست ضائعة ، لأن السلعة قد تسد حاجة عند المشترى ، وقد يرتفع ثمنها إلى ثلاثة أمثاله ؛ وهذا أحل الله البيع ، لأن فيه فائدة للبائع والمشترى معاً ، وحرم

الriba ، لأنه متألفة للمال ، مَهْلِكَةُ النَّاسِ ! فَنَّ زَجْرُ نَفْسِهِ ، وَبَلَغَهُ وَعْظِيْرُهُ ، فَامْتَنَعَ عَنِ الربَا ، فَلَمْ يَأْخُذْ مِنْهُ قَبْلَ التَّحْرِيمِ ، لَا يَرِدُ مِنْهُ شَيْئاً ، وَأَمْرُهُ فِي الْعَفْوِ عَنْهُ ، وَإِسْقاطُ التَّبْعَةِ فِيهِ ، وَالْعِقَابُ عَلَيْهِ ، رَاجِعٌ إِلَى اللَّهِ ، لَأَنَّهُ هُوَ الَّذِي يَعْلَمُ : أَكَانَ اِنْتَهَاؤُهُ عَنِ الربَا صَادِرًا عَنْ قَبْولِ الْمَوْعِظَةِ ، وَصَدَقَ النِّيَّةَ ، فَيَغْفِرُ عَنْهُ ، وَيَغْفِرُ لَهُ ، أَمْ كَانَ لِغَيْرِ ذَلِكَ ؟ أَمَا الَّذِينَ يَرْجِعُونَ إِلَى أَكْلِ الربَا ، وَأَخْدُوهُ وَاسْتَحْلَالُهُ ، فَهُمْ لَا شَكَّ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ، مَا كَثُونَ فِيهَا ، مَقِيمُونَ بِهَا .

٣ - وَاللَّهُ سَبَّحَهُ وَتَعَالَى ، يَمْحُقُ الربَا وَيَذْهَبُ بِرِّكَتِهِ ، وَيَهْلِكُ الْمَالَ الَّذِي دَخَلَ فِيهِ ، وَلَا يَقْبِلُ مِنْ صَاحِبِهِ صِدْقَةً وَلَا حِجَّاً ، وَلَا جَهَادًا وَلَا صَلَةً ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّ الربَا وَإِنَّ كَثُرَ ، فَعَاقِبَتِهِ إِلَى قُلُّهُ »؛ وَبِيَارِكَ فِي الْمَالِ الَّذِي أَخْرَجَتْ مِنْهُ الصَّدَقَاتِ ، وَيَنْمِيهِ فِي الدُّنْيَا ، وَيَضَاعِفُ لِصَاحِبِهِ التَّوَابُ فِي الْآخِرَةِ ، وَهُوَ جَلَّ شَاءَهُ لَا يَرِضِي عَنْهُ اسْتَحْلَالُ الربَا ، وَقَدْ وَصَفَهُ بِشَدَّةِ الْكُفْرِ ، لَأَنَّهُ أَحْلٌ مَا حَرَمَ ، وَوَصَفَهُ بِالْعَمَادِيَّ فِي الْإِيمَانِ ، لَا سَتْمَرَاهُ فِي أَكْلِهِ ، وَلَهُمَا كَهْ فِي أَخْدُوهِ .

٤ - وَقَدْ ادْخَرَ اللَّهُ لِعَبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ، وَاتَّبَعُوا أَوْامِرَهُ ، وَاجْتَنَبُوا نَوَاهِيهِ ، وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ ، وَآتَوْا الزَّكَاةَ ، وَهُمَا أَشَرَّ الْعِبَادَاتِ ، وَعَمِودَا الْدِينِ ، وَأَقْوَى أَرْكَانِ الإِسْلَامِ ، وَرَأْسُ الْأَعْمَالِ الصَّالِحةِ ، هَذِهِ فِي الْمَالِ ، وَتَلَكَ فِي الْبَدْنِ - ادْخُرَ اللَّهُ لَهُمْ ثَوَابًا عَنْهُ ، وَأَذْهَبْهُ عَنْهُمُ الْخُوفَ مَا هُوَ آتٍ ، وَالْخَزْنُ عَلَى مَا فَاتَ .

٥ - وَقَدْ خَاطَبَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ ، مَبِينًا لَهُمْ أَنَّهُمْ لَا يَتَصَفَّفُونَ حَقْيَقَةً بِالْإِيمَانِ ، إِلَّا إِذَا تَرَكُوا مَا نَهَاهُمُ اللَّهُ عَنْهُ مِنِ الربَا ، عَنِ الْإِعْتِقَادِ فِي قُلُوبِهِمْ ، وَخَشْيَةِ مِنِ اللَّهِ ، وَأَمْرُهُمْ أَنْ يَجْعَلُوا بِيَهُمْ وَبَيْنَ عِذَابِ اللَّهِ وَقَيْمَةِ ، وَذَلِكَ بِرَبِّكَ مَا بَقِيَ لَهُمْ عَنْهُ النَّاسُ مِنِ الربَا ، الَّذِي فَعَلُوهُ قَبْلَ أَنْ يَنْزَلَ الْقُرْآنَ بِتَحْرِيمِهِ عَلَيْهِمْ ،

وألا يطالبوهم به ، وأنذرهم وتوعدهم : أنهم إن لم يتقووا الله ، وينتهوا عن الربا ، ويترکوا البقايا التي لهم منه عند الناس ، فليوقوا أنهم أعداء الله ورسوله ، وليعلموا أنهم في حرب معهم ، ولا شك أنهم مهزومون ، أما إذا تابوا عن الربا ، وكفوا عنأخذه ، وندموا على فعله ، فلهم الحق في أن يأخذوا منهم أصل ديوبهم ، ورعوس أموالهم ، من غير ربح أو منفعة ، لا يطلبون من المدينين زيادة عليها فيظلموهم ، ولا يماطلهم المدينون أو ينقصون شيئاً من ديوبهم فيظلموهم ، والله لا يرضي أن يُظلم أحد من عباده .

ثقيف لا تحارب رسول الله

وكانت ثقيف قد عاهدت النبي صلى الله عليه وسلم حين أسلموا ، على أن ما لهم من الربا على الناس فهو لهم ، وما للناس عليهم فهو موضوع عنهم ، فلما أن جاءت آجال رباهم ، بعثوا إلى مكة للاقتضاء ، وكانت الديون لبني عبدة من ثقيف ، على بني المغيرة المخزوميين ، فقال بنو المغيرة : لا نعطي شيئاً ، فإن الربا قد رفع ، ورفعوا أمرهم إلى عتاب بن أسيد ، فكتب به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فترى قوله تعالى : « يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وذرروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين . فإن لم تفعلوا فأذنو بحرب من الله ورسوله ... ». الآية ، فلما علمت ثقيف بتزول هذه الآية ، كفت عن طلب ما بقي لها من الربا ، وقالت : ما لنا بحرب الله ورسوله يدآن .

الربا شر من الضر

وقد جاء رجل إلى مالك بن أنس ، فقال : يا أبا عبد الله ، إنيرأيت رجلا سكران يتعاقر ، يريد أن يأخذ القمر ، فقلت : امرأى طالق إن كان

يدخل جوف ابن آدم شرًّا من الحمر ، فهل طلقت امرأة ؟ فقال مالك :
ارجع حتى أنظر في مسألك ، فأتاه من الغد ، فقال له : امرأتك طالق ،
إني تصفحت كتاب الله وسنة نبيه ، فلم أر شيئاً شرًّا من الربا ، لأن الله أذن
فيه بالحرب ، فقال للمُرْبِّين : فاذدوا بحرب من الله ورسوله .

٦ - وإن وجد غريم من الغرماء معسراً ، لا يستطيع أن يدفع للدائن رأس ماله
عند حلول الأجل ، فأمرُه في ذلك أن يمهل ، ويؤخر اقتضاء دينه ، إلى
أن يصبح في حال من اليسار ، يستطيع معها أداء دينه ، وحينئذ يكون
من حق الدائن أن يطالبه بدينه عليه ، ويأخذه منه عن طريق القاضي
والحاكم بغير رضاه ، إن ماطل في النفع ، وخير لكم أيها الدائنوون ، إذا كان
غرماؤكم معسرين ، أن تتجاوزوا عن دينهم ، وتهصدقو به عليهم ، وأنتم
تعلمون أن التصدق برأس المال على الغريم المعسر ، خير لكم في ثواب
الله ، وتنمية أموالكم ، فن الصواب أن تعملوا به ، ويجب أن تقووا نفوسكم
عقاب الله يوم الحساب ، حينما ترجعون إليه ، وتفرون بين يديه ، ثم
تنال كل نفس جزاءها على ما فعلت في الدنيا ، إن خيراً فخير ، وإن
شرًّا فشر ، لا ظلم لأحد بنتقصان حسناته ، أو زيادة سيئاته ، وإنما
الجزاء على حسب العمل ، قيل إن قوله تعالى : واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى
الله . . . : نزلت قبل موت النبي بأيام ، ولم يتزل بعدها شيء ، وهي
وعظ للناس ، أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن توضع بين آيات
الربا وأيات الدَّين .

(٨)

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا، إِذَا تَدَآ يَنْتَمُ بِدِينِ إِلَى أَجَلٍ مُسْعَى فَأَكْتُبُوهُ،
وَإِنْ كُتُبْ يَنْكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ، وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ
كَمَا عَلِمَ اللَّهُ، فَلَيَكْتُبْ، وَلَيُمْلِلَ الدَّى عَلَيْهِ الْحَقُّ، وَلَيُتَقَّ
اللَّهُ رَبُّهُ، وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئاً، فَإِنْ كَانَ الدَّى عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهِا
أَوْ ضَعِيفاً، أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُعْلِلَ هُوَ فَلَيُمْلِلَ وَلِيَهُ بِالْعَدْلِ،
وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ، فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ
فَرَجُلٌ وَامْرَأٌ تَأْنِي مِنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشَّهَادَاءِ، أَنْ تَضْلِلَ إِحْدَاهُمَا
فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى، وَلَا يَأْبَ الشَّهَادَاءِ إِذَا مَا دُعُوا، وَلَا تَسْأَمُوا
أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَى أَجَلِهِ، ذَلِكُمْ أَفْسَطَ عِنْدَ اللَّهِ
وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ، وَأَدْنَى أَلَا تَرْتَابُوا، إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً
تُدِيرُ وَنَهَا يَنْكُمْ، فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَا تَكْتُبُوهَا؟ وَأَشْهِدُوا
إِذَا تَبَيَّنُتْ، وَلَا يُضَارَ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ، وَإِنْ تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ
فُسُوقٌ بِكُمْ، وَاتَّقُوا اللَّهَ، وَيُعْلَمُكُمُ اللَّهُ، وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ *
وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فِي هَانُ مَقْبُوضَةً، فَإِنْ أَمِنَ

بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَلِمَوْدُ الَّذِي أَوْتَنَّ أَمَانَتَهُ ، وَلَيْقَنِ اللَّهُ رَبَّهُ ،
وَلَا تَكْسُمُوا الشَّهَادَةَ ، وَمَنْ يَكْسُمُهَا فَإِنَّهُ آتَمْ قَلْبَهُ ، وَاللَّهُ بِمَا
تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ . لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ، وَإِنْ تُبَدِّلُوا
مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِّنُكُمْ بِهِ اللَّهُ ، فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ
وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ ، وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
إذا تداينتم	داين بعضكم بعضاً ، فكان أحدكم دائناً والآخر مدينًا .
بدين	إلى وقت معلوم معين بالسنة والشهر واليوم .
إلى أجل مسمى	فأثبتوه بالكتابة ، وعيינו مقداره وأجله وشهاده ، وجميع صفاته المبينة له .
فاكتبوه	ويفرض على من يعرف الكتابة ، ويطلب لها لإثبات الدين ، أن يجحب إذا لم يوجد غيره .
وليكتب بينكم كاتب	كاتب يتوسط بين المتدلين ، ويكتب كلامهم ، ولا يكتفى بكلام أحدهما .
بينكم	بالحق والعدالة ، فلا يكتب لصاحب الحق أكثر من حقه أو أقل .
بالعدل	

شرحها	الألفاظ
ولا يجوز للكاتب أن يمتنع عن كتابة الدين ، إذا طلب منه في موضع لا يحد فيه صاحب الدين كتاباً غيره .	ولا يأب كاتب أن يكتب
كما أفضل الله عليه فعلمه الكتابة ، لا يأب أن يكتب ، ولِيُفْضِلَ كما أفضل الله عليه .	كما علمه الله فليكتب
ولِيُمْلِلَ المدين على الكاتب مقدار دينه ووقت حلوله ، حتى يقر على نفسه به .	ويملل الذي عليه الحق
ولِيُخْسِنَ الله كل من الكاتب والممل ، لأنه خالقه ومربيه ، فلا يبخس الدين أو يزيد فيه .	ولِيُخْسِنَ الله ربِّه
ولا ينقص المملى من الدين الذي عليه شيئاً . ناقص العقل ، مبذرًا ، سَيِّئ التصرف في المال ، لا يحسن الأخذ لنفسه ، ولا الإعطاء منها .	ولا يبخس منه شيئاً
صبيًا ، أو شيخًا كبيراً مختلاً . أو غير مستطيع أن يمل ب بنفسه : خرُّس ، أو جهل باللغة ، أو ثقل باللسان ، أو مرض .	سفيهاً
فليملل الذي يلي أمره ، ويقوم مقامه ، من قيم أو وكيل ، أو مترجم .	أو ضعيفاً
من غير نقص أو زيادة .	أو لا يستطيع أن يمل هو
واطلبوا أن يتتحمل الشهادة على ما جرى بينكم من المداينة شاهدان .	فليملل وليه
من رجال المسلمين ، إذا كانت الخصومة بين المسلمين ، ويجوز أن يكونوا من غير المسلمين ، اذا كانت الخصومة بينهم ، ولا تجوز شهادة الصبيان ، ولا أن تستقل النساء بالشهادة .	بالعدل
	واستشهدوا شهيدين
	من رجالكم

شرحها	الألفاظ
فإن لم يكن الشاهدان رجلين . فليشهد رجل وامرأتان .	فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان
{ من ترتصون شهادتهم ، لعلمكم بعدهم ، وحسن سيرهم .	من ترتصون من الشهداء
{ لأجل أن إحداهما إن ضلت الشهادة ، بأن نسيتها كلها ، أو نسيت بعضها .	أن تضل إحداهما
{ فتقذر المرأة التي تعى الشهادة ، وتعرفها المرأة التي ضلتها ونسيتها .	فتذر إحداهما الأخرى
{ ولا يمتنع الشهاداء إذا دعاهم المتعاقدان أو أحد هما ، لتتحملها ، أدائهما .	ولا يأب الشهاداء إذا ما دعوا
{ ولا تملوا لكترة مديانتكم ، أن تكتبوا عقد الدين وأجله .	ولا تسأموا أن تكتبوه
{ سواء أكان الدين صغيراً أم كبيراً ، والعقد مختصرأ أو مطولاً .	صغيراً أو كبيراً
{ إلى الوقت الذي يتافق الدائن والمدين عليه . كتابة الدين صغر أو أكبر ، وإملاء المدين على الكاتب ، والإشهاد على الدين ، أعدل وأقوم عند الله .	إلى أجله ذلك أقسط عند الله
{ أصح وأحفظ للشهادة ، وأثبت لها ، وأعون على إقامتها .	وأقوم للشهادة
{ وأقرب ألا تشکوا في جنس الدين ومقداره وأجله وشهوده .	وأدنى ألا ترتابوا
{ إلا أن تتباعدوا ببعاً ناجزاً ، ببدلين حاضرين .	إلا أن تكون تجارة حاضرة

شرحها	الألفاظ
تتعاطونها يدأً بيد .	تديرونها بينكم
فلا بأس إذا لم تكتبوا ، للبعد عن التنازع والنسيان .	فليس عليكم جناح ألا تكتبوها
إذا تباعتم هذا التباعي الذي لا تكتبونه ، فأشهدوا عليه ، كما تُشهدون في المكتوب .	وأشهدوا إذا تباعتم
لا يُضر الكاتب بألا يعطى أجره ، ولا الشاهد بألا يعطى نفقة مجيهه وانتقاله ، ولا يُضر الكاتب بكتابه ما لم يعل عليه ، والشاهد بالتحريف في شهادته .	ولا يضار كاتب ولا شهيد
وإن يُضر أو يُضر أحدهما .	وإن تفعلوا
معصية وخروج عن الطاعة لاحقة بكم .	فسوق بكم
ويعلمكم الله الأحكام المتضمنة لحقوقكم .	ويعلمكم الله
وإن كنتم مسافرين .	وإن كنتم على سفر
ولم تقدروا على أن تجدوا كاتباً تثنون به دينكم .	ولم تجدوا كاتباً
فاستوثقوا لها برهن يوازي قيمة الدين ، يأخذنه الدائن من المدين .	فرهان مقبوضة
فإن ائتم بعض الدائنين بعض المدينين ، ولم يستوثق منه بكتابة أو رهن	فإن أمن بعضكم ببعضاً
دينه ، وسي أمانة لاثائه عليه بدون ارتهان أو كتابة .	أمانته
وليخش الله ربه وخالقه ، فلا يخون الأمانة ولا يبحد الحق .	وليقت الله ربه

شرحها	الألفاظ
لَا تَخْفُوا أَيْهَا الشُّهُودُ مَا عِلْمَتُمُوهُ ، وَلَا تَكْتُمُوا أَيْهَا الْمُدْيَنِينَ شَهادَتُكُمْ عَلَى أَنفُسِكُمْ .	وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهادَةَ
وَمَنْ يَخْفِ الشَّهادَةَ وَيَحْبِسُهَا ، فَإِنَّ قَلْبَهُ الَّذِي أَخْفَاهَا مِنْهُ يَأْثِمُ ، وَيَتَمَكَّنُ فِيهَا الذَّنْبُ ، وَهُوَ أَشَرُّ أَعْضَاءِ الْجَسْمِ .	وَمَنْ يَكْتُمُهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبَهُ
اللَّهُ خَالقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِمَا ، وَهُوَ مَالِكُ لِمَا خَلَقَهُ .	اللَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ

محمل المعنى

١ - بيَّنَ اللهُ فِي الآياتِ السَّابقةِ تحرِيمَ التعاملِ بالرِّبا ، وأُبَاحَ لِلمُرِبِّينَ أَنْ يَأْخُذُوا رِعَوسَ الْأَمْوَالِ الَّتِي كَانَتْ لَهُمْ عَلَى الْمُدْيَنِينَ قَبْلَ التحرِيمِ ، إِنْ كَانَ فِي مَقْدُورِهِمْ أَدَوِّهَا ، فَإِنْ كَانُوا مُعْسِرِينَ لَا يُسْتَطِعُونَ أَنْ يَؤْدُوا رِعَوسَ الْأَمْوَالِ وَقَتْ حَلُولِ أَجْلِ الدِّينِ ، فَلَهُمْ أَنْ يَمْهَلُوْا وَيَئْخُرُوهُمْ أَرْبَابُ الدِّينِ إِلَى مِيسَرَةٍ ، وَفِي هَذِهِ الآيَاتِ يَبْيَنُ اللَّهُ حَالَ التعاملِ بِالدَّيْنِ ، وَهُوَ: كُلُّ معاملةٍ يَكُونُ أَحَدُ الْقَرْضَيْنِ فِيهَا نَقْدًا حَاضِرًا ، وَالْآخَرُ فِي النَّدْعَةِ نُسَيْثَةً .

كتاب الدين أمر مستحب

٢ — أيها المؤمنون : يأمركم الله أمر ندب واستحباب ، محافظة على مصالحكم ، وصيانته للحقوق بينكم ، أنه إذا داين بعضكم بعضاً بدين ، آخذأ أو معطياً ، إلى وقت مسمى معلوم ، كتوقيته بالسنة والشهر واليوم ، وقيده بالعلامات والدلائل والصفات التي تفيد العلم ، وترفع الجهل به — إذا تداينتم بدين كهذا ، يلزمكم أن تكتتبوا ، أى تكتتبوا الدين ، ونوعه ومقداره وشهاده ، وأجله الذى سميتموه بينكم ، وعيتموه لاستحقاق الوفاء .

كاتب الدين لا يكون أحد الغرميين

٢ — ويجب أن يكتب وثيقة الدين كاتب آخر غير الغرميين ، وأن يكتب بالعدل ، لا يزيد ولا ينقص ، ولا يثبت لصاحب الحق أكثر مما له ، أو أقل مما يستحقه ، وهذا ينبغي أن يكون موثقاً الدين ملماً بكتابة الوثائق ، أميناً عادلاً ، ليس في قلبه ولا قلمه مواداً أو ميل لأحد المتداينين ، ولا يجوز أن يمتنع كاتب الوثائق من الكتابة إذا طلب صاحب الدين وأعطاه أجره ، ولم يوجد كاتب غيره ، أو وجد ولكنه غير موثوق به ، وذلك لأن إبعاده وامتناعه عن الكتابة يضر بصاحب الدين ، فليكتب ، ولا يأب أن ينفع الناس بكتابته ، كما نفعه الله بالتعليم ، وليحسن كما أحسن الله إليه ، وليفضل على الناس بكتابه ما يطلبون منه كتابته كما أفضل الله عليه بالعلم والمعرفة ، وفي هذا إشارة إلى أن المعلمين في الأمة عليهم أن يعلموا الجاهلين .

المدين هو الذي على الدين على الكاتب ،

ليكون إقراراً منه على نفسه

٤ — وقد أمر الله أن يعلى المدين الذي عليه الحق على الكاتب ، مقدار الدين وأجله ، حتى يكون إقراراً منه على نفسه ، ولأن شهادة الشهود عليه تكون حقيقة لا ريب فيها ، إذا كانت قائمة على إقرار المدين ؛ ولما جعل الله للمدين الحق في أن يعلى هو على الكاتب ، وكان من طبيعة الإنسان أن يدفع الضرر عن نفسه ، ويخفف عنها ما في ذمته ، كلما استطاع إلى ذلك سبيلاً ، فقد أمره الله أمر إرشاد وتنبيه ، ووعيد وتحويف ، بأن يتقيه وينبه في الإملاء ، فلا ينقص من الدين الذي يعليه على الكاتب شيئاً ، ولا يختلف من الشروط التي اتفقا عليها في العقد شرطاً ؛ وإذا كان المدين سفيهاً ناقص العقل مبندراً ، لا يحسن التصرف في المال ، ولا يعرف كيف يأخذ لنفسه أو يعطي غيره ، أو كان ضعيفاً صبياً صغير السن ، أو شيخاً كبيراً أضعف عقله الشيخوخة ، أو كان غير مستطيع للإملاء بنفسه ، لخرس أو عيّ ، أو جهل باللغة ، أو نقل بالسان ، فليقم بالإملاء عنه الولى ، وهو في هذه الحالات القييم أو الأب أو الوصي أو الوكيل أو المترجم — إملاء بالعدل ، لا زيادة فيه ولا نقصان

الاستشهاد على الدين لازم ، للإثبات مع الكتابة

٥ — وقد جعل الله الاستشهاد على المدانية من وسائل التوثيق للحقوق ، وقطع المنازعات ، فأمرنا أمر إرشاد أن نطلب لأداء الشهادة على المدانيات وقت إجرائها بيننا شاهدين ، إما أن يكونا رجلاً وامرأتين من

ال المسلمين ، الذين نرتضى سيرتهم وأخلاقهم ، وديفهم وعدائهم ، هذا إذا كانت المعاينة بين المسلمين ، أما إذا كان المتدابين ، أو كان الذي عليه الحق غير مسلم ، فتتجاوز شهادة غير المسلمين ، ولما كانت المرأة سريعة النسيان ، فقد جعل مع الرجل امرأتان ، مخافة أن تضل إحداهما وتنسى ، فتقذكراها الأخرى بما نسيت ؛ ولم تذكر في القرآن شهادة المرأة إلا في التباعي والدَّيْن ، لأن الله قد كثَرَ أسباب توثيق الأموال ، لحرص النفوس عليها ، وكثرة المشاحنة والخصومات فيها ، فوثقها تارة بالكتابة والشهادة ، وتارة بالإشهاد ، وتارة بالرهن ، وتارة بالضمان ، وأدخل في جميع ذلك شهادة النساء مع الرجال ، ولا يجوز أن يمتنع الشهداء عن أداء الشهادة وقت المعاينة ، أو عن إقامتها أمام الحاكم ، إذا ما دعاهم هو أو المتدابين أو أحدهما لإقامتها ، بشرط أن يعطُوا نفقة الانتقال ، وألا يعطُلوا عن مهام صالحهم .

التوثيق بكتاب الدين مما كانت قيمته ، خير للمتدابين

٦ — ولكرة المعايendas ، وتعدد المعاملات ، منها كم الله عن أن تمهِّدوا من كتابة الدين ومقداره وشهادته ، حتى يظل مستقرًا في النمة ، إلى وقت حلول أحله الذي أقر به المدين على نفسه ، سواء أكان الدين صغيراً أم كبيراً ، وسواء أكان عقد الدين مختصراً أم مطولاً ، فإن الكتابة والإشهاد أعدل عند الله ، وأبعد لكم عن الجحود ، والطبع الذي يوقعكم في ظلم تعاقبون عليه ، وأصبح وأحفظ وأثبت للشهادة ، وأعون على إقامتها ، وأقرب إلى اليقين وعدم الشك في مقدار الدين وأجله وشهادته ، وقد استثنى من الأمر بالكتابة ، التباعي بتجارة حاضرة ، أى بيع ناجز بيدلين حاضرين ، يديه المتباعيون بيهما ، ويتعاطونه يدًا بيد ، فلا بأس إذا لم تكتبواها ، للبعد عن مظنة التنازع والنسيان .

الاستشهاد ضروري في التباعي المكتوب وغير المكتوب

٧ - ولا كان الاستشهاد ضروريًا في إثبات الدين والبيع ، فقد أمر الله به ، للتبنيه على ضرورته في الدين المكتوب وغير المكتوب ، ولا يصح أن يقع ضرر على الكاتب بعدم إعطائه أجره ، ولا على الشاهد بعدم إعطائه نفقة انتقاله ، كما لا ينبغي أن يقع عليهمما إساءة أو أذى من أحد الغريمين ، بسبب الكتابة أو الشهادة ، ولا يصح أيضًا أن يقع ضرر على أحد المتداينين من الكاتب ، بزيادة أو نقص فيها كتب ، أو من الشاهد بتحريف في الشهادة ، أو بكتابتها ، فإن فعلوا ذلك ، فوقع من أحد المتداينين ضرر على كاتب أو شهيد ، أو وقع من كاتب أو شاهد ضرر على أحد المتداينين ، كان ذلك معصية ، وفسقاً وخرجاً عن طاعة الله لاحقًا بكم ، ويجب عليكم أن تتقوا الله ، لأنه يعلمكم جميع الأحكام المتضمنة لحقوقكم ، والله لا يخفي عليه شيء من أمركم ، لأنه يعلم كل شيء في الأرض وفي السماء .

الرهن من أنواع الإثبات والتوثيق للديون

٨ - وقد تعرض للمتداينين أحذار مانعة من الكتابة ، فلا يجدون كتاباً يكتب بهم وثيقة الدين ، كأن يكونوا مسافرين ، أو يكونوا في قرية ليس فيها ذو معرفة وخبرة ، أو يكون المدين مضطراً لشراء سلعة بدين مؤجل ، والكاتب غير موجود ، وليس لديه من الوقت فسحة ينتظر فيها حضوره ، والأمر في ذلك أن يستوثق الدائرون لدينهم برهن - أى يعطي المدين الدائن مرهوناً تساوى قيمته قيمة الدين أو أكثر ، ومعنى الرهن : احتباس العين

لدى الدائن ، ليستوفى حقه من ثمنها ، أو من ثمن منافعها ، عند تعدد آخره من الغريم ، وذكر السفر في قوله : « وإن كنتم على سفر » : أى مسافرين ، إنما هو بيان حال من أحوال إمكان التوثيق للدين بالارتهان ، وليس السفر شرطاً في شرعية الارتهان ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم اشترى من يهودي طعاماً إلى أجل ، ورهنه درعاً له من حديد ، وعن ابن عباس أنه صلى الله عليه وسلم تُؤْتُ ودرعه مرهونة عند يهودي بثلاثين صاعاً من شعير لأهله . وإنما نصت الآية على حال السفر ، لأنه كان وقت التنزيل غالباً الأذار ، لكثرة الغزو ، والاغتراب في الجهد والفتح ، ويدخل في معناه كل عندر كما بيّنا ، والرهن لا يلزم ولا يتم إلا بالقبض ، لتصريح قوله تعالى : « فرها ن مقوضه » ، فإن كان المدين أميناً وثقة عند صاحب الدين ، فلم يستوثق منه بكتاب أو رهن ، فعليه أن يؤدى للدائن الذي ائمنه حقه كاملاً ، وقد جعل الله الوفاء بأداء الدين الذي توافق بالأمانة لا بالرهن والكتابة ، واجباً متعلقاً بذمة المدين ، ولم يجعل أمر الوفاء به من حق المدين فقط ، ولكنه جعل أيضاً حقاً لله ، وسماه أمانة ، لأن الدائن ائمن ذمة المدين على ماله ، فلم يطلب منه كتابة أو رهناً ، وأردفه بأمر يتضمن الوعيد والتهديد ، وهو أمره المدين بتقوى الله صاحب الحال والقهر والغلبة ، ربُّه الذي خلقه ورباه ورعاه ، فهو مستحق أن يتقيه ويخشأه ، فلا ينقص من صاحب الحق شيئاً من حقه ، بل يعرف على نفسه بما في ذمته ، ولا يكتم شيئاً منه ، كما نهى الشهود أن يكتموا الشهادة ، وأن يخفوا شيئاً مما علموه عن الدين ومقداره وأجله ، وتوعد كاتم الشهادة ، سواء أكان شاهداً أم مديناً ، بإيمان يتمكن من قلبه ، والقلب أشرف أجزاء الجسم ، وهو مركز الحياة ، وعليه يكون صلاح الجسم وفساده ، وهو موضع الإيمان والتحمود ، وهي أثمن القلب ، أثمن كل

شىء في الإنسان ، والله علیم بكل ما يعلمه الإنسان من خير أو شر ،
فيحاسبه عليه ، وهو جل شأنه خالق السموات والأرض وما فيهما ،
ومالك لهما ، وصاحب التصرف المطلق فيما خلق وما ملك ، فهو يحاسب
خلقه على ما عملوا من عمل ييدو للناس ويظهر ، وعلى ما لم يعملاه ، ولكن
ثبت في نفوسهم وعزموا عليه ، وأضمروه وأرادوه ، فيغفر لمن يشاء من أهل
طاعته ، ويعذب من يشاء من أهل المعصية ، ويؤاخذ كلاماً كسبت
قلوبهم ، والله قادر على كل شيء ، فيحاسب كلاماً على ما عمل .

(٩)

آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ، كُلُّهُمْ آمَنَ
بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكِتَابِهِ وَرَسُولِهِ، لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُولِهِ ،
وَقَالُوا : سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ، غُفْرَانَكَ رَبَّنَا ، وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ . لَا يُكَلِّفُ
اللهُ نَفْسًا إِلَّا وُسِّعَهَا ، لِهَا مَا كَسَبَتْ ، وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ، رَبَّنَا
لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَلْنَا ، رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا إِصْرًا كَمَا
حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا ، رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا يَهُ ،
وَاعْفُ عَنَّا ، وَاعْفُرْ لَنَا ، وَارْجُحْنَا ، أَنْتَ مَوْلَانَا ، فَانْصُرْنَا عَلَى
الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
كل آمن	كلهم آمن ، أي الرسول والمؤمنون .
لا نفرق	يقولون : نؤمن برسل الله جمعاً ، لا نفرق بين واحد
رسله	والآخر ، بل نؤمن بهم كلهم .
سمعنا	أجبنا قولك ، واعتقدنا وجوب العمل به .

شرحها	الألفاظ
ونفذنا أمرك ، وعملنا به .	أطعنا
نطلب أن تغفر لنا .	غفرانك
إليك المرجع بعد الموت يوم البعث .	إليك المصير
{ إلا ما تتسع له طاقتها وقدرتها من الأعمال ،	إلا وسعها
ولا تضيق به ، وتحرج فيه .	لها ما كسبت
ثواب وتنتفع بما كسبت وعملت من خير .	وعليها ما اكتسبت
تعاقب وتضر بما اكتسبت وارتكتبت من شر .	لما تؤاخذنا
لا تعاقبنا .	إن نسينا أو أخطأنا
إن تركنا أمراً من أوامرك مهواً أو خطأ .	ولا تحمل علينا إصراً
ولا تلق علينا عيناً وحملنا ثقيراً من التكاليف	كما حملته على الذين من
الشاقة ، التي لا نستطيع أن نهض بها .	قبلنا
كما ألقىته وكلفت حمله الأمم التي كانت قبلنا	كاليهود .
ولا تنزل علينا من البلاء والعقوبة والتکاليف الشاقة ،	ولا تحملنا ما لا طاقة
ما لا تقوى به طاقتنا البشرية .	لنا به
وامح ذنبينا .	واعف عنا
واستر عيوبنا ، ولا تفضحنا بالمؤاخذة .	واغفر لنا
وتلطف بنا ، وتفضل علينا .	وارحنا
أنت سيدنا ونحن عبيدك ، وأنت ناصرنا ومتبولى	أنت مولانا
أمورنا .	فانصرنا على القوم
فانصرنا ونحن عبادك المؤمنون على ، أعدائك	الكافرين
الكافرين .	

جمل المعنى

١ - لما نزل قوله تعالى : «وَإِنْ تَبَدُّلُوا مَا فِي أَفْسُسِكُمْ أَوْ تَخْفُوهُ يَحْاسِبُكُمْ بِهِ اللَّهُ» ، اشتد ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأتواه ، ثم برزوا على الركب ، وقالوا : أى رسول الله ، كُلُّ فناءٍ من الأعمال ما نطيق ، كالصلة والصوم والحجج والجهاد ، وقد أتَيْزَلَ إِلَيْكَ هَذِهِ الْآيَةُ وَلَا نُطِيقُهَا ، أَيُّؤْخَذُنَا اللَّهُ بِكُلِّ مَا حَدَّثَتْ بِهِ أَنفُسُنَا ؟ فقال رسول الله : «أَتَرِيدُونَ أَنْ تَقُولُوا كَمَا قَالَ أَهْلُ الْكِتَابَيْنِ مِنْ قَبْلِكُمْ : سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا ؟ بَلْ قُولُوا : سَمِعْنَا وَأَطْعَنَا ، غَفَرَنَّا لَكَ رَبُّنَا ، وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ» ، فقرأها القوم ، فتزل قوله تعالى : «آمَنَ الرَّسُولُ» إلى قوله : «لَا يَكُلُّ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وَسَعَهَا ، هَذَا مَا كَسَبَتْ ، وَعَلَيْهَا مَا اكتسبت» ؛ وهاتان الآياتان هما خاتمتا سورة البقرة .

٢ - آمن الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكل من المؤمنين الذين اتبعواه ، بما أنزل إليه من عند الله من الشرائع والأحكام ، والقصص والمواعظ ، وأحوال الرسل ، والكتب السماوية ، وأمنوا بالله وحده ، لا شريك له في الإلهية والمعبودية ، وأمنوا بالملائكة من حيث إنهم عباد مكرمون ، من شأنهم التوسط بينه تعالى وبين الرسل ، بإنزال الكتب وإلقاء الوحي ، وأمنوا بكتب الله ورسله ، من حيث إرشاد هما العباد إلى ما شرع لهم من الدين ، وأمنوا إيماناً بكل نبي من الأنبياء ، من غير تفريق بينهم ، يقولون : آمنا بهم جميعاً ، لا نفرق بينهم في الإيمان ، بأن نؤمن ببعض منهم ونكفر بآخرين ، بل نؤمن بصحة رسالة كل واحد منهم ، تحقيقاً للحق ، وتحخطة لأهل الكتابين ، حيث أجمعوا على عدم الإيمان بالرسول صلى الله عليه وسلم ، وحيث استقلت اليهود بعدم الإيمان بعيسى عليه السلام ؛ وهذا الإيمان

مندرج في الإيمان بالكتاب المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم ،
وهو القرآن .

٣ - ومن صفات هؤلاء المؤمنين ، أنهم قالوا : سمعنا ، أى فهمنا ما جاءنا من الحق ، وتيقنا صحته ، وأجبنا الدعوة إلى الله ، واعتقدنا وجوب العمل بها ، وقالوا : أطعنا أوامرك يا ربنا ، وعملنا بها ، فنسائلك أَنْ تغفر لنا ما تقدم من ذنبنا ، وما يصدر منا من تقصير في مراعاة حقوقك ، لأن مصيرنا ومرجعنا بعد الموت يوم البعث إليك ، لا إلى غيرك ، جل شأنك .

٤ - ولقد أراد الله أن يهون الخطب على المؤمنين ، ويخفف الفزع من نفوسهم ، لقوله : « وإن تبدوا مافي أنفسكم أو تخفوه يخاسبكم به الله » ، فأنزل قوله تعالى : لا يكلف الله نفساً إلا وسعها : لبيان أن المراد بما في نفوسهم ، هو ما عزموا عليه من السوء ، أى لا يكلف الله نفساً من النفوس إلا ما يتيسر عليها ، ويتسع له طرقها وجهدها ، لأنه تعالى يريد بعباده اليسر ، ولا يريد بهم العسر ، وأن كل نفس ستجزى بما كسبت ، وما عملت من خير ، وستحاسب على ما اكتسبت ، وما ارتكبت من شر .

٥ - ومن صفات المؤمنين أنهم يدعون الله ، فيقولون : ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ، أى اعف عن إثم ما يقع منا على هذين الوجهين ، ولا تؤاخذنا بما صدر منا من تفريط وقلة مبالاة ، وترك أمر من أمورك نسياناً أو خطأ ، ولقد استجاب الله لدعائهم ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « رفع عن أمي النسيان والخطأ » ، ويقولون : « ربنا ولا تحمل علينا إصراراً كما حملته على الذين من قبلنا » ، أى لا تلق علينا إصراراً وعيثأً ثقيلاً يحبسنا في مكاننا ، ولا نستطيع معه حراً كـا ، من كبار الذنوب ، فاعصمنا من اقترافها ، ومن التكاليف الشاقة التي لا نستطيع أن نهض بها ، كما حملته وألقيته على الذين من قبلنا ، كاليهود الذين كلفتهم قطع موضع التجasse من الشوب ،

ولم تتح لهم غسلها وإزالتها بالماء ، وكما فرضت عليهم خسین صلاة في اليوم والليلة ، وكما أوجبت عليهم القصاص في الجنایات ، دون العفو عن الدم وقبول الديمة ، وقد عصم الله هذه الأمة من مشاق التكاليف فضلاً منه ورحمة ، وأنزل فيهم : « ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم » ، ويقولون : « ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به » ، فلا تنزل علينا من البلاء والعقوبة والتکالیف الشاقة فرق ما تتحتمل طاقتنا البشرية ، واعف عننا ، وامح آثار ذنبنا ، واغفر لنا ، واستر عيوبنا ، وارجعنا ، وتفضل علينا ، وتلطّف بنا ، فإنك مولانا وسيلنا ، ونحن عبادك وأحباؤك ، وأنت ناصرنا ومتولى أمرنا ، وكان حقّاً عليك أن تنصر عبادك المؤمنين ، على القوم الكافرين .

سورة آل عمران

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١)

الْسَّمَّ . إِنَّ اللَّهَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَقُّ الْقَيُومُ . نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ ، مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ مِنْ قَبْلٍ هُدًى لِلنَّاسِ ، وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ ؛ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ، وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقامَةٍ .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
الـ سـ	يـرـاجـعـ المـعـنىـ المـقصـودـ بـهـ فـيـ الصـفـحةـ ١٢ـ مـنـ
الـ إـلـهـ إـلـاـ هـوـ	{ تـقـسـيرـ الجـزـءـ الـأـوـلـ .
الـ قـيـوـمـ	لـاـ مـعـبـودـ بـحـقـ غـيـرـهـ .
الـ كـتـابـ	الـذـىـ لـاـ بـدـءـ لـهـ ، وـالـقـائـمـ بـذـاتـهـ عـلـىـ كـلـ شـئـ .
بـالـحـقـ	الـقـرـآنـ .
لـاـ بـيـنـ يـدـيـهـ	بـالـعـدـلـ أـوـ بـالـصـدـقـ .
عـزـيزـ	لـمـ تـقـدـمـهـ مـنـ الـكـتـبـ السـماـوـيـةـ .
	غـالـبـ .

وفد نجران

قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد من نجران ، وكان هذا الوفد يتألف من ستين رجلا ، وعلى رأسهم ثلاثة منهم : أحدهم أمير ، والثاني وزير ، والثالث أسقف ، والأسقف كان حبرهم وإمامهم ، وصاحب مدارسهم ، ودارس كتّبهم ، والمتفقّه في دينهم .

دخل هذا الوفد على النبي صلى الله عليه وسلم المسجد بعد صلاة العصر ، ثم أخذوا يصلون صلاتهم في مسجد رسول الله ، فأمر النبي بتركهم يصلون ، ثم قامت مناظرة بينهم وبين النبي صلى الله عليه وسلم في سيدنا عيسى ، وفي أنه ابن الله ، وغير ذلك ، وكان رسول الله يرد عليهم بما يفهمهم ، ولكن قلوبهم كانت مغلقة ، فلم يسلّموا ، فأنزل الله فيهم آيات من أول سورة آل عمران .

المعنى الإجمالي

١ - يختص الله سبحانه وتعالى بالألوهية والوحدانية ، فلا شريك له في ملکه ، وهو حي دائم البقاء ، متيسّر له تدبیر كل ما أرد ، على الوجه الذي يشاء ، وهي حي دائم الحياة ، لا يجوز عليه الموت الذي يجوز على غيره من خلقه ، ومنهم عيسى عليه السلام ؛ وهو كذلك قائم على كل شيء قياماً دائماً لا زوال معه ، ولا انتقال ، من رزق وتدبیر ، وتصريف في كل ما يشاء من تغيير وتبدل ، ونقص وزيادة .

٢ - والله الذي هذه صفاته ، هو الذي أنزل عليك يا محمد القرآن مُنَجِّماً ، وفيه القول الفصل فيما خالفك فيه مجاجوك من وفد نجران ومن غيرهم ،

وما فيه موافق لما جاء في الكتب التي سبقته ، وأنزلها الله على أنبيائه الذين
جاءوا قبلك ، لأن القرآن والكتب السماوية التي سبقته ، كلها من عند الله ،
فلا بد أن يكون ما فيه موافقاً لما جاء فيها ، قبل أن يدخلها تغيير أو تبديل ،
ومن هذه الكتب السابقة : التوراة التي أنزلت على موسى ، والإنجيل
الذى أُنْزِلَ عَلَى عِيسَى ، أَنْزَلَهُمَا اللَّهُ لِيَهْدِيَ النَّاسَ بِهِمَا ، وَيَتَبَيَّنُوا الْحَقَّ
مِنَ الْبَاطِلِ ، وَفِي هَذِهِ الْكِتَابِ فَرَقَ اللَّهُ بَيْنَ الْهُدَى وَالضَّلَالِ ، وَفَصَلَ فِي
الْمَسَائِلِ الَّتِي يَخَالِفُ فِيهَا نَصَارَى نَجْرَانَ مُحَمَّداً ، وَهُمُ الَّذِينَ يَنْكِرُونَ الْأَدْلَةَ
عَلَى أَنَّ اللَّهَ وَاحِدٌ ، وَأَنَّهُ إِلَهُ الَّذِي يَعْبُدُ دُونَ سُوَاهٍ ، وَأَنَّ عِيسَى مِنَ
عِبَادِهِ ، وَلَيْسَ ابْنًا لَّهٗ كَمَا يَزْعُمُونَ ؛ هُؤُلَاءِ الَّذِينَ يَعْتَقِدُونَ ذَلِكَ ، يَعْذِبُهُمُ اللَّهُ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابًا شَدِيدًا ، وَاللَّهُ عَزِيزٌ فِي سُلْطَانِهِ ، لَا يَرَادٌ وَلَا يَحْاجَّ ،
وَلَا يَمْانِعُ وَلَا يَعْانِدُ ؛ وَمَنْ يَنْكِرُ هَذَا بَعْدَ إِقْامَةِ الدَّلِيلِ عَلَيْهِ ، فَعِقَابُهُ
شَدِيدٌ ، لَا يَقْدِرُ مِنْتَقِمٌ عَلَى مُثْلِهِ .

نَهَارِيَة

جَهَنَّمُ مُوسَى وَمَا يَلْفِظُ لِلْأَلْفَاظِ . . . وَمَنْ يَرْكَعُ لِمَنْ يَنْهَا . . .

جَهَنَّمُ مُوسَى لِلْأَلْفَاظِ . . . يَأْتِي بِهِ الْأَلْفَاظِ . . . يَعْلَمُ بِهِمْ لِمَنْ يَنْهَا . . .

جَهَنَّمُ مُوسَى لِلْأَلْفَاظِ . . . يَأْتِي بِهِ الْأَلْفَاظِ . . . يَعْلَمُ بِهِمْ لِمَنْ يَنْهَا . . .

جَهَنَّمُ مُوسَى لِلْأَلْفَاظِ . . . يَأْتِي بِهِ الْأَلْفَاظِ . . . يَعْلَمُ بِهِمْ لِمَنْ يَنْهَا . . .

(٢)

إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفِي عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ . هُوَ
الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ ؛ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ .

شرح الألفاظ

شرحها	الألفاظ
لا يغيب عن علمه .	لا يخفي عليه
يخلقكم على صورة معينة .	بصوركم
{ جمع رحم وهو من المرأة المكان الذي يحفظ فيه الجنين ، وينمو حتى وقت الوضع .	الأرحام
المتقن لما يريده .	الحكيم

مجمل المعنى

١ - لا يخفي على الله أى شيء ، سواء أكان ذلك في الأرض أم في السماء ، فهو مطلع على كفر من كفر ، وإيمان من آمن ، ومجازٍ كلاماً على عمله وقوله واعتقاده ، وما لا يخفي عليه ، ما يناقشك فيه أهل نجران نقاش المعاندين المستكبرين المكابرین .

٢ — والله هو الذي يخلق الناس ، ويصورهم في أرحام أمها them ، على الصورة
الى يراها ، وبيان بيهم : ذكورة ، وأنوثة ، ولواناً ؛ وليس عيسى
إلا واحداً من صورهم الله في أرحام أمها them ، فلا يجوز عليه الألوهية
ولا الربوبية ، وليس الله شريك ولا مثيل ، وهو العزيز في سلطانه ، الذي
لا يستطيع أحد أن يخلص منه من يريد عقابه ، الحكيم في تدبيره ،
المتن لما يريد .

لَمْ يَرَنْ فِي السَّمَاوَاتِ أَكْثَرَ مَا يَرَى إِلَّا لَعْنَةً
لَئِنْ يُنْهَى إِلَيْهِ الْمُجْرَمُونَ
كَلَّا لَمْ يَرَنْ ثَلَاثَانِ مُلَائِكَةً دَارِيَّةً فِي سَمَاءِ الْأَرْضِ
كَلَّا لَمْ يَرَنْ ثَلَاثَانِ مُلَائِكَةً دَارِيَّةً فِي سَمَاءِ الْأَرْضِ
كَلَّا لَمْ يَرَنْ ثَلَاثَانِ مُلَائِكَةً دَارِيَّةً فِي سَمَاءِ الْأَرْضِ
كَلَّا لَمْ يَرَنْ ثَلَاثَانِ مُلَائِكَةً دَارِيَّةً فِي سَمَاءِ الْأَرْضِ

لَفَظُ الْمُؤْمِنِ

لَمْ يَرَنْ فِي السَّمَاوَاتِ أَكْثَرَ مَا يَرَى إِلَّا لَعْنَةً لَئِنْ يُنْهَى إِلَيْهِ الْمُجْرَمُونَ	لَمْ يَرَنْ فِي السَّمَاوَاتِ أَكْثَرَ مَا يَرَى إِلَّا لَعْنَةً لَئِنْ يُنْهَى إِلَيْهِ الْمُجْرَمُونَ
وَيَسْأَلُ إِنْ كُنَّا لَهُ لِحَاظًا كَمَا هُوَ لِيَحْتَاجُ وَهُوَ أَنْتَمْ بِكَلَّا لَمْ يَرَنْ فِي السَّمَاوَاتِ أَكْثَرَ مَا يَرَى إِلَّا لَعْنَةً لَئِنْ يُنْهَى إِلَيْهِ الْمُجْرَمُونَ	وَيَسْأَلُ إِنْ كُنَّا لَهُ لِحَاظًا كَمَا هُوَ لِيَحْتَاجُ وَهُوَ أَنْتَمْ بِكَلَّا لَمْ يَرَنْ فِي السَّمَاوَاتِ أَكْثَرَ مَا يَرَى إِلَّا لَعْنَةً لَئِنْ يُنْهَى إِلَيْهِ الْمُجْرَمُونَ
لَمْ يَرَنْ فِي السَّمَاوَاتِ أَكْثَرَ مَا يَرَى إِلَّا لَعْنَةً لَئِنْ يُنْهَى إِلَيْهِ الْمُجْرَمُونَ	لَمْ يَرَنْ فِي السَّمَاوَاتِ أَكْثَرَ مَا يَرَى إِلَّا لَعْنَةً لَئِنْ يُنْهَى إِلَيْهِ الْمُجْرَمُونَ
لَمْ يَرَنْ فِي السَّمَاوَاتِ أَكْثَرَ مَا يَرَى إِلَّا لَعْنَةً لَئِنْ يُنْهَى إِلَيْهِ الْمُجْرَمُونَ	لَمْ يَرَنْ فِي السَّمَاوَاتِ أَكْثَرَ مَا يَرَى إِلَّا لَعْنَةً لَئِنْ يُنْهَى إِلَيْهِ الْمُجْرَمُونَ
لَمْ يَرَنْ فِي السَّمَاوَاتِ أَكْثَرَ مَا يَرَى إِلَّا لَعْنَةً لَئِنْ يُنْهَى إِلَيْهِ الْمُجْرَمُونَ	لَمْ يَرَنْ فِي السَّمَاوَاتِ أَكْثَرَ مَا يَرَى إِلَّا لَعْنَةً لَئِنْ يُنْهَى إِلَيْهِ الْمُجْرَمُونَ

(٣)

هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ ، مِنْهُ آيَاتٌ مُّحَكَّمَاتٌ
هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ ، وَآخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ، فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ
زَيْغٌ فَيَتَبَعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ،
وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلُهُ إِلَّا اللَّهُ ، وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ : أَمَّا بِهِ ،
كُلُّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا ، وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ . رَبَّنَا
لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْنَا ، وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً ، إِنَّكَ
أَنْتَ الْوَهَّابُ . رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ ،
إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ .

شرح الألفاظ

شرحها	الألفاظ
القرآن.	الكتاب
لا تحتمل تأويلاً ولا اشتباهاً.	محكمات
أصل الكتاب.	أم الكتاب
وآيات أخرى تحتمل التأويل والاشتباه من المرجفين.	وآخر متشابهات
ميل عن الحق.	زيغ
فيتعلقون بتأويل الآيات على أوجه ضعيفة.	فيتبعون ما تشابه
طلباً لصرف الناس عن دينهم.	ابتغاوا الفتنة

الألفاظ	شرحها
وابتغاء تأويله	طلبآ للتأويل الذي يريدونه .
والراسخون في العلم	الذين ثبت علمهم ، وتمكنوا تمكن العارفين .
كل من عند ربنا	الحكم والتشابه من عند الله الحكم ، الذي
يذَّكر	لا يتناقض كلامه .
أولو الألباب	يعتَظُ .
لا تُزِغْ قلوبنا	أصحاب العقول ، وهم الراسخون في العلم .
رحمة	لا تمْلأها عن الحق .
الوهاب	نعمة بال توفيق ، والشتت من الرأى الصواب .
ليوم لا ريب فيه	الكثير الهبة .
الميعاد	ليوم القيامة الذي لاشك في وقوعه .
	الموعد

مجمل المعنى

١ - آيات القرآن الكريم ، بعضها لا يقبل تأويلاً ، ولا يحتمل اشتباهاً ، مهما حاول المرجفون أن يؤولوه ، وأن يثروا حوله شكوكاً ، وهو الحكم ، وبعضها يمكن التعسف في فهمه وتأويله ، وتحميمه ما ليس مقصوداً منه ، وهو التشابة ، وكلا النوعين : الحكم والتشابة ، من عند الله الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء .

ومن آيات القسم الأول : آيات التحليل والتحرير ، والوعد والوعيد ، والشواب والعقاب ، وأيات القصص وضرب الأمثال ، وأيات الفرائض والحدود ، ونحوها مما كان دليلاً واضحاً ، وتحصيل العلم به ميسوراً ، وهذه الآيات يضمها معظم

القرآن ، ولذلك عبر الله عنها بأنها : أم الكتاب ، أى معظمها ؛ ومن آيات القسم الثاني ، التي لا يسهل على العقل تحصيل معناها ، بل ربما صاح عليه سبيل فهمها ، لما فيها من عموم أو إطلاق مثلا ، أو لأنها تحتمل أكثر من معنى ، الآيات التي ورد فيها ما يسميه علماء الكلام السمعيات .

٢ - المرجفون الحائدون عن الحق ، يبحثون عن الأوجه الضعيفة ، أو التي تجافي الحق ، ويؤولون الآيات تأويلاً يؤيدون به باطلهم ، ويتبعونه ، فيصلون غيرهم به ، ويثيرون الشك في نقوسهم ، فتبدل الشبهاتُ نور إيمانهم ، ويحاولون أن يعرفوا ما لا يدخل في دائرة علمهم ، فلا يعرفون ، لأنه من علم الله ، ولا يعرف علم الله إلا الله ، لا أحد سواه .

٣ - وأهل العلم الحقيقي ، الراسخون فيه ، يؤمنون بالتشابه لإيمانهم بالحكم ، ويعتقدون أن هذا كله من عند الله ، فالذى أراد لهم عِلْمَه عِلْمَوه ، والذى لم يُكشَّف لهم عنه ، آمنوا بأن الله هو الذى اختص بعلمه وحده من دون خلقه ؛ وكل من الحكم والتشابه من عند الله ، وهو الذى نزله على نبيه ، ولا يتعظ ويقول في التشابة : علمهُ عند الله ، إلا أصحاب العقول الراجحة ، والقطن المستنيرة ، والألباب الحكيمة .

٤ - دخل على النبي صلى الله عليه وسلم حُبَيْثُ بن أَخْطَبَ في جماعة من اليهود ، وقالوا له : بلغنا أنه نزل عليك : الم ، فإن كنت صادقاً في مقالتك ، فإن مُلْكَ أمتك يكون إحدى وسبعين سنة ، لأن الألف في حساب الحمل واحد ، واللام ثلاثون ، واليم أربعون ، فنزل : وما يعلم تأويلاً إلا الله .

٥ - الراسخون في العلم : المهديون ، يدعون الله سبحانه وتعالى ، ويسألونه أن يصرف عنهم ما ابتُلُوا به الحائدون عن الحق من الحديث في التشابة ، على غير معناه ، ومن محاولتهم أن يعلموا ما انفرد الله بعلمه ، وأن يستمر

توفيقهم للإيمان بمحكم الكتاب ومتشابهه ، لأنه هو الذي يمنح عباده التوفيق والسداد ، بالثبات على الدين ، والإيمان به ، وبكتبه ورسله .

٦ - ويقررون أن الله سيجمع الناس يوم القيمة ، لإثابة المطيع ، ومعاقبة العاصي ، فهم يدعونه أن يتوفيقهم على الإيمان ، ليدخلهم الجنة كما وعدهم ، وهو لا يختلف الميعاد .

(٤)

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أُولَادُهُمْ مِنْ
اللَّهِ شَيْئًا، وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ . كَدَبَ آلُ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ
مِنْ قَبْلِهِمْ ، كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخْذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ، وَاللَّهُ شَدِيدُ
الْمِقَابِ . قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا: سَتُغْلِبُونَ وَتُخْسِرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ ، وَبِئْسَ
الْمِهَادُ . قَدْ كَانَ لَسْكُمْ آيَةً فِي فِتْنَتِنَا التَّقَاتَا : فِتْنَةُ تُقَاتِلُ فِي
سَبِيلِ اللَّهِ ، وَأُخْرَى كَافِرَةُ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَهُمْ رَأَى الْمِنْ ، وَاللَّهُ يُوَيِّدُ
بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لِعْبَرَةً لِأُولَى الْأَبْصَارِ . زُيْنَ
لِلنَّاسِ حُبُ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ ، وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ
مِنَ الْذَّهَبِ وَالْفَضَّةِ ، وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ : ذَلِكَ
مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ .

شرح الألفاظ

شرحها	الألفاظ
لن تدفع عنهم ، ولن تنجيهم . ما تقد به من حطب ونحوه ..	لن تغنى عنهم وقود النار

الألفاظ	شرحها
كذب آل فرعون	كسنة آل فرعون ، وعاداتهم ، وعملهم ، وتكتنفهم .
ستغلبون وتحشرون	ستغلبون في الدنيا ، وتعذبون يوم القيمة .
بئس المهد	بئس الفراش الذي أعد لكم ، أو أعددتموه لأنفسكم ، بسبب كفركم . طائفتين .
فتين	ضعف عددهم .
مثيلهم	لموعضة للذين يتعظون بما يرون ويتأملون .
لعيزة لأولى الأ بصار	حسن .
زین	الشهوات
القناطير المقنطرة	هي انفعالات نفسية ، تشعر الإنسان بال الحاجة إلى ما يستلنه من طعام أو شراب أو نحوهما ، أو ما هو مذكور في الآية .
المآب	المال الكثير .
المرجع .	المرجع .

حمل المعنى

١ - عذاب الله واقع على الكافرين ، الذين ينكرون الحق بعد أن يتضح لهم ،
فينكرون نبوة محمد مثلا ، كما أنكرها وفد نجران ومنافقو العرب واليهود
والكافر ، وهؤلاء لا ينجيهم من عذاب الله أموالهم ، ولا أولادهم ، سواء
أكان ذلك العقاب واقعاً في الدنيا أم في الآخرة ، وهم في الآخرة حطب
النار التي توقد بهم ، تحقيراً ل شأنهم ، وببالغة في إهانتهم .

٢ - وهؤلاء الكفار الذين لن تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً ،
مثاهم في ذلك كمثل من سبقوهم من كذبوا أنبياءهم الذين أرسلهم الله
إليهم ، فعدبهم الله ، ولم تدفع عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً ؛
فقوم نوح ، وقوم لوط ، وقوم هود ، وغيرهم - عذبهم الله بسبب
كفرهم ، ولم يدفع عنهم مال ولا بنون ، وهكذا كل من أصر على الكفر ،
واستكبر وعاند ، يعذبه الله عذاباً شديداً .

٣ - انتصر النبي صلى الله عليه وسلم على قريش يوم بدر ، فلما رجع إلى المدينة
جمع اليهود ، وقال لهم : يا معاشر اليهود ، أسلموا قبل أن يصييكم مثل
ما أصاب قريشاً ، فقالوا : يا محمد لا تغرنّك نفسك ، إنك قتلت نفراً من
قريش ، كانوا أغاراً لا يعرفون القتال ، إنك والله لو قاتلتانا لعرفت أنا نحن
الناس ، وأنك لم تأت مثلينا ، فأنزل الله : « قل للذين كفروا ستغلبون »
الآية : أى أخبرهم أنهم سيغلبون في الدنيا ، وسيجتمعون يوم القيمة ،
ويساقون إلى جهنم ، وقد أعدت فراشاً لهم بسوء أعمالهم ، وبئس الفعل
فعلهم الذي أدخلهم النار .

٤ - وقل لهم أيضاً : إن من الأدلة على صدق ما أقول ، من أنكم ستغلبون
في الدنيا ، وتحشرون إلى جهنم في الآخرة ، ما وقع تحت بصركم بين
المسلمين وبين مشركي قريش ، وقد كان المسلمون يقاتلون في طاعة
الله ، وعلى دين الله ، وكان الكافرون من قريش يحاربون في سبيل
الشيطان ، وعلى الكفر ، وكان عدد المشركين نحو ضعفي عدد المسلمين ،
ومع ذلك فقد اقتضت مشيئة الله أن يتوهם المشركون أن المسلمين مثلاً
عدهم ، ليُلْقَى في قلوبهم الرعب ، وقد رأيتم أن الله نصر المسلمين على
قلة عدهم ، والله يقوى بنصره من يشاء ويعينه ؛ وفيما فعله الله من نصر

ال المسلمين على قلتهم ، وهزيمة الكافرين على كثريهم — موعضة لمن عقل وتفكر .

٥ — زُين للناس حب ما يشتهون من هذه الأشياء :

(١) النساء : فهن حبائل الشيطان ، وفتنة الرجال ، والغريات بقطع الرحم ، والداعفات إلى جلب المال ، من حرام أو حلال .

(ب) والبنين : وهم — وإن كانوا ثمرات القلوب ، وفلذات الأكباد ، وقرة العيون ، مجيبة مبخلة محزنة .

(ح) والذهب والفضة : يغرم الناس بجمعهما ، ويستكثرون منهما .

(د) والخيل المسمومة : الخيل الحسان ، المعلمة بعلامات خاصة ، المطهمة ، التي تروع من يراها ، وتخلبه حسناً .

(٥) والأنعام : وهي الضأن ، والماعز ، والبقر ، والإبل .

(و) والحرث : وهو الزرع .

هذه الأشياء التي زينت للناس يتمتعون بها في الدنيا ، والعقلاء هم الذين يتمتعون بها في الحدود المباحة ، وغير العقلاء من الكافرين والخدوعين يبالغون في صنوف التمعن ، والمرجع الطيب عند الله سبحانه وتعالى في الآخرة .

(٥)

قُلْ أَوْلَئِكُمْ بَخْيَرٌ مِّنْ ذَلِكُمْ ؟ لِلَّذِينَ اتَّقُوا عِنْدَ رَبِّهِمْ
جَنَّاتٌ تَجْزِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ، وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ
وَرِضْوَانٌ مِّنْ اللَّهِ ، وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ، الَّذِينَ يَقُولُونَ : رَبُّنَا إِنَّا
آمَنَّا ، فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا ، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ، الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ
وَالْقَانِتِينَ ، وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ .

شرح الألفاظ

شرحها	الألفاظ
أُؤخِرُكُمْ وَأُعْلَمُكُمْ ؟ بِأَفْضَلِ مَا زَيَّنَ لَكُمْ .	أُؤنِيشُكُمْ بَخْيَرٌ مِّنْ ذَلِكُمْ
لِلَّذِينَ خَافُوا رَبِّهِمْ فَأَطَاعُوهُ .	لِلَّذِينَ اتَّقُوا
{ هُنَّ نِسَاءُ الْجَنَّاتِ الْمُطَهَّرَاتِ مِنْ كُلِّ رِجْسٍ أَوْ أَذَى ، يُكَوِّنُ فِي نِسَاءِ الدُّنْيَا .	أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ
رَضَا مِنَ اللَّهِ .	رِضْوَانٌ مِّنْ اللَّهِ
احْفَظْنَا مِنْ عَذَابِ النَّارِ ، وَادْفَعْهُ عَنَا .	قِنَا عَذَابَ النَّارِ
الَّذِينَ يَصْبِرُونَ فِي الْأَسْءَاءِ وَالضُّرَاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ .	الصَّابِرِينَ
الَّذِينَ يَصْدُقُونَ فِي قَوْلِهِمْ وَفِعْلِهِمْ .	الصَّادِقِينَ

شرحها	الألفاظ
المطيعين لله . الذين يؤدون الزكاة .	القانتين المنفقين
جمع سحر : وهو الوقت قبيل الصبح .	الأسماء

حمل المعنى

١ - قل يا محمد للذين زُيِّنَ لهم حب الشهوات من الأشياء التي ذكرت من قبل : أَوْعِلْمُكُم بخِيرٍ مَا زَيَّنَ لَكُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا؟ ثُمَّ أَخْبَرْهُمْ أَنَّهُ :

(أ) جنات تجري من تحتها الأنهر ، يخلد فيها من يدخلونها ، ولا يدخلها إلا المتقوون ، وهذه الجنات فيها مُتَّعٌ كثيرة ، خير من مُتَّعِ الدنيا .

(ب) وأزواج مطهرات من كل أذى يعترى النساء في الدنيا ، كالحيض والنفاس وغيرهما .

(ج) ورضا الله الذي لا يظفر به إلا من يعمل عملاً صالحًا ، يستحق عليه دخول الجنة ؛ والله الذي أعد للمتقين هذا كله ، يعرف من يخافه من عباده ويطيعه ، ويعرف من يفضل ما عنده على ما زين للناس في الدنيا ، ومن يؤثر ما زين للناس في الدنيا على ما أعدد الله في الآخرة ، ويجازى كلاماً على حسب عمله في الآخرة .

٢ - وهؤلاء المتقوون يقولون : يا ربنا ، إلينا آمنا بك ، وصدقنا نبيك ، وسيمعنا وأطعنا ، فاعف عننا ، وتجاوز عن سيئاتنا ، ونجنا من عذاب النار .

٣ - وهؤلاء المتقوون هم :

(١) الصابرون الذين يصبرون عن الشهوات ، ويصبرون في البأساء
والضراء وحين البأس .

(ب) والصادقون الذين صدقوا في قوتهم وفي فعلهم ، بالعمل بالأوامر ،
واجتناب النواهي .

(ح) والقانتون المطيعون ، الذين لا يتددون ولا يتلكثون .

(د) والمنفقون الذين يؤدون زكاة أموالهم ، في الحدود التي رسها الله ،
وينفقون شيئاً منها في وجوه الإنفاق التي بيّنها الله .

(هـ) والمستغفرون في أوقات السحر بالصلوة والدعاء .

(٦)

شَهِدَ اللَّهُ: أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَاعِدًا بِالْقِسْطِ،
 لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ . إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ،
 وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بِغَيْرِ
 يَدِهِمْ ، وَمَنْ يَكْفُرُ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ . فَإِنْ حَاجُوكُ
 فَقُلْ: أَسْلَمْتُ وَجْهِي لِلَّهِ وَمَنْ أَتَبَعَنِي ، وَقُلْ: لِلَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ
 وَالْأُمَمِينَ: أَأَسْلَمْتُمْ؟ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدْ اهْتَدَوْا ، وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا
 عَلَيْكَ الْبَلَاغُ ، وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ . إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ
 اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ بِغَيْرِ حَقٍّ ، وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ
 مِنَ النَّاسِ ، فَبَشِّرُهُمْ بِعِذَابٍ أَلِيمٍ . أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبَطْتُمْ أَعْمَالَهُمْ
 فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرٍ . أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ
 أَوْتُوا نَصِيبَهُمْ مِنَ الْكِتَابِ ، يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمُ
 بِيَمِنِهِمْ ، ثُمَّ يَتَوَلَّ فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ؟ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا:
 لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ ، وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا
 يَفْتَرُونَ . فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبٌ فِيهِ ، وَوُفِيتَ كُلُّ
 نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ ، وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ؟

شرح الألفاظ

شرحها	الألفاظ
علم فيّن قضى وحكم بالعدل .	شهد بالقسط
الذى لا يغالب .	العزيز
الذى لا يعدل عن الحق . الطاعة .	الحكيم الدين
الإيمان الصحيح والامتثال . اليهود والنصارى .	الإسلام الذين أوتوا الكتاب
الحق الذى لا محيد عنه . حسداً وحداً .	العلم بغياً بينهم
بحججه ودلائله .	بآيات الله
جادلوك جدال المغالطين والمزورين . خضعت لله ، وفوضت أمرى إليه ، وأخلصت نفسى له .	حاجوك أسلمت وجهى لله
سريع المحاسبة والمحازاة .	سريع الحساب
هم اليهود والنصارى ، والكتاب : هو التوراة والإنجيل . والذين لا كتاب لهم من مشركى العرب .	الذين أوتوا الكتاب والأميين
{ ليس عليك إلا تبليغ الرسالة ، ولن يضرك كفراهم شيئاً .	فإنما عليك البلاغ
ضاعت ، فلا ثواب لهم . هم أحبار اليهود .	حطت أعمالهم الذين أوتوا نصيباً من الكتاب

شرحها	الألفاظ
يطلب منهم الإيمان بالقرآن .	يدعوُنَ إلى كتاب الله
لن تصيبنا النار .	لن تمسنا النار
أياماً قليلة .	أياماً معدودات
وخدعهم .	وغرّهم
يَدَّ عَوْنَ يَكْذِبُونَ .	يُفترون
فكيف يكون حالُمَ .	فكيف
لا شَكَ فِيهِ .	لَا رِيبَ فِيهِ
وَلَاقْتَ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ .	وَوَفَيْتَ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ

حينما ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، أتاه حبران من أخبار أهل الشام ، فلما أبصرها المدينة ، قال أحدهما لصاحبه : ما أشبه هذه المدينة بصفة مدينة النبي الذي يخرج في آخر الزمان ! فلما دخل على النبي صلى الله عليه وسلم ، عرفاه بصفاته المذكورة في التوراة ، فقالا له : أنت محمد ؟ قال : نعم ، قالا : وأنت أَحْمَد ؟ قال : نعم ، قالا : نسألك عن شهادة ، فإن أنت أخبرتنا بها آمنا بك وصدقناك ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : سلام ، فقالا أخبرنا عن الأعظم شهادة في كتاب الله ، فأنزل الله عليه : « شهد الله أنه لا إله إلا هو وللملائكة وأولو العلم ، قائماً بالقسط » ، فأسلم الرجالان .

مجمل المعنى

١ - الله سبحانه وتعالى ، وللملائكة ، والعلماء من الناس - علموا وبيّنوا وحكموا أن الله واحد ، والله سبحانه وتعالى حين يشهد بذلك عادل بين خلقه ،

فلا شهادة بعد شهادته ، ولا يستحق العبادة غيره ، لأنه هو الواحد الذي لا شريك له ، فلا يمتنع عليه أى شيء يريد له ، ولا يختل شيء يدبره ، وفي هذا رد على ما يدعوه النصارى من بنوة عيسى ، وعلى ما يدعوه المشركون من وجود الشريك ، وإنما هو واحد ، يشهد بذلك هو وملائكته وعلماء الناس ، فلا يجوز بعد هذا جدل في وحدانيته .

٢ - إن الطاعة الحقيقة هي طاعة الله ، والانقياد له ، انقياد تذلل وخشوع ، بالألسنة والقلوب ، والذين أنفسوا الكتاب من اليهود والنصارى ، كانوا في أول أمرهم أمناء على دينهم ، فلما مضى بعض الزمن ، وتعلق الناس بالدنيا ، وقعت الفرقة بينهم ، وقاتل بعضهم بعضاً ، وتنكروا لدينهم ، ولم يكن ذلك منهم جهلا بال الدين ، ولكن حب السلطان غطى على بصائرهم ، فعموا عن حقيقة دينهم ، الذي ينبههم أن الله واحد ، وأن خاتم الأنبياء سيأتي بعد نبيهم ، وأن الذين ينكرون حجج الله ، وعلامات قدرته ووحدانيته ، ويکفرون به - فإن الله يحصي عليهم كل صغيرة وكبيرة ، ثم يحاسبهم ويجازيهم .

٣ - إذا جادلك النصارى واليهود بجادلة باطلة ، لا يقصدون فيها إلا المماحكة والمغالطة ، فلا يقتنعون مکابرة وعناداً - فأعرض عنهم ، وفرض أمرك أنت ومن اتبعك إلى الله ، وقل هؤلاء المجادلين ، سواء أكانوا كتابيين أم غير كتابيين: أسلموا ، فإن أطاعوك وأسلموا ، فقد اهتدوا ، ورضي الله عنهم ، وإن لم يُسلموا فإنما عليك أن تبلغ ما ينزل عليك ، بمحاولة إقناعهم ، ثم بمعاهدهم في الحدود التي يرسمها الله لك ، وهو بعد ذلك عالم بما عليه كل عبد من عبيده .

٤ - جاء جماعة من النبيين إلى بني إسرائيل ، يدعونهم إلى الله عز وجل ، فقتلوهم ، فقام من بعدهم جماعة من المؤمنين ، يدعونهم إلى الله أيضاً ،

فقتلواهم ، وفي هذا نزل قوله تعالى : « إن الذين يكفرون بآيات الله ، ويقتلون النبيين بغير حق الآية ، والمعنى : أن هؤلاء الذين لا يكتفون بعدم الإيمان ، والإصرار على الكفر والعصيان ، بل يتتجاوزون هذا إلى قتل أنبيائهم ، وقتل وعاظهم ونصحائهم — هؤلاء عذابهم عند الله عظيم ، فقد بطل ثواب أعمالهم في الدنيا والآخرة : أما في الدنيا فقد كانوا ضالّين فلعنهم الله ، وكشف أسرارهم على لسان أنبيائه والمؤمنين من خلقه ، وأما في الآخرة فيخلدهم في عذاب جهنم ، خلوداً لا يأخذ بيدهم فيه أحد ، ولا يخلصهم منه مخلص .

٥ - وأنكر جماعة من اليهود نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، وناقشوه في ذلك ، فحكم بينه وبينهم التوراة ، وهى كتابهم ، لأن صفتة فيها ، فأصرروا على إنكارها ، فهؤلاء الدين أتوا نصيباً من الكتاب ، وعلماء بحقيقة ما جاء فيه ، إذا دعوا إلى تحكيمه رفضوا وأعرضوا ، وانصرفوا عنه مستكبرين معاندين ، قائلين : إنهم لن يصيبهم العذاب إلا أيام قليلة ، مقدار عبادتهم العجل ، مغرين بما كانوا يختلقون من أكاذيب وأضاليل ، كادعائهم أنهم أبناء الله وأحباؤه ، وهؤلاء المعاندون ، ما أعظم ما يلقون يوم القيمة ! وما أشدّه وأمرّه عليهم ! إنه يوم الحساب ، يوم الثواب والعقاب ، إنهم سيلقون جزاءهم كما يلقى كل جزاءه : إن خيراً فخير ، وإن شرّاً فشر .

(٨)

قُلْ : اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ : تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ ، وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ
مِمَّنْ تَشَاءُ ، وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ ، وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ ؛ يَمْدِكَ أَخْيَرُ ، إِنَّكَ
عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . تُولِجُ الْلَّيْلَ فِي النَّهَارِ ، وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي
اللَّيْلِ ، وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ ، وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ،
وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ . لَا يَتَحَذَّرُ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ
أَوْ لِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ؛ وَمَنْ يَفْعُلُ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ
فِي شَيْءٍ ، إِلَّا أَنْ تَتَقَوَّلُوا مِنْهُمْ تُقَاهَةً ، وَيُحَذَّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ، وَإِلَى اللَّهِ
الْمَصِيرُ . قُلْ : إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبَدُّوْهُ يَعْلَمُهُ اللَّهُ
وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ، وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ .
يَوْمَ تَبْجُدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُخْضَرًا ، وَمَا عَمِلَتْ مِنْ
سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ يَدْنَهَا وَيَدْنَهُ أَمْدَأْ بَعِيدًا ، وَيُحَذَّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ،
وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ . قُلْ : إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي
يُحِبِّنِكُمُ اللَّهُ ، وَبَغْفِرَةٍ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ؛ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ . قُلْ :
أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ ، فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
مالك الملك	مالك كل شيء ، تتصرف في ملكك كما تشاء .
تؤني	تعطى .
تعزّ	تجعله يعلو ويقهر .
تولج الليل في النهار	{ تدخل الليل في النهار ، بنقص ساعات الليل وزيادة ساعات النهار .
وتولج النهار في الليل	{ تدخل النهار في الليل ، بنقص ساعات النهار وزيادة ساعات الليل .
الحي	ما فيه حياة ، من إنسان وحيوان ونبات .
الميت	{ الأصل الأول كالنطفة ، وهذا الأصل وإن كان فيه حياة ، فهي حياة لا تسبب حركة ، ولا تقدر على كسب مثلا ، فهو كالميت .
وتخرج الميت من الحي	{ أي أن الأصل الذي تدرج منه الحياة ، يخرج من الحي كالنطفة من الإنسان .
بغير حساب	من غير أن يعرفه الناس ، قبل أن يحصل في أيديهم .
أولياء	نصراء .
إلا أن تتقوا منهم تقاة	إلا إذا خفتموهם على أنفسكم أو أموالكم .
ويحذركم الله نفسه	ويخوفكم سخطه وغضبه .
المصير	المرجع .
أو تبدوه	أو تظهروه .
أمدأً بعيداً	مسافة بعيدة .

شرحها	الألفاظ
تفضلون طاعته .	تحبون الله
يرضى عنكم .	يحببكم الله
فإن أعرضوا ولم يطعوا .	فإن تولوا

ملك فارس والروم

لما فتح الله مكة ، وبشر النبي ﷺ أمهه بملك فارس والروم ، قال المنافقون واليهود :
هيئات هيئات ! من أين لحمد ملك فارس والروم ؟ هم أعز وأمنع من ذلك ؛
أم تكف محمداً مكة والمدينة ، حتى طمع في ملك فارس والروم ؟ فنزل : « قل
اللهم مالك الملك ... الآية .

جمل المعنى

١ - اللهم : أنت الذي تملك السموات والأرضين ، وما فيها وما بينها ، وتملك
ما وراءهما إن كان وراءهما عالم آخر ، وتملك هذا كله ملك القادر
المتصف ، فتمنحه من تشاء من عبادك وتعزه بذلك الملح ، وتحرمه من
تشاء ، فتذله بذلك الحرام ، وكل شيء في يدك تصرفه على أى وجه
تشاء . فأنت قادر لا يعجزك شيء في الأرض ولا في السماء .

٢ - ومن دلائل قدرته سبحانه وتعالى ، أنه يدخل الليل والنهار كلاً منها في
الآخر ، فنجد هذا يطول ، وذاك يقصر ، ثم تدور الأيام دورتها ،
ويقصر ما كان يطول ، ويطول ما كان يقصر ، أو يدخل وقت أحدهما
في وقت الآخر ، فيكون ليلاً في مصر ونهاراً في أمريكا ، وفي هذا دليل
على كُبرِيَّة الأرض ، وكذلك يخرج الله من الميت حيّاً ، ومن الحي

ميتاً ، فالإنسان والحيوان والنبات يخرج كل منها من أصل ، هو نطفة أو بيضة أو بذرة أو نحوها ، والنطفة والبيضة وطأة النخلة مثلاً ، في كل منها حياة ، ولكنها حياة كامنة خفية ، ولا بد لإخراج النوع الذي تخرجه من تزاوج بين ماءين أو عنصرين ، وإلا فإنها حياة كالعدم ، لا تتبع ولا تحدث نمواً ، فهي والمية سواء .

والله الذي هذه قدرته ، ليس كثيراً عليه أن يؤتي الملك من يشاء إعزازاً له ، وأن يتزععه من يشاء إذلالاً له ، وأن يعطي ويحرم ، من غير أن يعرف الناس : أهؤهم المعطى ، وأهؤهم المحروم ، إلا بعد أن يقع الإعطاء والحرمان .

٣ - ينوي الله بعد ذلك كله أن يتخد المؤمنون نصراء لهم من الكافرين ، يفضلونهم على إخوانهم المؤمنين ، ويحدرونهم هذا ، ويصف الذى يفعله بأنه ليس من حزب الله ، ولا من أوليائه ، وليس ذلك النهى على إطلاقه ، بل إنه إذا كان من حسن السياسة أن تتخذ لك نصيراً من الكافرين ، بغية الحصول على أمر ينفعك في دينك أو علمك أو حياتك ، فلا بأس بالاستعانة بهم ، وكذلك إذا كنت تخافهم على نفسك أو مالك أو أمتك ؛ والذين يسرفون في موالاة الكافرين من غير حاجة إلى تلك الموالاة ، كجلب نعم أو دفع ضرر، يعرضون أنفسهم لغضب الله وسخطه ، ومرجع الكل إليه ، وحسابه عنده .

٤ - الله سبحانه وتعالى عالم بمحابي الأمور ، وما يجري في الضمائر والصدور ، لا يغيب عنه شيء ، ولا يخفى عليه ، عالم الغيب والشهادة ، قادر لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء .

٥ - وفي يوم القيمة ، يجد الإنسان أمامه كل ما عمله من خير وشر ، أما الخير فيفرح به ويسر له ، لأنه سيثاب عليه ، وأما الشر فيود أن يبعد الله عنه

وبينه ، وألا يعاقبه عليه ، ومؤاخذة الله شديدة ، وعقابه أليم ، ومع ذلك
فهو رءوف رحيم ، ولو لا رأفته ورحمته ، وحبه الخير للناس كافة ، لما نهَاهم
وحذرهم وأنذرهم .

٦ - ومحبة العبد لربه ، تكون بطاعته ، واتباع أوامره ، واجتناب نواهيه ،
ومحبة الله لعبد ، تكون بتوفيقه ، وهدايته ، والرغفة له ، والتتجاوز عن
ذنبه الذي يتوب عنه ؛ فالذي يحب الله ، يجب عليه أن يطيع نبيه ،
فيحبه الله ، ويغفر له ذنبه .

٧ - وإن دُعِيَ الناس إلى طاعة الله ، وطاعة الرسول ، فلم يطاعوا ، وبقوا
على كفرهم ، فإن الله لا يرضى فعلهم ، ولا يغفر لهم .

(٨)

إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ . ذُرْيَةَ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ ، وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ . إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ : رَبُّنَا إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا ، فَتَقَبَّلَ مِنِّي ؛ إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ . فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ : رَبُّنَا وَضَعَتْهَا أُنْشَى ؛ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ ، وَلَيْسَ اللَّهُ كُوْكُلْأَنْشَى ، وَإِنِّي وَضَعَتْهَا مَرِيمَ ، وَإِنِّي أَعِيذُهَا بِكَ وَذُرْيَتْهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ . فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ ، وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا ، وَكَفَلَهَا زَكْرِيَاً ، كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكْرِيَاً الْمِغْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا ، قَالَ : يَا مَرِيمَ ، أَنَّى لَكِ هَذَا ؟ قَالَتْ : هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ، إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
اصطفى	اختار
عمران	{ عمران الأول أبو موسى وهرون ، أو عمران الثاني أبو مريم ، فهو جد عيسى لأمه .

شرحها	الألفاظ
متسلسل بعضها من بعض .	بعضها من بعض
أم مريم وجلدة عيسى .	امرأة عمران
أوجبت ووهبت .	نذر
أتركه حرّاً لخدمة بيت المقدس .	حرّاً
أجيرها .	أعiedها
المرجوم ، الملعون ، المطرود .	الرجيم
فتلقاها ربهما لقاء طيباً .	فتقبّلها ربها بقبول حسن
وأنشأها تنشئة طيبة .	وأنشأها نباتاً حسناً
وجعله ضامناً لها ، راعياً لشئونها .	وكفلّها زكريا
المكان الذي أقيمت فيه مريم .	المحراب
من أين لك هذا الرزق ؟	أنى لك هذا

السيدة مريم

عمران الثاني رجل من علماء بنى إسرائيل ، حملت زوجته العقيم على كبر ، فنذررت ما في بطنه من الحمل لخدمة الهيكل ، ظانة أنه سيكون ولداً ، لأن الهيكل لا يقوم بخدمته إلا الذكور ، فلما ولدت وجدت المولود أنثى ، فتحيرت واعتذررت لله من أنها وضعت أنثى ، وسألته أن يحفظها من كل سوء ، وسمتها مريم ، ومعناها : العابدة .

رضي الله عن هذه المولودة ، وأحسن قبواها ، فإنها لم يكن لها كافل يكفلها ، لوفاة أبيها ، فذهبت بها أمها إلى رعاية الهيكل ، فكلّهم أحب أن يكفلها ، واختلقو فيما بينهم ، ثم أجروا قرعة ، فكانت من حظ زوج خالتها ،

وكان اسمه زكريا ، وكان ذلك بأنهم ذهروا إلى نهر ، وألقوا فيه قداحهم ، فطضا قدح زكريا ، وغرقت قداحهم ، فضمت إليه .

وكان زكريا كلما تردد على مريم وهي في المحراب ، وجد عندها طعاماً لم يحضره إليها ، ولم يكن الوقت الذي كان يرى فيه هذا الطعام أواناً لظهوره ، فكان يجد في الصيف فاكهة الشتاء ، ويجد في الشتاء فاكهة الصيف ، فيعجب لهذا ، ويسأله عن مصدره فتقول : هو من عند الله ، الذي يرزق الناس بلا حساب .

وإن ملائكة الله تعالى كانت تتردد على مريم ، وتبشرها أن الله اصطفاها ، وفضلها على نساء العالمين ، وطهرها من كل رجس ودنس ، وتحتها على أن تستمر في عبادتها وتوصيلها وقوتها .

وهكذا كانت السيدة مريم أظهر نساء زمانها ، وأبعدهن عن الفحش ، وأقربهن من الله

مجمل المعنى

١ - اختار الله آدم ونوحًا عليهما السلام ، ليبلغا رسالته إلى الناس ، واختار آل إبراهيم وآل عمران لهذا الغرض السامي ، ومن آل إبراهيم محمد عليه الصلوة والسلام ، ومن آل عمران موسى وهارون ، أو عيسى وأمه مريم ، فحملهم رسالته إلى الخلق ، فهم عنده أفضل خلقه جيئاً .

٢ - وهؤلاء جميعاً يرجعون إلى أصل واحد ، وتكاثر هذا الأصل بالتوالد والتناسل ، ولكن الله الذي يسمع ما يقولون ، ويعلم ما يفعلون ، يفضل بينهم ، ويصطفي خيرهم قولاً وفعلاً .

٣ - وما سمعه الله وعلمه قول امرأة عمران : يا ربى : إنى وهبت لك هذا الجنين الذى في بطنى ليخدم في بيت المقدس ، هبة مطلقة من كل قيد ، لا سلطان لي عليه ، فلا أطالبه بشيء ، ولا أكلفه حاجة لي ، وسألته أن يستجيب دعاءها ، فهو السامع لقوها ، العالم بنيتها .

٤ - ولا وضعت امرأة عمران طفلها ، وجدته أنثى ، وكان من عادتهم أنهم لا يهبون للهيكل إلا الذكور ، فاغتممت وحارت في أمرها ، ولكن الله يعلم حسن قصدها ، فلعل في ذلك خيراً لا تعرفه ، وسرّاً لا تدركه ، ثم سنتها مريم ، ودعت لها أن يحفظها الله ، ويحفظ ذريتها من الشيطان الملعون ، المطرود من رحمة الله ، إن قدرَ أن يكون لها ذرية .

٥ - قبل الله نذر امرأة عمران ، وإن لم يكن ذكرًا ، وأرسلت إلى الهيكل وهي صبية ، ونشأت نشأة طاهرة مباركة ، وكفلها أحد الأخبار ، وهو زكريا ، وتولى تربيتها ورعايتها ، وكان كلما ذهب إليها في محاجتها ليطمئن عليها ، وجد عندها طعاماً لا عهد له بوجوده في ذلك الوقت ، وليس ميسوراً لهم أن يحضروه ، فيسألها عن مصدره ، فتقول : هو من عند الله ، الذي يرزق من يشاء أن يرزقه من غير حساب .

(٩)

هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَا رَبَّهُ، قَالَ: رَبُّ، هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً
طَيِّبَةً، إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ. فَنَادَهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي
فِي الْمِحْرَابِ: أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى، مُصَدِّقًا بِكَلِمَةِ مِنَ اللَّهِ،
وَسَيِّدًا وَحَصُورًا، وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ. قَالَ: رَبُّ، أَنِّي يَكُونُ لِي
غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِي الْكِبَرُ وَأَمْرَأٌ عَاقِرٌ؟ قَالَ: كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ
مَا يَشَاءُ. قَالَ: رَبُّ، اجْعَلْ لِي آيَةً، قَالَ: آيَتُكَ أَلَا تُكَلِّمُ النَّاسَ
ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا، وَإِذْ كُرِّرَ رَبُّكَ كَثِيرًا، وَسَبْعَ بِالْعِشِّيِّ
وَالْإِبْسَارِ.

شرح الألفاظ

شرحها	الألفاظ
من عندك .	من لدنك
نَسْلا صَالِحًا .	ذُرِّيَّة طَيِّبَة
مقدم المسجد .	الْمَحَرَاب
بِأَمْرِ اللَّهِ، وَبِشَارَةٍ .	بِكَلِمَةِ اللَّهِ
وَشَرِيفًا فِي قَوْمِهِ .	وَسَيِّدًا

شرحها	الألفاظ
ومبالغًا في حبس النفس ، وحرمانها منع الحياة الدنيا . أستبعد أن يكون لي ولد . لا تلد .	وحصورةً أن يكون لي غلام عاقر
اجعل لي عالمة أعرف بها أن امرأة حملت . ألا تقدر على تكاليمهم . إلا إشارة بيد أو رأس أو نحوهما . ما بعد الظهر إلى الغروب . ما بعد الفجر إلى الضحا .	اجعل لي آية ألا تكلم الناس إلا رمزاً العشى الإبكار

مولد يحيى

كان زكرياء أبو يحيى أحد الأئمّة الذين يقومون بخدمة الهيكل ، وهو الذي كفل مريم على ما مرّ ، وكان زوجاً لخالتها ؛ فلما رأى زكرياء أن الله أكرم مريم ورزقها من حيث لا تحتسب ، ووسع عليها — طمع في عفو الله ورضاه وخاصة أنه كان يخاف على بنى إسرائيل من بعده أن يُبْتَلَوَا بمواليه من بعده ، فيسيروا إليهم ، ويؤذوهم ؛ وموالى زكرياء هم أفارقه ، وبنوا أحمامه ، فإنه كان يخشى أن يضيعوا دينه من بعده ، ولا سيما أنه كان يرى بعينه إهمامهم شؤون دينهم ، وعدم اكتراهم بأوامر ربهم ، وقسوتهم على المستضعفين من أتباعه .

وعلى الرغم من أنه كبرت سنه ، وشاب رأسه ، وأن امرأته كانت عاقراً لاتلد ، فإنه سأله الله أن يهب له ولداً صالحًا ، ليخرج من الدنيا راضياً ، مطمئناً على قومه من بعده .

وبينا كان يصلى يوماً في المحراب ، نادته الملائكة ، وأخبرته أن الله استجاب دعاءه وأن زوجته ستتحمل ، وستلد ولداً ، وسيسميه يحيى ، وسيكون يحيى هذا من صفاته كذا وكذا ، كما سيأتي .

تعجب زكريا من ذلك ، واستكثر أن يحدث مع ما بلغ من السن ، ومع عقم امرأته ، فقيل له : الله يخلق ما يشاء ، ولأجل أن يطمئن قلبه ، طلب علامه يستدل بها على أن هذا كله سيكون ، فأعلمته الله أن العلامة ، هي أنه سيعجز عن التكلم مع الناس ثلاثة أيام ، ولا يستطيع أن يتفهم معهم إلا بالإشارة .

حمل المعنى

١ - لما رأى زكريا إكرام الله لمريم ، دعاه أن يرزقه ذرية طيبة ، فهو مجيب لمن يدعوه .

٢ - نادت الملائكة زكريا حينما كان قائماً في المحراب للصلوة ، وأخبرته أن الله استجاب لدعائه ، وأنهم يبشرونه بغلام اسمه يحيى ، ويحيى هذا سيؤمن بكتاب الله ، وسيكون رئيساً يسود قومه ويفوقهم في الشرف ، لا يهم بمعصية ، وبهالغاً في حصر نفسه ، وحرمانها التمتع بلذات الحياة الدنيا وشهواتها وملاهيها ، فلا يستمتع بالنساء ، ولا بغيرهن من ألوان المُتع ، مع قدرته على ذلك ، وسيكون رسولاً إلى قومه ، يعرفهم أمر ربه ونبهه ، وحلاله وحرامه .

٣ - تعجب زكريا من ذلك واستبعده ، لأنه رجل بلغ من الكبر عِتِيًّا ، ولأن امرأته عقيم ، لم تلد أيام شبابها ، فقيل له : هكذا أراد الله ، وهو يفعل ما يشاء .

٤ - سأله الله أن يجعل له عالمة يعرف بها أن زوجته حملت ، فأخبره الله أن العالمة التي يعرف بها ذلك ، هي أنه لن يقدر على مخاطبة الناس ، والتتفاهم

معهم ، إلا بالإشارة باليد أو العين أو هز الرأس ، أو نحو ذلك ، ويستمر على ذلك ثلاثة أيام ، وفي هذا دليل على قدرة الله الذي استطاع أن يحبس لسانه عن الكلام ، مع قدرته على التكلم .

وأمره الله أن يذكره كثيراً طول هذه الأيام الثلاثة ، ويكثر التسبيح في الصباح المبكر ، وفي المساء ، لأنه مع عدم قدرته على التحدث إلى الناس ، قادر على العبادة والتسبيح .

(١٠)

وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ : يَا مَرْيَمُ ، إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَرَكِ
وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ . يَا مَرْيَمُ ، اقْنُتِي لِرَبِّكِ ، وَاسْجُدْيِي ،
وَارْكُعْيِي مَعَ الرَّأْكَعِينَ . ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ تُوحِيهِ إِلَيْكَ ،
وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقَوْنَ أَقْلَامَهُمْ : أَيُّهُمْ يَكْسِفُ مَرْيَمَ ،
وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ . إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ : يَا مَرْيَمُ ،
إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ ، اسْمُهُ : الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ، وَجِئْهَا
فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ، وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ . وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ
وَكَهْلًا ، وَمِنَ الصَّالِحِينَ . قَالَتْ : رَبِّي يَكُونُ لِي ولَدًا ، وَلَمْ
يَمْسَسْنِي بَشَرٌ ! قَالَ : كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ، إِذَا قَضَى أَمْرًا
فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ : كُنْ ، فَيَكُونُ .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
اصطفاك	اختارك ، وحصلك بالقبول الحسن في الميكل .
واصطفاك	وهداك وأرسل إليك ملائكته .

شرحها	الألفاظ
استمرى على خضوعك لله ، وداوى على طاعته . وصلى .	اقنـى واسجدى
من قصص السابقين التي لا يعرف حقيقتها أحد . قد احـمـلـهـمـ لـلـاقـتـارـاعـ فـيـ قـصـةـ مـرـيمـ السـابـقـةـ . يـتـنـاسـفـوـنـ فـيـ شـأـنـ كـفـالـةـ مـرـيمـ .	منـ أـنـبـاءـ الغـيـبـ أـقـلـامـهـمـ يـخـتـصـمـونـ
يـبـشـرـكـ بـبـيـشـارـةـ ،ـ وـهـيـ أـنـ تـلـدـيـ مـوـلـودـاـ أـسـمـهـ عـيـسـىـ . لـقـبـ سـيـدـنـاـ عـيـسـىـ عـلـيـهـ السـلـامـ ،ـ وـهـوـ مـنـ الـأـلـقـابـ الـمـمـدـوحـةـ ،ـ كـالـأـمـيـنـ ،ـ وـالـصـدـيقـ ،ـ وـالـفـارـوقـ ،ـ (ـوـعـنـيـ المـسـيـحـ :ـ الـمـبـارـكـ .	يـبـشـرـكـ بـكـلـمـةـ مـنـهـ الـمـسـيـحـ
صـاحـبـ جـاهـ وـقـدـرـ فـيـ الدـنـيـاـ بـالـنـبـوـةـ . وـفـيـ الـآـخـرـةـ بـالـدـرـجـةـ الـعـالـيـةـ .	وـجـيـهـاـ فـيـ الدـنـيـاـ وـالـآـخـرـةـ
(ـوـهـوـ صـبـىـ ،ـ حـيـثـ لـاـ يـمـكـنـ مـثـلـهـ أـنـ يـتـكـلـمـ ،ـ وـالـمـهـدـ :ـ) فـرـاشـ الصـبـىـ .	فـيـ الـمـهـدـ
(ـوـرـجـلـاـ اـخـتـلـطـ سـوـادـ شـعـرـهـ بـعـيـاضـهـ ،ـ وـلـرـادـ :ـ أـنـ) كـلـامـهـ فـيـ الـحـالـيـنـ لـهـ قـيـمـتـهـ وـقـدـرـهـ .	وـكـهـلاـ
كـيـفـ يـكـوـنـ لـيـ وـلـدـ مـنـ غـيـرـ أـنـ أـتـزـوـجـ ؟ـ وـلـمـ أـتـزـوـجـ .	أـنـّـيـ يـكـوـنـ لـيـ وـلـدـ وـلـمـ يـمـسـسـنـيـ بـشـرـ

مولـدـ عـيـسـىـ عـلـيـهـ السـلـامـ

بلغت مريم مبلغ النساء ، وكانت ذات يوم في محاربها ، فهبط عليها جبريل عليه السلام ، فارتاعت وفزعـتـ ، وظنتـ أنهـ بـشـرـ يـرـيدـ بـهـ سـوـءـاـ ، فاستعاـذـتـ باللهـ منهـ ، فأخـبـرـهـاـ أـنـ اللهـ تـعـالـىـ أـسـلـهـ إـلـيـهاـ ،ـ لـيـشـرـهـاـ بـغـلامـ زـكـىـ ،ـ يـكـونـ لـهـ شـأـنـ ،ـ

فاستبعدت ذلك ، لأنها عذراء لم تتزوج ، وهي ناشئة على الطهر والغفاف ، فلم يمسها بشر ، فهو نجرايل عليها الأمر ، وذكرها بقدرة الله تعالى ، وأنه قادر على أن يخلق ما يشاء على أي طريقة شاء ، لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء ، ثم نفح في جيب درعها ، فإذا بها حامل بعيسى ، ثم ولدته على ما سيأتي تفصيله في آيات أخرى .

مجمل المعنى

١ - بعد أن ذكر الله قصة امرأة عمران ، أخذ يذكر قصة مريم ، بأن الملائكة نزلوا عليها ، وأخبروها أن الله اختارها حين تقبّلها من أمها ، وكان لا يقبل في الميكل إلا الصبيان ، وخصها بالكرامة ، ويسّر لها رزقها من غير مسعى ، وظهرها مما يصيب النساء مثيلاتها من المستقدرات ، كالحيض ونحوه ، وخصها أيضاً بالهدایة ، وإرسال الملائكة ، ورزقها الولد من غير أب ، وتتكلّم ابنها في المهد ، مما جعلها وابنها آية للعالمين ، وأمرها الله بالصلوة مع من يصلّون في بيت المقدس .

٢ - هذا الذي سبق كله من ذكر قصص زكريا ويحيى ومريم ، من الأمور الغيبة التي لا يعرفها الناس على حقيقتها ، ولكننا عرفناك بها يا محمد بالوحى صحيحة كما وقعت ، وإنما فنّ أين لك معرفة ما جرى من الاقتراع بين الأحبار على كفالة مريم ، حين تخاصموا فيها بينهم ؟ وأراد كل منهم أن يكون كافلاً لها .

٣ - وحينما نزلت الملائكة على مريم ، قالت لها : إن الله يُبشرك بأنك ستلدرين غلاماً اسمه عيسى ، ولقبه المسيح ، وسيكون عيسى وجيهًا في الدنيا بالنبوة ، وفي الآخرة بالشفاعة ، وهو قريب من الله ، رفيع الدرجة عنده .

٤ - وعيسى هذا سيكلم الناس وهو طفل ، كما يكلمههم وهو كهل ، من غير تفاوت بين كلامه في هاتين الحالتين .

٥ - تعجبت مريم من ذلك ، كما تعجب زكريا من قبل ، واستبعدت أن يكون لها ولد ، وهى لم تتزوج ، ولم تخالط رجلا ، فقال لها الملك : هكذا قضى الله الذى يستطيع أن يخلق ما يريد ، وكل شيء يريد لابد أن يقع بمجرد أمره .

(١١)

وَيَعْلَمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ، وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ، وَرَسُولًا
إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ، أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةً مِنْ رَبِّكُمْ: أَنِّي أَخْلُقُ
كُمْ مِنَ الطَّينِ كَهْيَةَ الطَّينِ، فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا يَأْذِنُ اللَّهُ،
وَأَبْرِئُهُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ، وَأُخْرِي الْمَوْتَىٰ يَأْذِنُ اللَّهُ، وَأَنْبِئُكُمْ
بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخَرُونَ فِي يَوْمِ تِسْكُنُمْ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً
لَكُمْ، إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ. وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيِّي مِنَ التَّوْرَاةِ،
وَلَا حِلٌّ لَكُمْ بَعْضَ الدِّيْنِ حُرِّمَ عَلَيْكُمْ، وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ
رَبِّكُمْ، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ، إِنَّ اللَّهَ رَبُّ وَرَبِّكُمْ فَاعْبُدُوهُ،
هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ. فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفَّارَ، قَالَ:
مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ؟ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ: نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ، آمَنَّا بِاللَّهِ،
وَاشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ. رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ، وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ،
فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ. وَمَسَكَرُوا وَمَسَكَرُ اللَّهُ، وَاللَّهُ خَيْرُ
الْمَا كَرِينَ. إِذْ قَالَ اللَّهُ: يَا عِيسَى، إِنِّي مُتَوَفِّيكَ، وَرَافِعُكَ إِلَيَّ،
وَمُظْهِرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا، وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ

كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ؛ مُمَّ إِلَى مَرْجِعِكُمْ، فَأَخْكُمُ يَنْكُمْ
فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ . فَإِنَّمَا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأَعْذَبْهُمْ عَذَابًا
شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرٍ . وَإِنَّمَا الَّذِينَ
آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفَّى لَهُمْ أَجُورُهُمْ، وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ
الظَّالِمِينَ . ذَلِكَ تَشْهُدُهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَاللَّهُ أَكْرَمُ
الْحَكِيمِ .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
الكتاب	كتب الله ، أو الكتابة .
والحكمة	والعلم ، وحسن الفهم .
ورسولا	ويجعله رسولا .
بآية من ربكم	بعلامات تدل على صدق نبوتي وهي المعجزات .
كهيئة الطير	على صورة الطير .
بإذن الله	بأمره وقدرته .
الأكمه	الذى ولد أعمى .
الأبرص	الذى به بياض في جسده من داء البرص .
إن في ذلك لآية	إن فيها تقدم من المعجزات لدليلًا على صدقه ونبيته .
بعض الذي حرم عليكم	بعض ما حرم عليكم في شريعة موسى عليه السلام .
هذا صراط مستقيم	هذا طريق مستقيم ، يوصل صاحبه إلى الجنة .

الألفاظ	شرحها
أحسن عيسى منهم الكفر	علم علم اليقين أنهم مصرون على كفرهم .
الحواريون	هم خاصة الرجل وأصفياوه وأنصاره، جمع حواري .
أنصار الله	أعون نبيه ودينه .
مع الشاهدين	الذين يشهدون لك بالوحدانية .
ومكر الله	أبطل تدبيرهم .
خير الماكرين	أقوى المعاقبين على الكفر .
متوفيك	موفيك أجلك في الدنيا، ومانعك منهم فلا يقتلونك .
ورافعك إلى	ورافع قدرك إلى مكان على .
ومظهرك من الذين كفروا	منقذك من جوارهم السيء ، ومن نيتهم الخبيثة .
فوق الذين كفروا	فوق الكفار باللحجة أو بالسيف .
ذلك نتلوه	{ ما تقدم من أمر عيسى وأمه ، وذكر يا ويحيى ،
	{ نقصه عليك يا محمد .
الذكر الحكيم	القرآن الكريم .

مجمل المعنى

١ — الله سبحانه وتعالى أرسل عيسى بعد أن علمه العلم الصحيح الذي في التوراة والإنجيل ، ووهب له الفهم والإدراك ، وما علمه : الحكمة التي عرف بها الحلال والحرام ، وميز بينهما ، كما أنه جعله رسولا إلى بني إسرائيل .

٢ — ثم جرت على يده معجزات خوارق هي :

(١) أنه صنع من الطين صورة طائر ، ثم نفخ فيه ، فكان طائراً فيه مقومات الحياة

- (ب) وأبرا الأكمه من عمامه ، وجعله يبصر .
- (ج) وأبرا الأبرص من برصه ، وكان ذلك مستعضاً
- (د) وأحيا الموتى بقدرة الله الذى لا يعجزه شيء
- (هـ) وأخبرهم بما أكلوا و بما ادخلوا ، فكان يقول : يا فلان ، أكلت كذا ، ويا فلان ، أنت مدخر كذا .
- وف هذا كله دلائل قاطعة لذى القلب السليم ، والعقل الحكيم ، والسريرة الندية ، على نبوته .
- ٣ — وقال لقومه : جئتم بهذه الآيات كلها ، وجئتم مصدقاً لما جاء في التوراة ، ولأنخفق عنكم بعض الحدود الشديدة عليكم ، بتحليل بعض الحرمات كالسمك ، والعمل يوم السبت ، رحمة بكم .
- هذه كلها آيات من عند الله ، فاتقواه ، ولا تكنبوني ، ولا تختلفوا علىَّ .
- ٤ — ويدعوهم إلى عبادة الله ، ربهم وربيه ، وهذا هو الطريق المستقيم ، الذي يصل صاحبه إلى الجنة .
- ٥ — ولما تحقق عيسى عناد قومه ومكابرهم ، وإصرارهم على الكفر ، أراد أن يميز بينهم أنصاره ، فسأل : من يعيينى على نصرة دين الله ؟ فأجابه أصفياؤه وخلاقائه ، وكانوا ثانية عشر رجلاً : نحن أنصار الله المؤمنين به ، المخلصون لدينه ، فاشهد لنا يوم القيمة ، يوم يشهد الرسل لمن آمنوا بهم .
- ٦ — وسائلوا الله سبحانه وتعالى أن يكتبهم مع الذين شهدوا بوحدانيته ، وأفروا بربوبيته ، واتبعوا رسليه .
- ٧ — هؤلاء اليهود الذين لم يؤمنوا بعيسى ، أرادوا أن يمكروا به ، ويقتلوه غيلة ، ليتخلصوا منه ، فأفسد الله عليهم مكرهم ، بأن خلص عيسى منهم ،

وأعلى منزلته ورفع شأنه ، والله مجاز لهم على مكرهم ، ومؤاخذهم مؤاخذة شديدة على سوء تدبيرهم .

٨ - وكان تدبير الله تعالى أن قال ليعسى عليه السلام : إني مستوف أجلك ، ومؤخرك إلى الوقت الذي قدرت فيه وفاتك ، ومحلصتك من مكر اليهود ، ومحاولة قتلهم إليك ، ورافع قدرك ، ومنجيك من سوء قصدهم ، وشرهم الذي بيته لك ، وسيكون لتابعيك الغلبة على الذين كفروا بك إلى يوم القيمة ، بالحجارة عند الجدار ، وبالسيف عند القتال ، وكلكم راجعون إلى ، فأحكم فيما بينكم من خلاف .

٩ - والحكم يكون بالعذاب الشديد للكافرين ، وبنحو المؤمنين ما يستحقونه من ثواب نظير إيمانهم .

١٠ - هذه الأخبار التي ساقها الله كلها عن عيسى وأمه ، وأم أمه ، وعن زكرياء وأمرأته ، وابنه يحيى ، وعن اليهود ، والخواريين - يقصها الله عليك يا محمد ، بلسان جبريل ، ليطلع عليها قومك ، للعظة والاعتبار ، ولتكون حجة على وفد نجران ، الذي أتي لخاصمتك ومحاجتك ، فأصر واستكبر وعاند ، وكذب بالحق الذي أنزلته عليك .

(١٢)

إِنَّ مَثْلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثْلِ آدَمَ : خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : كُنْ ، فَيَكُونُ . الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ ، فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ . فَمَنْ حَاجَكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ، فَقُلْ : تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ ، وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ ، وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ، ثُمَّ نَبْتَهِلُ فَنَجْعَلُ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ . إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ ، وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ ، وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ . إِنْ تَوَلَّوْا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ .

شرح الألفاظ

شرحها	الألفاظ
إن شأن عيسى وحاله في الولادة من غير أب . كن بشراً .	إن مثل عيسى كن
الشاكرين . فن جادلك في عيسى .	المتررين فمن حاجتك فيه
من الدلائل الواضحة القوية ، التي يحصل بها العلم . (نباهل : نتلاعن ، أى يقول كل منا : لعنة الله على الكاذب منا ومنكم .	من العلم نباهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين
إن الذى قصصناه عليك من قصة عيسى .	إن هذا

دُعْوَةٌ وَفِدْ نَجْرَانَ إِلَى الْمَبَاهِلَةِ

قابل وفد نجران النبي صلى الله عليه وسلم ، فدعاهم إلى المباهلة : «الملاعنة» بعد المناقشة التي دارت بينه وبينهم ، على ما ورد في أول السورة ، فقالوا : يا أبا القاسم : دعنا ننظر في أمرنا ، ثم نأتك بما تريده أن نفعل فيما دعوتنا إليه ، وانصرفوا ، ثم قال لهم صاحب الرأي فيهم ومستشارهم : والله لقد عرفتم يا عشر النصارى أن محمداً نبي مرسى ، ولقد جاءكم بالفصل من خبر أصحابكم ، وما باهـلـ قومـ قـطـ نـبـيـاـ فـعاـشـ كـبـيرـهـ ، ولـنـبـتـ صـغـيرـهـ ، ولـئـنـ فعلـتـ لـهـلـكـنـ . فإنـ أـبـيـمـ إـلـاـ إـلـفـ دـيـنـكـ ، فـالـإـقـامـةـ عـلـىـ ماـ أـنـتـ عـلـيـهـ مـنـ القـوـلـ فيـ صـاحـبـكـ ؛ فـوـادـ عـوـاـ الرـجـلـ . وـانـصـرـفـواـ إـلـىـ بـلـادـكـ ، فـأـتـوـاـ رـسـوـلـ اللهـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ ، وـقـدـ غـدـاـ مـحـضـنـاـ لـلـحـسـنـ ، آـخـذـاـ بـيـدـ الـحـسـنـ ، وـفـاطـمـةـ تـمـشـيـ خـلـفـهـ ، وـعـلـىـ خـلـفـهـاـ ، وـهـوـ يـقـولـ : إـذـاـ أـنـاـ دـعـوـتـ فـأـمـسـنـوـ . فـقـالـ أـسـقـفـ نـجـرـانـ : يا عشر النصارى ، إنـ لـأـرـىـ وـجـوـهـاـ لـوـ سـأـلـوـ اللهـ أـنـ يـزـيلـ جـبـلاـ مـنـ مـكـانـهـ لـأـزـالـهـ بـهـ ، فـلـاتـبـاهـلـواـ فـهـلـكـواـ ، وـلـاـ يـبـقـيـ عـلـىـ وـجـهـ الـأـرـضـ نـصـرـانـيـ ، فـقـالـواـ : يا أـبـاـ القـاسـمـ ، رـأـيـنـاـ أـلـاـ نـبـاهـلـكـ ، فـصـالـحـهـمـ النـبـيـ عـلـىـ أـلـفـيـ حـلـةـ كـلـ سـنـةـ : أـلـفـ فيـ صـفـرـ ، وـأـلـفـ فيـ رـجـبـ .

مِحْمَلُ الْمَعْنَى

١ - قال وفد نجران لمحمد صلى الله عليه وسلم : ما شأنك تذكر أصحابنا ؟
قال : من هو ؟ قالوا : عيسى ، ترجم أنه عبد الله ، فقال محمد : أجل ،
إنه عبد الله ، وكلمه ألقاها إلى مريم ، وروح منه ، قالوا له : فهل رأيت
مثل عيسى ، أو أنيشت به ؟ إن كنت صادقاً فأرنا عبداً يحيي الموتى ، ويرى

الأكمه والأبرص ، ويخلق من الطين كهيئة الطير ، ثم ينفع فيه فيكون طيرا ، لكنه الله ؛ ي يريدون أن عيسى هو الله ، فنزلت الآية : « إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم ... » إلى آخر الآية ؛ والمعنى : أن شبيه عيسى في خلقي إيه من غير أب ، كشبة آدم في خلقي إيه من غير أب ولا أم ، وال قادر على الخلق من غير أب ولا أم ، أقدر على الخلق من غير أب فقط ، وبهذا أمرت ، وأمرت إذا قلت لشئ : كن - كان ؛ فقلت لآدم : كن من تراب فكان ، وقلت لعيسى : كن من غير أب فكان ؛ والذى أنبأتك به يا محمد من أمر عيسى ، هو الحق الذى لا مراء فيه .

٢ - وإذا جادلك أحد في أن عيسى عبد الله ، وكلمته ألقاها إلى مريم ، وروح منه ، فادعه إلى المبالةة : الملاعنة ، وليحضر كل من الطرفين أعز الناس عليه ، وهم أبناءه ونساؤه ، ليصيّبهم من اللعنة مثل الذي يصيّبه ، ولعنة الله لا تصيب إلا الكاذبين .

٣ - وإن هذا الذى أخبرتك به من أمر عيسى ، وقصصته عليك ، هو الحق ، فهو عبدى ورسولى ، وهو كلمتى ألقاها إلى مريم ، وهو روح منى ، فليس ابني كما زعموا ، لأن الله واحد لا شريك له ، وهو الذى تجب عبادته دون سواه ، وهو عزيز في انتقامه من الذين يعصونه ، ولا يؤمنون بوحدانيته ، حكم في تدبيره .

٤ - فإن أصر هؤلاء على عنادهم وكفرهم ، واستمرا على إعراضهم عما جاءكم من الحق ، فإن الله عالم بهم وبأعمالهم ، يخصّبها عليهم ، ليلقوا عليها جزاءهم .

(١٣)

قُلْ : يَا أَهْلَ الْكِتَابِ ، تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ يَدْنَنَا وَيَدْنَكُمْ :
إِلَّا نَعْبُدُ إِلَّا اللَّهُ ، وَلَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا ، وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا
أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ؛ فَإِنْ تَوَلُّوْا فَقُولُوا : اشْهِدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ .
يَا أَهْلَ الْكِتَابِ ، لَمْ تُحَاجِجُونَ فِي إِبْرَاهِيمَ ، وَمَا أَنْزَلَتِ التَّوْرَةُ
وَالْإِنجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ ؟ ! أَفَلَا تَعْقُلُونَ ؟ ! هَآتُمْ هُؤُلَاءِ حَاجِجُمْ
فِيهَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ ، فَلِمَ تُحَاجِجُونَ فِيهَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ ؟ ! وَاللَّهُ
يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ . مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا ،
وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا ، وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ . إِنَّ أَوْلَى
النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا ، وَاللَّهُ وَلِي
الْمُؤْمِنِينَ . وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضْلُلُنَّكُمْ ،
وَمَا يُضْلُلُونَ إِلَّا أَنفُسُهُمْ ، وَمَا يَشْعُرُونَ . يَا أَهْلَ الْكِتَابِ ، لَمْ
تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهُدُونَ ؟ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ ، لَمْ
تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ ، وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ ، وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ؟ وَقَالَتْ
طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ : آمَنُوا بِالَّذِي أُنْزَلَ عَلَى الدِّينِ آمَنُوا

وَجْهَ النَّهَارِ، وَأَكْفُرُوا آخِرَهُ، لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ. وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا
لِمَنْ تَبِعُ دِينَكُمْ، قُلْ : إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ، أَنَّ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ
مَا أُوتِيْتُمْ، أَوْ يُحَاجُوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ، قُلْ : إِنَّ الْفَضْلَ يَبْدِيلُ اللَّهِ
يُوْزِيهِ مَنْ يَشَاءُ، وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ. يَخْتَصُ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ،
وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ. وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمِنْهُ
بِقُنْطَارٍ يُوَدِّهِ إِلَيْكَ، وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمِنْهُ بِدِينَارٍ لَا يُوَدِّهِ إِلَيْكَ
إِلَّا مَا دَمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا، ذَلِكَ بَأْنَاهُمْ قَالُوا : لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأَمْمَيْنِ
سَبِيلٌ، وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ . بَلِي ، مَنْ
أَوْفَ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى، فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِيْنَ .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
يأهـل الكتاب	{ ينادـي الـذـين أـنـزل عـلـيـهم التـورـة وـالـإنـجـيل : الـيـهـود وـالـنـصـارـى . }
كـملـة سـوـاء بـيـنـا وـبـيـنـكـم	{ كـلمـة عـادـلـة لـا يـخـتـلـف فـيـها الـقـرـآن ، وـلـا التـورـة ، وـلـا الإنـجـيل . }
وـلـا يـتـخـذ بـعـضـنـا بـعـضـاً أـرـبـابـاً مـن دونـ الله	{ وـلـا يـدـيـنـ بـعـضـنـا لـبـعـضـ بالـعـزـيمـ وـالـطـاعـةـ فـيـ الـمـعـصـيـةـ ، وـالـتـحـلـيلـ وـالـتـحرـيمـ . }

الألفاظ	شرحها
فإن تولوا	فإن أعرضوا عن التوجيه .
اشهدوا بأننا مسلمون	اعترفوا بأننا مسلمون من دونكم .
تحاججون	تجادلون ، وحاججته : جادلته .
أفلا تعقلون	أفلا تفهمون المسائل الواضحة ، حتى لا تجادلوا فيها؟
فيما لكم به علم	فيما ورد في التوراة والإنجيل .
حيثما	متبعاً أمر الله ، ملتزمًا طريق المدى .
إن أولى الناس بإبراهيم	إن أقرب الناس من إبراهيم ، وأخصهم به .
وهذا النبي	المراد به : محمد عليه الصلاة والسلام .
ولي المؤمنين	ناصرهم ، وآخذ بيدهم
من أهل الكتاب	من اليهود .
بآيات الله	} بالتوراة والإنجيل ، والمراد : كفرهم بنبوة محمد ، مع ثبوت ذلك فيما .
لم تلبسون الحق بالباطل	لم تخلطون الإيمان بموسى وعيسى ، بالكفر بمحمد ؟
وتكتمون الحق	} وتخفون ما ورد من صفات محمد في التوراة والإنجيل .
وجه النهار	أول النهار .
واكفروا آخره	واكفروا في آخره .
ولا تؤمنوا إلا من تبع	} ولا تظروا إيمانكم إلا لأهل دينكم ، فلا يعرفه المسلمين ولا المشركون ، وهو من كلام اليهود .
واسع عليم	واسع الرحمة ، عليم بالمصلحة .
برحمته	بالإسلام أو النبوة .

شرحها	الألفاظ
إلا مدة دوامك قائماً على طلبه ، ملازماً له لبؤديه .	إلا مادمت عليه قائماً
ليس علينا ذنب إذا لم تؤدّ حقوق الأميين ، وهم الذين ليسوا من أهل الكتاب .	ليس علينا في الأميين سبيل
ويفترن على الله أن إباحة أكل حق الأميين وارد في كتابهم .	ويقولون على الله الكذب
عليهم إثم ، وهذا إثبات لما أرادوا نفيه عنهم .	بلى

مجمل المعنى

١ - يأمر الله نبيه محمدًا صلى الله عليه وسلم أن يقول لليهود والنصارى : تعالوا إلى كلمة عادلة نتبعها جميعاً ، لا يختلف فيها كتاب من الكتب المترلة عن غيره ، بل نجد الدعوة إليها واضحة في التوراة والإنجيل والقرآن جميعاً ، وتلك الكلمة العادلة ، تنحصر في أننا نعرف بوحدانية الله سبحانه وتعالى ، فلا نقول : عزير ابن الله ، ولا نقول : المسيح ابن الله ، ولا نشرك معه أحداً غيره في الألوهية ، ولا يدين بعضاً لبعض بالتعظيم الموهمن التأليه ، ولا في تحليل وتحريم على ما يشتهون ؛ وإذا لم يستمع هؤلاء لنصحك ، ولم يستجعوا لدعوتكم ، فقل لهم أنت ومن معك من المؤمنين : اشهدوا علينا بأننا مسلمون ، وأننا دخلنا فيما دعوناكم إليه ، فأعرضتم عنه .

٢ - زعم اليهود أن إبراهيم عليه السلام كان على دينهم ، وزعم النصارى أنه كان على دينهم ، وتخاصموا في ذلك ، والله يتعجب من تخاصمهم في شيء

واضح البطلان ، لأن اليهودية والنصرانية لم تكونا إلا بعد وفاة إبراهيم
بزمان ، (تراجع الفقرة السابعة من الصفحة ١٠٣ من تفسيرالجزء الأول) .

٣ – إذا جاز لكم أن تحاجوا فيما تعلمونه من أمر دينكم ، وتدعون أن ما تذهبون
إليه وارد في كتابكم – فكيف تحاجون في شيء لا علم لكم به ، ولم يرد
في كتابكم ، ولم تأتكم به أنبياؤكم ، ومنه مسألة إبراهيم ، والله هو الذي
يعلم كل شيء ، أما علمكم أنت فمحصور فيما تعلمون .

٤ – أكد الله تكذيبهم فيما زعم كل من الفريقين ، من أن إبراهيم كان على
دينه ، بأن صرحاً بأن إبراهيم ما كان يهودياً ، وما كان نصرانياً ، وما كان
مشركاً يعبد الأصنام والأوثان ، ولكنه كان حنيفاً متبعاً أمر الله ، وله مطيناً
خاشعاً .

٥ – وإن أحق الناس بنصرة إبراهيم ، وأقربهم إليه ، وأحقهم به ، هم الذين
اتبعوا دينه : فوحدوا الله ، وأخلصوا له الدين ، وتمسّكوا بشرعه ،
وإن أحق الناس بنصرته أيضاً ، محمد ومن آمن به ، والله ناصرهم .

٦ – تمنى جماعة من أهل الكتاب : يهود ونصارى – أن يصدوكم عن الإسلام ،
ويردوكم عنه إلى الكفر الذي هم عليه ، فيكونون في ذلك هلاككم على
الضلال ، وعذابكم في الآخرة ، وهو إذ يتمنون ذلك لكم ، يضلون
أنفسهم وأتباعهم وأشياعهم ، ويتسبّبون لهم في الملائكة على الصلال ،
وفي عذاب الآخرة ، ولكنهم لا يحسون عاقبة ما يفعلون .

٧ – وإنه لما يدعوا إلى العجب ، أن هؤلاء اليهود والنصارى ، يكفرون بما جاء
في كتابهم على لسان أنبيائهم ، مع علمهم أنه حق ، فقد ذكرت هذه
الكتب نبوة محمد ، وأنخبرت به وبرسالته ، وهم قرعوا هذا وعرفوه ،
ولكنهم أنكروه .

٨ - والعجب أيضاً أنهم يخالطون الحق بالباطل ، ويغيرون في كتابهم ، ويخفون ما ورد فيه من صفة محمد ، وهم يعلمون أنهم إنما يخالفون ضمائركم ، وأنهم يفعلون ذلك عناداً واستكباراً .

٩ - قال بعض الأخبار لبعض : ادخلوا في دين محمد أول النهار ، وقولوا : نشهد أن محمداً نبي صادق ، فإذا كان آخر النهار فاكفروا ، وقولوا : إننا رجعنا إلى علمائنا وأخبارنا فسألناهم ، فحدثنا أن محمدأً كاذب ، وأنكم لستم على شيء ، وقد رجعنا إلى ديننا ، فهو أصدق إلينا من دينكم ، فيشكرون ، أو يشك ضعاف الإيمان منهم ، ويرتدون عن الإسلام .

لذلك أنزل الله : « وقالت طائفة من أهل الكتاب : آمنوا بالذى أنزل على الذين آمنوا وجه النهار . . . الآية ، أى أظهروا أنكم صدقتم محمدأً ، ليعلم أتباعه أنكم آمنتم ، ثم ارجعوا عن إيمانكم ، ليعلم أتباعه أنكم وجدتم دينكم خيراً من دينه ، فيشكروا في إيمانهم ، وتترذل عقidiتهم ، ويرجعوا عن دينهم .

١٠ - واحفوا في أنفسكم ما تحققتموه من صدق محمد ورسالته ، ولا تظهروا أحداً من المشركين ولا من المسلمين على ما جاء في كتابكم ، من أن المسلمين سيحاجونكم يوم القيمة عند الله ، وظهور حجتهم على حجتهم ، وإن كان لابد من إفشاءه ، فأفشووه بين أشياعكم ، ومن اتبع دينكم ، وإنكم إن أعلتم المسلمين زادوا ثباتاً على إسلامهم ، ولم يزعزع عقidiتهم ما فعله ، من الإيمان أول النهار ، والرجوع آخره ، وإن أعلتم المشركين سارعوا إلى الدخول في الإسلام .

وعلى الرغم من تلك الحيل التي يحولون بها بين الناس وبين الإسلام ، فإن الله إذا أراد لأحد هداية هداه وهم راغمون ، وهو صاحب الفضل ،

ومانح التوفيق من يشاء ، وهو واسع الرحمة ، علیم بكل شيء ، وهو يختص من يشاء بالإسلام والقرآن والنبوة ، وفضله على خلقه عظيم .

١١- اشتري اليهود من آخرين منهم في الجاهليه أشياء ، وأجللوا ثمنها إلى حين ، وهؤلاء الدائتون دخلوا في الإسلام ، وطلبوا من اليهود ثمن بيوعهم ، فقال لهم اليهود : ليس لكم عندنا شيء ، لأنكم ترکتم دينكم الذي كنتم عليه ، وادعوا أنتم وجدوا في التوراة أن من كان له عندهم دين ، وغير دينه ، سقط دينه ، وهم بهذا يفتررون على الله الكذب ، وهم يعلمون أنه كذب وبهتان .

١٢- ومع ذلك فإن من بني إسرائيل أمناء ، يحافظون على الأمانة ، ويؤدونها مهما عظمت ، ومنهم الحونة الفجرة ، الذين يخونون الأمانة ، ولا يؤدونها مهما تفهت ، ويضطر الذي يستأفهمهم أن يطالعهم بحقه بمختلف الوسائل ، فهو يلح في الطلب ، ويوسط الناس ، ويهدد ، ويصانع ، ويقاضي ، حتى يسترد حقه ، وهذا الذي عليه بنو إسرائيل عليه كثير من الناس في كل زمان ومكان ، ومن كل جنس ودين ، فيجب أن يكون المسلمين كلهم من الصنف الأول ، الذي يحفظ الحقوق ، ويريد الأمانات ، وكان اليهودي الذي لم يرد ما عليه لرميده بعد إسلامه ، يرى أن ذلك من حقه ، ومن تعاليم دينه ، وبإرشاد نبيه وكتابه ، وهذا كله افتراء وكذب ، وهم يعلمون أنه افتراء وكذب على الله .

١٣- وإذا كان الأمر على غير ما يزعم هؤلاء الخائتون ، فإن الله يحب المتقين الذين يتقونه ويحافونه ، ويوفون بعهده ، ومن عهده أداء الأمانات ، ورد الحقوق إلى أصحابها .

(١٤)

إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِمَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ مَنَّا قَلِيلًا، أَوْ لِئِكَ لَا خَلَقَ
لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ، وَلَا يُكَلِّمُهُمْ اللَّهُ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ،
وَلَا يُزَكِّيهِمْ؛ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ . وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْعُونَ
أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ، لِتَحْسِبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ، وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ،
وَيَقُولُونَ: هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ
الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ . مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَ اللَّهُ الْكِتَابَ
وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ، ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ: كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ،
وَلَكِنْ كُونُوا رَبِّيَّيْنِ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ الْكِتَابَ، وَعِمَّا كُنْتُمْ
تَذَرُّسُونَ . وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَجَنَّدُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيَّيْنَ أَرْبَابًا؛
أَيْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ؟! وَإِذْ أَخْذَ اللَّهُ مِيشَاقَ
النَّبِيَّيْنِ: لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةً، ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ
لِمَا مَعَكُمْ، لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ، قَالَ: أَفَرَزْتُمْ وَأَخْذَتُمْ عَلَى
ذَلِكُمْ إِصْرِي؟ قَالُوا: أَفْرَزْنَا؛ قَالَ: فَاشْهَدُوا، وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ
الشَّاهِدِينَ . فَمَنْ تَوَلَّ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ . أَفَغَيْرَ

دِينَ اللَّهِ يَبْغُونَ، وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا،
وَإِلَيْهِ مُرْجَعُونَ ۝ قُلْ : آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا ، وَمَا أَنْزَلَ عَلَى
إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ، وَمَا أُوتِيَ مُوسَى
وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ، لَا فُرْقَةٌ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ، وَنَحْنُ لَهُ
مُسْلِمُونَ . وَمَنْ يَدْعُ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ، وَهُوَ
فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
يشرون	يُسْتَبَدِّلُونَ .
بعهد الله	{ بما عاهدوا الله عليه ، من الإيمان بالنبي، الذي جاء
وأعانتهم	نعته في كتابهم .
ثمناً قليلاً	و بما حلقوها به .
لا خلاق لهم	متاعاً تافهاً من متاع الدنيا .
ولا يذكرهم	لا نصيب لهم .
يلوون السنهم	ولا يثنى عليهم .
الكتاب	لا ينطقون نطقاً صحيحاً ، ويحرّفون الكلمات .
الحكم	التوراة . الحكمة .

شرحها	الألفاظ
{ منسوبيين إلى الرب ، متتشددين في الاستمساك بِرَبِّيهِ ، علماء تعلمون بعلمكم ، وتعلمونه الناس . عهد النبيين . للذى آتتكموه .	ربانين ميثاق النبيين لما آتتكم
رسول مصدق بما أتيتم به ، والمراد به : محمد . لتؤمنن بالرسول . قليلم عهدي . فليشهد بعضكم على بعض .	رسول مصدق لما معكم لتيؤمنن به وأخذتم على ذلكم إصرى فأشهدوا
نقض العهد بعد قبوله . ال العاصون المتمردون من الكفار . طائعين بعد الاقتناع .	تولى بعد ذلك الفاسقون طوعاً
{ مرغمين بعد الجهاد بالنسيف ، أو بعد التهديد الشديد ، أو عند دنو الخطر برؤية علامات العذاب الذى سينزل بهم ، كنتق الجبل ، وإطباق البحر .	وكراهاً
أبناء يعقوب عليه السلام الاثني عشر . من عند ربهم . خلصون موحدون منقادون . من الضالّين الذين سيعذبون في جهنم .	الأسباط من ربهم مسلمون من الخاسرين

بين الأشعث ورجل من اليهود

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من حلف على يمين هو فيها فاجر، ليقطع بها مال امرئ مسلم - لقى الله وهو عليه غضبان» ، فقال الأشعث بن قيس : في والله كان ذلك ، كان بيني وبين رجل من اليهود أرض فجحدني ، فقدمته إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : هل لك بيضة؟ قلت : لا ، قال لليهودي : احلف . قلت : إذن يحلف فيذهب بيالي ، فأنزل الله تعالى : «إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً...» الآية .

محمل المعنى

١ - الذين يتربكون الله وميثاقه الذي جاء في الكتب السماوية ، التي تبشر بمحمد رسولاً ، وتأمر باتباعه ، ويحلفون الأيمان الكاذبة ، يستحلون بها أموال غيرهم التي يؤتمنون عليها - لا يطهرهم الله من دنس ذورهم ، ويعذبون عذاباً شديداً .

٢ - وإن من أهل الكتاب - وهم اليهود الذين كانوا يسكنون في ضواحي المدينة ، على عهد النبي صلى الله عليه وسلم - جماعة يحركون ألسنتهم ، ويلوونها عند النطق بالألفاظ - فيسمع السامع ألفاظاً غير واردة ، ويظن أنها هي الواردة ، وأنها كلام الله الذي أنزله على نبيه ، وما هي كذلك - ويفعلون هذا إيهاماً للناس ، وتضليلاً لهم ، وبخثاً عن المنافع الدنيوية ، وهم بذلك يكذبون على الله ، والله يعلم أنهم كاذبون ، وسيجازيهم على كذبهم .

٣ - لا يجوز لواحد من البشر ينزل الله عليه كتابه ، ويعلمه الحكمة ، ويجعلهنبياً ، أن يدعو الناس ليعبدوه من دون الله ، ودعوته الناس لعبادته ، لا تتفق مع ما آتاه الله ، ولكن الذى يتافق معه ، أن يدعو إلى التوحيد ، وإلى تحصيل الحكمة والعلم ، وإلى تقوى الله ، حتى يكون منهم قادة صالحون ، وولاة عادلون ، يقومون على أمور الناس ويصلحونها ، وهم في الكتاب المنزل - إذا قرعوه وتدارسوه وعلموه - ما يجعلهم كذلك ، وهذا هو الذى أراده النبي صلى الله عليه وسلم ، حينما اجتمع عنده اليهود ونصارى نجران ، ودعاهم إلى الإسلام ، فقال اليهود : أتريد يا محمد أن نعبدك كما تعبد النصارى عيسى ابن مريم ؟ فقال رجل نصراني من أهل نجران : أو ذاك تريده منا يا محمد ، وإليه تدعونا ؟ ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : معاذ الله أن نعبد غير الله ، أو نأمر بعبادة غيره ، ما بذلك بعثني ، ولا بذلك أمرني ، ونزل بعد هذا : « ما كان لبشر أن يؤتىيه الله الكتاب والحكمة ... » الآية .

٤ - ولا يجوز لبني أيضاً أن يأمر قومه أن يعبدوا الملائكة والنبين ، فإنه إن فعل كان داعياً إلى الكفر بعد الإسلام ، ومحمد لا يحدث منه ذلك أبداً .

٥ - أخذ الله عهداً على الأنبياء السابقين فيما آتاهم من كتاب وحكمة ، أن يصدق بعضهم بعضاً ، وأن يؤمنوا بمحمد ، وأن يؤمن أتباعهم به وينصروه ، فقد جاء نعمته في كتبهم ، وهو قد جاء برسالة مؤكدة لرسالات السابقين ، ولما جاء في كتبهم ، وهؤلاء الأنبياء ، وعلماء أممهم العادلون ، أقروا ، وحملوا العهد والميثاق ، وأمرهم الله أن يشهد بعضهم على بعض ، وملائكته شهود عليهم ، وهو شاهد أيضاً ، ونعم الشهيد .

٦ - والذين يُعرضون بعد ذلك ، وينقضون العهد والميثاق — يعتبرون عصاة مذنبين ، خارجين عن دين الله وطاعته .

٧ - يأهل الكتاب من اليهود والنصارى ، أطلبون ديناً غير دين الله ، وتلتمسون طاعة غير طاعة الله ؟ وهو الذى خضع له من في السموات ومن في الأرض ، وعبدوه ووحدوه طائعين مقتنيعين ، كالملائكة والأنبياء والمرسلين ، أو كارهين كالذين يعبدون معه غيره ، فإنهم مع هذا الإشراك مستسلمون له ، يعترفون بأنهم لا يستطيعون دفع قضائه وقدره ، أو كارهين فلم يؤمنوا إلا خوفاً من المجاهدة بالسيف ، أو بعد المجاهدة والهزيمة .

٨ - فإن ابتعدوا بعد هذا ألا يؤمنوا بالله ، فقل لهم : نحن آمنا بالله ، ولا نعبد ربنا سواه ، وأمنا بالقرآن ، وأمنا بما أوحى الله إلى إبراهيم ولديه إسماعيل وإسحاق ، وابنه يعقوب ، وبما أنزل على أولاد يعقوب ، ولم يكن إيماننا بهؤلاء فحسب ، بل آمنا أيضاً بما أنزل على موسى وعيسى من الكتب والوحى ، وبما أنزل على النبيين جميعاً من عند الله ، نؤمن بهذا كله من غير تفريق ، فلا نصدق بعضاً ونكذب بعضاً ، كما يفعل غيرنا من اليهود والنصارى ، ونحن منقادون بالطاعة لله ، مقررون له بالوحدةانية .

٩ - ومن يطلب ديناً غير دين الإسلام ، ويعتنقه ، فلن يقبل الله منه ذلك ، وهو خاسر في الدنيا والآخرة .

(١٥)

كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ، وَشَهِدُوا أَنَّ
الرَّسُولَ حَقٌّ، وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ؟! وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ.
أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ.
خَالِدِينَ فِيهَا، لَا يُخْفَفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ، وَلَا هُمْ يُظْرَوْنَ. إِلَّا الَّذِينَ
تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا، فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ. إِنَّ الَّذِينَ
كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَّمْ تُقْبَلْ تَوْبَتِهِمْ، وَأُولَئِكَ
هُمُ الضَّالُّونَ. إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَا تَوَلُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُمْقَبَلَ
مِنْ أَحَدٍ هُمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ افْتَدَى بِهِ، أُولَئِكَ لَهُمْ
عَذَابٌ أَلِيمٌ، وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرٍ. لَنْ تَنَالُوا الْبَرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا
مِمَّا تُحِبُّونَ، وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ.

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ	ارتدوا عن الإسلام .
الرسُول	محمدًا عليه الصلاة والسلام .

شرحها	الألفاظ
نبي مرسى .	حق
الدلائل والمعجزات .	البيئات
المرتدين ، لأن في ارتداهم ظلماً لأنفسهم . في اللعنة .	الظالمين
ولا هم يهملون ، ولا يؤخرنون . ولا يؤجلون لن تقبل عند الموت توبتهم .	فيها
ما يملؤها	ولا هم ينظرون
لن تنالوا ثواب الله . حتى تتصدقوا .	لن تقبل توبتهم
	ملء الأرض
لن تنالوا البر حتى تنفقوا	لن تنالوا البر

قصة الحارث الأنصاري

أسلم الحارث الأنصاري ، ثم ارتد عن الإسلام ، ولحق بالمرتدين ، ثم ندم على ارتداه ، فأرسل إلى قومه : أرسلوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : هل لي من توبة ؟ فنزل قوله تعالى : « كييف يهدى الله قوماً كفروا بعد إيمانهم ... » إلى : « إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا ، فإن الله غفور رحيم » ، فحمل رجل من قومه الآيات إليه ، وقرأها عليه ، فقال الحارث : إنك — والله — ما علمت لصدقوق ، ثم رجع الحارث إلى الإسلام ، وحسن إسلامه .

حمل المعنى

- ١ — لا يوقف الله إلى الصواب الذين يكفرون به وبرسوله وبكتابه بعد إسلامهم ، وبعد شهادتهم أن الرسول حق ، وأن كل ما جاء به صدق ، وأنه قد تضافرت على صدقه الأدلة الساطعة ، والمعجزات المفعمة ، والله لا يهدى هؤلاء لأنهم ظلمة ، استبدلوا بالحق باطلًا ، واختاروا الكفر ، وترکوا الإيمان .
- ٢ — وهؤلاء الناس ، جزاؤهم أن عليهم أجمعين غضب الله ولعنة ملائكته والمؤمنين من عباده جميعاً .
- ٣ — وستظل عقوبة الله ولعنته وغضبه ، وكذلك لعنة ملائكته والمؤمنين من عباده ، تنصب عليهم ، لا تخفِّ عنهم ، ولا يمْلأون لعنة أو نوحها .
- ٤ — أما الذين يتوبون بعد ارتدادهم ، ويعودون إلى إسلامهم ، ويعملون الأعمال الصالحة ، فإن الله يستر عليهم ، ويفتر لهم ذنوبهم ، ويرفع عنهم عذابهم يوم القيمة ، إذا ماتوا على التوبة .
- ٥ — وإن اليهود الذين آمنوا بموسى ، ثم كفروا بيعيسى ولم يؤمنوا به ، ثم ازدادوا كفراً حين كفروا بمحمد ولم يؤمنوا به — لن تقبل توبتهم إذا لجأوا إليها عند غرغرة الموت ، فإنهم ضالون ، مصرون على ضلالهم ، ولم يتتبهوا من غفلتهم إلا حين أدركهم الموت .
- ٦ — وهؤلاء الذين كفروا وأنكروا نبوة محمد ، وما توا على كفريهم — لو حاولوا أن يفدو أنفسهم مما يقع عليهم من عذاب بأغلى ما يستطيعون ، لما قبل الله منهم الفدية ، ولو كان الواحد منهم يملك ذهبًا يملا الأرض من مشرقها إلى مغاربها ،

وهؤلاء لهم في الآخرة عذاب شديد موجع ، وليس لهم قريب يحميهم ،
ولا صديق ينصرهم ، أو يدفع عنهم .

٧ - وأنتم أيها المؤمنون ، لن تصلوا إلى ثواب الله ، وجزيل عطياته ، والتمتع
بحنته ، إلا إذا كنتم تتصدقون مما تحبون ، ومن أعز ما تقتنون ، وأجمل
ما تشهرون ، وأغلى ما تريدونه لأنفسكم ؛ فلا تخصوها به ، ولكن ينبغي أن
تشركوا فيه غيركم ، من يكون في حاجة إليه ؛ ويدخل في ذلك الإنفاق في
سبيل الله ، وكل شيء ينفق على هذا الوجه ، يعلم الله ويشب عليه .

تفسير القرآن الكريم

الجزء الرابع

تأليف

حسين علوان

مراقب بوزارة المعارف

محمود محمد حمزة

المفتش بالتعليم الثانوى والفنى (سابقاً)
والأستاذ بدار العلوم (سابقاً)

محمد احمد درانق

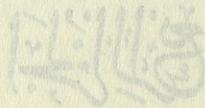
المفتش العام بالتعليم الابتدائى

جميع الحقوق محفوظة للمؤلفين



مكتبة الطبع والنشر
دار المعارف مصر

فِي الْكُلُّ تَقْرِيبٌ



تراجع الخطبة التي في صدر تفسير الجزء الأول

الكتاب

نَمَاءُ الْمَدِينَةِ

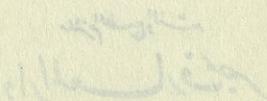
(الكتاب) يحيى بن عبد الله بن عاصي

(الكتاب) يحيى بن عبد الله بن عاصي



سَلَامًا وَبَارَكَ اللَّهُ بَارَكَ

نَيَّافِيلَةُ الْقُرْبَةِ قَعْدَةُ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١)

كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حَلَّاً لِبَنِي إِسْرَائِيلَ ، إِلَّا مَا حَرَمَ إِسْرَائِيلُ
عَلَى نَفْسِهِ ، مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ ، قُلْ : فَأَتُوا بِالْتَّوْرَاةِ
فَاتَّلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ . فَمَنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ
مِنْ . بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ . قُلْ : صَدَقَ اللَّهُ ،
فَاتَّبَعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ، وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
لبنى إسرائيل	لولد يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام .
من افترى على الله	من كذب على الله ، باختلاف ما لم يقله .
الكذيب	{ من بعد مجئه بالتوراة ، وبخشكم فيها عما حرم وما لم يحرم .
من بعد ذلك	المكابر و المعاذدون
الظالمون	دين إبراهيم ، وهي ملة الإسلام .
ملة إبراهيم	بعيداً عن الأديان الباطلة .
حنيفاً	

قصة إسرائيل ولحم الإبل

(ا) أخذ النَّسَّارَةُ — وهو عرق يمتد من الورك إلى الكعب ، ويحدث آلاماً شديدة — يعقوب عليه السلام ، واشتد عليه حتى كان لا يثبت الليل من وجعه ، وكان يُسْمِع له زُفقاء كصياح المَيَّةِ ، فحلف إن شفاه الله ليُحرِّمَ مَنْ على نفسه كل عرق ، وليحرمن على نفسه أحب الأطعمة إليه ، وهي لَحْمُ الإبل ، وليحرمن على نفسه أحب الأشربة إليه ، وهي لَبْنُ الإبل — فحرم ولدُ يعقوب على أنفسهم ما حرم أبوهم على نفسه .

(ب) وجاءت عصابة من اليهود إلى محمد صلى الله عليه وسلم ، وقالوا : يا أبا القاسم ، أخبرنا ، أى الطعام حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تُنَزَّلَ التوراة ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أَنْشَدْتُكُم بالمنى أُنْزَلَتِ التوراة على موسى ، هل تعلمون أن إسرائيل « يعقوب » مرض مرضًا شديداً ، فطال سقامه منه ، فنذر لله نذراً : لئن عافاه الله من سقامه ليحرمن على نفسه أحب الطعام والشراب إليه ، وكان أحب الطعام إليه لَحْمَانَ الإبل ، وأحب الشراب إليه ألبانها ؟ فقالوا : اللهم نعم .

(ج) فأخذ اليهود يعترضون على محمد ، أن يأكل لحوم الإبل ، ويشرب ألبانها ، ثم يزعم بعد ذلك أنه على دين إبراهيم ، فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم : كان ذلك حلالاً لإبراهيم ، فنحن نحله ؛ فقال اليهود : إنها لم تزل محرومة في ملة إبراهيم ونوح عليهما السلام ، فنزل في هذه الآيات تكذيب لهم .

بِمُجَمَّلِ الْمَعْنَى

- ١ - جميع الأطعمة كانت حلالاً لبني يعقوب عليه السلام ، فلما حرمَ يعقوب على نفسه لحوم الإبل وألبانها ، تبعه ولده في تحريرها على أنفسهم ، وكان ذلك التحرير قبل مجىء موسى عليه السلام ، وقبل نزول التوراة ، فحرمها اليهود على أنفسهم ، وزعموا أن تحريرها عليهم نزل في التوراة ، فأحالهم النبي صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على التوراة ليأتوا بموضع التحرير فيها ، إن كانوا صادقين فيها يزعمون ، محقين فيها يدعون .
- ٢ - والذين يكذبون على الله أيا كانوا ، بعد أن ثبت أن التوراة ليس فيها تحرير لما يزعمون تحريره ، هم المكابرلون المعاندون ، الذين تؤدي بهم مكابرهم وعنادهم ، إلى البقاء على الكفر .
- ٣ - قل يا محمد : إن الله صادق فيما أخبر به ، من أن الطعام كله كان حلالاً لبني إسرائيل ، إلا ما حرم إسرائيل على نفسه ، من غير أن يحرِّم الله عليه ، ولم ينزل تحريره في التوراة كما تزعمون ، أما وقد ثبت صدق الله فيما أخبر به ، فيجب عليكم أن تتبعوا ملة إبراهيم الحنيفية السمححة الحقة ، التي تتفق مع دين الإسلام ، ولا تتفق مع ما عليه الآن اليهود ولا النصارى ولا المشركون .

قصة إسرائيل ولحم الإبل

(ا) أخنَاءُ المَنْسَكَ — وهو عرق يمتد من الورك إلى الكعب ، ويحدث آلاماً شديدة — يعقوب عليه السلام ، واشتد عليه حتى كان لا يثبت الليل من وعده ، وكان يُسمَّع له زُقاءُ كصياحِ الدِّيَكَة ، فحلَّف إن شفاه الله ليُحرِّمَ مَنْ على نفسه كل عرق ، وليرحم من على نفسه أحب الأطعمة إليه ، وهي لحمُ الإبل ، وليرحم من على نفسه أحب الأشربة إليه ، وهي لبَنُ الإبل — فحرم ولدُ يعقوب على أنفسهم ما حرم أبوهم على نفسه .

(ب) وجاءت عصابة من اليهود إلى محمد صلى الله عليه وسلم ، وقالوا : يا أبا القاسم ، أخبرنا ، أى الطعام حرم إسرائيل على نفسهم قبل أن تُنزلَ التوراة؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أَنْشَدُكُمْ بالذى أَنْزَلَ التوراة على موسى ، هل تعلمون أن إسرائيل « يعقوب » مرض مرضًا شديداً ، فطال سقمه منه ، فنذر الله نذراً : لئن عافاه الله من سقمه ليحرمن على نفسه أحب الطعام والشراب إليه ، وكان أحبُ الطعام إليه لسْحَمَانَ الإبل ، وأحب الشراب إليه ألبانها؟ فقالوا : اللهم نعم .

(ج) فأخذ اليهود يترضون على محمد ، أن يأكل لحوم الإبل ، ويشرب ألبانها ، ثم يزعم بعد ذلك أنه على دين إبراهيم ، فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم : كان ذلك حلالاً لإبراهيم ، فنحو نحله ؛ فقال اليهود : إنما لم تزل محمرة في ملة إبراهيم ونوح عليهم السلام ، فنزل في هذه الآيات تكذيب لهم .

وكلمة كلها ملحوظة في ملحوظة كلها .

النفي .

بِحْمَلِ الْمَعْنَى

١ — جَمِيعُ الْأَطْعَمَةِ كَانَتْ حَلَالًا لِبَنِي يَعْقُوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَلَمَّا حَرَّمَ يَعْقُوبَ عَلَى نَفْسِهِ لَحْوَ الْإِبْلِ وَالْأَلْبَانِ ، تَبَعَهُ وَلَدُهُ فِي تَحْرِيمِهَا عَلَى أَنفُسِهِمْ ، وَكَانَ ذَلِكَ التَّحْرِيمُ قَبْلَ مُجَئِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَقَبْلَ نَزْولِ التُّورَاةِ ، فَحَرَمَهَا الْيَهُودُ عَلَى أَنفُسِهِمْ ، وَزَعَمُوا أَنَّ تَحْرِيمَهَا عَلَيْهِمْ نَزَلَ فِي التُّورَاةِ ، فَأَحَالُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى التُّورَاةِ لِيَأْتُوا بِمَوْضِعِ التَّحْرِيمِ فِيهَا ، إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ فِيهَا يَزْعُمُونَ ، مُحَقِّقِينَ فِيهَا يَدْعُونَ .

٢ — وَالَّذِينَ يَكْذِبُونَ عَلَى اللَّهِ أَيَا كَانُوا ، بَعْدَ أَنْ ثَبَّتَ أَنَّ التُّورَاةَ لَيْسَ فِيهَا تَحْرِيمٌ لَمَا يَزْعُمُونَ تَحْرِيمَهُ ، هُمُ الْمَكَابِرُونَ الْمَعَانِدُونَ ، الَّذِينَ تَؤْدِي بِهِمْ مَكَابِرُهُمْ وَعَنَادُهُمْ ، إِلَى الْبَقَاءِ عَلَى الْكُفُرِ .

٣ — قَلْ يَا مُحَمَّدُ : إِنَّ اللَّهَ صَادَقَ فِيهَا أَخْبَرَ بِهِ ، مِنْ أَنَّ الطَّعَامَ كُلَّهُ كَانَ حَلَالًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ ، إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَحْرِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ ، وَلَمْ يَنْزِلْ تَحْرِيمَهُ فِي التُّورَاةِ كَمَا تَزْعُمُونَ ، أَمَّا وَقْدَ ثَبَّتَ صَدْقَ اللَّهِ فِيهَا أَخْبَرَ بِهِ ، فَيَجِبُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَتَبَعُوا مَلَةَ إِبْرَاهِيمَ الْحَنِيفَيَّةَ الْمَسْمَيَّةَ الْحَقَّةَ ، الَّتِي تَتَفَقَّدُ مَعَ دِينِ الْإِسْلَامِ ، وَلَا تَتَفَقَّدُ مَعَ مَا عَلَيْهِ الْآنَ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى وَلَا الْمُشْرِكُونَ .

(٢)

إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ الَّذِي يَسْكُنُهُ مُبَارَكًاً ، وَهُدَى
لِلْعَالَمِينَ . فِيهِ آيَاتٌ يَبْيَنُكَاتُ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ ، وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ
آمِنًا ، وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجَّةُ الْبَيْتِ مَنْ أَسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ،
وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ .

شرح الألفاظ

شرحها	الألفاظ
جعل متبعدًا لهم .	وضع للناس
هو الكعبة التي يسكنها ، حيث يزدحم الناس لطوافهم وحجتهم و عمرتهم .	للذى يسكنه
كثير الحيرات .	مباركاً
فيه علامات وأوضحاً .	فيه آيات بينات
وفرض على الناس الله .	ولله على الناس
ومن أنكر فرضية الحج .	ومن كفر
مستغن عنهم وعن طاعتهم .	غنى عن العالمين

مجمل المعنى

١ — إن أول بيت جعل متعبدًا لعبادة الله وحده على وجه الأرض ، هو البيت الحرام في مكة ، وقد جعله الله مباركاً ، لكثرة ما يصيب المتعبد فيه من الخير والثواب ، وغفران الذنب ، وجعل فيه المداية للناس .

٢ — في هذا البيت علامات بينات ، ودلائل وأضuations ؛ منها : مقام إبراهيم ، والممشى عرُ الحرام ، وأمن من يدخله ، وحمايته ما دام فيه ، والحجر الأسود ، والخطيم ، والصفا والمروة ؛ وقد فرض الله على مستطاع الحج أن يحج إلى البيت الحرام ، والاستطاعةحدودها : الزاد ، والراحلة ، وتوافر وسائل النقل ونفقاتها ، والصحة والأمن ؛ وأما الذين يظللون على كفريهم وعنادهم ، وإنكارهم فريضة الحج ، فإن الله غنى عنهم وعن طاعتهم ، هم وغيرهم ، فلا حاجة به إلى أحد ، وكذلك من توافت له أسبابه ، ولم يعترف بأن ذلك فرض يجب عليه أداؤه ، كان حكم حكم الكافر ، والله غني عنه ، وعن حجه ، وعن العالمين جميعاً .

(٣)

قُلْ : يَأْهُلُ الْكِتَابِ ، لَمْ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ؟ وَاللَّهُ
شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ . قُلْ : يَأْهُلُ الْكِتَابِ ، لَمْ تَصُدُّونَ
عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ أَمْنَى تَبْغُونَهَا عِوْجَانًا ، وَأَنْتُمْ شُهَدَاءٌ ؟ وَمَا
اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ . يَأْمُلُهَا الَّذِينَ آمَنُوا ، إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا
مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرْدُو كُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ .
وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتَلَى عَلَيْنِكُمْ آيَاتُ اللَّهِ ، وَفِيهِنَّ
رَسُولُهُ ؟ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ .
يَأْمُلُهَا الَّذِينَ آمَنُوا ، اتَّقُوا اللَّهَ حَقًّا تُقَاتَاهُ ، وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ
مُسْلِمُونَ . وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرُّوْا ، وَإِذْ كُرُوْا
نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْنِكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءَ فَالَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ ، فَأَصْبَحْتُمْ
بِنَفْعَتِهِ إِخْوَانًا ، وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَ كُمْ مِنْهَا ،
كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ ، لَعَلَّكُمْ تَهَتَّدُونَ . وَلَتَكُنْ
مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ ، وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَا
عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ . وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ

تَفَرَّقُوا ، وَأَخْتَلُفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ، وَأَوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ . يَوْمَ تَبَيَّنُونَ وُجُوهُ وَتَسْوَدُ وُجُوهُ : فَإِنَّمَا الَّذِينَ اسْوَدَتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرُهُمْ بَعْدَ إِعْلَانِكُمْ ؟ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ . وَأَمَّا الَّذِينَ آتَيْتُمْ وُجُوهُهُمْ ، فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ . تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَنَلُّوْهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ ، وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ . وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ، وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
أهل الكتاب	كل ذي دين ، وله كتاب سماوي .
لم تصدرون عن سبيل الله	لم تحولون بين المؤمنين ، وبين الإيمان ؟
تعغونها عوجاً	تطلبون لسبيل الله الميل والاعوجاج والضلال .
وأنتم شهداء	{ وأنتم تشهدون على أن الدين الذي تصدون عنه حق ، كما ورد في كتابكم .
آيات الله	القرآن .
وفيكم رسوله	وبين أظهركم نبيه محمد .
ومن يعتصم بالله	ومن يستمسك بدین الله .
هُدِي إلى صراط مستقيم	أرشد إلى دين قويم .

الألفاظ	شرحها
حق تقواه ، بالشكر والطاعة والله كر .	واستماسكوا بدين الله وقرآنـه .
لا تفعلوا ما يكون سبباً في الفرقة ، وزوال	الاجتماع .
على حرف حفرة من النار — والمراد على أبواب	جهنـم — بكفركم .
فخلصكم منها بالإيمان .	يوضح لكم قرآنـه .
لتكونوا على رجاء الهدایة إلى ما فيه ثوابكم ونعيمكم .	ما يأمر به الكتاب والسنة ، وهو كل ما يستحسن
المعروف	شرعاً وعقلاً .
المنكر	ما ينهى عنه الكتاب والسنة ، وهو كل ما يستقبح
شرعاً وعقلاً .	هم اليهود والنصارى ، وقعت الفرقة بينهم لتعاديهم ،
تفرقوا واختلفوا	واختلفوا في الدين ، فكفر بعضهم بعضاً .
المبيّنات	الأدلة التي تجمع كلمتهم على دين واحد ، وهو
الإسلام .	اغتموا فاغبر لون وجوههم ، وتبدل صورهم .
اسودَت وجوههم	استبشروا ، وتهلل وجهـهم .
ابيضت وجوههم	في ثوابه ونعمـمه الحالـ .
ففي رحمة الله	باقون دائمـون ، لا يجوز عليهم موت ولا فنـاء .
خالدون	لعبادـه جـيـعاً .
للعالمـين	

خُدْعَةٌ يَهُودِيَّةٌ

كان شاس بن قيس اليهودي ، شديد الحقد على المسلمين ، كثير الحسد لهم ؛ مر يوماً على نفر من الأوس والخزرج ، وكانوا قد أسلموا ، وحسن إسلامهم ، في مجلس جماعتهم وهو يتحداون ؛ فغاظه ما رأى من جماعتهم وألفتهم ، وصلاح ذات بينهم على الإسلام ، بعد المدى كان بينهم العداوة في الجاهلية .

فقال : قد اجتمع ملأ بنى قيسة — وهي أم الأوس والخزرج — بهذه البلاد ، والله ما لنا معهم — إذا اجتمع ملؤهم بها — من قرار ، فأمر فتى شاباً من اليهود — وكان معه — فقال : اعمد إليهم ، فاجلس معهم ، وذكريهم ما كان بينهم من إحن وأحقاد وحروب ، وأنشد لهم بعض ما كان يهجو به بعضهم بعضاً من الأشعار ، ففعل ؛ فتكلم كل من الفريقين ، وذكر ما كان له ، وتحركت في صدورهم بنور العادات القديمة ، وتنازعوا ، وتفاخروا ، حتى تواتر رجالان : أوسى وخزرجي ؛ وقال أحدهم لصاحبه : إن شئتم والله ردناها الآن جملة : (كانوا ما ابتدأت) ، وغضب الفريقان وقالوا : قد فعلنا ، المسلاح المسلاح ؟ واجتمع الناس ، فانضممت الأوس بعضها إلى بعض ، وانضمت الخزرج بعضها إلى بعض ، على دعواهم التي كانوا عليها في الجاهلية .

بلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخرج إليهم فيهم معه من المهاجرين من أصحابه ، حتى جاءهم ، ووقف بين الصفين وقال : يا معشر المسلمين : الله الله ! أبْدَعُوا الجاهلية وأنا بين أظهركم ، بعد إذ هداكم الله إلى الإسلام ، وأكرمكم به ، وقطع أمر الجاهلية ، واستنقذكم به من الكفر ، وألف به بينكم ، ترجعون إلى ما كنتم عليه كفاراً ؟ ! فعرف القوم أنها نزعة من الشيطان ، وكيد من عدوهم ، فألقوا المسلاح من أيديهم وبكوا ،

وعانق الرجال من الأوس والخزرج بعضهم بعضاً ، ثم انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سامعين مطيعين ، ورد الله كيد عدوه شاس بن قيس في نحره ، وأنزل فيه : « بِأَهْلِ الْكِتَابِ لَمْ تَكُفُّرُنَّ بِآيَاتِ اللَّهِ ، وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ » إلى آخر الآيات .

مجمل المعنى

١ - يأمر الله نبيه محمدأً أن يسأل أهل الكتاب من اليهود والنصارى ، وكل من له دين سماوى ، عن سبب كفرهم بما أنزل الله عليهم من كتب ، فإن كل من كفر بمحمد ، فهو كافر بكتابه ، لأن محمدأً جاءت صفتة والإخبار عن رسالته في تلك الكتب ، كالتوراة والإنجيل ، فإنكار كل منهم لها ، خروج على دينه ، ولا سيما أنهم يعلمونحقيقة ما يجادلون ، والله مطلع على كفرهم ، ومجازفهم عليه .

٢ - وأن يسألهم : ما سبب محاولتكم إضلال غيركم ، والصد عن سبيل الله والإيمان به ، والنيل من الإسلام ، بالتعنيفة على الناس ، وأنتم تعلمون علم اليقين أنها السبيل الحق ، وأن الذي يصد عنها ضال ، عليه غضب الله ، وهو ليس بعاقل عما تعلمون ؟

٣ - نهى الله المسلمين عن اتباع المفسدين ، الذين يحاولون إيقاع الفتنة بينهم ، وحدّرهم الإصغاء إليهم ، لأن اتّباعهم فيه ارتداء عن الإسلام ، ورجوع إلى الكفر .

٤ - ثم استبعد الله أن يرتد المسلمون عن إسلامهم ، وهم يسمعون القرآن يتلى عليهم ، ورسول الله بين ظهرانيهم ، وكل من يتسلّك بدین الله ويعتصم

بطاعته — فهو مهديٌّ ، لا تؤثر فيه غواية الغاوين ، ولا تزلزل عقيدته
محاولات الضالين ، الحاسدين الخاسرين .

٥ — ينصح الله للذين آمنوا أن يتقووا الله حق تقواه ، بأن يطيعوه فلا يعصوه ،
وأن يندكروه ، فلا ينسسوه ، وأن يشكروه فلا يكفروه ، وألا يموتوا إلا على
الإسلام ، وعلى التمسك به .

٦ — وأمَرَهُمْ أَن يَسْتَمِسُكُوا بَيْنَ اللَّهِ الَّذِي أَمْرَهُمْ بِهِ ، وَعَهْوَدُهُمُ الَّتِي عَهَدَ إِلَيْهِمْ
فِي كِتَابِهِ ، وَأَن يَدْخُلُوا فِي الْجَمَاعَةِ ، وَأَن يَشْكُدُّ بَعْضُهُمْ أَزْرَّ بَعْضَ ،
وَأَن تَسُودَ بَيْنَهُمُ الْأَلْفَةُ ، وَأَن يَسْلِمُوا أَمْرَهُمْ إِلَى اللَّهِ ، وَيَنْعَمُوا النَّظَرُ فِيهَا أَنْعَمُ
بَهُ عَلَيْهِمْ مِنَ الْأَلْفَةِ وَالْجَمَاعَ عَلَى إِلَامِ ، بَعْدَ أَنْ كَانُوا مُتَعَادِينَ ، يَقْتَلُ
بَعْضُهُمْ بَعْضًا لَأَوْهِيِ الْأَسْبَابِ ، مُتَنَاهِرِينَ بِسَبِيلِ الْعَصَبَيَّةِ الْحَمَقَاءِ ،
الَّتِي كَانَتْ مُسِيَّرَةً عَلَيْهِمْ ، يَخَافُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، فَلَيْسَ بَيْنَهُمْ مِنْ يَأْمُنُ
عَلَى نَفْسِهِ أَوْ مَالِهِ أَوْ عَرْضِهِ ، فَصَارُ أَبْنَاءُ الْعَوْمَةِ : الْأُوسُ وَالْخَرْجُ
إِخْوَانًا بِالْإِسْلَامِ ، بَعْدَ أَنْ كَانُوا عَلَى وَشْكٍ أَنْ يَرْتَدُوا فِي هَاوِيَّةِ جَهَنَّمِ بِسَبِيلِ
كُفْرِهِمْ ؛ وَبِمِثْلِ هَذَا الَّذِي بَيْنَهُ اللَّهُ لَكُمْ — مَا كَانَ يَرِيدُهُ بِكُمْ أَعْدَاؤُكُمْ
مِنَ الْيَهُودِ ، وَمَا كَانَ بَيْنَكُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ — يَعْرِفُكُمُ اللَّهُ مَوَاضِعُ نِعْمَتِ
عَلَيْكُمْ ، لَتَهْتَدُوا إِلَى سَبِيلِ الرِّشَادِ .

٧ — وَيَأْمُرُ اللَّهُ أَفْرَادُ هَذِهِ الْأُمَّةِ ، أَوْ يَأْمُرُ عُلَمَاءَهَا ، أَنْ يَأْمُرُوا النَّاسَ بِالْمَعْرُوفِ ،
وَيَنْهَا عَنِ الْمُنْكَرِ ، فِي حَدُودِ مَا رَسَمَ الْكِتَابُ وَالسُّنْنَةُ ، وَتَوَاضِعُ عَلَيْهِ عُلَمَاءُ
الْمُسْلِمِينَ ، وَالَّذِينَ يَفْعَلُونَ ذَلِكَ هُمُ الْخَلْفَاءُ اللَّهُ فِي أَرْضِهِ ، وَخَلْفَاءُ رَسُولِهِ
فِي أُمَّتِهِ ، وَخَلْفَاءُ كِتَابِهِ فِي دِينِهِ .

٨— ويحذّر الله المسلمين أن يتفرقوا ، أو يختلف بعضهم مع بعض في أمور دينهم ، كما تفرق اليهود والنصارى ، وكما اختلفوا ، بعد أن قامت الأدلة القوية التي تجمّعهم على دين واحد ، هو دين الإسلام ، ومثل هؤلاء لهم عند الله عذاب عظيم يوم القيمة .

٩— يوم القيمة يبصرون وجه المؤمن استبشرًا ، ويغيض نصاراة وإشراقة ، ويسود وجه الكافر ويربد عبوساً وإظلاماً ، ويقال للذين أسودت وجوههم وهو الكفار : أأنتم كفّرتم بعد إيمانكم ، فقد كنتم تعترفون بما في كتبكم من بعث محمد ، فلما بعث أنكرتم عليه رسالته ، وكفّرتم به ، أو أأنتم ارتدتم بعد الإيمان ، أو نافقتم فأظهرتم غير ما أبطنتم ؟ فجزاؤكم اليوم العذاب الشديد ، بسبب هذا الكفر ، ويقال للذين ابضموا وجوههم ، وهو المؤمنون : أأنتم خالدون في جنة الله ، ودار كرامته .

١٠— آيات القرآن هذه ، وما تضمنته من وعد ووعيد وغير ذلك ، ينطّلّ الله عليك يا محمد ، على لسان جبريل عليه السلام — كلها حق وصدق ، والله لن يعنّي أحداً من عباده من غير أن يرتكب ذنبًا يستوجب عذابه .

١١— والله سبحانه وتعالى واسع القدرة ، له ما في السموات ، وما في الأرض ، ومرجع كل شيء إليه ، فالكل عباده وخلقه ، فإن يظلم أحداً منهم ، صالحاً كان أو غير صالح ، محسناً أو غير محسن ، ويلقى كل جزاءه على قدر استحقاقه .

(٤)

كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ، تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَاوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ، وَلَوْ أَمِنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ، مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ ، وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ . لَنْ يَضُرُوكُمْ إِلَّا أَذْى ، وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدَبَارَ ، ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ . ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ النَّلَّةُ أَيْنَا تِقْفَوْا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ ، وَبَاءُوا بِعَصْبَى مِنَ اللَّهِ ، وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ، ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ، ذَلِكَ عَمَّا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ . لَيْسُوا سَوَاءً . مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ ، يَتَلَوَّنَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ الظَّلَلِ ، وَهُمْ يَسْجُدُونَ . يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ ، وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ . وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكَفَّرُوهُ ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أُولَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ، وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا

خَالِدُونَ . مَثَلٌ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلَ رِيحٍ
فِيهَا صِرٌّ ، أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ ، وَمَا
ظَلَمُهُمُ اللَّهُ ، وَلَكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
كُنْتُمْ خَيْرُ أَمَّةٍ	المراد : المهاجرون ومن صنع مثل صنيعهم .
أَخْرَجْتُ لِلنَّاسِ	أَظْهَرْتَ لِلنَّاسِ .
تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ	تَدْعُونَ إِلَى الإِسْلَامِ وطَاعَةِ الرَّسُولِ .
وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ	وَتَدْعُونَ إِلَى تَرْكِ الْكُفَّارِ ، وَكُلُّ أَمْرٍ مُحَرَّمٌ .
وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ	وَتَسْتَمِرُونَ عَلَى إِيمَانِكُمْ بِاللَّهِ .
وَلَوْ آتَنَّ جَمِيعَ أَهْلِ الْكِتَابِ	وَلَوْ آتَنَّ جَمِيعَ أَهْلِ الْكِتَابِ .
إِلَّا أَذْى	<p>{ إِلَّا ضَرَّاً لَا يَعْدِلُ طَعْنًا فِي الدِّينِ ، أَوْ تَهْدِيدًا ، أَوْ نُحوَهُما . }</p>
يُولُوكُمُ الْأَدْبَارِ	<p>{ يَعُودُوا مِنْزَمِينَ ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَأْسِرُوا مِنْكُمْ أَوْ يُقْتَلُوا . }</p>
ثُمَّ لَا يَنْصُرُونَ	ثُمَّ لَا يُمْسِحُونَ مِنْكُمْ بِقُوَّتِهِمْ ، أَوْ بِمَعَاوَنَةِ غَيْرِهِمْ .
ضَرَبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَذْلَةُ	قَدْرُ عَلَى الْيَهُودِ أَنْ يَكُونُوا أَذْلَاءَ فِي الْأَرْضِ .
أَيْنَا ثَقَفُوا	فِي أَيْ مَكَانٍ وُجِدُوا .
إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ	إِلَّا إِذَا كَانُوا مُسْتَهْسِكِينَ بِدِينِ اللَّهِ .
وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ	وَمِيشَاقٌ بَيْنِهِمْ وَبَيْنِ النَّاسِ ، بِعَهْدٍ أَوْ ذَمْةٍ .

شرحها	الألفاظ
واستوجبوا غضب الله لسوء فعلهم . وقدر عليهم أن يخافوا الفقر دائمًا ، وإن كانوا على غنى .	وباعوا بغضب من الله وسربت عليهم المسكنة
سبب ذلك أنهم . وكان يتعدون حدود الله ، ولا يقفون عندها . ليس أهل الكتاب في درجة واحدة .	ذلك بأنهم وكانوا يعتدون ليسوا سواء
جماعة على دين صحيح ، واستقامة ، فدخلوا في الإسلام . يقرءون القرآن . في ساعات الليل وأوقاته . ويبدرون إلى عمل الخير .	أمة قائمة يتلون آيات الله آباء الليل ويسارعون في الخيرات
من المسلمين الذين صلحت أحوالهم ، ورضي الله عنهم . فلن يحرموا ثوابه . من عذاب الله وعقابه . فيها برد شديد .	من الصالحين فلن يكفروه من الله فيها صر
زرع قوم . ظلموها بالكفر .	حرث قوم ظلموا أنفسهم

بِجَلِ الْمَعْنَى

١ — الذين هاجروا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن صنع مثل صنيعهم من المسلمين ، كالأنصار وغيرهم ، من دخلوا في دين الله أتوا جـ ٤ (٢) هـ

خير الأئم في زمانهم ، وأمثالهم طريقة في الأمر بالمعروف ، بالدعوة إلى الإسلام ، وفي النهي عن المنكر ، والتنفير من الكفر ، وفي أنهم يستجيبون للدعوة استجابة سريعة ، مقتنيين بما فيها من خير ، وفي أنهم يؤمنون بالله ، ويخلصون له التوحيد والعبادة ؛ فلو أن أهل الكتاب من اليهود والنصارى آمنوا بما جاء به محمد ، لكان ذلك خيرا لهم في الدنيا والآخرة ، ولكن النذين آمنوا منهم قليلون ، والذين ظلوا خارجين على الطاعة كثيرون .

٢ — وهؤلاء الفاسقون يحاولون الإضرار بكم ، ولكنهم على كثرةهم ، لن يتتجاوز إضرارهم أن يقولوا : عزيز ابن الله ، أو المسيح ابن الله ، وأن يحتالوا عليكم لإصلاحكم ، ومع ذلك ، فإن كان في هذا ضرر عليكم ، فإنه واقع بهم ؛ وهؤلاء اليهود والنصارى ، إن يقع بينكم وبينهم قتال ، ينهزمو ، ويستذربوكم هرباً منكم ، والله لن ينصرهم عليكم ، لکفرهم وإيمانكم .

٣ — اليهود والذين كذبوا محمدأ ، كتبت عليهم الذلة أينما كانوا من الأرض ، وفي أي مكان كانوا من بقاعها ، من بلاد المسلمين والمشركين ، فلا يأمنون على أنفسهم وأموالهم وأولادهم ، في بلاد المسلمين أو في جوارهم ، إلا أن يكون بينهم وبين المسلمين عهد ؛ واستحقوا غضب الله عليهم ، بإنزالمهم الذل في الدنيا ، والخذاب في الآخرة ، وخوف الفحافة والفقير ، وإن كانوا ذوى مال ، وذلك كله بسبب كفرهم بآيات الله ، المدانة على صدق أنبيائه ، وبسبب قتلهم الأنبياء بغير حق ظلماً وعدواناً ، وقد أخبرنا الله ما فعله ويفعله بهم في الدنيا والآخرة بسبب عصيانهم ، ليكون لنا في ذلك عبرة وعظة .

٤ — أسلم عبد الله بن سلام ، وجماعة من اليهود ، وحسن إسلامهم ، فقال

أَحْبَارُ الْيَهُودُ وَالْكَافِرُونَ مِنْهُمْ : مَا آمَنَ بِمُحَمَّدٍ وَلَا تَبَعَّهُ إِلَّا شَرَارًا ،
وَلَوْ كَانُوا مِنْ خِيَارِنَا مَا تَرَكُوا دِينَ آبَائِهِمْ ، وَذَهَبُوا إِلَى غَيْرِهِ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ :
« لِيَسُوا سَوَاءً ، مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ . . . » إِلَى قَوْلِهِ : « وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ». . .
وَالْمَعْنَى : لَا يَسْتُوِي الْمُؤْمِنُونَ وَالْفَاسِقُونَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ، فَإِنْ مِنْهُمْ جَمَاعَةٌ
أَسْتَقْامُوا عَلَى الْهُدَى ، وَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَقَرَعُوا كِتَابَهُ ، وَاتَّعْظَوْهُ بِهِ ،
وَعَمِلُوا بِمَا فِيهِ ، لَأَنَّهُمْ قَرَعُوهُ قِرَاءَةً تَدْبِرُ وَتَفَكَّرُ وَخُشُوعٌ ، فِي سَاعَاتٍ
اللَّيلِ الَّتِي يَخْلُصُ فِيهَا الْقُلُوبُ ، وَيَصْفُو الْأَنْهَنُ ، وَآمَنُوا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ ،
وَأَمْرُوا بِالْإِيمَانِ ، وَدَعُوا إِلَيْهِ ، وَنَهَوْا عَنِ الْكُفَّرِ ، وَحَذَرُوا الْوَقْوْعُ فِيهِ ،
وَسَارُوا إِلَى عَمَلِ الْخَيْرِ ، خَشْيَةً أَنْ يَغُوْثُمْ إِذَا تَأْنَوْا — هَذَا الْفَرِيقُ مِنْ
أَهْلِ الْكِتَابِ فِي عَدَادِ الصَّالِحِينَ ، الْمَرْضَى عَنْهُمْ . . .

٥ - وَكُلُّ مَا يَقْدِمُ مِنْ عَمَلِ الْخَيْرِ ، فَإِنَّ اللَّهَ سَيِّئُ عَلَيْهِ مَقْدِمَهُ ، مِنْ غَيْرِ
أَنْ يَنْقُصَهُ شَيْئًا مِنْ حَقِّهِ ، وَهُوَ عَالَمٌ بِخَلْوَصِ النِّيَاتِ ، وَمَجَازٌ عَلَيْهَا .

٦ - وَالْأَمْمَةُ الْفَاسِقَةُ الْعَاصِيَةُ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ، لَنْ تَنْفَعُهُمْ أَمْوَالُهُمُ الَّتِي جَعَوْهَا
فِي الدُّنْيَا وَأَكْتَرُوهَا ، وَلَنْ يَنْفَعُهُمْ أَوْلَادُهُمُ الَّذِينَ قَامُوا عَلَى تَرْيَتِهِمْ ،
وَلَنْ يَدْفَعُوهُمْ شَيْئًا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ ، الَّذِي سَيَصِيبُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَهُمْ
مُخْلَدُونَ فِي جَهَنَّمَ ، لَا يَخْرُجُونَ مِنْهَا أَبَدًا . . .

٧ - الْكَافِرُونَ الَّذِينَ يَنْفَقُونَ مِنْ أَمْوَالِهِمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَيَعْطُونَهَا تَقْرَبًا إِلَى
إِلَى اللَّهِ — وَهُمْ يَنْكِرُونَ وَحْدَانِيَتِهِ — عَلَى أَمْلَأِ أَنْهَا تَنْفَعُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ،
يُبْعَثُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَيَتَبَدَّلُ أَمْلَاهُمْ هَذَا ، إِذْ يَجِدُونَ مَا أَنْفَقُوهُ لَا فَائِدَةَ
لَهُمْ مِنْهُ ، فَيُخَيِّبُ أَمَانَهُمْ ، وَيُبْطِلُ رَجَاؤُهُمْ — مِثْلُ هُؤُلَاءِ الْكَافِرِينَ ، كَمْثُلِ
صَاحِبِ زَرْعٍ ، أَمْلَ إِدْرَاكَهُ ، وَرَجَا رَيَاعَهُ ، وَانتَظَرَ فَائِدَتَهُ وَنَفْعَهُ ،
فَظُلِمَ صَاحِبُ الزَّرْعِ نَفْسَهُ بِعَصِيَانِ اللَّهِ ، وَأَصَابَهُ مِنَ الْحَسْرَةِ مَا أَصَابَهُ ،

فلا هو أرضي ربَّه ، ولا هو انتفع بزرعه ، وإنْجَابَتُ الله سبْحَانَه وَتَعَالَى
أَعْمَالَ هَؤُلَاءِ الْكَافِرِينَ ، لَيْسَ فِيهِ ظُلْمٌ لَّهُمْ ، وَلَا تَسْجُنَّ عَلَيْهِمْ ، لَأَنَّ
صَدَقَاتِهِمْ لَمْ تَكُنْ مِّنْهُمْ ، وَهُمْ مُؤْمِنُونَ مُوَحَّدُونَ ، وَلَكُنْهَا كَانَتْ مِنْهُمْ ،
وَهُمْ مُخَالِفُونَ مُشْرِكُونَ ، وَقَدْ نُصْحِحُوا فِيمَا يَنْتَصِحُوا ، فَهُمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا
أَنفُسَهُمْ لَأَنَّهُمْ عَمِلُوا - مُخْتَارِينَ - الْأَعْمَالَ الَّتِي أَوْرَدُتْهُمْ جَهَنَّمَ .

(٥)

يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ، لَا تَتَخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ
خَبَالًا ، وَدُؤُوا مَا عَنْتُمْ ، قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ،
وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبُرُ ، قَدْ يَئِنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ
تَعْقِلُونَ . هَأَنْتُمْ أُولَئِكَ الْمُجْرِمُونَ لَا يُحِبُّونَكُمْ ، وَتُؤْمِنُونَ
بِالْكِتَابِ كُلِّهِ ، وَإِذَا لَقُوا كُمْ قَالُوا : آمَنَّا ، وَإِذَا خَلَوْا عَصُوا
عَلَيْكُمُ الْأَنَاءِلَ مِنَ الْغَيْظِ ، قُلْ : مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ ، إِنَّ اللَّهَ
عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ . إِنْ تَعْسِسُكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤُهُمْ ، وَإِنْ
تُصِبِّكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا ، وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَقَوَّلُوا لَا يَضُرُّكُمْ
كَيْدُهُمْ شَيْئًا ، إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
بِطَانَة	أصحابِ أخْصَاءٍ .
مِنْ دُونِكُمْ	منْ غَيْرِ الْمُسْلِمِينَ .
لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا	لَا يَقْصُرُونَ فِي إِفْسَادِكُمْ ، وَإِفْسَادِ دِينِكُمْ وَدُنْيَاكُمْ .

شرحها	الألفاظ
تمنوا أن يضر لكم ضرراً بلغاً في أنفسكم ، وفي دينكم ودنياكم .	ودوا ما عتقم بدت البعضاء من أفواههم
ظهر في كلامهم شدة كرههم لكم . والبغض الذي يضمرونه في نفوسهم ، أكبر مما يظهر على ألسنتهم .	وما تخفي صدورهم أكبر
أوضحنا لكم الأسباب التي توجب عليكم الاستعانة بإخوانكم في الدين دون غيرهم .	بيّنا لكم الآيات
وتؤمنون بكل ما جاء في الكتب السماوية ، ومنها كتابهم .	وتؤمنون بالكتاب كله
أظهروا لكم أنهم يؤمنون بأن الله واحد . وإذا انفرد بعضهم ببعض بعيداً عنكم .	قالوا : آمنا وإذا خلوا
دعا عليهم أن ييقوا على غيظهم حتى يموتوا . إن الله عالم بحقيقة ما في النفوس ، ويعرف ما في صدوركم من غليلٍ وحقد على المؤمنين .	موتوا بغيطكم إن الله عالم بذات الصدور
إن يصيّبكم خير يحزنهم . لا يؤذكم مكرهم . إن الله عالم بما يعملون في عداوتكم .	إن تمسّسكم حسنة تسوههم لا يضركم كيدهم شيئاً إن الله بما يعملون محيط

مجمل المعنى

١ - كان رجال من المسلمين يوادون رجالاً من اليهود والمنافقين ويواصلونهم ، لما كان بيهم من أسباب في الجاهلية قبل الإسلام ، فنهى الله عن ذلك

بقوله تعالى : « يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم ... » إلى قوله : « إن الله بما يعملون يحيط » ؟ فالله سبحانه وتعالى ينهى المؤمنين أن يتخذوا لأنفسهم أولياء وأصحابياء من أهل دين غير دينهم ، ويؤثرهم على إخوانهم المسلمين بالمردة والصدقة ، لأنهم لا يدعون فرصة يستطيعون فيها إفسادكم ، في أنفسكم وأموالكم ودينكم ، إلا انتهزوا ، ويتمنون أن يضروكم ضرراً بليغاً في هذا كله ، وأن يسوعوكم ، ولا يسروكم ، وإنهم لشدة كراهيتهم إياكم ، لا يستطيعون إخفاء ما في نفوسهم ، ولكنهم بداع لا شعوري ، تنطق ألسنتهم بما ينم عن شدید بغضهم ، وسوء قصدتهم ، وإن صدورهم وقلوبهم تتحلى من الحقد عليكم ، والكره لكم ، أضعاف ما يبذلو من ألسنتهم ، وقد أثبت الله بالدليل موقفهم منكم ، لعلكم تجنرونهم ، ولا تأمنونهم ، ولا تطمئنون إليهم .

٢ - أنتم تحبون هؤلاء الكفار وتواдовونهم وتواصلونهم ، ولكنهم لا يحبونكم ، ويتمنون لكم الشر والضرر ، مع أنكم آمنتم بالكتب السماوية ، ومنها كتابهم ، فكان يجب عليهم أن يقدروا ذلك منكم ، ويبادلوكم ودًا بود ، وإخلاصاً بإخلاص ، ولكنهم إذا قابلوكم صانعواكم ، وأظهروا لكم إيمانهم ، واعترافهم بوحدانية الله ، وإذا افترقوا عنكم ، وخلا بعضهم إلى بعض بعيداً عنكم ، عضواً أو أطرف أصابعهم غيظاً منكم ، وكرهًا لكم .

٣ - إن تناولوا خيراً بتعاونكم أو انتصاركم ، أو دخول الناس في دينكم ، أو تصبكم نعمة - يحزنهم ذلك ويؤلمهم ، ويشعّل نار الحقد في قلوبهم ، وإن لحقكم ضرر في أي أمر من الأمور - يسرهم ذلك ، وينعشهم وبهجهم ، ولكن المسلمين إذا صبروا على ما عسى أن يصيغ لهم ، وصبروا على محاولة أعدائهم الإضرار بهم ، واتقوا الله في كل ما يعملون ،

وأنجحوا حذرهم من هؤلاء الأعداء — فإن مكايدهم إياكم لن تؤذيكم ،
ولن تضركم ، والله عالم بما يعملون في معاداة المسلمين .

قصة أحد

الآيات التي في سورة آل عمران من أول قوله تعالى : « وإذ غدوت من
أهلك تبوي المؤمنين مقاعد للقتال » — تشير إلى الأحداث التي وقعت في غزوة
أحد : لذلك آثرنا أن نذكر قصة هذه الغزوة كاملة ، ثم نحيط على ما نبذله
في أثناء التفسير .

وقعت غزوة أحد في شوال ، من السنة الثالثة للهجرة ، وهي غزوة كان
فيها امتحان للمسلمين ، وابتلاء لهم ، وفيها كانت مواقف للمسلمين ، ومواقف
للمتافقين ، وفيها كانت دلائل للنبوة ، وتأييد لمحمد صلى الله عليه وسلم في
نواح مختلفة .

وسبّها أنه لما عاد المشركون من « بدر » إلى مكة ، بعد أن هزمهم المسلمون ،
وجدوا التجارة التي أقبل بها أبو سفيان من الشام موقوفة في دار الندوة ،
لم يتصرّفوا فيها ، ولم يوزعوا ما لها على أصحابه ، فرأى أصحاب التجارة أن يتبرعوا بها
لتجهيز جيش لقتال محمد وأصحابه ، وباعوها العِير ، وكانت مكونة من ألف
بعير ، وسُلِّعَ قيمتها خمسون ألف دينار ، فأقبل الناس على شرائها ، وأغدوها ثمنها ،
حتى كان ما قيمته دينار ، يباع بدينارين .

ثم بعثوا وفوداً منهم إلى العرب يَسْتَفْرِونَهم ، فألبّوهم على محمد وأصحابه ،
وجهزوا جيشاً كثيفاً لغزوه هو ومن اتبّعه في المدينة ، وكان الجيش ثلاثة آلاف
رجل ، ومائتي فرس ، وثلاثة آلاف بعير ، وخرج خمس عشرة طعينة ، (الطعينة :

المرأة في هودجها) ، وبعض نساء مكة ، يبكين قتلى بدر ، وينسحن عليهم ، ثم سار الجميع نحو المدينة .

كتب العباس بن عبد المطلب عم محمد صلى الله عليه وسلم كتاباً إليه، يخبره فيه بذلك، ثم شاع الخبر بين اليهود والمنافقين.

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم العيون ، وبث الأرصاد ، فعرف أئمـاـنـهـمـ نـزـلـواـ فـيـ أـحـدـ ، عـلـىـ خـمـسـةـ أـمـيـالـ مـنـ الـمـدـيـنـةـ ، ثـمـ أـرـعـواـ إـلـيـهـمـ آـثـارـ الـحـرـثـ وـالـزـرـعـ حـوـلـ الـمـدـيـنـةـ ، فـلـمـ يـتـرـكـواـ خـضـرـاءـ ، وـانـتـهـىـ إـلـيـهـ عـدـدـهـمـ وـعـدـدـهـمـ ، فـقـالـ لـمـنـ أـخـبـرـهـ : لـاـ تـذـكـرـواـ مـنـ شـأـنـهـمـ حـرـفـاـ ، حـسـبـنـاـ اللـهـ وـنـعـمـ الـوـكـيلـ ، اللـهـمـ بـلـكـ أـجـوـلـ ، وـبـلـكـ أـصـوـلـ ، وـلـعـلـهـ كـانـ يـرـيدـ بـمـلـكـ الـكـهـنـاـنـ أـلـاـ يـشـيـعـ بـيـنـ أـحـبـابـهـ ذـلـكـ ، فـتـفـتـرـ عـزـائـمـهـمـ .

وباتت وجوه الأوس والخزرج عليهم السلاح ، بباب النبي صلى الله عليه وسلم ، خشية أن يهجم المشركون على المدينة ، ويفاجئوهم بسوء .
ورأى صلى الله عليه وسلم في منامه رؤيا ، فلما أصبح ، خطب في الناس ،
وكان مما قاله : أيها الناس ، إني رأيت في منامي رؤيا : رأيت كأنني في درع
حصينة ، ورأيت كأن سيفي ذا الفقار انقصم : تكسر من عند ظبيته « حدّه »
ورأيت بقرًا تُنْبَحَ ، ورأيت كأنني مردف كبشًا . فقال الناس : يا رسول الله ،
فما أُولَئِكَ؟ قال : أما الدرع الحصينة فالمدينة ، فامكحوا فيها ، وأما الدرع
من عند ظبيته ، فصبيته في نفسي ، وأما البقر المنْبَحَ فقتلني من أصحابي ، وأما أني
مردف كبشًا . فكبش الكتبة نقله إن شاء الله .

وهنا نجد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبدى رأيه في قوله : فامكثوا فيها ، ولكن مع ذلك آثر أن يستطلع رأي أصحابه ، فقال : أشيروا على ، وكان أول من وافقه على رأيه في عدم الخروج من المدينة للقاء قريش في ظاهرها - هو

عبد الله بن أبي ، وتابعه بعض أكابر الصحابة من المهاجرين والأنصار ، فوافقهم النبي ، ابتداء ، ثم قال : امكثوا في المدينة ، واجعلوا النساء والذراري في الآكام : «البيوت المرتفعة» ، فإن دخل علينا قاتلناهم في الأرقة ، فتحن أعلم بهم ، ورمُسوا من فوق الصياصي : «الحصون»

لم يطمئن إلى هذا الرأي فتيانُ أحداث ، لم يكن لهم شرف المشاركة في بدر ، وهم يحبون لقاء العدو ، ويرجون الاستشهاد في سبيل الله ، فقالوا : اخرج بنا إلى عدونا ، وقال بعض الأنصار : إنما نخشى يا رسول الله أن يظن عدونا أنا كرهنا الخروج إليهم ، جبناً عن لقائهم ، فيكون هنا جرأة منهم علينا ، وقد كنتَ يوم بدر في ثلاثة رجال ، فظفرتكم الله عليهم ، ونحن اليوم نفر كثير ، قد كنا نتمنى لهذا اليوم ، وندعو الله به ، فساقه الله إلينا في ساحتنا ، قال هؤلاء الناس ذلك ، وألحوا فيه ، ولبسوا السلاح ، ورسول الله كاره ، فحلف أحدهم ألا يطعم اليوم طعاماً حتى يحالهم بيته خارج المدينة ؛ فلما أتوا إلا ذلك ، نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم على رأيهم ، وأمرهم بالجهاد ، وأخبرهم أن لهم النصر ما صبروا ، ففرح بعض الناس بالخروج إلى العدو ، ولكن كثيراً منهم كرهوا لهذا الخروج ، وعتبروا على إخوانهم أن استكرهوا النبي على الخروج ، وطلبوا إليه أن يردوا الأمر إليه ، وما يأمرهم يفعلونه ، وبينما هم في جدالهم ، خرج عليهم رسول الله وقد ليس لأمة : «درعه» ، فقالوا : يا رسول الله ، ما كان لنا أن نخالفك ، فاصنع ما بدا لك ، فقال : قد دعوتكم إلى هذا الحديث فأبىتم ، ولا ينبغي لنبي إذا ليس لأمه أنه يضيعها حتى يحكم الله بينه وبين أعدائه ، انظروا ما أمرتكم به فاتبعوه ، امضوا على اسم الله ، فلكم النصر ما صبرتم .

عقد النبي بعد ذلك ثلاثة ألوية : لواء للأوس ، ولواء للخرج ، ولواء للمهاجرين ، وخرج في جيشه لقاء الكفار ، حتى إذا وصل إلى مكان من

الطريق سمع جلبة وضجيجاً ، فالتفت فإذا حُلَفاء عبد الله بن أبي بن سلول ومن معه من اليهود يرجعون ، وكان قد عرض عليه صلى الله عليه وسلم بعض أصحابه أن يستعينوا بخلفائهم من اليهود فأبى ، وقال : لا نَسْتَنْصُر بِأَهْل الشَّرِكَةِ عَلَى أَهْلِ الشَّرِكَةِ مَا لَمْ يَسْلِمُوا .

وبق المؤمنون وعددهم سبعمائة ، ليقاتلوا ثلاثة آلاف من القريشيين ، كلهم موتور .
التي اجتاز ، ونظم النبي جيشه ، وبواه مقاعده ، وجعل أحداً خلف ظهره ، واستقبل المدينة ، ومشى على رحلية يسوى الصفوف ، ثم خطبهم خطبة نصحهم فيها أن يوطّنوا أنفسهم على الصبر واليقين ، والجد والنشاط ، وأن يتجنّبوا التنازع والخلاف ، لأن الله لا يعطي النصر والظفر مع الخلاف .

نشبت الحرب بين الفريقين ، وببدأت بالمبارة ، فقتل على طلحة بن أبي طلحة كبس الكتبية ، وصارت نساء قريش أمام الجيش يضرّبن بالدّفوف والغرابيل ، ثم يرجعن وراء الصفوف عند التحام الجيشين ، حتى إذا رأين فاراً عيّرته ، وذكرّنه قتل بدر ، وأنشدن الأناشيد . وتقدم صلى الله عليه وسلم إلى الرّماة ، وقال لهم : احموا لنا ظهورنا ، فإننا تخاف أن نُؤتَى من ورائنا ، والزمووا مكانكم لا تبرحوا عنه ، وإذا رأيتمونا نهرّبكم حتى ندخل عسكركم ، فلا تفارقوا مكانكم ، وإن رأيتمونا نُقتل ، فلا تُعْيِّنونا ، ولا تدفعوا عنا ، اللهم إنيأشهدك عليهم ، وارشقوا خيلهم بالنبل ، فإن الخيل لا تُقْدِم على النبل .

حَمَي الوطيس ، وَهَمَي الرماة ظهور المسلمين ، ورشقوا خيل المشركين بالنبل فولت هارب ، وشد المسلمون على كتائب المشركين ، فجعلوا يضرّبون ، حتى اختلت صفوفهم ، ولما قُتِل صاحب لواء المشركين طلحة بن أبي طلحة تبعه أولاده الأربع ، الذين تناوبوا اللواء واحداً بعد واحد ، فنارت أمّهم وكانت مع نساء المشركين ، لتشربن الخمر في قِحْفِ رأس عاصم بن ثابت ، لأنّه قُتل اثنين من ولدتها ، والقِحْف : العظم الذي فوق الدماغ .

قالوا : وما ظفرَ اللَّهُ نَبِيُّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مُوْطَنٍ قَطُّ ، مَا ظَفَرَهُ أَصْحَابُهُ يَوْمَ أَحَدٍ ، حَتَّى عَصَوْا الرَّسُولَ ، وَتَنَازَعُوا فِي الْأَمْرِ .

وَذَلِكَ أَنَّ الْمُشْرِكِينَ انْكَسَهُوا ، وَلَوْلَا مُنْزَمِينَ لَا يَلُوْنَ عَلَى شَيْءٍ ، وَنَسَاؤُهُمْ يَدْعُونَ بِالْوَيْلِ بَعْدَ ضَرْبِ الدَّفْوَفَ وَالْفَرَحِ ، وَلَكِنَّ الْمُسْلِمِينَ أَصْبَاهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ مَا أَصْبَاهُمْ بِبَسْبَبِ الرَّمَاءِ ، فَإِنَّ الْمُشْرِكِينَ لَمْ يَنْزَمُوا ، وَتَبَعَهُمُ الْمُسْلِمُونَ ، يَضْعُونَ السَّلَاحَ فِيهِمْ حَيْثُ يَشَاءُونَ ، وَقَعُوا عَلَى عَسْكَرِهِمْ يَنْهَاوْنَهُ وَيَغْتَنِمُونَهُ — قَالَ بَعْضُ الرَّمَاءِ لِبَعْضٍ : لَمْ تَقْيِمُوا هَذِهِنَا فِي غَيْرِ شَيْءٍ؟ قَدْ هَزَمَ اللَّهُ الْعَدُوَّ ، وَهُؤُلَاءِ إِخْوَانُكُمْ يَنْهَاوْنَ عَسْكَرَهُمْ ، فَادْخُلُوهُمْ وَاغْنِمُوهُمْ مَعَ إِخْوَانِكُمْ ؟ فَقَالَ بَعْضُهُمْ : أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَكُمْ : اهْجُوا ظَهُورَنَا ، وَلَا تَبْرُحُوا مَكَانَكُمْ ، وَإِذَا رَأَيْتُمُونَا نُقْتَلُ فَلَا تَتَنَصَّرُونَا ، وَإِنْ غَنَمْنَا فَلَا تَشَرَّكُونَا ، وَاجْهُوا ظَهُورَنَا ؟ فَقَالَ الْآخَرُونَ : لَمْ يُرِدْ رَسُولُ اللَّهِ أَنْ نُبَقِّيَ بَعْدَ أَذْلِ الْمُشْرِكِينَ ، وَانْطَلَقُوا فَلَمْ يَبْقِيَنَّهُمْ مَعَ أَمْيَرِهِمْ إِلَّا دُونَ الْعَشَرَةِ ، وَذَهَبُوا إِلَى عَسْكَرِ الْمُشْرِكِينَ يَنْهَاوْنَ .

وَبَيْنَا كَانَ الْمُسْلِمُونَ مُشَغُولِينَ بِجَمْعِ الْغَنَائِمِ ، دَهْمَتْهُمْ خَيُولُ الْمُشْرِكِينَ وَفَرَسَانُهَا ، وَوَضَعُوا سَيِّوفَهُمْ فِي أَعْنَاقِ الْمُسْلِمِينَ ، وَقَتَلُوا فِيهِمْ تَقْتِيلًا ذَرِيعًا ، وَتَفَرَّقَ الْمُسْلِمُونَ فِي كُلِّ وَجْهٍ ، وَتَرَكُوا مَا نَهَاوْا ، وَخَلَوْا مِنْ أَسْرَوْا ، وَشَاعَ بَيْنَهُمْ أَنَّ مُحَمَّدًا قدْ مَاتَ ، وَانْتَلَطَ الْمُسْلِمُونَ ، وَصَارُوا يَقْتَلُونَ ، وَيُضْرَبُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا مِنَ الْعَجْلَةِ وَالْدَّهَشِ .

تَفَرَّقَ الْمُسْلِمُونَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ، وَسَاءَهُمْ مَا أَشَاعَهُ الْمُسْلِمُونَ عَنْ مَوْتِهِ ، ثُمَّ لَمْ يُلْبِسُوا أَنَّهُمْ عَلِمُوا أَنَّهُ مَا زَالَ يَنْافِحُ ، وَيَنْافِحُ مَعَهُ قَلْةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ ، كَانَ يَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ، ثُمَّ انْطَلَقَ إِلَى الشَّعْبِ فِي جَمَاعَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ ، وَلَيْسَ لَهُمْ لَوَاءُ قَائِمٍ ، وَالْمُشْرِكُونَ فِي سَعْةِ الْوَادِي يَقْبَلُونَ وَيَدْبِرُونَ ، يَلْتَفُونَ وَيَفْتَرُونَ ، فَلَا يَرَوْنَ أَحَدًا يَرْدِهِمْ ، أَوْ يَعْتَرِضُ سَبِيلَهُمْ .

وأصيَّبَ النَّبِيَّ فِي هَذِهِ الْعَزْوَةِ ، وَكَسَرَتْ رَبَاعِيَّتَهُ ، وَدَمَيَّتْ شَفَتَاهُ ، وَشُجَّعَ فِي وجْنَتِهِ ، حَتَّى غَابَ حَلْقُ الْمِغْفَرَ فِي وجْنَتِهِ ، وَأَصَبَّتْ رَكْبَتَاهُ ، وَالْمِغْفَرَ : زَرْدَ مِنَ الدَّرْعِ ، يَلْبَسُ تَحْتَ الْمَلْسُوَةِ ، وَيَغْطِي أَكْثَرَ الْوِجْهِ .

وَكَانَ سَالِمُ مَوْلَى أَبِي حَذِيفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَغْسِلُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَيَسْمِعُهُ يَقُولُ : كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ فَعَلُوا هَذَا بَنْيَهُمْ ، وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ : « لَيْسَ لَكُمْ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ، أَوْ يَتُوبُ عَلَيْهِمْ أَوْ يَعْلَمُهُمْ ، فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ». .

وَكَانَ فِي جَيْشِ الْمُسْلِمِينَ نِسَاءُ مُسْلِمَاتٍ ، عَدْدُهُنَّ أَرْبَعَ عَشَرَ اِمْرَأً ، مِنْهُنَّ فَاطِمَةُ وَعَائِشَةُ وَأُمُّ أَيْمَنٍ ، وَكُنْ يَحْمِلْنَ الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ عَلَى ظَهُورِهِنَّ ، وَيَسْقِيْنَ الْجَرْحِيَّ وَيَدْأُوْنَهُمْ ، فَهُنَّ خَارِجَاتٍ لِخَدْمَةِ الْجَيْشِ ، لَا لِتَشْجِيعِهِ عَلَى الظُّلْمِ وَالْبَغْيِ ، كَمَا فَعَلْتُ نِسَاءُ قَرْيَشٍ ، وَإِنَّ مِنْ نِسَاءِ الْمُسْلِمِينَ مَنْ قَاتَلَتْ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ ، وَدَافَعَتْ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَتَلَكَ هِيَ أُمُّ حُمَارَةَ ، نَسِيَّةُ بُنْتِ كَعْبِ النَّجَارِيَّةِ ، فَقَدْ خَرَجَتِ يَوْمَ أَحَدٍ هِيَ وَزَوْجُهَا وَابْنَهَا ، وَمَعَهَا قَرْبَةُ لِتَسْقِي الْجَرْحِيَّ ، فَقَاتَلَتْ ، وَأَبْلَتْ بَلَاءَ حَسَنًا ، حَتَّى جَرَحَتْ اثْنَيْ عَشَرَ جَرْحًا ، بَيْنَ طَعْنَةِ بَرْمَحٍ ، أَوْ ضَرْبَةِ بَسِيفٍ ، فَقَدْ كَانَتْ بَيْنَ يَدَيِ رَسُولِ اللَّهِ هِيَ وَزَوْجُهَا وَابْنَهَا يَلْمِبُونَ عَنْهُ ، فَلَمَّا انْهَزَمَ الْمُسْلِمُونَ ، جَعَلَتْ تَبَاشِرَ الْقَتَالِ ، وَتَذَبَّعَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالسِّيفِ ، وَتَرَمَّى بِالْقَوْسِ ، فَلَمَّا أَقْبَلَ ابْنُ قَمَسِيَّةٍ يَرِيدُ رَسُولَ اللَّهِ اعْتِرَضَتْهُ ، فَضَرَبَهَا عَلَى عَاتِقِهَا ضَرْبَةً صَارَ لَهَا فِيهَا بَعْدَ ذَلِكَ غُورُ أَجْوَفٍ ، وَضَرْبَتْهُ هِيَ ضَرْبَاتٍ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لَمْقَامُ نَسِيَّةِ بُنْتِ كَعْبِ الْيَوْمِ ، خَيْرُ مِنْ مَقَامِ فَلَانَ وَفَلَانَ ، ثُمَّ قَالَ : مَا النَّفْتَ يَمِينًا وَلَا شَمَالًا ، إِلَّا وَأَرَاهَا تَقَانِيلَ دُونَى .

وَكَانَتْ هَنْدَ بَنْتَ عَتَيْبَةَ أَوَّلَ مَنْ مُثَلَّ بِقَتْلِ الْمُسْلِمِينَ ، وَأَمْرَتْ نِسَاءَ الْمُشْرِكِينَ

أَن يمثُلُنَّ بِهِمْ ، فَجَدُّهُنَّ أَنُوفَهُمْ وَآذَانَهُمْ ، وَجَعَلُتْ لِنفْسِهَا مِنْهَا قَلَائِيدَ وَأَقْرَاطًا .

وَطَلَعَ رَسُولُ اللَّهِ بَعْدَ ذَلِكَ هُوَ وَالَّذِينَ ثَبَّتُوا مَعَهُ عَلَى أَصْحَابِهِ فِي الشَّعْبِ ، فَلَمَّا رَأَوْهُ سُرُّوا ، حَتَّى لِكَائِنِهِمْ لَمْ تَصِبْهُمْ مُصِبَّةٌ فِي أَنفُسِهِمْ ، وَبَيْنَا هُمْ عَلَى ذَلِكَ رَدَّ الْمُشْرِكُونَ عَلَيْهِمْ ؛ فَلَمْ يَشْعُرُ الْمُسْلِمُونَ إِلَّا وَهُمْ فَوْقُهُمْ ، فَنَدَبَ النَّبِيُّ أَصْحَابَهِ لِقَاتِلِهِمْ ، فَحَمَلُوهُ عَلَيْهِمْ فَانْكَشَفُوا ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ يَتَلوُ : « وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ ، أَفَإِنَّ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبَتْ عَلَيْهِمْ أَعْقَابُكُمْ ؟ وَمَنْ يَنْقُلِبْ عَلَى عَقِبِيهِ فَلَنْ يَضُرِّ اللَّهُ شَيْئًا ، وَسِيَجْزِي اللَّهُ الشَاكِرِينَ » ، ثُمَّ أَلْقَى اللَّهُ الْمُبَعَّسَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ فَنَامُوا ، ثُمَّ هَبُّوا مِنْ نُومِهِمْ ، كَأَنَّهُمْ لَمْ تَصِبْهُمْ قَبْلَ ذَلِكَ نَكْبَةً .

وَقَالَ أَحَدُ الْمُسْلِمِينَ : لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قَتَلْنَا هَاهِنَا ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ : « إِذْ تُصْبِعُونَ وَلَا تَلُونَ عَلَى أَحَدٍ ، وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أَخْرَاكُمْ ، فَأَنْتُمْ بَعْدَمَا بَغْمًا لَكُمْ ، لَكِيلاً تَحْزِنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ ، وَاللَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ، ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغُمَّ أَمْسَأَةً : نَعَاسًا ، يَغْشِي طَائِفَةً مِنْكُمْ ، وَطَاعَفَةً قَدْ أَهْمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ ، يَظْنُونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظُنُونًا الْجَاهِلِيَّةِ ، يَقُولُونَ : هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ ؟ قُلْ : إِنَّ الْأَمْرَ كُلُّهُ لِلَّهِ ، يَخْفُونَ فِي أَنفُسِهِمْ مَا لَا يَبِدُونَ لَكُمْ ، يَقُولُونَ : لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قَتَلْنَا هَاهِنَا ، قُلْ : لَوْ كُنْتُمْ فِي بَيْوَتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كَتَبَ اللَّهُ قَتْلَهُ إِلَيْهِمْ مُضَاجِعَهُمْ ، وَلَيَبْتَلِي اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ ، وَلَيَمْحُصَّ مَا فِي قُلُوبِكُمْ ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا فِي الصُّدُورِ . إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْنَا مِنْكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّمَا اسْتَرْطَمُ الشَّيْطَانَ بِعِصْمَ مَا كَسَبُوا ، وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ ، إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ » .

وَلَا تَحاجِزْ الْجَيْشَانَ ، جَرَتْ مَنَاظِرَةً بَيْنَ عُمْرٍ وَأَبِي سَفِيَّانَ ، تَأَكَّدَ مِنْهَا الْمُشْرِكُونَ أَنَّ مُحَمَّدًا مَا زَالَ حَيًّا ، ثُمَّ عَادُوا إِلَى مَكَّةَ .

وَشُغُلَ رَسُولُ اللَّهِ بِدُفْنِ أَصْحَابِهِ ، فَلَمَّا فَرَغْ مِنْ دُفْنِهِمْ عَادَ إِلَى الْمَدِينَةِ .

أما موقف المنافقين ، وعلى رأسهم عبد الله بن أبي بن سَلَوْل ، فقد كان موقف شهادة وسرور بما أصاب المسلمين ، وأظهروا أقبح القول ، وأدَّلَه على شهادة حمقاء ، وكذلك كان موقف اليهود ، فقد اتهموا محمدًا بأنه طالب مُلْك ، لأنَّه أصيَّب في بدنِه ، وأصيَّب في أصحابِه ، وما أصيَّب كذلك نَبِيَّ قَطْ ، فأراد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، أن يقتل من يُظْهِر الشهادة من اليهود والمنافقين ، فهَاهُ النَّبِيُّ عن ذلك ، وقال له : يا عمر ، إنَّ الله مظہر دینه ، ومُعِزٌّ نَبِيَّه ، ولليهود ذمة ، فلا أقتلهم ، قال عمر : فهؤلاء المنافقون ؟ قال : أَلَيْس يُظْهِرون شهادة أَنَّ لَا إِلَه إِلَّا الله ، وأَنَّ رَسُولَ الله ، قال على " : يا رَسُولَ الله ، إِنَّمَا يَفْعَلُونَ ذَلِكَ تَعْوِذًا مِنَ السَّيِّفِ ، فقد بَانَ لَنَا أَمْرُهُمْ ، وَأَبْدَلَ اللَّهُ أَصْبَاغَهُمْ عَنْدَ هَذِهِ النَّكِبَةِ ، فَقَالَ : نُهَيْتُ عَنِ الْقَتْلِ مَنْ قَاتَلَ : لَا إِلَهَ إِلَّا الله ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله ، يا بْنَ الخطاب : إِنْ قَرِيشًا لَنْ يَنْلَوَا مَنْ مِثْلُ هَذَا الْيَوْمِ ، حَتَّى نَتَسْلِمَ الرُّكْنَ .

وهذا دليل أَي دليل على تسامح النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع اليهود والمنافقين ،

وحسن سياسته معهم .

(٦)

وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِالْقِتَالِ ،
وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ . إِذْ هَمْتُ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا ، وَاللهُ
وَلِيَهُمَا ، وَعَلَى اللهِ فَلِيَتَوَكَّلُ الْمُؤْمِنُونَ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ بِيَدِهِ
وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ ، فَاتَّقُوا اللهَ لَعْلَّكُمْ تَشْكُرُونَ . إِذْ تَقُولُ
لِلْمُؤْمِنِينَ : أَنَّ يَكْفِيْكُمْ أَنْ يُعِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِشَلَاثَةٍ آلَافٍ
مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ . بَلَى ، إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ
فَوْرِهِمْ هَذَا يُعِدُّكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ
مُسَوِّمِينَ . وَمَا جَعَلَهُ اللهُ إِلَّا بُشَرَى لَكُمْ ، وَلَتَطْمَئِنَ قُلُوبُكُمْ
بِهِ ، وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ . لِيَقْطَعَ
طَرَفًا مِنَ الدِّينِ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتُهُمْ ، فَيُنْقَلِبُوا خَائِبِينَ . كَلِّسَ
لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ، أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ ، فَإِنَّمَا ظَالِمُونَ .
وَاللهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ، يَغْفِرُ لِعَنْ يَشَاءُ ،
وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ ، وَاللهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
إِذْ غَدُوتْ	وإذ خرجت غدوة في أول النهار .
تَبَوَّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ الْقَتَالِ	تنزلهم وترتبهم في أماكنهم من الجيش ، لامتحانهم
	يوم أحد .
سَمِيعُ عَلِيمٍ	يسمع أقوالكم ، ويعلم نياتكم ، وما يجري في صدوركم .
طَائِفَتَانِ	حيان من الأنصار ، وهما بنو سلمة من الخزرج ،
	وبني حارثة من الأوس .
وَأَنْتُمْ أَذْلَةٌ	وأنتم في قلة عدد وعد .
فَاتَّقُوا اللَّهَ	فخافوا الله ، واثبتوه مع رسوله .
بِلِ	نعم ، يكفيكم الإمداد .
إِنْ تَصْبِرُوا	إن تصبروا على القتال ولا تيأسوا .
وَتَنْقِضُوا	وابتعدوا عن الخلاف .
وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فُورِهِمْ هَذَا	ويأتوكم الآن من غير ريث ولا تمهل .
مُسَوَّمِينَ	معلمين .
إِلَّا بَشِّرِي لَكُمْ	إلا بشرارة لكم ، وعلامة على أنكم منتصرون .
وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ	وما يؤدي إلى النصر إلا توفيق الله .
الْعَزِيزُ	المنى لا يغالب .
الْحَكِيمُ	(المنى يضع النصر حيث يجب أن يوضع ، ويضع المزيمة حيث يجب أن توضع .

شرحها	الألفاظ
لি�نقض عددهم بإهلاك طائفة منهم بالقتل ؛ أو أخذهم في الأسر . أو يخزفهم وينظمهم بالهزيمة وعارها . فيرجعوا منهزمين لم ينالوا شيئاً مما راموه . فإنهم مستحقون العذاب إن لم يتوبوا .	ليقطع طرفاً من الندين كفروا أو يكتبهم فينقلبوا خائبين فإنهم ظالمون

مجمل المعنى

- ١ - واذكر يا محمد حين خرجت صباحاً من عند أهلك ، ترتب جيشك يوم أُحد ، والله يسمع ما تقوله ، ويقوله أصحابك ، عالم بما يشيرون عليك به .
- ٢ - وعالم بما حصلت من بني سلمة ، وبني حرثة ، حين كانوا لا يريدان أن يخرجوا إلى أحد ، واستولى عليهم الخوف والرعب ، جُبِّنا عن ملاقاة المشركين ، ولكن ما هاتين الطائفتين يصيّبهما ما أصابهما من الجبن والافزع والمذعر ، مع أن الله سبحانه وتعالى ولهم وناصرهما ؟ والمؤمنون يتوكلون عليه ، ويفوضون أمرهم إليه ، فيجبرهم وينصرهم .
- ٣ - والله سبحانه وتعالى نصركم في غزوة بدر ، وكانت بينكم وبين المشركين ، قبل أحد ، نصركم الله في هذه الغزوة ، مع ما كنتم عليه من قلة العدد والسلاح ، والمئونة ، فكانت حالتكم حالة ذلة وقلة وانكسار . فقد نادب رسول الله أصحابه للخروج إلى عير قريش ، حين انصرقت من الشام إلى مكة ، وخرج معه أكثر من ثلثمائة رجل ، وكانوا يتعاقبون على سبعين بعيراً ، أما عير قريش فكان فيه ألف بعير ، تحمل

أموالاً عظاماً ، ومتاجر قيمتها خمسون ألف دينار ؛ انتظر النبي رجعة العير من الشام ، فلما علم بذلك أبو مفيان ، وكان على العير ، أرسل إلى قريش من يخبرها أن محمدآ قد عرض للعير ، فنفرت قريش في تسعمائة وخمسين رجلاً .

أما أبو مفيان فإنه سار بالعير على ساحل البحر الأحمر ، ونجا من محمد وأصحابه .

وأما قريش فإنها أبىت أن ترجع من غير أن تلاقى محمدآ .

وإذ كان محمد صلى الله عليه وسلم بالقرب من بدر ، أتاه الخبر بمسير قريش إليها ، فاستشار الناس ، فأشار عليه أكثرهم بالمسير ، فقال : سيروا على بركة الله ، فإن الله قد وعدني إحدى المطافئتين ، والله لكوني أنظر إلى مصارع القوم ، ثم أراهم مصارعهم يومئذ ، فما عدا كل رجل مصرعه .

نزل النبي أدنى بدر ، فأرسل جماعة يتحسّسون الماء ، فوجدوا إبل قريش وبعض رجالهم يحملون ماء ، فأخذوه ، ما عدا من أفلت منهم ، وعرف صلى الله عليه وسلم من المسقائين خبر قريش ، وقال لقومه : هذه مكة قد ألتكم أفالذ كبدها ، ثم نزل على أدنى ماء من قريش ليشرب ولا يشربوا ، ثم قاتلت الحرب بين الترقيين ، وانهزم المشركون ؛ فاشكروا الله على نعمته ، وروضوا أنفسكم على التقوى ، وتنليل النفس سبيلاً إلى شكر الله .

٤ - وفي الوقت الذي كنت فيه تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال ، كنت تقول لهم : أليس يكتفيكم أن يساعدكم الله بثلاثة آلاف من الملائكة ، بل إنكم إن صبرتم واتقين ، وخرجتم إلى الأعداء من فوركم - يمدكم بخمسة

آلاف من الملائكة ، ولكنهم لم يصبروا كما أمرهم ، فلم يعدم الله بثلاثة
آلاف ، ولا بخمسة آلاف ، ولا نفههم من الإمداد بالملائكة أن الله
ينزل الملائكة حقيقة ، وينضمون إلى جيش المسلمين ، ويحاربون في
صفوفهم بالسيوف والرماح ، ولكننا نفهم أن الله يمددهم بمعنى يقويهم ،
ويشجعهم ، ويعث فيهم روحًا معنوية ، ويطمئن نفوسهم بأن النصر
معقود لهم ما صبروا ، وما أطاعوا نبى الله محمدًا فيما يأمر به وينهى عنه .

٥ - وما جعل الله هنا الإمداد المعنوى الروحاني إلا بشرى لكم بالنصر ،
ولنظمون قلوبكم لوقوعه ، فلا تجزع ولا يستولى عليها الرعب ، من
كثرة عدد الأعداء ، وتواتر سلاحه ، وتيسر زاده ؛ واعلموا أنكم إن
نصرتم ، فإن الله هو ناصركم ، فلستم أنتم ولا الملائكة ، ولا أى أحد يستطيع
أن يجلب النصر ، ولكن الله العزيز القوى ، الذى لا يمتنع عليه شيء ،
الحكيم الذى يدبر الأمر خير تدبیر ، هو وحده الذى ينصركم ، وينصر
أولياءه دائمًا ، إن عاجلاً أو آجلاً .

٦ - وينصركم الله سبحانه وتعالى في بدر أو غير بدر ، ولا يتأنى ذلك النصر
إلا بإهلاك جانب من الكفار ، ونقص عددتهم ، وإضعافهم بقتل بعض
وأسر بعض ، والذى ينجو من القتل أو الأسر يلحقه عار المهزيمة ،
وخزى الانكسار ، وخيبة المنقلب .

٧ - ومع ذلك ، فإنه يجوز أن ينوب الله على من ينجو منهم من القتل ،
ويتفضل عليه بنعمة الإسلام ، فإن لم يكن له في الإسلام نصيب ،
وظل على كفره ، فالله مخذليه ، وهو مستحق ذلك ، لأنه ظلم نفسه ،
وأنت يا محمد ليس لك شيء من أمر هؤلاء ، فإنما أنت رسول الله إليهم ،
وعليك أن تبلغهم ، وتحذرهم ، وتنذرهم ، فإن أسّلّموا سرّك إسلامهم ،

وإن لم يسلمو فسيتقم الله لك منهم ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم هم
أن يدعوا على أهل أحد من الكفار ، فلما نزلت هذه الآية ، علم أن
منهم من سيسسلم ، ويحسن إسلامه ، وقد حدث هندا ، فأسلم منهم خالد
ابن الوليد ، وعمرو بن العاص ، وغيرهما .

٨ — والله له ملك ما في السموات وما في الأرض ، يتصرف فيه كما يشاء ،
فيغفر لمن يريد أن يغفر له ، ويعذب من يشاء أن يعذبه ، وهو وحده
الذى يستر ذنوب من أحب أن يستر عليه ذنبه ، والرحيم بالملذين
في تأجيل العقوبة ، فإن منهم من سيتوب .

(٧)

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ، لَا تَأْكُلُوا الرِّبَّا إِنَّهُ مُضَارَّةً
وَاتَّقُوا اللَّهَ ، لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ . وَاتَّقُوا النَّارَ إِنَّمَا أَعِدَّتُ لِلْكَافِرِينَ .
وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْجَحُونَ . وَسَارُوا إِلَى مَغْرِبَةِ
مِنْ رَبِّكُمْ ، وَجَنَّةَ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ ، أَعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ
الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَاءِ ، وَالْكَاظِمِينَ الْغِيظَ ، وَالْمَاعِفِينَ
عَنِ النَّاسِ ، وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ . وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً
أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ ، فَاسْتَغْفِرُوا اللَّهُ عَنْهُمْ ، وَمَنْ يَغْفِرُ
الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ ؟ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا ، وَهُمْ يَعْلَمُونَ .
أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ ، وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا
الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ، وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ . قَدْ خَاتَ مِنْ
قَبْلِكُمْ سَنَنٌ ، فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ
الْمُكَذِّبِينَ . هَذَا يَمَانُ النَّاسِ ، وَهُدَى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
لا تأكلوا الربا أضعافاً	لا يكن للرجل دين ، فإذا حل الأجل آخر وزاد فيه .
مضاعفة عرضها السموات والأرض	في حالة اليسر والعسر ، والمراد : جميع الأحوال .
في السراء والضراء والكافرين الغيظ	والذين امتلأت قلوبهم غيظاً ، وأمسكوا عليه بالصبر .
والعافين عن الناس	والذين لا يؤاخذون من يجني عليهم ، مع قدرتهم على المواجهة .
فاحشة ظلموا أنفسهم	فعلة قبيحة قبحاً متتجاوزاً حدده .
فاستخفروا لذنوبهم	ظلموها بفعل ما يحاقب عليه .
ولم يصرروا على ما فعلوا	فتابوا توبة نصوحاً .
وهم يعلمون	ولم يصهروا على الاستمرار في فعلهم القبيح .
ونعم أجر العاملين	وهم يعلمون أنهم فعلوا سيئاً ، ويعرفون أنهم لا يغفر لهم إلا ربهم .
قد خلت من قبلكم سنن هندا وهدى وموعظة	ونعم ما يجازى به الله العاملين ، والجزاء : هو أن يغفر لهم ، ويدخلهم الجنة .
وهدایة وإرشاد	قد مضت من قبلكم أئم ، وكان لهم حوادث وأخبار .
وموضع عبرة	كل ما قدمنا لكم ذكره .

مجمل المعنى

١ - نهى الله عن أكل الربا في الإسلام ، كما كان يؤكل في الجاهلية ، وعن التعامل به ، وقد سبق ذلك في الصفحة ٤٠ من تفسير الجزء الثالث ، وكان بعض العرب يبيع إلى أجل ، فإذا حل الأجل ، ولم يستطع المشترى أو المقترض السداد ، زاد الدين للتأجيل ، ويذكر هذا ، فيتضاعف المال ، ويزيد الدين ، وتصير الزبادة أضعافاً مضاعفة ، فخافوا الله واتقوه ، لعلكم تنجون من عذابه ، وتتالمون ما ترغبون فيه من ثوابه .

٢ - وانقوا النار التي تعدّون بها ، بسبب أكلكم الربا أضعافاً مضاعفة : وبسبب غيره مما ترتكبون من المعاصي ، وهذه النار هيأها الله لمن كفروا به ، ونركوا طاعته .

٣ - وأطعوا الله فيما نهاكم عنه ، من أكل الربا ، ومن ارتكاب غيره من المعاصي ، وأطعوا الرسول كذلك فيما أمركم به ، لترجموا يوم القيمة : ولا تعدّوا ، ولا تحالفوه مخالفتكم إياه يوم أحد ، فقد كانت نتيجة هذه الخالفة ما أصابكم من هزيمة .

٤ - وسارعوا إلى عمل ما يستر عليكم ذنوبكم ، وإلى جنة واسعة فسيحة ، كأقصى ما تتصوره من الاتساع والانفساح ، وهذه الجنة أعدها الله سبحانه وتعالى للمحظيين ، الذين أطاعوا فيها أمراً ، وانهوا عملاً نهوا ، فلم يتعدوا حقاً ، ولم يهملوا واجباً .

٥ - ولذين أعددت لهم الجنة ، هم : الذين ينفقون أموالهم في حالتي المسعة والمضيق ، والرخاء والشدة ، ولذين امتلأت نفوسهم غيظاً ، ومع ذلك يصفحون عن الناس إذا أذنوا ، وكانوا هم قادرين على رد الإساءة

بمثها . ولكنهم فضلوا العفو ، والله سبحانه وتعالى يحب كل محسن تصدر هذه الأعمال الطيبة منه ، ويدخله الجنة التي أعد لها .

٦ — وأعدت هذه النار أيضاً للذين يرتكبون الفاحشة ، ويعملون الأعمال القبيحة التي نهى الله عنها ، وللذين فعلوا بأنفسهم غير ما كان يجب أن يفعلوه ، كأن يرتكبوا من المعاصي ما أوجب الله عليه العقوبة — هؤلاء فعلوا ما فعلوا ، ثم ذكروا أن الله يرصدهم ، وأنه سيعلمهم ، فتابوا وأنابوا ، واستغفروا ، وسألوا الله أن يصفح عنهم ، إذ لا أحد يملك العفو غيره ، ولم يصروا على ارتكاب هذه النوب ، وإنما هي توبة نصوح ، وهذا فضل كبير من الله عليهم ، تسعهم رحمته التي وسعت كل شيء .
وقد نزلت في رجل سمار ، أتته امرأة حسناء ، تتبعاً منه تمرأ ، فضمهما إلى صدره وقبلها ، فندم على ذلك ، فأقى النبي صلى الله عليه وسلم ، فذكر ذلك له ، وفي هذا حصن للناس على التوبة ، وفتح لباب الأمل في رضا الله .

٧ — وهؤلاء المتقون الذين ذكروا ، جزائهم عند الله يوم القيمة ، أنهم يغفر الله لهم ذنوبهم ، ويدخلهم جنات تجري المياه خلال أشجارها ، ويقيسون فيها إقامة أبدية دائمة ، وهذه الجنات التي وصفها الله تعالى ، خير جزاء للعاملين .

٨ — مضت أمم قبلكم كعاد وثمود ، وكان لكل أمة مع نبيها قصة ، فآمن به من آمن ، وكفر به من كفر ، والكافرون أمهلهم الله ، ونبههم إلى سوء العقبي ، ثم عاقبهم ، وأخذهم أخذناً شديداً ، وهذه عاقبة كل من يكذبون نبيهم ، فلا يحزنكم أن الكفار أصحابكم منهم ما أصحابكم يوم أحد ، فستنتصرون عليهم ، والعاقبة لكم .

٩ - هذا الذي ذكره الله من قبل ، من تندكير وتحذير ، وإغراء وتنفير ،
وضرب المثل بالأمم السابقة ، ساقه ليجعل فيه هداية وعبرة ، وذكرى للذين
يتقون الله .

(٨)

وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا ، وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُبْرُمْ مُؤْمِنِينَ .
إِنْ يَمْسِسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ ، وَتِلْكَ الْأَيَّامُ
نُذَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ ، وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الدِّينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذُ مِنْكُمْ
شُهَدَاءَ ، وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ . وَلِيَمْحَصَ اللَّهُ الدِّينَ آمَنُوا
وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ . أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ ، وَلَمَّا يَعْلَمَ اللَّهُ
الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ ، وَلِيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ؟ وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَنْنَوْنَ
الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْفُوْهُ ، فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ .
وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ ، أَفَإِنْ مَاتَ
أَوْ قُتِلَ اتَّقْلِبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ ، وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ
يُضُرَّ اللَّهُ شَيْئًا ، وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ . وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ
أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ، كِتَابًا مُوجَّلًا ، وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا
نُؤْتِهِ مِنْهَا ، وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا ، وَسَنَجْزِي
الشَّاكِرِينَ . وَكَأَيْنِ مِنْ أَنِّي قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ ، فَمَا
وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا ، وَاللَّهُ

يُحِبُ الصَّابِرِينَ . وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا : رَبَّنَا اغْفِرْ . لَنَا
ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا ، وَثَبَّتْ أَقْدَامَنَا ، وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ
الْكَافِرِينَ . فَاتَّاهُمُ اللَّهُ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابُ الْآخِرَةِ ،
وَاللَّهُ يُحِبُ الْمُحْسِنِينَ .

شرح الألفاظ

شرحها	الألفاظ
ولا تضعفوا عن الجهاد بسبب ما حفكم من المزية .	ولا تهنووا
ولا تحزنوا بسبب ما فاتكم من الغنيمة ، ولا بسبب قتل من قُتل ، وجرح من جُرح يوم أحد .	ولا تحزنوا
وأنتم أعلى من أعدائكم ، بسبب ما أحرزتم من النصر في بدر ، وبسبب ما تحرزون في المستقبل ،	وأنتم الأعلون
ولأن جهادكم لله ، وجهادهم للشيطان ، ولأن مصيركم الجنة ، ومصيرهم النار .	إن كنتم مؤمنين
إن بقيتم على إيمانكم . إن تصبكم جروح تؤلمكم .	إن يمسسكم قرح
فقد أصاب المُكَافِرِينَ فِي بَدْرٍ مَثْلَ الَّذِي أَصَابَكُم فِي أَحَدٍ .	فقد مسَ الْقَوْمَ قَرْحًا مُثْلَه
نصرفها وتقلبها بين بؤس ونعم ، وإعطاء وحرمان . ويكرم بعضكم بعضاً بالشهادة .	نداوتها ويتخذ منكم شهداء

الألفاظ	شرحها
لا يحب الظالمين	لَا يَحِبُّ الظَّالِمِينَ لَا يَشْتَهِنُ عَلَى الإِيمَانِ ، مِنَ الْمُنَافِقِينَ وَغَيْرِهِمْ .
ويمحق أم حسبتم	وَيَحْقِّقُ أَمْ حَسْبَتُمْ لَا تَحْسِبُوا ، أَوْ أَحَسِبْتُمْ ؟
تمدون الموت	تَمْدُونَ أَنْ تَخْرُجُوا لِلقتالِ لِتَسْتَشْهِدُوا ، وَالْمَرادُ : الَّذِينَ أَحْوَاُوا عَلَى النَّبِيِّ أَنْ يَخْرُجَ مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَى أَحَدٍ . رَأَيْتُمُ الْمَوْتَ بِأَعْيُنِكُمْ ، حِينَ كُنْتُمْ تَنْظَرُونَ إِلَى إِخْوَانَكُمْ وَهُمْ يَقْتَلُونَ فِي أَحَدٍ . قَدْ مَضِيَتْ .
رأيتموه وأنتم تنتظرون	أَرَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْتَظِرُونَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ
قد خلت وما كان	وَمَا كَانَ .
بإذن الله	بِإِذْنِ اللَّهِ .
كتاباً مؤجلاً	كِتَابًا مُؤْجَلًا
ومن يرد ثواب الدنيا	وَمَنْ يَرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا
ومن يرد ثواب الآخرة	وَمَنْ يَرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ
وكأين من نبي	وَكَأَيْنَ مِنْ نَبِيٍّ
ربيون	رَبِّيُّونَ
فما وهنوا	فَمَا وَهَنَوا
	فَمَا ضَعَفَتْ عَزَّامُهُمْ
	عِنْ قَتْلِ نَبِيِّهِمْ ، أَوْ لِقْتَلِ مِنْ قَتْلِهِمْ .

شرحها	الألفاظ
وما أصابهم ضعف بعده .	وما ضعفوا
وما خضعوا لعدوهم ، وذلوا له ، لما أصابهم .	وما استكروا
وتجاوزنا الحد ، وإفراطنا ، والذنب الكثيرة التي فعلنها .	وإسرافنا في أمرنا
وأجعلنا ثابتين في الجهاد .	وثبّت أقدامنا
فأعطائهم الله جزاءهم في الدنيا بالنصر ، وأخذنا الغنيمة .	فآتاهم الله ثواب الدنيا
الجنة .	وحسن ثواب الآخرة

مجمل المعنى

١ - يا أصحاب محمد ، لا تضعفوا بسبب ما حكمتم من الهزيمة في أحد ، بقتل من قتل ، وجرح من جرح ، ولا تحزنوا على ما حكمتم من المصيبة ، ولما فاتكم من الغنيمة ، فأئتم ظهرتم عليهم فيما مضى في غزوة بدر ، وستظهرون عليهم فيما يأتي ، بالنصر ونشر الدين ، إن ثبتم على إيمانكم ؛ وفي هذا تعزية كريمة من الله للنبي وأصحابه ، وتبييد لليس الدي أصاب بعضهم ، وحثّ لهم على استئناف الجهاد في سبيل الدعوة .

٢ - وإن كان قد قُتل بعضكم في غزوة أحد ، فقد قُتِلَ من أعدائكم في غزوة بدر ، وإن كنتم أصيَّبْتُم بالقروح ، وتلَمْتُم من الجروح ، في غزوة أحد ، فقد أصيَّبَ الكفار بمثل ما أصيَّبْتُم به في غزوة بدر ، والأيام دول : في يوم لنا ويوم علينا ، ويوم نسأء ويومنا ، فالحرب سجال ، والفرق

بینکم و بینهم ، أَن قتلاكُم فِي الْجَنَّةِ ، وَقُتلاهُم فِي النَّارِ ، وَاللَّهُ يَمْيِّزُ بِذَلِكَ
الْمُؤْمِنِينَ مِنْكُمْ مِنَ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ يَرَاعُونَ ، وَيَكْرَمُ الشَّهِداءَ مِنْكُمْ ، وَهُوَ
لَا يُحِبُّ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ بِعَصْيَانِهِمْ ، وَبِعَدَمِ ثِباتِهِمْ عَلَى إِيمَانِهِمْ .

٣ — وَلِيُظْهِرَ وَلِيُخْلِصَ الَّذِينَ آمَنُوا ، وَيُخْتَبِرُهُمْ بِالْأَبْتِلَاءِ ، وَيَمْتَحِنَ صَبْرَهُمْ
وَيَعِينُهُمْ ، وَيَهْلِكُ الْكَافِرِينَ بِالْإِبَادَةِ وَالْإِفْنَاءِ .

٤ — يَا أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ ، أَظْنَنْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ قَبْلَ أَن يَتَيَّنَ الْمُخْلَصُ فِي جَهَادِهِ
فِي سَبِيلِي ، الصَّابِرُ عِنْدَ الْبَأْسِ وَاشْتِدَادِ الْكَرْبِ عَلَى مَا يَنْالُهُ ، مِنْ قَتْلٍ
أَوْ أَذْيَ؟

٥ — لَقَدْ كُنْتُمْ تَتَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ شَهِداءَ كَمَا اسْتَشْهَدْتُمْ قَبْلَكُمْ بَعْضَ مُحَارِبِي بَدْرٍ ،
وَتَدْفَعُونَ نَبِيَّكُمْ إِلَى الْخُرُوجِ إِلَى أَحَدٍ ، وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى غَيْرِ مَا يَرَى ، وَقَدْ
رَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَتَمَنَّوْنَ مِنَ الْمَوْتِ ، وَوَقَعَ تَحْتَ أَعْيُنِكُمْ .

٦ — حِينَ أَشَاعَ الْمُشْرِكُونَ أَنَّ مُحَمَّداً قَدْ قُتِّلَ فِي أَحَدٍ ، أَصَابَ بَعْضَ الْمُسْلِمِينَ
فَزَعَ شَدِيداً ، وَوَجَدَ الْمُنَافِقُونَ مُجَالاً لِإِصْعَافِ الرُّوحِ الْمُعْنَوِيَّةِ بِهِمْ ، فَفَرَّ
مِنْ فَرْ ، وَثَبَتَ مِنْ ثَبْتَ ، فَبَيْنَ اللَّهِ لَهُمْ أَنْ مُحَمَّداً رَسُولٌ كَغَيْرِهِ مِنَ الرَّسُولِ
الَّذِينَ سَبَقُوهُ ، عَمَلَهُ الْمَدْعُوَةُ إِلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ ، وَعِبَادَتِهِ ، وَإِلَى التَّصْدِيقِ
بِمَا جَاءَ بِهِ رَسُولُهُ ، فَلَمَّا اسْتَوَى هُؤُلَاءِ الرَّسُولِ السَّابِقُونَ آجَاهُمْ ، مَاتُوا
كَمَا يَمُوتُ النَّاسُ ، وَلَا كَانَ مُحَمَّدٌ وَاحِدًا مِنْهُمْ ، فَلَيْهِ يَجْرِي عَلَيْهِ مَا جَرِي
عَلَيْهِمْ ، وَإِذَا اسْتَوَى أَجْلُهُ يَمُوتُ كَمَا مَاتُوا ، وَكَمَا يَمُوتُ النَّاسُ ، ثُمَّ عَاتَبَ
اللَّهَ أَصْحَابَ نَبِيِّهِ عَتَاباً مَرَّاً عَلَى فَرَارِهِمْ ، إِذْ كَيْفَ يَسْوَغُ لَهُمْ أَنْ يَنْقُلُبُوا
عَلَى أَعْقَابِهِمْ ، وَيَفْرُوا مِنَ الْجَهَادِ ، وَيَرْتَدُوا إِذَا مَاتُوا؟ وَالَّذِي يَنْقُلِبُ
عَلَى عَقَبَيْهِ ، وَيَفْرُ منَ الْجَهَادِ وَيَرْتَدُ — إِنْ عَمَلَهُ هَذَا لَنْ يُؤْثِرَ فِي عَزَّةِ اللَّهِ

وعظمته سلطانه ، والله سيشيب من شكره على توفيقه وهدايته ، وثباته على دينه ، واستقامته على مبدئه ، عاش محمد أو مات .

٧ - لا يموت محمد ولا غيره من الناس إلا بعد أن يستوفى أجله المكتوب ، لا يستقدم عنه ساعة ، ولا يستأخر عنه لحظة ، فلا الإقدام يقرب الآجال ، ولا الإحجام يؤخرها ، فالذى يتغنى الحياة الدنيا ، ويريد شيئاً من أعراضها ، ويؤثر ذلك على ما عند الله ، يعطيه الله منها أيام حياته ما قسم له من رزق ، ويحرمه ثوابه وإحسانه ، والذى يتغنى الحياة الآخرة ، ويريد نعيم الجنة ، ويؤثر ذلك على زحف الدنيا الزائل ، يعطيه الله منها ، ولا يحرمه نصيبيه من الدنيا ، وسيشيب الله من شكر له إحسانه ، بتوفيقه وهدايته .

٨ - وكثير من الأنبياء السابقين ، قاتل معهم كثير من أصحابهم ، وأصحابائهم وخلصائهم ، وصبروا على لأواء الحرب وشدتها ، وما فرط همهم لما أصابهم من جراح ، ولا جبأوا لقتل بعضهم ، ولا ضغعوا حينما قتل أنبياؤهم ، ولا ذلوا واستسلموا لعدوهم ، باللداهنة والمصانعة ، أو الارتداد ، ولكنهم صبروا على قضاء الله ، والله يحب الصابرين أمثالهم ، وفي ذلك تقرير شديد لمن تزلزل إيمانه في غزوة أحد ، حينما أشع المرجفون أن محمدآ قد قتل .

٩ - هؤلاء الرّبّيون الذين قاتلوا مع أنبيائهم ، لم يكن لهم قول حين قتل أنبياؤهم ، إلا الاستغفار من الذنب صغيرها وكبيرها ، وما يكونون قد تجاوزوا حدودهم فيه ، وسؤال الله أن يلهمهم الصبر ، وأن يثبت أقدامهم في ساحة القتال ، حتى ينتصروا على أعدائهم المكافرين .

١٠ - أعطى الله سبحانه وتعالى هؤلاء الذين ثبتو على الإيمان بعد مقتل أنبيائهم ،

وصبروا وجاهدوا عدو الله وعدوهم ، ثواباً في الدنيا بالنصر على أعدائهم ،
والتمكّن منهم ، وثواباً في الآخرة ، هو الجنة والخاود فيها ، وهو خير ثواب
عند الله ، فعل الله لهم ذلك ، بسبب إحسانهم بعد قتل نبيهم ،
فأحّبهم الله .

(٩)

يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا، إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ
أَعْقَابِكُمْ، فَتَنْقِلُوكُمْ خَاسِرِينَ. بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ، وَهُوَ خَيْرُ
النَّاصِرِينَ. سَنُنَقِّبُ فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّغْبَ بِمَا أَشْرَكُوا
بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا، وَمَا وَاهَمُ النَّارُ، وَبَئْسَ مَنْفَوْيَ
الظَّالَمِينَ. وَلَقَدْ صَدَقْتُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحْسُونُهُمْ يَوْمَنِهِ،
حَتَّىٰ إِذَا فَشَلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ، وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ
مَا أَرَيْتُكُمْ مَا تُحِبُّونَ، مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ
يُرِيدُ الْآخِرَةَ، ثُمَّ صَرَفْتُمْ عَنْهُمْ لِيَتَلَبِّسُوكُمْ، وَلَقَدْ عَفَّا
عَنْكُمْ، وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ. إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا
تَلْمُوْنَ عَلَىٰ أَحَدٍ، وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ، فَأَنَا بِكُمْ
عَمَّا بِغَمٍ لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ. وَلَا مَا أَصَابَكُمْ، وَاللَّهُ
خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ. ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْفَمَّ أَمْنَةً :
ذُنُوكَمْ، يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ، وَطَائِفَةً قَدْ أَهْمَمْتُمْ أَنْفُسَهُمْ ،
يَظْمَنُونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ ، يَقُولُونَ : هَلْ لَنَا مِنْ

الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ ؟ قُلْ : إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ ، يُخْفَوْنَ فِي أَنْفُسِهِمْ
مَا لَا يُبَدِّلُونَ لَكَ يَقُولُونَ : لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلَنَا
هَا هُنَا ، قُلْ : لَوْ كُنْتُمْ فِي يُؤْتِكُمْ لَبَرَّ الذِّينَ كُتِبَ عَلَيْهِمْ
الْقُتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ ، وَلَيَمْتَلِئَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ ، وَلَيُمَحَّصَّ
مَا فِي قُلُوبِكُمْ ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ . إِنَّ الذِّينَ تَوَلَّوْا
مِنْكُمْ يَوْمَ التَّقْيَى الْجَمِيعُ إِنَّمَا اسْتَرَاهُمُ الشَّيْطَانُ يَعْمَضُ
مَا كَسَبُوا ، وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ ، إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ . يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا ، لَا تَسْكُنُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ
إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا أَغْزَى : لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا
وَمَا قُتِلُوا ، لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ ، وَاللَّهُ يُحِبِّي
وَيُمِيتُ ، وَاللَّهُ يُحِبُّ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ . وَلَعَنْ قُتْلُمُ . فِي سَبِيلِ
اللَّهِ أَوْ مُثْمِثٌ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَحْمَمُونَ . وَلَعَنْ
مُثْمِثٌ أَوْ قُتْلُمُ . لِأَلِي اللَّهِ تُحَشِّرُونَ .

شرح الألفاظ

شرحها	الألفاظ
يرجعوكم إلى الشرك . بل الله ناصركم .	يردوكم على أعقابكم بل الله مولاكم
سننلني في قلوب المشركين الخوف .	سنلقى في قلوب المذين
بسبب إشراكهم بالله . الذى لم يُقْمِ له حجة . ومرجعهم .	كفر واربع بما أشركوا بالله ما لم يتزل به سلطاناً ومأواهم
وبثس مكاناً يقيم فيه الكافرون . حقق الله ما وعدكم به من النصر . تقتلونهم قتلا شديدا بأمره وتقديره . جبرتم وأحجمتم . واختلقوتم .	وبثس مثوى الظالمين صدقكم الله وعده تحسونهم بإذنه فشلتم وتنازعتم
وخلالقتم نبيكم بتترككم أماكنكم . هم الرماة الذين تركوا أماكنهم طلباً للغنيةمة . هم الذين ثبتو من الرماة في أماكنهم . كف معونته عنكم ، اختباراً لكم . تلذهبون بعيداً ، وتمعنون في الفرار ولا تلتفتون . في جماعتكم المتأخرة . فجازاكم غمّاً بغم ، وحزناً بحزن . عالم بعملكم .	وعصيتم منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة صرفكم عنهم ليبتليكم تُصعبون ولا تلوون في آخركم فأثابكم غمّاً بغم خبير بما تعملون

شرحها	الألفاظ
أمنا .	آمنة
يصيب جماعة منكم ، وجماعة لا يهمهم دين ولا نبي ، وإنما يهمهم أنفسهم ، ومصالحهم الشخصية . ظن أهل الجاهلية ، أهل الشرك بالله .	يعشى طائفة منكم وطائفة قد أهتمهم أنفسهم
هل لنا شئ من نصر الله ؟ إن النصر لله ولأوليائه .	ظن الجاهلية هل لنا من الأمر من شيء إن الأمر كله لله
إلى مصارعهم ، ولم تنفعهم إقامتهم بالمدينة . وليمتحن الله ما في قلوب المؤمنين من الإخلاص لله ولرسوله .	إلى مضاجعهم وليبتلي الله ما في صدوركم
وليبين ما في قلوبكم . والله علیم بما تخفيه النفوس من خير وشر . انهزموا وفرّوا .	وليمحص ما في قلوبكم والله علیم بذرات الصدور تولوا
يوم التقى الحيشان في أحد . دعاهم الشيطان إلى الزَّلَل . لا يتعجل بالعقوبة .	يوم التقى الجماعان استرطهم الشيطان حليم
سافروا فيها للتجارة وغيرها . غزاة .	ضرموا في الأرض غزى
ليجعل قوّتهم : لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا : ندامة في قلوبهم .	ليجعل ذلك حسرة

مجمل المعنى

١ - يحذر الله المؤمنين أن يطيعوا المكافرين من مشركي العرب ، وعمن لم يؤمّنوا من اليهود والنصارى ، لأن في طاعتهم خطراً على إسلام من أسلم ، فإنه قد يرتد عن دينه ، فيعود إلى الصال والخسنان .

٢ - والله سبحانه وتعالى هو الذي يتولى أموركم ، وينصركم على أعدائكم ، ويحفظكم إن بقيتم على طاعتكم .

٣ - بعد أن انتهت غزوة أحد ، رحل أبو سفيان وقومه إلى مكة ، فلما كانوا بعض الطريق ، ندموا على رحيلهم ، وقالوا : بئس ما صنعنا : قتلناهم حتى إذا لم يبق منهم إلا الشريد تركتناهم ! ! ارجعوا فاستأصلوهم ، فلما عزموا على ذلك ، ألقى الله الرعب في قلوبهم ، بسبب شركهم به ، وعبادته غيره معه ، مما لم يقم على ألوهيته دليل ، ومثل هؤلاء مصيرهم جهنم ، وبئس المصير الذي يصيرون إليه .

٤ - استوقف النبي صلى الله عليه وسلم الرماة في غزوة أحد ، في أصل الجبل ، وفي وجوه خيل المشركين ، وقال لهم : اثبتوا مكانكم ، ولا تبرحوا وإن رأيتمونا قد هزمناهم ، فإننا لن نزال غالبين ما ثبتم في مكانكم ، وأمرَ عليهم عبد الله بن جبیر ، فلما انتصر المسلمون أول الأمر ، وجالوا في جوف عسكر المشركين ينتبهونه ، أسرع الرماة - إلا قليلاً - إلى مشاركة زملائهم على نحو ما مر في قصة أحد ، في الصفحة (٢٤) من تفسير هذا الجزء .

من ذلك نرى أن الرسول وعدهم النصر إذا ثبت الرماة في أماكنهم ، فلما لم يثبتوا لم ينصروا ، وبذلك يكون الله سبحانه صدق وعده حين

قتلتموهם بإذنه وقضيائه ، وانتصرتم عليهم أول الأمر ، فلما اختلفتم فيما أمر الله به على لسانه نبيه من الشبات ، وعدم مبارحة المكان الذي أعد لكم ، فبعضكم رأى أن يبقى — وهو قليل — وبعضكم رأى لا يبقى — وهو كثير — لما حدث هذا بعد أن وصلتم إلى ما أحبتتم من النصر ، هُزِّمْتُم ؛ فالذين خالفوا وترکوا أماكنهم ، أرادوا الدنيا بالمسارعة إلى انتباب عسكر المشركين ، والذين أطاعوا وثبتوا في أماكنهم ، أرادوا الآخرة ، وبعد أن أراكم الله ما تحبون من النصر ، ردكم عليهم بالهزيمة اختباراً لكم ، والله لم يعاقبكم على مخالفتكم نبيكم أيها الرماة ، ولكنك عفا عنكم ، وتجاوز عن مخالفتكم ، والله صاحب فضل على المؤمنين دائمًا ، بالغفور عنهم ، وبالغفران لهم .

٥ — عفا الله عنكم أيها المؤمنون ، وغفر لكم ، في الوقت الذي كنتم فيه تتفرون في الشعاب ، وتصعدون في الجبل ، لا تعرجون على شيء ، ولا يلتفت بعضاكم إلى بعض ، ولا تستج gioون لدعاء النبي ، حين كان يدعوكم للعودة ، والتئام الشمل وجمع الصفوف ، وذلك أنه لما أخل الرماة بموقفهم ، ودخلت خيل المشركين عليهم ، وقتلوا من المسلمين خالقاً كثيراً ، وشاع في الناس أن محمدًا قُتل ، تفرقوا ، ولكن لم يلبث الرسول أن ظهر بين سعد ابن معاذ ، وسعد بن عبادة ، ففرح من رأى من المسلمين ، حتى لكانهم لم يصبهم شيء ، وكان رسول الله ينادي : أى عباد الله ، ارجعوا . وقد جازاهم الله غمًا على غم ، فلم يتبرعوا من غم القتل والجرح والهزيمة ، حتى شاعت حالة السوء فيهم : إن محمدًا قد قتل ، فضاقت الدنيا في أعينهم ، ولاذوا بالفرار في الوهاد والنجاد ، وإنما فعل الله ذلك بكم ، لكيلا تحزنوا على ما فاتكم من الظفر بالغنية ، ولا على ما أصابكم من الهزيمة ، وهو عالم ما كان من موقفكم في الحرب ، وموقفكم من نصيحة نبيكم .

٦ — حينما همت قريش بالعودة إلى مكة بعد أحد ، واعدوا النبيَّ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على أنهم سيلقونه على بدر في العام القابل ، ولكن المسلمين خشوا أن يكون ذلك خدعة منهم ، وتخوفوا أن يتوجهوا إلى المدينة ، فبعث رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رجلاً ، وقال له : انظر ، فإن رأيتم قعدوا على أثقالهم وحيثبوا خيوطهم ، فإن القوم راحلون ، وإن رأيتم قد قعدوا على خيوطهم وحيثبوا أثقالهم ، فإن القوم يقصدون المدينة ، فاتقوا الله أهباً المحاهدون وأصبروا ، فلما أبصرهم الرجل قعدوا على الانتقال سرعاً عجالاً ، نادى بأعلى صوته برحيلهم ، فكان المسلمون إذ ذاك فريقين : فريقاً مؤمناً خالص الإيمان ، أذلَّ الله السكينة على قلبه ، وأخذنه النوم ، حتى لكان الرجل منهم يسقط سيفه من يده ، فلا يحس أنه سقط ، وفريقاً منافقاً ، لم يطمئن قلبه بالإيمان ، فلا همَّ له إلا نفسه ، فهو من الخوف في خوف ، ومن حرمه على الحياة في قلق ، وهؤلاء طار النوم عن أعينهم ، فظنوا بالله الظنون الآثمة الكاذبة ، التي تشبه ظنون أهل الجاهلية المشركين المكذبين ، فلا يصدقون أن الله ناصر نبيه ، وأنه لو كان لنا من الأمر شئ علماً قتلنا المشركون ليس لنا من الأمر شئ ، لأنَّه لو كان لنا من الأمر شئ علماً قتلنا المشركون هنا ، فأمر النبي بعد أن وقفه الله على نيتهم ، أن يقول لهم : إن الأمر كله لله ، ولو أن الأمر بيدهنا ، ما خرجنا لننقى مصارعنا ، ولو أنكم بقيتم في بيوتكم ، نخرج الذين قدرَ الله عليهم أن يقتلوا إلى مصارعهم ، حيث يصرعون ، وكأن الله يجعل خروجكم إلى مصارعكم ، ليختبر ما في صدوركم من الشك ، وايظهر حقيقتكم للمؤمنين ، فيقفوا على حقيقتكم ، ويتبينوا ما في قلوبكم بالنسبة لله ولرسوله وللمؤمنين ، من العداوة التي تخونها في صدوركم ، والله علِيم بخفايا النيات من خير وشر ، وإيمان وكفر ، لا يخفى عليه شئ في الأرض ولا في السماء .

٧ — إن الذين فروا من الحرب يوم التقى جيش المسلمين وجيش المشركين ، في أحده ، هم الذين وسوس لهم الشيطان ، وزين لهم الفرار ، ودعاهم إلى مواطن الزلل ببعض ما ارتكبوا من الذنب ، هؤلاء عفوا الله عنهم ، وتجاوزوا عن ذنوبهم ، فهو من شأنه أن يستر ذنوب المؤمنين التائبين ، وألا يعجل بمؤاخذة المذنبين منهم .

٨ — ينهى الله المؤمنين أن يكونوا كالمنافقين ، مثل عبد الله بن أبي وأصحابه ، الذين قالوا لإخوانهم في النسب أو النفاق حين خرجوا من أوطانهم لتجارة أو غزو وماتوا : لو كانوا عندنا ما كثينا ، لما أصابهم الموت بسبب السفر ، ولما أصابهم القتل بسبب الحرب ؛ يأمر الله المؤمنين أن يصونوا قلوبهم أن تكون مثل قلوب هؤلاء المنافقين ، لتمكّن منهم وحدتهم الحسرة بسبب ما يرون في الدنيا ، وما يقع عليهم من العذاب في الآخرة ، وليعلموا أن الأعمار بيد الله ، فلا تطليها الإقامة ، ولا يقصّرها السفر ولا الحرب ، والله مجاز كلّ بعده .

٩ — الله هو الذي يحيي ويميت ، والآجال لا تطول ولا تقصير بالقعود أو الخروج ، والمجاهد في سبيل الله له المغفرة والرحمة ، وإن موتاً في سبيل الله ، وقتلًا في إعلاء دين الله ، خير من الدنيا وما فيها ، فلا يجوز التقادع عن الجهاد .

١٠ — واعلموا أيها المؤمنون ، أن مرجعكم إلى الله ، سواء أمسكم على فراشك ، أم انتهت آجالكم في سفركم ، أم قاتلتم مجاهدين في سبيل الله ، ففضلوا ما يقربكم منه ومن جنته ، وهو الجهاد في سبيله .

(١٠)

فِيَّا رَحْمَةً مِنَ اللَّهِ لِنَتَ لَهُمْ ، وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيلًا
 الْقَلْبُ لَا نَفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ ، فَاعْفُ عَنْهُمْ ، وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ ،
 وَشَاءُرُّهُمْ فِي الْأَمْرِ ، إِذَا عَزَّمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ، إِنَّ اللَّهَ
 يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ . إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ، وَإِنْ
 يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ ؟ وَعَلَى اللَّهِ
 فَلَيَتَوَكَّلَ الْمُؤْمِنُونَ . وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَعْلَمَ ، وَمَنْ يَعْلَمْ
 يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، ثُمَّ تُوَفَّ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ ،
 وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ . أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمْ بَاءَ بِسَخَطِ
 مِنَ اللَّهِ ، وَمَا وَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ؟ هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ
 اللَّهِ ، وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
فِيَّا رَحْمَةً	فِيَّا رَحْمَةً مِنَ اللَّهِ لِنَتَ لَهُمْ
غَلِيلًا	غَلِيلًا غَلِيلًا

شرحها	الألفاظ
لتفرقوا عنك ، ولم يبق معك أحد . فسامحهم .	لانقضوا من حولك فاعف عنهم
واسأله أن يستر عليهم ذنوبهم . واستشرهم في أمور الحرب ، ما لم تكن وحياً . صحبمت على شيء .	واستغفر لهم وشاورهم في الأمر عزمت
فامض في أمرك ، متوكلا على الله . المعتمدين على الله . فلا يستطيع أحد أن يغليكم .	فتوكل على الله المتوكلين فلا غالب لكم
لأنه لا يستطيع أن ينصركم ، إذا خذلوكم الله . فإيفوضوا أمرهم إلى الله .	فنـ ذـاـ الـنـىـ يـنـصـرـكـمـ مـنـ { بعـدـهـ } فـلـيـتـوـكـلـ الـؤـمـنـونـ
أن يجور في القسمة ، بأن يقسم بعضاً ، ويترك بعضاً ، أو يخص نفسه بشيء فوق نصيبه ، أو يكتم شيئاً مادياً أو أدبياً . تعطى جزاءها وافية . رضاء الله	أن يـغـلـ توفـ كـلـ نـفـسـ مـاـ كـسـبـتـ رـضـوـانـ اللهـ
رجع بغضيب من الله . وبئس المرجع . هم متغاوتون في المترفة . عالم بأعمالهم .	باءـ بـسـخـطـ مـنـ اللهـ وـبـئـسـ الـمـصـيرـ همـ درـجـاتـ بـصـيرـ بـماـ يـعـمـلـونـ

مجمل المعنى

١ - لِيُنْكَ لِقَوْمَكَ ، وَعَطْفُكَ عَلَيْهِمْ ، وَتَلْطِيفُكَ بِهِمْ ، وَرَفْقُكَ لَهُمْ ، بِسَبَبِ رَحْمَةِ مِنَ اللَّهِ لَكَ وَلَهُمْ ، لَأَنَّكَ لَوْكَنْتَ رِجْلًا قَاسِيًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ ، مُتَجَهِّمًا الْوَجْهَ ، لَتَفَرَّقُوا عَنْكَ وَتَرْكُوكَ ؛ وَأَمْرُ اللَّهِ مُحَمَّدًا أَنْ يَعْمَلْ قَوْمَهُ عَلَى النَّسْوَاتِ :

أ : أَنْ يَعْفُوُ عَنِّي مَنْ تَبَدَّلَ مِنْهُ إِسْاعَةً أَوْ شَيْبَهَا .

ب : وَأَنْ يَسْتَغْفِرَ لِمَنْ يَرْتَكِبُ مَا يَسْتَوْجِبُ الْغَفْرَانَ .

ح : وَأَنْ يَشَارِهِمْ فِي أُمُورِهِ ، مَا لَمْ يَنْزِلْ وَحْيًا ، وَالْمُشَوْرَى : أَمْرٌ تَقْرَرُهُ الشَّرِيعَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ ، وَتَدْعُو إِلَيْهِ ، مَا فِيهَا مِنْ فَائِدَةٍ تَعُودُ عَلَى الْفَرْدِ وَالْمُجَمَّعِ .
فَإِذَا اسْتَشَرْتَ فِي أَمْرٍ ، وَقَبَّلْتَ مَعَ أَمْنَائِكَ الرَّأْيَ عَلَى وَجْهِهِ كُلَّهَا ، حَتَّى يَبْلُوكَ الصَّحِيحَ الْوَاضِعَ ، فَاعْتَمَدْتَ عَلَى اللَّهِ ، وَامْضَ فِيمَا عَزَّمْتَ عَلَيْهِ ، وَاللَّهُ يَحْبُبُ الَّذِينَ يَعْتَمِدُونَ عَلَيْهِ ، وَيَأْخُذُ بِيَدِهِمْ ؛ وَقَدْ شَافَرَ النَّبِيَّ أَحْصَابَهُ فِي أَحَدٍ ، وَنَفَّذَ مَا أَشَارَ بِهِ أَكْثَرُهُمْ ، مَعَ أَنَّهُمْ كَانُوا عَلَى غَيْرِ رَأْيِهِ ، وَمَعَ ذَلِكَ وَعْدُهُمُ اللَّهُ الْمُنْصَرُ مَا ثَبَّتُوا ، فَخَالَفُوا فَهُزِّمُوا .

٢ - اعْتَمَدُوا عَلَى اللَّهِ ، فَإِنَّهُ إِنْ نَصَرَكُمْ فَلَنْ يَسْتَطِعَ أَحَدٌ كَائِنًا مِنْ كَانَ أَنْ يَخْنَلُكُمْ ، وَإِنْ خَنَلُكُمْ ، وَلَمْ يَعْنِكُمْ ، فَلَنْ يَسْتَطِعَ أَحَدٌ كَائِنًا مِنْ كَانَ أَنْ يَنْصُرَكُمْ ، وَالْمُؤْمِنُونَ الْمُخْلَصُونَ فِي إِيمَانِهِمْ ، يَعْتَمِدُونَ عَلَى اللَّهِ ، فَيَنْصُرُهُمُ اللَّهُ .

٣ - بَعَثَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَلَائِعَ فِي بَعْضِ غَزَواتِهِ ، ثُمَّ غَمَّ قَبْلَ مُجَيِّبِهِمْ ، فَقُسِّمَ النَّاسُ ، وَلَمْ يُقْسِمْ لِلْطَّلَائِعِ ، فَأَخْبَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ لَا يَجُوزُ لِنَبِيٍّ أَنْ يَقْسِمَ لِبَعْضِهِ ، وَيَرْتَكِبُ بَعْضًا ، وَأَنَّ الْمَذَى يَغْلِي شَيْئًا ، فَيَخْتَصُّ بِهِ

نفسه ، أو يختص به بعض المستحقين دون بعض ، يأْتِي يوم القيمة حاملاً
ما غَلَّهُ عَلَى ظُهُورِهِ ورُقْبَتِهِ ، وَتَعْطَى كُلُّ نَفْسٍ جَزَاءً مَا كَسْبَتْ ، وَلَا تَظْلَمَ
شَيْئاً .

٤ — لِيُسَمِّيَ الَّذِي يَعْمَلُ مَا يُرْضِي اللَّهَ ، فِي نَالِ رِضَاهُ ، كَمَنْ يَعْمَلُ مَا يُسْخَطُهُ ،
فِي نَالِهِ غَضْبِهِ وَعَذَابِهِ ، وَيَدْخُلُ جَهَنَّمَ ، وَبَئْسَ الْمَصِيرُ الَّذِي يَصِيرُ إِلَيْهِ .

٥ — وَالَّذِينَ يَعْمَلُونَ مَا يُرْضِي اللَّهَ ، وَالَّذِينَ يَعْمَلُونَ مَا يُسْخَطُهُ ، فِي درْجَتَيْنِ
مُخْتَلِفَتَيْنِ ، مُتَاهِيْزَتَيْنِ عِنْدَ اللَّهِ ، فَمَذَاكُ لِهِ الْكَرَامَةُ وَالثَّوَابُ الْحَزِيلُ ، وَهَذَا
لِهِ النَّارُ وَالْعَذَابُ الْأَلِيمُ .

(١١)

لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنفُسِهِمْ ، يَتَلَوُ عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ ، وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ، وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلٍ لَّفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ . أَوَمَا أَصَابَتُكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصْبَתْمُ مِثْلِهَا قُلْمُ : أَنَّى هَذَا ؟ قُلْ : هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنفُسِكُمْ ، إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ التَّقْرِيبَ الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ ، وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَاقَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ : تَعَالَوْا فَاتَّلُوَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا ، قَالُوا : لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَا تَبْعَذْنَا كُمْ ، هُمْ لِلْكُفَّارِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ ، يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ . الَّذِينَ قَالُوا لِأَخْوَانِهِمْ وَقَدْعُوا : لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا ، قُلْ : فَكَذَرُوا عَنْ أَنفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
من الله على المؤمنين	تنصل الله على المؤمنين من غير دعوة منهم .
من أنفسهم	من جنسهم .
يتلو عليهم آياته	يقرأ عليهم قرآن .
ويزكيهم	و يطهرهم من كفرهم وذنوبهم ، بإيمانهم ودخولهم في الطاعات .
ويعلمهم الكتاب	ويغفهمهم معانى القرآن .
والحكمة	والسنة التي سنها الله لهم .
وإن كانوا من قبل	ولائهم كانوا من قبل ذلك .
لني ضلال مبين	لني جهالة جهلاء ، وحيرة عميان .
أصابتكم مصيبة	أصابتكم قتل سبعين يوم أحد .
أصبتم مثلثها	قتلتم سبعين وأسرتم سبعين يوم بدر .
أني هذا	من أين أصابنا هذا ؟
هو من عند أنفسكم	أنتم سبب الهزيمة ، لخالفتكم النصيحة .
يوم التقى الجمعان	يوم التقى جموعكم وجمع المشركين بأحد .
فيإذن الله	فجعل الله وبقضائه وقدره .
قاتلوا في سبيل الله	قاتلوا قتال المجاهدين .
أو ادفعوا	قاتلوا قتال المدافعين عن أنفسهم ، ولو بمجرد وجودكم هذا .
لو نعلم قتالا لا تبعناكم	لو نعرف أنكم تحاربون حقاً لحاربنا معكم .

شرحها	الألفاظ
<p>والله عالم ما يضمرونه في أنفسهم من التفاصق . هم عبد الله بن أبي وأصحابه . فادفعوا .</p>	<p>والله أعلم بما يكتسمون الذين قالوا لإخوانهم فادرعوا</p>

بِحَمْلِ الْمَعْنَى

١ - تفضل الله على المؤمنين ، بأن أرسل إليهم من غير طلب منهم ، رسولا من جنسهم من بنى إسماعيل ، فهو آدمي مثاهم ، يتكلم كما يتتكلمون ، وهو من عامتهم ، يطمسون إليه ، وينصتون له ، حين يتلو عليهم آيات القرآن بأسانهم ، فيفهمونها ، فيتعظون بها ، وينتقلون من حالة الكفر إلى حالة الإيمان ، ويخرجون من الذنب ، ويدخلون في الطاعات ، ويعرفون من السنن ما كانوا يجهلون ، فتستثير عقولهم ، وتكتشف بصائرهم ، بعد أن كانوا في جهالة جهلاء ، وحيرة عميا ، تظهر لهم عندما يفكرون بعقولهم ، ويتدبرون بأفهامهم .

٢ - يا عجبا كل العجب ! حين تقع عليكم المصيبة في أحد بقتل سبعين منكم ، تستعجبون من ذلك ، في حين أنكم في بدر ، نصركم الله ، وأصبتم عدوكم بمثل ما أصابكم ، فقد قتلتم منه سبعين ، وأسرتم سبعين ، على ضعفكم وقوته ، وقتلتم وكثره ، ولو أنكم رجعتم إلى أنفسكم ، لعرفتم أنكم أنتم السبب في هذه المصيبة ، فقد تخاذل بعضكم ، وهو عبد الله بن أبي وأصحابه ، وغادر الرماة أماكنهم ، وخالفوا النصيحة ،

فـكـانـتـ الـهـزـيـةـ ،ـ فـلـمـ الـعـجـبـ ،ـ وـأـتـمـ تـعـرـفـونـ السـبـبـ ؟ـ وـالـلـهـ قـادـرـ عـلـىـ كـلـ
شـيـءـ :ـ مـنـ عـفـوـ وـعـقـوبـةـ ،ـ وـتـفـضـلـ وـانتـقـامـ ،ـ وـغـيرـ ذـلـكـ .ـ

٣ - والذى أصابكم يوم أحد، حين التقى الجماعان: جيشكم وجيش المشركين ،
وتحارب الجيშان ، فقتل من قتل ، وجُرح من جُرح ، إنما هو بتقدير
الله وقضائه ، ليميز المؤمنين من المنافقين ، والمنافقون الذين أراد الله أن
يميزهم من المؤمنين ، هم عبد الله بن أبي بن سلول ومن اتبעהه ، حين
انخرزوا عن النبي صلى الله عليه وسلم بعد خروجهم معه يوم أحد ،
فقال لهم المسلمون : تعالوا قاتلوا المشركين معنا ، دفاعاً عن أنفسكم ،
كما ندافع عن أنفسنا ، أو ابقوا معنا من غير أن نقاتلوا ، فنكثُر بكم ،
فيروع العدو لكثرتنا ، فتضاعل روحه المعنوية ، فيرتد علينا ، فلم يزيدوا
على أن قالوا للMuslimين : لو نعرف أنكم ستحاربون حقاً ، أو أن هذه
الحرب وجهها من الحق ، أو حسن الترتيب ، لقاتلنا معكم ، ولكن يمكن
ألا يكون بينكم وبين المشركين قتال ، وإن كان ولا بد من القتال ، فنحن
معكم عليهم ، ولكن يجب أن يكون على غير هذه الصورة ، وقد أبدينا
لكم رأينا ، أننا نبقي في المدينة ، ولا نخرج إليهم ؛ وبكلامهم هذا
يظهر كثفهم وتفاقهم ، وما كانوا يخفونه في أنفسهم ، من عداوة النبي
و أصحابه ، وبذلك يظهر انطواء قلوبهم على الكفر ، وبعدها من الإيمان ،
ويتبين ذلك من أن النبي صلى الله عليه وسلم ، بعد أن خرج من المدينة
في نحو ألف من أصحابه ، انخرزل عنهم عبد الله بن أبي بثلث الناس ،
وقال : أطاع الغلام فخرج وعصانى ، والله ما ندرى علام نقتل
أنفسنا ها هنا أيها الناس ؟

فرجع بن اتبعة من الناس من قومه من أهل النفاق ، فلما اتبعهم
ج : (٥)

عبد الله بن عمرو بن حرام أخو بنى سلامة يقول : ياقوم : أذكّركم الله
ألا تخذلوا نبيكم وقومكم — قالوا : لو نعلم أنكم تقاتلون ما أسلمناكم ،
ولكن لا نرى أن يكون قتال ، فلما استعصوا عليه ، وأبوا إلا الانصراف
عنهم — قال : أبعَدْ كم الله أعداء الله ، فسيغنى الله عنكم نبيه .

٤ — وليرعلم الله هؤلاء المنافقين الذين قالوا لإخوانهم من المسلمين الذين ظلوا
مع الرسول ، وحاربوا المشركين يوم أحد : لو أنهم أطاعونا في عدم
الخروج من المدينة ، أو انسحبوا معنا يوم انسحبنا ، لما قتل أحد منهم ،
فقال الله لرسوله : قل لهم : إذا كنتم صادقين فيما تقولونه ، وهو أنهم
لو اتبعوكم ما قتلوا — فادفعوا عن أنفسكم الموت — وهذا غير ممكن ،
لأنكم ميتون لا محالة .

(١٢)

وَلَا تَحْسِنَ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا ، بَلْ أَخْيَاءٌ
عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ . فَرِحَيْنَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ،
وَيَسْتَبَشِّرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ ، أَنْ لَا خَوْفٌ
عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ . يَسْتَبَشِّرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ ،
وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ . الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ
مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابُوهُمُ الْقَرْحُ ، الَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرًا
عَظِيمًا . الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ : إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ
فَاخْشُوْهُمْ ، فَرَادَهُمْ إِيمَانًا ، وَقَالُوا : حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ .
فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسِهِمْ سُوءٌ ، وَاتَّبَعُوا
رِضْوَانَ اللَّهِ ، وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ . إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ
يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ ، فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
ولا تحسبن	لَا تظنن .
قتلوا في سبيل الله	استُشهدوا في حرب ، مدافعين عن دين الله .
عند ربهم	قريبون منه ، فهم في أعلى المنازل .
بما آتاهم الله	<p>بساب ما أَنْعَمَ اللَّهُ بِهِ عَلَيْهِمْ ، وَهُوَ الْإِسْتَشْهَادُ ،</p> <p>الْحَيَاةُ ، وَالرِّزْقُ بَعْدَ الْقَتْلِ .</p>
ويستبشرون بالذين لم يُستشهدوا ، فلم ينالوا ما نالوا .	وَيُسْتَبَشِّرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يُسْتَشْهِدُوا ، فَلَمْ يَنْالُوا مَا نَالُوا .
أن لا خوف عليهم	<p>بَشَّرَ الَّذِينَ اسْتَشْهَدُوا بِأَنَّ الَّذِينَ لَمْ يُسْتَشْهِدُوا مِنَ الْمُجَاهِدِينَ ، لَهُمْ جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ .</p> <p>الْجَرْحُ .</p>
القرح	المراد : نُعَيْمُ بْنُ مسعود ومن عاونه من عبد القيس .
قال لهم الناس	المراد : أبو سفيان ومن معه .
إن الناس	فخافوهم .
فاختشوهم	<p>زادهم ما سمعوه من التخويف والتشبيط يقيناً ،</p> <p>وتمسكاً بدينهن .</p>
فزادهم إيماناً	كافيئنا الله .
حسبنا الله	ونعم الموكول إليه أمرنا .
ونعم الوكيل	

الألفاظ	فانقلبوا بنعمة من الله وفضل	لم يمسسهم بسوء
واتبعوا رضوان الله	(وساروا على ما يرضي الله ، فلم يحببوا عن عدوهم ، وخرجوا إليه على الرغم من المشطين لهم ، كنُعمَّانِ رَابِنْ مسعود .	والله ذو فضل عظيم أولياءه
قصة جابر بن عبد الله بن عمرو	قال جابر بن عبد الله : لقيني رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا جابر ، مالي أراك منكَسًا مهتماً ؟ فقلت يا رسول الله : استشهاد أبي ، وترك عيالا ، وعليه دين ، فقال : ألا أبشرك بما قابل الله عز وجل به أباك ؟ فقلت : بلى يا رسول الله ، قال : إن الله أحيا أباك وكلمه كفاحاً : أى مواجهة ليس بينه وبين الله حجاب ولا رسول ، وما كلم أحداً فقط إلا من وراء حجاب ، وقال له : يا عبدى ، تمنَّ أعطتك ، قال : يا رب ، فردتى إلى الدنيا فأقتل فيك ثانية ، فقال الرب تبارك وتعالى : إنه قد سبق مني أنهم إليها لا يرجعون ، قال : يا رب ، فأبلغَ مَنْ ورائي ، فأنزل الله تعالى « ولا تمحسِّنَ المُؤْمِنِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ الله أمواتاً بَلْ أَحْيَا... »	

قال جابر بن عبد الله : لقيني رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال :
يا جابر ، مالي أراك منكَسًا مهتماً ؟ فقلت يا رسول الله : استشهاد أبي ، وترك
عيالا ، وعليه دين ، فقال : ألا أبشرك بما قابل الله عز وجل به أباك ؟ فقلت :
بلى يا رسول الله ، قال : إن الله أحيا أباك وكلمه كفاحاً : أى مواجهة ليس
بينه وبين الله حجاب ولا رسول ، وما كلم أحداً فقط إلا من وراء حجاب ،
وقال له : يا عبدى ، تمنَّ أعطتك ، قال : يا رب ، فردتى إلى الدنيا فأقتل فيك
ثانية ، فقال الرب تبارك وتعالى : إنه قد سبق مني أنهم إليها لا يرجعون ، قال :
يا رب ، فأبلغَ مَنْ ورائي ، فأنزل الله تعالى « ولا تمحسِّنَ المُؤْمِنِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ
الله أمواتاً بَلْ أَحْيَا... »

مجمل المعنى

١ - ولا تظنن أن الذين قتلوا مستشهدين في حرب من أجل دين الله أمواتاً ، ولكنهم في منزلة رفيعة عند الله ، تحييا أرواحهم حياة طيبة ، ويرزقهم الله في الدنيا حسن الذكر ، وفي الآخرة النعيم المقيم .

٢ - وهم فرحون مسرورون بما خصهم الله به من الكرامة ، وبما حباهم من فضل الاستشهاد ، الذي رتب عليه الشواب الجزييل ، والذكر الخالد ، والحياة الدائمة السعيدة في كنف الله ، وهم فرحون مسرورون أيضاً بما وعد الله الذين لم يُسْتَشْهِدُوا معهم ، واستمرروا من بعدهم على جهادهم ، تحت راية رسول الله ، وفي سبيل إعزاز دين الله - فرحة بهم ، لأنهم أمنوا عقاب الله ، وتأكدوا أن لهم من نعيمه نصيب المجاهدين ، ولا يحزنون على ما يتركون في الدنيا من نعيم زائل ، ومجده ضائع ، لأن ما عند الله خير وأبقى .

٣ - يفرحون بما حباهم الله من نعم كريمة ، أجلّها نعمة الاستشهاد ، والحياة والرزق بعد القتل ، وبما أسبغ عليهم من ثواب على ما قدموا من طاعات ، وكل ذلك عند الله لا يضيعه ، ولا يبطل جزاءه .

٤ - وهؤلاء المؤمنون الذين لن يضيع الله أجرهم ، هم الذين استجابوا لله ورسوله ، من بعد ما أصابهم من الجراح في أثناء القتال ؛ لأن الذين يحسنون من هؤلاء ويختلفون الله : بتأدية التفراض ، والتزام حدود الأوامر والنواهي ، أجر عظيم ، وثواب جزيل من الله ، وهو كاففهم ووليهم الذي لا ولٍ ولا كافل مثله ، والمعنى بهؤلاء ، الذين خرجوا مع النبي صلى الله عليه وسلم .

غزوة حراء الأسد ، أو بدر الآخرة

في اليوم التالي لغزوة أحد ، أتى عبدُ الله بن عمرو بن عوف المزنى ، إلى النبي صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وأخبره أنه رأى قريشاً يتشارون، ليرجعوا ، حتى يستأصلوا من بيٰ ، وبعضهم يأبى عليهم ذلك ، فدعوا رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أباً بكرًا وعمر رضي الله عنهما ، وذكراً لهما ذلك ، فقالاً : يا رسولَ اللهِ ، اطلبُ العدوَ ، حتى لا يقتلونا على الذريّة ، فلما أصبحَ النبِيُّ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمرَ بلاً فنادى : إنَّ رَسُولَ اللَّهِ يَأْمُرُكُمْ بِطَلْبِ عَدُوكُمْ ، ولا يُخْرِجُ مَعَنَا إِلَّا مَنْ شَهَدَ القَتْلَ أَمْسَى ، فَخَرَجُوا جَمِيعاً ، وكُلُّهُمْ جَرِيعٌ .

خرجَ الرَّسُولُ وَمَنْ مَعَهُ مِنْ جَرِحٍ أَحَدٌ ، حتى عَسَكَرَ بِحَمْرَاءِ الْأَسْدِ ، (وهو موضع على ثمانية أميال من المدينة) ، وكان التَّقْرَبُ عَامَّةً زَادَهُ هُوَ ورَجَالُهُ ، وكان يَأْمُرُ فِي النَّهَارِ بِجَمْعِ الْحَاطِبِ ، فَإِذَا أَمْسَوْا أَمْرَهُ بَأْنَ تَوْقِدُ النَّيْرَانَ ، فَيُوقَدُ كُلُّ رَجُلٍ نَاراً ، فَأَوْقَدُوا خَمْسَائِهِ نَاراً ، رَؤُيَتْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ ، وَذَهَبَ ذَكْرُ مَعْسَكَرِ الْمُسْلِمِينَ وَنَيْرَانِهِمْ فِي كُلِّ وَجْهٍ ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ أَبُو سَفِيَانَ وَرَجَالَهُ ، أَجْمَعُوا عَلَى الرِّجُوعِ ، وَلَا سَيِّئَ بَعْدَ أَنْ عَلِمُوا أَنَّ مُحَمَّداً وَصَاحْبَهُ يَتَحَرَّقُونَ عَلَيْهِمْ مِثْلَ النَّيْرَانَ ، وَظَنَّوْا أَنَّهُمْ كَثِيرٌ لِامْتِدَادِ نَيْرَانِهِمْ ، فَانْصَرَفُوا سَرَعاً ، خَائِفِينَ مِنْ مَهَاجِمَةِ الْمُسْلِمِينَ .

وَكَانَ أَبُو سَفِيَانَ بَعْثَةً إِلَى مُحَمَّدٍ نَفِرَّاً مِنْ عَبْدِ الْقَيْسِ ، وَعَلَى رَأْسِهِ نُعَيْمَ بْنَ مُسْعُودٍ — وَلَمْ يَكُنْ أَسْلَمَ — يَعْلَمُهُ أَنَّ قَرِيشاً أَجْمَعَتِ الرِّجُوعَ إِلَيْهِ بِجَيْشٍ لَا قَبِيلَ لَجَيْشٍ مِنَ الْعَرَبِ بِمَوَاجِهَتِهِ ، فَلَمَّا أُخْبِرَهُمْ بِهَا ، قَالَ : حَسَبْنَا اللَّهَ وَنَعْمَ الوَكِيلُ ، وَنَزَلَ فِي خَبْرِ نَفِرِ عبدِ الْقَيْسِ : « الَّذِينَ قَالُوا لَهُمُ النَّاسُ » .

٥ — هُؤُلَاءِ الْمُنِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَخَرَجُوا لِحَمْرَاءِ الْأَسْدِ ، وَهُمْ

مشخنون بجراحهم ، صرف الله عنهم عدوهم ، وعادوا إلى المدينة ، بشواب
كتبه الله لهم ، وبعافية من الله وسلام ، لأنهم لم يلقو العدو ، وربحوا من
تجارتهم مع من تاجروا معهم ، مدة الأيام الثانية التي أقاموها ، فلم يصبهم
سوء من قريب أو بعيد ، ولم يتحقق لهم أذى ، ولم يقتل أحد ، وهم بخر وجهم
هذا أرضوا الله ، والله ذو إحسان عليهم ، بتنجيتهم وتخلصهم من عدوهم ،
وصرفه عنهم ، ونعم الله وأفضله الكثيرة ليست مقصورة عليهم ، ولكنها تعم
جميع خلقه .

٦ — والمنى حديث إنما هو من شيطان المنافقين نعيم بن مسعود ، فهو يخوّفك حشد
الكافرين من شياطين الإنس ، وعلى رأسهم أبو سفيان ، وكانت نتيجة
ذلك التخويف أنكم ازدتم إيماناً على إيمانكم ، وزددتم ثقة بالله فوق
ثقتكم ، وتوكلتم على الله ، وفوضتم إليه أموركم . وتسدي هذه الغزوة
أنضاً غزوة بدر الآخرة .

(١٣)

وَلَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفَرِ ، إِنَّهُمْ لَنْ يَضْرُوا
اللَّهَ شَيْئًا ، يُرِيدُ اللَّهُ أَلَا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الْآخِرَةِ ، وَلَهُمْ
عَذَابٌ عَظِيمٌ . إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوُ الْكُفَرَ بِالْإِيمَانِ لَنْ يَضْرُوا
اللَّهَ شَيْئًا ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ . وَلَا يَحْسَبُنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا
أَنَّ مَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لَا نَفْسُهُمْ ، إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا
إِنَّمَا ، وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ . مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى
مَا أَأَتُمْ عَلَيْهِ ، حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَيْثَةَ مِنَ الطَّيْبِ ، وَمَا كَانَ
اللَّهُ لِيُطْلِمَكُمْ عَلَى الْفَيْمِ ، وَلَكِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ بِمَا فِي دُرُسِهِ
مَنْ يَشَاءُ فَلَمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَقَوَّلُوا فَلَكُمْ
أَجْرٌ عَظِيمٌ .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
يسارعون في الكفر	يظهرون عليك ، ويصررون على كفرهم .
لن يضروا الله شيئاً	{ لن ينتصروا من ملكه وسلطانه شيئاً ، ولن يضروا
أولياءه بسبب تخليهم عنهم .	

شرحها	الألفاظ
نصبياً .	حظاً
فضلوا الكفر على الإيمان .	اشترىوا الكفر بالإيمان
نطيل في أعمارهم ونمه لهم .	تملي لهم
ليترك .	ليندر
ليعلمكم ما سيقع في المستقبل .	ليطلعكم على الغيب
يختار .	يجتبي
فصدقوا ما جاءت به الرسل ، ولا تتطلعوا إلى	فآمنوا بالله ورسوله
ما وراء هندا .	

محمل المعنى

١ — حِرْصَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى صَالِحِ قَوْمٍ ، وَصَالِحِ دُعَوَتِهِ ، جَعَلَهُ يَبْتَسِسُ وَيَخْزُنُ ، حِينَما يَرِي أَهْلَ الْكِتَابَ يَنْفَرُونَ مِنْهُ ، وَلَا يُؤْمِنُونَ بِهِ ، مَعَ أَنْ صَفَّتْهُ فِي كَتَابِهِمْ ، وَكَانَ يَبْتَسِسُ وَيَخْزُنُ حِينَما يَرِي قَوْمَهُ مِنْ قَرِيشٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ ، وَيَظَاهِرُونَ عَلَيْهِ ، وَيَخْارِبُونَهُ ، وَيَبْتَسِسُ وَيَخْزُنُ حِينَما يَرِي بَعْضَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا يَرْتَدُونَ عَنِ الْإِسْلَامِ ، أَوْ يَنْافِقُونَ ، فَلَمَّا رَأَى اللَّهُ تَعَالَى ذَلِكَ ، أَمْرَهُ أَلَا يَشْغُلَ بَالَّهُ بِهُؤُلَاءِ ، وَأَلَا يَخْزُنَ عَلَيْهِمْ ، فَإِنَّهُمْ إِنْ يَكْفِرُوا فَلَنْ يَنْفَضُّوا شَيْئاً مِنْ سُلْطَانِ اللَّهِ وَمَلَكِهِ ، وَلَنْ يَضْرُبُوا مِنْ يَؤْمِنُ مِنْ عَبَادِهِ ، فَإِيمَانُهُمْ لَهُمْ ، وَكُفْرُهُمْ عَلَيْهِمْ ، وَعِذَابُهُمْ يَوْمُ الْقِيَامَةِ شَدِيدٌ ، وَهُوَ عِذَابُ النَّارِ .

٢ — وَهُؤُلَاءِ الْكُفَّارُ ، إِذَا طَالتْ أَعْمَارُهُمْ ، وَمَدَ اللَّهُ لَهُمْ فِيهَا ، فَإِنْ ذَلِكَ لَيْسُ

من صالحهم ، فإن طول العمر تكثُر فيه السيئات ، فيعظم العذاب
يوم القيمة .

٣ — والله سبحانه وتعالى لا يترك المؤمنين لا يتميّزون عن غيرهم من الكافرين
والمنافقين ، ولكنه يميّزهم منهم بالحنن والابتلاء ، فيستعين الحديث من
الطيب ، والفاسد من الصالح ، والكافر من المؤمن ، والمنافق من المخلص ،
والله عالم بكل واحد من هؤلاء علمًا اختص به دون غيره ، ولا يطلع على
غيبه أحداً ، إلا من ارتضى من رسوله يختاره الله ، ثم يبلغ رسوله عن طريق
وحيه ، فيعرف المؤمن المخلص ، ويعرف الكافر المعاند ، ويعرف المنافق
المرأى ، كأنك يأمرنا الله أن نصدق بالله ورسله ، وفترك ما وراء هذا ،
فلا شأن لنا به ، وكل من يفعل هذا ، له ثواب عظيم عند الله .

(١٤)

وَلَا يَحْسَبُنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ
خَيْرًا لَهُمْ ، بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ ، سَيُطْوَقُونَ مَا بَخْلُوا بِهِ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ ، وَلِلَّهِ مِيرَاتُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ
خَبِيرٌ . لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا : إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ
وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ ، سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا ، وَقَتْلُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ بِغَيْرِ حَقٍّ ،
وَنَقُولُ : دُوْقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ . ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ ،
وَإِنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَامٍ لِلْعَبِيدِ . الَّذِينَ قَالُوا : إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ
إِلَيْنَا أَلَا نُؤْمِنَ لِرَسُولِهِ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْشِكُهُ النَّارُ ،
قُلْ : قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ ،
فَلَمْ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ؟ فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ
رَسُولٌ مِنْ قَبْلِكَ ، جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنْيِرِ .
كُلُّ نَفْسٍ ذَاقَتِهِ الْمَوْتُ ، وَإِنَّمَا تُوْفَّوْنَ أَجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ،
فَمَنْ زُحِّرَ عَنِ النَّارِ وَأَدْخَلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ، وَمَا الْحَيَاةُ
الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعٌ الْغُرُورِ . لَتُبْلَمُونَ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ،

وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ
أَشْرَكُوا أَذْيَ كَثِيرًا ، وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَقَوَّا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ
الْأُمُورِ . وَإِذَا أَخَذَ اللَّهُ مِيشَاقَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ :
لِتَبْيَّنَنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكُنُونَهُ ، فَبَدْوَهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ ،
وَاشْتَرَوْهُ بِهِ ثُمَّا قَلِيلًا ، فَبَيْسَ مَا يَشْتَرُونَ . لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ
يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُجْبِيُونَ أَنْ يُحْمِدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا ، فَلَا
تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ ، وَأَهُمْ عَذَابُ الْأَلِيمِ . وَلَهُ
مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ .

شرح الألفاظ

شرحها	الألفاظ
بما أعطاهم الله تفضيلا منه . البخل وبال عليهم .	بما آتاهم الله من فضلاته هو شر لهم
سيجعل الذي يخلوا به طوقاً في عناقهم .	سيطقوون ما يخلوا به
ولله ملك ما في السموات والأرض ، مما يتوارث .	ولله ميراث السموات
من سجل عليهم قوله ، حتى يأتي وقت الحساب . عذاب جهنم الشديد الحرق .	والأرض سكنكتب ما قالوا عذاب الحريق

شرحها	الألفاظ
بسبب ما فعلتم من المعاصي .	بما قدمت أيديكم
لا يظلم أحداً ، فلا يعاقب من غير ذنب .	ليس بظلام للعبيد
أمرنا وأوصانا .	عهد إلينا
ألا نصدق رسولاً .	آلا نؤمن لرسول
القربان : ما يتقرب به العبد إلى ربه .	بقربان
بالحجج المدالة على صدق الشفوة ، والمعجزات التي	بالبيئات
لا يستطيع أن يأتيها بشَّرَ .	والزُّبُر
الزبر : جمع زبور ، وهو الكتاب ، كصحف إبراهيم .	والكتاب المنير
والتوراة والإنجيل .	فمن رزح عن النار
فمن نُجِّي عن النار وأبعد عنها .	فقد فاز
فقد نجا وظفر برضا الله .	متاع الغرور
متاع الخداع الرائق .	لتُبْسِلُونَ
لتُختبرن بالمصاديب .	فإن ذلك من عزم الأمور
فإن الصبر والتقوى مما يحب العزم عليه .	وإذ أخذ الله ميثاق
واذكروا وقت أخذ الله العهد على اليهود .	الذين أوتوا الكتاب
فتركوا أمر الله وضييعوه ، ونقضوا عهده .	فبنبلوه وراء ظهورهم
واشتروا بالكمان وعدم الإظهار شيئاً تافهاً ، وهو	واشتروا به ثمناً قليلاً
عرَضَ الدنيا .	فلا تحسبنهم بعفادة من
فلا تظنن أنهم يفوزون بالنجاة من عذاب الله .	العذاب

مِحْمَلُ الْمَعْنَى

١— ولا تظنن يا محمد ، أن بخل الباخلين بما رزقهم الله في الدنيا ، من علم أو مال ، فلا ينفقون من علمتهم على من يريد أن يتعلم ، ولا ينفقون من مالهم في وجوه الإنفاق التي حددتها الله — خير لهم عند الله يوم القيمة ، وإنما هو شر لهم ، ووبال عليهم ، ويلزمهم إثمه يوم القيمة ، فيحاسبون عليه بعد موتهم ، ويزول عنهم ما بخلوا به ، ويصبح ميراثه لله الدائم الأزلي الأبدى ، الخيط علمه بكل شيء .

قَصْدَةُ فِيْحَاصٍ

لقي أبو بكر رضي الله عنه ناساً من اليهود ، قد اجتمعوا حول فنيحاص ، سيد بن قينقاع ، وكبير علمائهم وأحبارهم ، فقال له أبو بكر رضي الله عنه : وبحك يا فنيحاص ، أتق الله وأسلام ، وأقرض الله قرضاً حسناً ، فوالله إنك لتعلم أن محمداً رسول الله ، قد جاءكم بالحق من عند الله ، تجدونه مكتوباً عندكم في التوراة ، قال فنيحاص : والله يا أبو بكر ، ما بنا إلى الله من فقر ، وإنه إلينا لفقير ، وما نتضرع إليه كما يتضرع إلينا ، وإنما عنه لأغنياء ، وما هو عنا بغيّ ، ولو كان عنا غنيّاً ما استقرضنا أموالنا ، كما يزعم صاحبكم ، إنها لكم عن الربا ويعطيناه ، ولو كان غنيّاً عنا ما أعطانا الربا ، فغضب أبو بكر ، وضرب وجه فنيحاص ضربة شديدة ، وقال : والله نفسي بيده ، لو لا العهد المدى بيننا وبينكم ، لضررت عنقك يا عدو الله ، فأكلذبنا ما استطعتم إن كتم صادقين .

فأهاب فنيحاص إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا محمد ، انظر ما صنع بي صاحبك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر رضي الله عنه : ما حملك على ما صنعت ؟

قال : يا رسول الله ، إن عدو الله قال قولاً عظيماً : زعم أن الله فقير وهم عنده أغنياء ، فلما قال ذلك ، غضبتُ لله مما قال ، فضررت وجهه ، فأناكر ذلك فنيحاص ، وقال : ما قلت ذلك ، فأنزل الله فيما قال فنيحاص ردًا عليه ، وتصديقاً لأبي بكر : «لقد سمع الله قول المؤمنين قالوا : إن الله فقير ونحن أغنياء»

٢ - والمعنى أن الله تعالى سمع اليهودي الذي ينسب إلى الله المغفر ، وينسب إلى نفسه الغنى ، وسيسجل عليه وعلى أمثاله من اليهود الذين عاصروا محمداً والمؤمنين سبقوه ، كل ما فعلوه من سوء ، ومنه هنا الإفك والبهتان ، ومنه ما فعله اليهود السابقون من قتلهم أنبياء الله ، وقد اتهى هنا إلى فنيحاص وقومه ، فرضوا عنه واستجذروه ؛ هؤلاء السابقون واللاحقون جميعاً ، يقول الله لهم يوم القيمة : ذوقوا عذاب نار محقة ملتهبة .

٣ - ذوقوا هنا العذاب بسبب ما فعلتم في الدنيا من تكذيب ، وإنكار للحق ، وافتراء على الله ، وغير ذلك ، وهنما جزاء وفاق لكم ، من الله الذي لا يظلم أحداً من خلقه .

٤ - ومن مفتريات هؤلاء اليهود التي سمعها الله وأخبر عنها ، قول من يقولون : إن الله أوصاناً لا نصدق رسولًا فيها يقول ، إلا إذا جاء بقربان يقربه إلى الله ، دليلاً على صدقه ، فإذا أكلت النار القربان آمنا به وصدقناه ، فيأمر الله رسوله أن يقول لهم : قد جاء من قبل رسول تقوم على أيديهم الأدلة القاطعة على صدقهم ، ومنها القرابين التي أكلتها النار ، ولكنكم مع ذلك استطاعتم واستكبرتم ، وظللتم على إصراركم وكفركم ، بل تعدىتم

ذلك إلى قتلهم ، وأنتم الآن فيما تطلبون من القربان ، تهزلون كما يهزل من قبلكم ، وسنذكر شيئاً عن هذا القربان في تفسير الجزء الخامس ، عند شرح قوله تعالى : « واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق ، إذ قربا بارانا » .

٥ — فلا تجزع يا محمد على أن يكذبك هؤلاء المكذبون جميعاً ، ولا يخزنك ما يفتر ونه عليك ، ولا يهزلنك ما ينسبونه إلى ما ليس من صفاتي ، فقد كذب أسلافهم رسلاً قبلك أرسالتهم إليهم ، وبين يديهم الأدلة القاطعة على صدقهم ، والكتب المضيئة بنور اليقين ، فحرفوها وبدلوها ، وأساعوا إلى رسالهم .

٦ — واعلم أن مصير هؤلاء المفترين إلى الموت ، ومرجعهم إلى ، ويوم القيمة تسوف كل نفس ما عملت من خير وشر ، فالذين يبتعدون عن النار هم الغائزون الذين يدخلون الجنة ، والذين اعتروا بالدنيا ، وآثروا متابعتها القليل ، هم المعدّون في نار جهنم ، لأنهم خدعوا بزائف تافه .

قصة كعب بن الأشرف

كعب هذا يهودي ، كان يحضر المشركين على المؤمنين عامة ، وعلى النبي خاصة ، وكان شاعراً ، فهجاً محمداً وأصحابه ، وشيب بنساء المسلمين ، فأجمعوا على قتله ، فانطلق إليه خمسة نفر من الأنصار ، وآتوه في مجلس قومه ، فلما رأهم ذعر منهم ، وأنكر مجدهم ، فلما أنس إليهم ، قالوا : جئناك حاجة ، فقال : فليسَنْ إلى بعضكم ، فليجحدْنِي بحاجته ، فجاءه رجل منهم ، وقال : جئناك لترهنك أدراعاً عندنا ، لنستنقق ما نأخذ ، فقال : والله لئن فعلتم لقد جههتم منه نزل بكم هذا الرجل ، ثم واعدوه أن يأته عشاء في داره ، حين يهدأ الناس ، فلما كان العشاء أتواه ونادوه ، فقالت امرأته : ما طرقك هؤلاء ساعتهم هذه لشيء
ج ٤ (٦)

ما نحبه ، قال : إنهم حدثوني بحديثهم وشأنهم ، وأشرف عليهم وكلامهم ، فطلبوا منه أن يبيعهم تمراً ، فقال : أترهنتونى أبناءكم ؟ فقالوا : إننا نستحيي أن تعير أبناؤنا ، فيقال : هنا رهينة وسق : (حمل بغير) ، وهذا رهينة وسقين . فقال : أترهنتونى نساعكم ؟ قالوا : أنت أجمل الناس ولا نأمنك ، وأى امرأة تمتنع منك لحملك ؟ ولكننا نرهننك سلاحنا ، فقد علمت حاجتنا إلى السلاح اليوم ؟ فقال : ائتونى بسلاحكم ، واحملوا ما شئتم ، قالوا : فإنزل إلينا نأخذك علىك ، وتأخذك علينا ، فنبهب ينزل ، فتعلقت به امرأته ، وقالت : أرسلي إلى أمثالهم من قومك ، يكونوا معلمك ، قال : لو وجدتني هؤلاء نائماً ما أيقظوني ، قالت : فكلمهم من فوق البيت فأبى عليها ، ونزل إليهم يفوح ريحه ، قالوا : ما هذا الريح يا كعب ؟ قال : هنا عطر أم فلان « يعني امرأته » ، فدنا إليه بعضهم يشم رائحته ، ثم اعتنقه ، وقال : اقتلوا عدو الله ، فضربه واحد منهم في خاصرته ، وعلاه آخر بالسيف ، فقتلواه ، ثم رجعوا ، فأصبح اليهود مذعورين ، فجاءوا إلى النبي ﷺ صلى الله عليه وسلم فقالوا : قتل سيدنا غليلة ، فذكرهم رسول الله صنيعه ، وما كان يحض عليهم ، ويحرص على قتالهم ، ويؤذهم ، ثم دعاهم إلى أن يكتب بينه وبينهم صلحاً ، فكتبوه ، وفي كلام كعب نزل قوله تعالى : « ولتسمعن من المدينين أتوا الكتاب »

٧ — يقول الله لل المسلمين : إنه سيختبرهم بشدائده في أنفسهم وأموالهم وأقاربهم وأهل دينهم ، بالقتل والتعذيب ، ونقص المال ، ليعرف مبلغ صبرهم على ما يصيرون بسبب دينهم ، وهذه الشدائده ، هي أنهم سيسمعون من غير المسلمين : يهوداً كانوا أو نصارى أو مشركين ما يؤذهم ، فاليهود يقولون : عزيز ابن الله ، إن الله فقير ونحن أغنياء ، يد الله مغلولة ، والنصارى يقولون : المسيح ابن الله ، والمشركون يرمونكم ويرمون النبي ﷺ بأشياء

كثيرة ، فإن تصبروا على أذاهم ، وتنقروا الله بتنفيذ أوامره ، واجتناب نواهيه ، فإن ذلك يرضي الله ، لأنه مما أمر به .

٨ - وذكر يا محمد أن الله قد أخذ على اليهود والنصارى عهداً أن يبيتوا للناس ما في كتابهم ، مما أنزله الله على موسى عليه السلام ، وألا يكتموا ما فيه من صفاتك ورسالتك ، والمدعوة إلى الإيمان بك ، فتركوا أمر الله ، ونفروا عهداً الله ، وأخفوا رؤساؤهم ما يعرفونه من وصفك وصدقك ، والمدعوة إلى الإيمان بك ، واستبدلوا بهذه الأمر العظيم شيئاً خسيساً تافهاً من عرَض هذه الدنيا ، وهو حب الرئاسة ، وفرض الإلقاء ، فبغش العرض هذه .

٩ - هؤلاء الذين يفرحون بما فعلوا من إيثار الدنيا ، وطلب السعادة ، والذين يحبون أن تشنى عليهم بما لم يعملوه ، وأن ينالوا خيراً لم يقدموا له أسبابه ، لا تظن أنهم ناجون من العذاب ، ولكنهم سيدخلون جهنم ، ويقولون جزاعهم ، لا فرق في ذلك بين يهودي ، ونصراني ، ومنافق .

١٠ - ورد الله بعد ذلك على النبِّيِّ قالوا : إن الله فقير ونحن أغنياء ، بأن من له ملك السموات والأرض لا يكون فقيراً ، وبأنه قادر على تعجيل عقوبتكم ، وعقوبة أمثالكم ، ولكنه يؤجل ذلك لحكمة يريدها ، سبحانه وتعالى ، له الملك ولـه الحمد ، وهو على كل شـيء قادر .

(١٥)

إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَآخِذَلَافِ الظَّاهِرِ وَالْأَنْهَارِ،
لَا يَعْلَمُ لِأُولَئِكَ الْأَلْبَابِ، الَّذِينَ يَدْكُرُونَ اللَّهَ قِيمَامَا وَقَمُودًا وَعَلَى
جُنُوبِهِمْ، وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، رَبَّنَا
مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا، سُبْحَانَكَ! فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ. رَبَّنَا إِنَّكَ
مَنْ تُدْخِلُ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ، وَمَا لِظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ.
رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًّا يُنَادِي لِلْإِعْانَ: أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَأَمَّا
رَبَّنَا فَاغْفِرْ. لَنَا ذُنُوبُنَا، وَكَفَرْ عَنَا سَيِّئَاتِنَا، وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ.
رَبَّنَا وَأَتَنَا مَا وَعَدْنَا عَلَى رُسُلِكَ، وَلَا تُخْزِنَنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، إِنَّكَ
لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ. فَاسْتَجِابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ: أَنِّي لَا أُصِنِعُ عَمَلَ
عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى، بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ، فَالَّذِينَ
هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ، وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي، وَقَاتَلُوا وَقُتُلُوا،
لَا كَفِرْنَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ، وَلَا دُخُلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا
الْأَنْهَارُ، ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْقَوَابِ.
لَا يَغُرُّنَكَ تَقْلِبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبَلَادِ. مَتَاعٌ قَلِيلٌ، ثُمَّ

مَا وَاهِمْ جَهَنَّمْ ، وَبِئْسَ الْمِهَادُ . لَكِنِ الدِّينَ اتَّقُوا رَبَّهُمْ أَهُمْ
جَنَّاتٌ تَجْزِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ، نُزُلًا مِنْ عِنْدِ
اللَّهِ ، وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ . وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ
لَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ ، وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ ، خَاسِئِينَ
لِلَّهِ ، لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ، أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ
عِنْدَ رَبِّهِمْ ، إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ . يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا
وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا ، وَاتَّقُوا اللَّهَ ، لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
وَاحْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ	اِختِلَافُ الْأَنْهَارِ وَاللَّيْلِ
لَاوَى الْأَلْبَابِ	لَاوَى الْأَلْبَابِ
قِيَامًا وَقَعْدَةً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ	قِيَامًا وَقَعْدَةً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ
مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا	مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا
سَبِحَانَكَ	سَبِحَانَكَ
قَنَا عَذَابَ النَّارِ	قَنَا عَذَابَ النَّارِ
فَقَدْ أَخْرَيْتَهُ	فَقَدْ أَخْرَيْتَهُ

شرحها	الألفاظ
المنادي : هو محمد عليه السلام ، ومن وسائل مناداته القرآن .	سيعننا منادياً
فاستر علينا خطابانا ، ولا تفضحنا بها ، بمعاقبتك إليانا عليها .	فاغفر لنا ذنو بنا ، وكفر عننا سيئاتنا
وأقضينا إليك في عداد الصالحين ، وهو جمع بر ، مثلك رب وأرباب .	وتوفنا مع الأبرار
وأعطتنا ما وعدتنا . على ألسنة رسالك . ولا تفضحنا بالعذاب .	وأتنا ما وعدتنا على رسالك ولا تخزنا
فأجابهم ربهم إلى ما دعوا . لأسترن عليهم ذنو بهم ، ولأنهونها عنهم . حسن الجزاء .	فاستجاب لهم ربهم لأكلفون عنهم سيئاتهم
لا يخندنك .	حسن الثواب لا يغرنك
تصرفهم في الأرض ، وضررهم فيها ، بتجارتهم وأموالهم .	تقلب الذين كفروا
هذه متعة قصيرة ، تنتهي بانتهاء آجالهم في الدنيا ، ثم يخلدون في جهنم .	متاع قليل
وما أسوأ فراشهم وموضعهم الذي ينتهيون إليه ! انزالا من الله لهم فيها ، وثواباً لهم على ما قدّموا من الاتقوى .	وبئس المهد
ثواب الله للمتقين ، خير لهم مما يكسبه غيرهم ، من تصرفهم في الدنيا .	نزلة من عند الله
	وما عند الله خير للأبرار

الألفاظ	شرحها
وإن من أهل الكتاب لم يؤمن بالله	وإن من المؤمنين بالتوراة والإنجيل . لمن يقر بوحدانية الله ، فلا يقول : عزيزُ ابن
وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم	الله ، ولا يقول : المسيح ابن الله . وهو القرآن .
إن الله سريع الحساب	وهو التوراة والإنجيل . لا يخفى عليه شيء ، فيعلم الشيء قبل وقوعه ،
اصبروا	فيجازى عليه ، من غير عدٍ ولا إحسانه ولا غير ذلك ، مما يترتب عليه الإبطاء .
صابر وا ورابطوا	اصبروا على ما تلقون في الدنيا من عننت ، وحبس النفس عن الشهوات ، وتحملها مشقات الطاعات .
وانتقوا الله لعلكم تفلاحون	اثبتو على قتال أعدائكم في الجهد . استعدوا بعثادكم في الشغور ، وكل مكان مخوف .
	واحذروا أن تخالفوا أوامره ، وتفعلوا نواهيه .
	لتفلحوا ، فتبقو في نعيم دائم .

مجمل المعنى

١ - يوجه الله سبحانه وتعالى نظر الناس إلى التبارير فيما خلق ، ليعرفوا أنه منزله عن كل ما يصفه به الجهل من الفقر ، واتخاذ الابن ، ونحو ذلك ، فيدعوهם إلى التأمل في خلق السموات والأرض وما فيهما من تنظيم خاص ،

يكفل لهم أن يحيوا ويعيشوا ، ويذعنونهم إلى التأمل في تعاقب الليل والنهار ،
واختلافهما طولاً وقصراً ، ليتمكنوا من الضرب في الأرض ، وتذليل
العيش ، وفي هذا كله دليل واضح أمام العقلاء ، على قدرة الله ، وغناه ،
ووحدانيته .

٢ - ودليل واضح أيضاً للذين يتقوون الله في جميع حالاتهم ، ويذكروننه دائمآً ،
فحسماً يتلفتوا أو يتوجهوا ، لا تقع أعينهم إلا على شيء يدل على قدرة
الله ، فيتذكروا ويعتبروا ، ويقولوا : يا ربنا ، إنك لم تخلق هندا العالم عيشاً
ولا لعباً ولا هلوأ ، وإنما خلقته لأمر عظيم أردته ، من ثواب المطبع وعقاب
ال العاصي ، فتنزيرها لك من أن تخلق شيئاً لعباً وهلوأ ؛ أجرنا من عذاب النار
الذى أعددته للعقاب .

٣ - لأن الذى تدخله النار تكون غاضباً عليه لسوء فعله ، وأردت له الخرى
والعار والفضيحة ، لما ظلم نفسه في الدنيا ، فلا ناصر له ينصره يوم
القيمة ، ويدفع عنه العقاب ، وينقاذه من العذاب .

٤ - ربنا ، إننا سمعنا داعياً يدعوا إلى الإيمان بك ، والإقرار بوحدانيتك ،
فصدقناه ، فاستر علينا ذنبنا ، ولا تفضحنا بها بما حبكتنا عليها ، واحشرنا
مع الأبرار المصطفين .

٥ - ربنا ، وأعطتنا ما وعدتنا على لسان رسالك ، ولا تخذنا يوم القيمة ،
بالكشف عن ذنبنا التي حدثت منا ، فقد وعدت أن تعز أوليائك ،
وأنت لا تخلف الميعاد .

٦ - أجاب الله هؤلاء المدعين إلى ما دعوا إليه ، وأعلمهم أن كل من يحمل
خيراً يلقى خيراً ، لا فرق في ذلك بين ذكر وأنثى ، وكان النساء أصحابهن
بعض القلق ، لأن الرجال يذكرون ولا تذكر النساء في المخفرة ، فقالت

أُم سالمة للرسول : يا رسول الله ، لا أسمع الله يذكر النساء في المиграة بشيء ، فأنزل الله : « فاستجيب لهم ربهم أني لا أخصي عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى » .

٧ — فالذين تركوا أهلهم وعشيرتهم من الكفار ، وضحوا بعاطفة القرابة ، وهاجروا من أجل الدين ، وتحجّلوا المشاق في الله ولله ، والذين أرغمواهم الكفار على الخروج من وطنهم ، لأنهم آمنوا بمحمد ، فكان إيمانهم سبباً في إيهامهم ، بترك الوطن والولد والمال والبيت ، والذين قاتلوا في سبيل الله ، فقتلوا وقتلوا — هؤلاء جميعاً ، جزاؤهم عند الله أنه يكفر بهم سيرتهم ، ويستر عليهم ذنوبهم ، ويدخلهم جنات فيها أنواع من النعيم ، ليس لها نظير في الدنيا ، ويخالدون في هذه الجنات ، جزاء لهم على ما قدموه لأنفسهم من خير ، ولدين الله من نصر وإعزاز ، والله عنده من جزاء أعمالهم جميع صنوف النعيم ، مما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر .

٨ — يا محمد ، لا يخدعنك ما ترى عليه هؤلاء الكفار من تصرف في البلاد ، وتقلب هنا وهناك ، بتجارتهم وأموالهم ونسائهم وشاتهم ، فإنهم يتهمون بهذه الأشياء تهمعاً قصير الأجل ثم يموتون ، فكأنهم لم يتمتعوا ، وبعد ذلك يصيرون بسبب كفرهم إلى فراش مؤلم يختبئ ، هو جهنم ، فهو أسوأ مصير أداهم إليه كفرهم ، واغترارهم بالدنيا .

٩ — أما الذين خافوا الله واتقوه وأطاعوه ، وعملوا بأوامره ، واجتنبوا نواهيه — فإن لهم الجنات التي سبق وصفها ، يتزلّم الله فيها إكراماً لهم ، وإنما عند الله للأبرار المطيعين خير مما كان عند الكافرين من نعيم الدنيا .

قصة أصحمة بن بحر

استغفر النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه « وهو نجاشي الحبشة » ، حين بلغه موته ، وقال : اخرجوا فصلوا على أخي لكم ، وصلى عليه ، وكبر أربع تكبيرات ، ثم قال : هذا النجاشي أصحابه ، فقال المنافقون : انظروا إلى هنا ، يصلى على علّاج نصراني لم يره قط ؟؟ فأنزل الله : « وإن من أهل الكتاب »

١٠ - تجدون من أهل الكتاب : اليهود والمغاربيين ، من يؤمنون بالله ، ويوحدونه ، ويعرفون بالقرآن ، ويقرؤون بما جاء في التوراة والإنجيل ، من وصف محمد ، والتبشير برسالته ، يفعلون ذلك خاصعين لله بالطاعة ، ولا يخرون ما أنزل عليهم في كتبهم ، ولا يخفونه ، ولا يبدلونه ، للوصول إلى غرض من أغراض الدنيا التافهة الزائلة ، هؤلاء جراؤهم عند الله ، وأجرهم عليه ، وثوابهم مدخل يوم القيمة ، يقدمه إليهم كاملاً غير منقوص .

١١ - يدعوا الله المؤمنين أن يصبروا على ما يلقون من عذاب بسبب الدين ، فلا يؤثر في إيمانهم ما يلقون من مشقات في أداء الطاعات ، ولا ما يصادفهم من بؤس وشدة ، وفقر وحرمان ، وتشريد ، وقتل ، وأن يصبروا على قتال الكفار وأهل الضلال ، وأن يُعدوا أنفسهم دائماً لمحاربة العدو ، وبما يحتاجون إليه من معدات حربية مناسبة لزمامهم ، وأن يخافوا الله ، ويحذروه ، ليغزوا بالنعم المقيم في الآخرة .

سورة النساء

نزلت بالمدينة، وآياتها ١٧٦ آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١)

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ
وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً، وَاتَّقُوا اللَّهَ
الَّذِي تَسْأَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ، إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَّقِيقًا.
وَاتَّوْا إِيتَامَى أَمْوَالَهُمْ، وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَيْرَاتَ بِالظَّيْبِ، وَلَا
تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ، إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا. وَإِنَّ
خِفْتُمْ أَلَا تُقْسِطُوا فِي إِيتَامِي فَإِنْ كِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِّنَ
النِّسَاءِ : مَئْنَى وَمُلَاثَ وَرُبَاعَ، فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةَ
أَوْ مَا مَلَكْتَ أَيْمَانَكُمْ، ذَلِكَ أَذْنَى أَلَا تَمُولُوا، وَاتَّوْا النِّسَاءَ
صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبَنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا، فَكُلُوهُ
هَنِيئًا مَرِيئًا .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
خلقكم من نفس واحدة	خلقكم من شخص واحد هـ آدم .
بـثـ مـهـمـا	نشر من آدم وحواء .
تسـاعـلـونـ بـهـ	يـسـأـلـ بـهـ بـعـضـكـمـ بـعـضـاـ ،ـ فـيـقـوـلـ .ـ أـلـكـ بـالـلـهـ مـثـلاـ .ـ
والـأـرـاحـ	وصـلـوـ الـأـقـارـبـ .ـ
رـقـيـاـ	مـراـقـبـاـ أـعـمـالـكـمـ ،ـ فـيـجـازـيـكـمـ عـلـيـهـاـ .ـ
الـيـتـامـىـ	جـعـ يـتـيمـ ،ـ وـهـوـ مـنـ مـاتـ أـبـوـهـ ،ـ وـالـرـادـ :ـ مـاـ كـانـواـ عـلـيـهـ قـبـلـ بـلـوـغـ الـرـشـدـ .ـ
الـخـيـثـ	الـحـرـامـ .ـ
بـالـطـيـبـ	بـالـحـلـالـ .ـ
وـلـأـ تـأـكـلـواـ أـمـوـالـهـمـ إـلـىـ	وـلـأـ تـضـيـعـواـ أـمـوـالـهـمـ إـلـىـ أـمـوـالـكـمـ ظـلـمـاـ وـجـورـاـ .ـ
أـمـوـالـكـمـ	ذـنـبـاـ وـظـلـمـاـ فـاحـشاـ .ـ
حـوـبـاـ كـبـيرـاـ	أـلـاـ تـعـدـلـواـ .ـ
أـلـاـ تـقـسـطـواـ	فـتـرـ وـجـواـ .ـ
فـانـكـحـواـ	أـلـاـ تـقـيـمـواـ الـعـدـلـ بـيـنـهـنـ فيـ النـفـقـةـ وـتـوزـعـ الـوقـتـ .ـ
أـلـاـ تـعـدـلـواـ	أـوـ مـاـ مـلـكـتـ أـيـمـانـكـمـ
أـدـنـىـ	أـقـرـبـ .ـ
أـلـاـ تـعـولـواـ	أـلـاـ تـجـورـواـ وـتـظـلـمـواـ .ـ

شرحها	الألفاظ
مهورهن .	صدقاتهن
فريضة عن طيب نفس .	نحلاة
فإن طبن لكم عن شيء } فإن طابت نفوسهن عن المتنازل عن شيء من المهر لكم .	منه نفساً
فحذوه وأنفقوه حلالا طيبا .	فكلوه هنيئاً مريئاً

مجمل المعنى

١ - يأيها الناس ، احنروا ربكم في أن تخالفوه فيما أمركم به ، أو نهاكم عنه ، فيحصل عليكم من عقوبته ما لا طاقة لكم به ، فقد تفضل عليكم بقدرته القاهرة ، ونعمته الباهرة ، بأن أنساكم من شخص واحد ، وهو أبوكم آدم عليه السلام ، وخلق منه زوجته حواء ليسكن إليها ، وأوجد منها عدداً كبيراً من بنين وبنات ، انتشروا في الأرض فعمروها ، وهو الذي تذكرونه وتقصدونه حين يسأل بعضكم بعضاً عند الاستعطاف ، فيقول أحدكم للآخر : أسألك بالله ، أو ناشدتك الله ، أو نحو ذلك ، فجدير بكم أن تتقدوا حق تقاطه ، لربوبيته وخلقه إياكم خلقاً بديعاً ، وصلوا الأقارب . واشتملوا بهم بعطفكم ، ودواهم الألفة والودة فيما بينكم وبينهم ، إن الله محص عليكم أعمالكم ، مطلع على سركم ونجواكم .

٢ - ويأيها الأوصياء والأولياء على اليتامي ، أعطوهما أموالهم إذا بلغوا الحُلُم ، وأنفس منهم الرشد ، والمقدرة على إدارة أموالهم ، إن كنتم من يتقون الله ، ولا تأخذوا حين وصايتكم أو لا ينكتم عليهم الجيد من أموالهم ، والخيار

من منازلهم وأرضهم وزراعتهم ، وتسيدلون بها الحقير الخسيس من أموالكم ،
ولا تخلطوا أموالهم بأموالكم ، رغبة في أن تخفوا ما تضمنوه إلى حوزتكم ،
فتسليوا اليتيم أمواله ، وتهبواها بطبعيائكم وسوء نياتكم ، فإن هذا الأكل
ذنب عظيم ، وظلم كبير .

٣ — وكان بعض الأولياء أو الأولياء يكون عنده العدد الكبير من النساء ،
ويتولى أمر الأيتام ، فإذا أتفق ماله على نفسه وزوجاته ، ولم يبق له مال ،
وصار محتاجاً ، امتدت يده إلى من يلي أمورهم من اليتامي ، فنزل قوله
تعالى: « وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامي » ، والمعنى: إن خفتم عدم
العدل في أموال اليتامي ، باضطراركم إلى الاستعانت بأموالهم على معايشكم ،
فقد حظرت عليكم ألا تتزوجوا أكثر من أربع ، من تستطعهن نفوسكم ،
ويخل لكم التزوج بين ، فإن خفتم عدم العدل في الأربع أو الثلاث
أو الاثنين ، في النفقة أو قسمة أوقاتكم بينهن قسمة عادلة ، فاكتفوا
بواحدة ، فالملاك أقرب إلى ألا تجوروا أو تظلموا ، فكأن الله تعالى يخوف
من الإكثار من الزوجات ، لما عساه أن يقع من التعدي على أموال اليتيم ،
أو عدم العدل بين النساء — أو اكتفوا بما ملكت أيمانكم من الإماء ،
إذ ليس لهن مهما تعددن ما للزوجات من حقوق ، وأعطوا النساء مهورهن
فريضة عن طيب نفس ، فإن طابت نفوسهن أيها الأزواج عن شيء
من المهر ، فتنازلن عنه لكم ، فخمنوه حلالاً طيباً .

(٢)

وَلَا تُغْنِوَا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَاماً ،
فَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاسْكُنُوهُمْ ، وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا . وَابْتَلُوا
الْيَتَامَى ، حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّسْكَاحَ ، فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا
فَادْفَعُوهُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ ، وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبُرُوا ،
وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلِيَسْتَعْفِفْ ، وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلِيَأْكُلْ
بِالْمَعْرُوفِ ، فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ
وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا . لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ ،
وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ ، مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ
كَثُرَ ، نَصِيبًا مَفْرُوضًا ، وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَى
وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ ، وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا .
وَلِيَخْشَى الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةٌ ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ ،
فَلِيَتَقُوا اللَّهُ ، وَلِيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا . إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ
الْيَتَامَى ظُلْمًا ، إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ، وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا .

شرح الألفاظ

شرحها	الألفاظ
{ جمع مفهيم ، وهو المبادر المخالف ، الذي يستحق الحجر عليه ، لسوء تصرفه .	السفهاء
{ الأموال التي تقومون على صيانتها وتشميرها ، حين تكونون أولياء أو أصحاب .	أموالكم
{ أجعلوا فيها قدرًا من تحت إشرافكم ، في مسكنه ومطعمه ومشربه .	وارزقونهم فيها واسوسوهم
{ عِدُّوهُم عِدَّةً جميلة ، بإعطاءهم أموالهم حين يبلغون رشدهم .	قولوا لهم قولًا معروفاً
{ اختبروا من لكم الإشراف عليهم من اليتامي ، بتسلكينهم من بعض التصرفات .	ابتلوا اليتامي
{ وصلوا إلى سن البلوغ .	بلغوا النكاح
{ وجدتم وأبصرتم منهم صلاحاً لإدارة أموالهم ، واسبقنماقة في سيرهم .	أنستم منهم رشدًا
{ مبادرين إلى الانتفاع بها ، مخافة أن يكبروا ، فيأخذوا أموالهم .	وبداراً أن يكبروا
{ فليأخذنـه من مال اليتيم بقدر أجره فحسب . اتخذنـوا شهداء عليهم ، بأنهم تسلـموا أموالهم .	فليأكل بالمعروف فأشهدوا عليهم حسبياً
{ شهيداً محاسبـاً . أعطـوهـم شيئاً من المال قبل القسمـة .	فارزقـهم منه

الألفاظ	شرحها
قولاً معروفاً	قولاً جميلاً بالاعتذار إليهم ، إن كان ما يعطون قليلاً .
من خلفهم	من بعدهم .
فليتقوا الله	فليخافوا الله في أموال اليتامي ، وليفعلوا ما يحبون فعله مع ذراريهم .
سديداً	صواباً .
يأكلون في بطونهم ناراً	يأكلون في بطونهم ما يدخلهم النار .
وسيصلون سعيراً	وسيصلون ناراً حامية يوم القيمة .

في هذه الآيات رجوع إلى بيان بقية الأحكام المتعلقة بأموال اليتامي ، وتفصيل لما أجمل فيما سبق .

مجمل المعنى

١ - ولا تعطوا أيها الأوصياء والأولياء السفهاء من اليتامي ، الأموال التي تحت تصرفكم ، وكلفتم القيام عليها ، لثلا يسيئوا التصرف فيها ، وينضيغوها في غير وجوهها ، وأنفقوا عليهم منها في مساكنهم ومطاعتهم وملابسهم ، ونموا أموالهم ، وثمروها في أعمال مضمونة الربح ، حتى تكون نفقاتهم من الأرباح ، لأن من رأس المال ، وعيدهم علدة جميلة تطيب بها نفوسهم ، بأن أموالهم ستتول إليهم ، حين يثبتون أنهم قادرون على حسن التصرف فيها .

٢ - واختبروا اليتامى قبل بلوغهم ، بتتبع أحوالهم ، واستقصاء تصرفاتهم ،
بأن تدفعوا لهم قدرًا قليلاً من المال ، لاختبار تصرفهم فيه ، فإن بلغوا
حد البلوغ ، واستكملوا سن الرشد ، وانصر أهؤم قادرون على إدارة أموالهم
إدارة حسنة رشيدة ، فبادروا بدفع أموالهم إليهم ، ولا تأكلوا أيها الأولياء
والأوصياء أموالهم ، بإسرافكم فيما يتجاوز حكمكم في نظير إدارتها ، أو
بالمبادرة إلى اغتيال شيء منها ، مخافة أن يكبروا ، فيغذُّوا أيديكم عن
المتصرف فيها ، ومن كان غنياً فليعرف عن أموال اليتامى ، فلا يتناول
أجرًا على إدارتها ، ومن كان فقيراً فليأخذ منها بقدر أجره الذي يستحقه
للحصومة — وكفى الله حافظاً وشاهداً على أعمال خلقه ، محاسبًا لهم على
تصرفهم .

٣ - وكان العرب في الجاهلية لا يورثون النساء ولا الأطفال ، ويقولون : إنما
يرث من يحارب وينصب عن الحوزة ، وحدث أن أوس بن ثابت مات
عن زوجة وثلاث بنات ، فأخذ أبنا عممه ميراثه كله ، حسب سنة
الجاهلية ، فجاءت الزوجة إلى رسول الله ، فشككت إليه ، فقال لها :
ارجعى حتى أنظر ما يوحى به الله ، فنزل قوله تعالى : «للرجال نصيب»
الآية ، فبعث إلى أبى عم أوس ، وقال لها : لا تحرك من مال أوس شيئاً ،
فإن الله قد جعل للنساء نصيباً ولم يبينه ، فلما نزل قوله تعالى : « يوصيكم
الله في أولادكم » ، وزعَ الميراث على حسب ما أمر الله به ،
والمعنى : أن كلًا من الرجال والنساء ، لهم نصيب مما ترك آباءهم وأقر بأواعهم
الذين يرثونهم ، لفرق بين ذكر وأنثى من حيث الاستحقاق في الميراث ،
فالكل نصيب مفروض له ، سواء أكان الميراث قليلاً أم كثيراً .

٤ - وإذا شهد قسمة الميراث ذوو القرابة من لا يرثون ، واليتامى والمساكين من الأجانب ، فيحسن أن يعطيم الورثة شيئاً من الميراث تصدقه عليهم ، وتطيبأ لقلوبهم ، وأن يقولوا لهم قوله جيلاً ، فلا يغلوظوا في القول لهم ، ولا يظهروا استياعهم من حضورهم ، ولا يشعرونهم أهتم يمتنون عليهم ، بل يعتذرون إليهم إن كان ما يعطونه قليلاً .

٥ - وعلى الأوصياء والأولياء أن يتقو الله في أموال اليتامي ، بأن يفعلوا معهم ما يحبون أن يفعل غيرهم مع ذراريهم الصعاف بعد وفاتهم ، فيشفقوا عليهم شفقتهم على أبنائهم ، ويحبوا لهم ما يحبون لأولادهم ، ويقولوا لهم مثل ما يقولون للذراريهم ، من قول سديد ، ونصح وإرشاد ، ويعاملوهم بالرفق وحسن الأدب ، وألا يتصرفوا في أموالهم تصرفاً يضر بها ، وألا يحملهم الطمع على أكل شيء منها بدون حق ، فإن الذين ينتزون فرصة ضعف اليتامي ، فإذا كانوا شيئاً من أموالهم ، إنما يأكلون في بطونهم ما يؤدى بهم إلى نار جهنم ، يلقيون فيها ، ويقاسون حرها وهيبتها .

(٣)

يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ ، لِلَّذِكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأَنْثَيْنِ ،
فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوَقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ مُتْلِعًا مَا تَرَكَ ، وَإِنْ كَانَتْ
وَاحِدَةً فَلَهَا النَّصْفُ ، وَلَا بَوِيهُ إِلَّا كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا
تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبُوهُ
فَلَامِمَهُ الْثَّلَاثُ ، فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلَامِمَهُ السُّدُسُ ، مِنْ بَعْدِ
وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دِينِ ، آباؤُكُمْ وَابْناؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيَّهُمْ
أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا ، فَرِيضَةٌ مِنَ اللَّهِ ، إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْهَا حَكِيمًا .
وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ ، فَإِنْ
كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرَّبِيعُ مِمَّا تَرَكْنَ ، مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِيَنَ
بِهَا أَوْ دِينِ ، وَلَهُنَّ الرَّبِيعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ ،
فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الشَّمْنُ مِمَّا تَرَكْتُمْ ، مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ
تُوصَوْنَ بِهَا أَوْ دِينِ ، وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوْ امْرَأَةً ،
وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ ، فَلِكُلٍّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ ، فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ
مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءٌ فِي الْثَّلَاثَ ، مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ

دِينٌ عَيْرَ مُضَارٍ ، وَصِيمَةٌ مِنَ اللَّهِ ، وَاللَّهُ عَلَيْمٌ حَلِيمٌ . تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ ، وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلُهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ ، فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ . وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلُهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا ، وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
يوصيكم الله	يأمركم الله ويفرض عليكم .
حظ	نصيب .
كلالة	من لا ولد له ولا ولد .
حدود الله	أحكام شرائعه .

في هذه الآيات تفصيل لما أبجل في قوله تعالى : « للرجال نصيب مما ترك الوالدان »

مجمل المعنى

١ - يأمر الله في شأن الميراث عند وفاة المورث ، أن يكون توزيعه على النحو الآتي ، بعد قضاء ما على المتوفى من دين ، وتنفيذ ما أوصى به ، بشرط ألا يتتجاوز ثلث ما يبقى - وهذا التوزيع قد فرضه الله علينا ، وسواء

فيه بين الآباء والأبناء على حسب الأحكام التي يبيّنها ، إذ ليس يعلم أينهم أقرب لنا نفعاً : آلاصول أم الفروع ؟ غير المولى جل شأنه ، العليم بمصالحتنا ، الحكيم فيها يقضى ويقدّر ، فيجب أن نطيعه ، ونعمل بما أمر به ، فإنه أعلم بوجه الحكمة فيها قدره ودبره ، ويكون التوزيع على النحو الآتي ، بشرط ألا يكون هناك مانع من قتل ، أو اختلاف دين ، أو رق :

(أ) أن يكون للذكر مثل نصيب الأنثيين ، فإذا اجتمع ولد وأبنتان ، وليس للمتوفى وارث غيرهم ، أخذ الولد نصف المال ، وأخذت الابنات النصف الباقى ، وإذا ترك المتوفى ولداً وبنتاً ، أخذ الولد الثلثين ، وأخذت البنت الثالث الباقى .

(ب) وإن كان الورثة من النساء فقط ، وكناثيتين أو فوق اثنين ، فلهن ثلثا ما ترك المورث ، وحكم الأنثيين مستفاد من نصيبيهما المذكور في آخر سورة النساء ، في تفسير الجزء الخامس ، وإذا كان نصيب الأنثيين الثلثين ، فالابنات أولى ، لأن البنت أمس رحماً من الأخت ، ولأن البنت تستحق الثالث مع أخيها الواحد ، فع الأنثى أختها أولى .

(ج) وإن ترك المتوفى ابنة واحدة ، ليس لها أخ ولا أخت ، فلها النصف .

(د) وإن ترك المتوفى أبوين فلكل واحد منهما السادس مما ترك ابتهما ، إن كان له ولد ، ذكرأً كان أو أنثى ، واحداً أو أكثر ، وولد الولد كالولد ، فيوزع الباقى عليهم بعد نصيب الأبوين ، فإن لم يكن للمتوفى ولد ، وورثه أبواه ، فللأم الثالث ، والباقي للأب ، وهنا تفصيل يؤخذ من كتب الفقه .

(هـ) فإن كان للمتوفى إخوة من الذكور أو الإناث فلأمه المسدس ، والباقي للأب ، ولا شيء للأنثوة ، لاحتياج الأب إلى الإنفاق على أبنائه إخوة المتوفى .

(و) وأن يكون للزوج نصف ميراث الزوجة إن لم يكن لها ولد من زوجها ، أو من زوج سابق عليه ، فإن كان للزوجة ولد أخذ الزوج الرابع ، ولو لم يكن له ولد هذا الحكم .

(ز) وأن يكون للزوجة أو الزوجات مهما تعددن ربع ميراث الزوج ، إن يكن له ولد ، فإن كان للزوج ولد منهن أو من غيرهن ، فلهن الثمن ، ولو لم يكن له ولد في هذا الحكم كالولد .

(ح) ومن توفى وليس له والد ولا ولد ، وله أخ أو أخت من أم ، فلكل واحد منها المسدس مما ترك .

(ط) وإن كان الإخوة والأخوات لأم أكثر من واحد ، فهم شركاء في الثالث ، يستوي المذكور والمؤتث في النصيب بلا فارق .

٢ - أوصى الله بهذا وصية يحب العمل بها ، والله علیم بأحوال خلقه ، حليم لا يعجل بعقوبته لمن خالفه ، وهذه الأحكام شرائع الله التي حدّها لعباده ، ليعملوا بها ولا يتعدّوها ، فمن يطع الله ورسوله فيها حكم به ، يدخله جنات تجري من تحتها الأنهر ، يخلد فيها أبداً ، وذلك هو الفوز العظيم ، وجاءت : « خالدين » بصيغة الجمع ، مراعاة لمعنى : « من » ، ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده ، يدخله ناراً خالداً فيها ، وله عذاب مهين ، وجاءت : « خالماً » في الآية بصيغة المفرد ، مراعاة للفظ : « من » .

(٤)

وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَاءِكُمْ فَاسْتَهْمِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ ، فَإِنْ شَهَدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبَيْوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ ، أَوْ يَحْمِلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا . وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانَهَا مِنْكُمْ فَادْوُهُمَا ، فَإِنْ تَابَا وَاصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا ، إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَابًا رَحِيمًا . إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ الشَّرَوْءِ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ ، فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ، وَكَانَ اللَّهُ عَلَيْهَا حَسِيقًا . وَلَيَسْتَ إِلَّا تَوْبَةُ الظَّالِمِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ ، حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتَ قَالَ : إِنِّي ثَبَتُ اُلَآنَ ، وَلَا الَّذِينَ يَمْوِتونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ، أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا . يَأْتِهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهَهُمْ ، وَلَا تَعْضُلوهُنَّ لِتَذَهَّبُوا بِهِنْعِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ ، إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبِينَ ، وَعَاشُرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ، فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوْا شَيْئًا وَيَحْمِلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ، وَإِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَسْكَانَ زَوْجٍ ، وَآتِيْمُ إِخْدَاهُنَّ قِنْطَارًا ، فَلَا تَأْخُذُوهُنَّ مِنْهُ شَيْئًا ،

أَتَأْخُذُونَهُ بِهُتَّانًا وَإِنَّمَا مُبِينًا ؟ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى
بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ ، وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِثْاقي غَلِيظًا ؟

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
الفاحشة	ما اشتتد قبحه ، واستعملت في الزنى لأنه أقبح الفضائح ، وهو المراد هنا .
استشهدوا عليهم أربعة منكم	اطلبو شهادة أربعة من رجالكم العدول الأحرار .
فأماسكوهن في البيوت	احبسوهن في البيوت ، وامنعواهن من مخالطة الرجال .
سبيلا	طريقاً إلى الخروج من البيوت .
اللذان يأتيان الفاحشة من غير المتزوجين .	اللذان يأتيان الفاحشة من غير المتزوجين .
فاذوهما	عيرونها ووبخوهما بقوارص الكلام .
أعرضوا عنهمما	اتركوا يذاءهما ، واصفحوا عنهمما .
إنما التوبة على الله	إنما التوبة التي كتب الله على نفسه قبولاً تفضلاً منه .
يعملون السوء بجهالة	يرتكبون المعصية صغيرة أو كبيرة ، جهلاً بما تؤدي إليه من عقوبة .
من قريب	بعد زمن قريب من ارتكابها ، أو قبل نزول الموت وظهور علاماته .

شرحها	اللفاظ
أعددنا وهيأنا .	أعتدنا
أن ترثوا ذوات النساء وأشخاصهن .	أن ترثوا النساء
تمنعواهن من التزوج بغيركم ، بحبسهن في بيتكم .	تعصـلـوهـن
لتذهبوا ببعض ما أعطيتهموهن من المهر .	لتذهبـهـبـوـبـعـضـمـاـآتـيـتـهـمـوـهـنـمـاـ
{ بذنب عظيم لا خفاء فيه ، من زنى ، أو نشوز ،	بفاحشة مبينة
} أو سوء عشرة .	قطاراً
مالاً كثيراً .	بهـانـاـ
ظلمـاـ .	أفضـىـبعـضـكـمـإـلـىـبعـضـ
اتصل بعضكم ببعض اتصال مباشرة .	ميشـاقـأـغـلـيـظـاـ
{ عهـداـ وـثـيقـاـ ، وهو أمر الله ، بإمساكـهـنـ بمـعـرـوفـ	
} أو تسرـيـحـهـنـ بإـحـسـانـ .	

وضع الإسلام في أول أمره أحکاماً للردع ، والزجر عما كان يحدث في الجahليّة ، فلما تغلغل الدين في قلوب المسلمين ، وتمكن من نفوسهم ، وأعرضوا عن شوائب الجahليّة ، وزهدوا فيها ، عدّلت هذه الأحكام بما يناسب حالهم أو ألغيت ؛ (تراجع الصفحة ٨٢ وما بعدها ، من تفسير الجزء الأول) ، والآيات من قوله : « واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم » ، إلى قوله : « تواباً رحيمًا » ، من الآيات التي نسخت ، واستبدل بأحكامها غيرها .

مُجْمَلُ الْمَعْنَى

١ — واللّاقي يزنين من نسائكم وهن ذوات أزواج ، فاستشهدوا عليهن بما اقرفن من الزنى أربعة من رجالكم المسلمين الأحرار العدول ، فإن شهدوا عليهن شهادة صريحة بالزنبي ، فاحبسوهن في البيوت حتى تواجهن منيهن ، أو يجعل الله لهن مخرجاً من الحبس ، بما يشرعه الله من الحد لهن ، ورجم المتزوجين بالحجارة ؛ وقد نسخ هذا الحكم بما نزل في سورة النور ، من قوله : « الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة » ، ويطبق هذا الحكم عليهمما إن كانوا غير متزوجين ، فإن كانوا متزوجين رُجموا .

٢ — واللذان يأتيان هذه الفاحشة من الرجال والنساء غير المتزوجين ، فإذا ذهبا بالتعير والتوبیخ بقوارض الكلام ، فإن تابا وأصلحاً أعمالهما ، وندما على ما فعلوا ، فكفهُوا عنهم الأذى ، إن الله تواب يقبل التوبة من عباده ، ويعفو عن السيئات ، رحيم بهم ، وقد قدمنا أن هذا الحكم قد نسخ بما نزل في سورة النور ، وستأتي على هذا الحكم في تفسير الجزء الثامن عشر إن شاء الله .

٣ — إنما يكون قبول التوبة من الله للذين يرتكبون المعاishi ، جاهلين ما تجر إليه من سخط الله وغضبه ، فإذا أدركوا بعد ارتكابها بوقت قريب أنهم أخطأوا بعصيان ربهم ، وندموا على ما فعلوا ، وعزموا على لا يعودوا ، فأولئك يتوب الله عليهم ، ويغفر لهم زلتهم ، والله عليم بحسن نيتهم ، وإخلاصهم في التوبة ، حكيم في تصرفه ، لا يعاقب النائم على ما اقترف من إثم ؛ وليس التوبة للذين يرتكبون الذنب والماعاشي ، حتى إذا أدرك أنه في حالة الاحتضار ، وانقطع حبل رجائه في الحياة ،

قال — عندما أحس ما هو فيه من دنو أجله — : إنني تبت الآن ، فتوبته لا تنفعه ، ولا تقبل منه ، كما أنها لا تقبل من الفسقة الكفراة عند معاينة العذاب يوم القيمة ، يوم لا ينفع الظالمين معلمتهم ، ولهم اللعنة ولهم سوء الدار ، أولئك أعد الله لهم عذاباً مؤلماً موجعاً ، ومد بعضهم التوبة إلى ما قبل ظهور أمارات الموت .

٤ — وكان الرجل في الجاهلية إذا مات ، ألقى أحد أقربائه ، أو أصدقائه ثوبه على امرأة المتوفى ، وقال : أنا أحقر بها ، ثم إن شاء تزوجها بغير مهر ، وإن شاء زوجها غيره ، وأخذ مهرها لنفسه ، وكذلك كان الرجل يحبس على نفسه زوجاته ، من غير حاجة له إليهن ، رغبة في أن يخلعن أنفسهن منه ، برد المهر أو ببعضه إليه ، فتهنى الله عن ذلك بقوله : « يأيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرهآ ولا تعصلوهن » ، والمعنى : يأيها المؤمنون ، لا يحل لكم أن تأخذنوا نساء موتاكم على سبيل الإرث ، فتتزوجوهن كارهات ، أو تُزوجوهن مكرهات ، ولا أن تمنعوا زوجاتكم من التزوج بغيركم ، حين ترغبون عنهن ، بإمساكهن ، لا لرغبتكم فيهن ، ولكن للإضرار بهن ، حتى يفتدين منكم أنفسهن ، برد مهورهن إليكم ، إلا أن يأتين بفاحشة ظاهرة بيته ، كسوء العشرة ، أو عدم العفة ، أو بذلة اللسان ، أو النشور ، فلكم حينئذ أن تضاروهن وتصيروا علىهن ، حتى يفتدين أنفسهن برد ما أخذن من المهور أو ببعضها ، وعاشروهن بالإنصاف في التفعل ، والإجمال في القول ، والقيام بالنفقة والمصلحة الزوجية ، فإن كرهتموهن فاصبروا ، ولا تفارقوهن ، فعسى أن تكرهوا شيئاً ، ويجعل الله لكم فيه خيراً كثيراً ، فتعود الألفة واللمودة ، ويرزقكم منها ولداً صالحًا ، فكثيراً ما يكره الإنسان ما هو أجدى نفعاً ، وأوفر خيراً ، وقد يحب ما لا نفع فيه ولا جدوى .

(٥)

وَلَا تُنْكِحُوا مَا نَكَحَ آباؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ ، إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ، إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمُقْتَنِاً ، وَسَاءَ سَبِيلًا . حُرِّمتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخْوَاتُكُمْ ، وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ ، وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ ، وَأُمَّاتُكُمُ الَّتِي أَرْضَغْنَكُمْ ، وَأَخْوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضَاعَةِ ، وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ ، وَرَبَّاتُكُمُ الَّلَّا تِنْجُونُ فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ الَّلَّا تِنْجُونُ فِي دَخْلَتِهِنَّ ، فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخْلَتُهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ ، وَحَلَّئِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ ، وَأَنْ تَجْمِعُوا بَيْنَ الْأَخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ، إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
ولا تنكحوا	وَلَا تُنْكِحُوا .
ما قد سلف	مَا قَدْ تَقْدِمَ فِي جَاهْلِيَّتِكُمْ .
مقتناً	مُقْتَنِاً ، وَالْمُقْتَنِ : أَشَدُ الْبَغْضِ .

شرحها	الألفاظ
<p>بئس الطريق طريقه . الأمهات بسبب الرضاع . بنات المرضع لأنهن بمثابة الأخوات . جمع ريبة : وهي بنت زوجة الرجل من غيره ، تربى في كنفه غالباً ، وسميت ريبة : لأنها امرأة يربى بها مع أولاده . زوجات الأبناء من الأصلاب ، لا الأبناء بالتبني .</p>	<p>ساع سبيلا أمهاتكم اللاتي أرضعنكم أخواتكم من الرضاعة ربائكم اللاتي في حجوركم حلائل أبنائكم الذين من أصلابكم</p>

مجمل المعنى

١ - بعد أن بينَ الله كيفية معاملة الزوجات ، ونبَّهَ على الحالة البغيضة التي كانت فاشية في العرب ، وهو إرث النساء وغضبهن ، شرع يبين من يحرُّم على الرجل التزوج بهن من النساء وهن :

(ا) من باشرها الأب بعقد أو غيره ، أو عقد عليها ولم يدخل بها ، على خلاف فيه ، فقد كان الرجل في الجاهلية إذا مات عن أمراته ، كان ابنه أحق بها إن شاء ، إن لم تكن أمه ، أو يزوجها من شاء ، واسم الأب ينتظم الجد وإن علا ، ولكن ماسلف فلا مؤاخذة عليه ، وهذا الزواج يسمى زواج المقت ، وهو قبيح ممقوت ، لأن زوجة الأب بمثابة الأم ، فبئس السبيل سبيلا

(ب) والأمهات : وتشمل الجدات من قبل الأب والأم .

(ح) والبنات : وتشمل بنات الأبناء وبنات البنات وإن نزلن .

(د) والأخوات : سواء أكن شقيقات ، أم أخوات لأب ، أم أخوات لأم .

(هـ - وـ وـ) والعمات والخالات ، ويلحق بهن بنات الأجداد والآجداد وإن علمن ، وكذا عمّة الجد وخالتها ، وعمّة الجدة وخالتها .

(ز - وـ حـ) وبنات الأخ وبنات الأخت ، ويدخل فيهن من تناسل ممنهن من البنات .

(ط) والأمهات بسبب الرضاع ، فإذا أرضعت امرأة طفلاً حرمت عليه ، لأنها بمثابة أمه ، وأمهات الرضاع هن اللائي أرضعن الرجل وهو طفل ، ما لا يقل عن خمس رضعات ، قبل استكماله حولين ، ولم يفرق بعضهن بين قليل الرضاع وكثيره ، ولو مصة .

(ى) والأخوات من الرضاعة ، ويلحق بهن أخت المرضعة لأنها خالتها ، وأمها لأنها جدتها ، وأخت زوجها لأنها عمته ، وأم زوجها لأنها جدته ، وبنات بناتها وبنتها لأنهن بنات إخوته وأخواته .

(كـ) وأمهات النساء وإن علمن - الالاتي دخل بهن - فالدخول بالأمهات يحرم على الزوج بناتها ، أما مجرد العقد فلا يحرم ، ومجرد العقد على البنات يحرم الأمهات .

(لـ) والر比بة : وهي بنت زوجة الرجل من غيره ، إذا دخل بأمهها ، فإن لم يدخل بأمهها جاز أن يتزوج بابتها ، وحينئذ تحرم عليه أم الربيبة حرمة أبدية ، وقيـد بقاء الربائب في حجر الزوج غير ملزم ، وإنما ذكر لأن الربائب يُقمن غالباً مع أمهاـنـ في كنف

أزواجهن ، فالآزواجه يربونهن كما يربون أبناءهم ، وربّ ورثي
معنى واحد .

(م) وزوجات الأبناء الذين من صلب الرجل ، ويخرج بهمدا القيد
أبناءه بالتبني ، فيجوز له الزواج بزوجاتهم من بعدهم .

(ن) والجمع بين الأخرين من النسب أو الرضاع ، ويتحقق بهمدا الجمع
بين الزوجة وبين عمتها أو خالتها ، واستثنى الله ما قد سلف زمن
الحاهلية ، من مخالفة ما سبق بيانه ، فلا إثم على من وقع فيه ،
إن الله كثير المغفرة لما سبق قبل التحرير ، رحيم بعياده .

(س) وذوات الآزواجه من النساء قبل انفصالهن من أزواجهن ، وانقضاض
عدتهن ، وقد ذكرنا هؤلاء هنا ، وإن كان حكمهن في أول تفسير
الجزء الخامس ، ليكون حكم التحرير شاملاً .

وما تقدم يتضح أن الحرمات بسبب النسب سبع وهن : الأمهات ،
والبنات ، والأخوات ، والعمات ، والحالات ، وبنات الأخ ، وبنات
الأخت ؛ والحرمات بالصهر والرضاع سبع ، وهن : الأمهات من
الرضاعة ، والأخوات من الرضاعة ، وأمهات النساء ، والرئائب ،
وحلائل الأبناء ، والجمع بين الأخرين ، وزوجات الآباء ،
ويتبقى بعد ذلك ذوات الآزواجه ، فالحرمات من النساء خمس عشرة .

تفسير القرآن الكريم

الجزء الخامس

تأليف

حسين علوان

مراقب بوزارة المعارف

محمد محمد حمزة

المفتش بالتعليم الثانوى والفنى (سابقاً)

والأستاذ بدار العلوم (سابقاً)

محمد احمد برانت

المفتش العام بالتعليم الابتدائى

جميع الحقوق محفوظة للمؤلفين



ملزم الطبع والنشر

دار المعارف مصر

تراجم الخطبة التي في صدر تفسير الجزء الأول

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١)

وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ، كِتَابَ
اللَّهِ عَلَيْكُمْ ، وَأَحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَأَءَ ذَلِكُمْ أَنْ يَتَعَوَّلُوا بِأَمْوَالِكُمْ
مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ ، فَمَا اسْتَقْتَعَمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَأَتُوْهُنَّ
أُجُورُهُنَّ فَرِيشَةً ، وَلَا جُنَاحٌ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ
الْفَرِيشَةِ ، إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْهَا حَكِيمًا . وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ
طَوَّلًا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ
مِنْ فَتَيَّاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ ، بَعْضُكُمْ مِنْ
بَعْضٍ ، فَإِنْ كَحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ ، وَأَتُوْهُنَّ أُجُورُهُنَّ
بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتٍ أَخْدَانٍ ، فَإِذَا
أَحْسَنْ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نَصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ
مِنَ الْعَذَابِ ، ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنْتَ مِنْكُمْ ، وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرًا
لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ . يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ
سُنَنَ الدِّينِ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ .

وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ ، وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ
أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا . يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ ، وَخُلِقَ
الإِنْسَانُ ضَعِيفًا .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
المحسنات	ذوات الأزواج الحرائر .
إلا ما ملكت أيمانكم	<p>{ إلا ما ملكت جهودهن من الإماماء ، بالسببي في الحرب أو بالشراء .</p> <p>فرَّضَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ تحريرهن فرضاً . أنْ تطابُوا النِّسَاءَ بِأَمْوَالِكُمْ بِمَهْرٍ أَوْ شَرَاءً . مُتَرَوِّجِينَ غَيْرَ زَانِينَ ، وَالمسداح : الزَّفْنُ . من تَمْتَعَنَّ بِمُحَاشِرَتِهِنَّ مِنَ النِّسَاءِ . مَهْرُوهُنَّ .</p>
كتاب الله عليكم	<p>{ فيما تراضيتم به من بعد المغريضة</p>
أَنْ تَبِغُوا بِأَنْوَافِكُمْ	<p>سَمَّاجَةٌ وَغَنِّيٌّ .</p>
مُحَصَّنَينَ غَيْرَ مُسَافِرِيْحِينَ	<p>طولاً .</p>
فَمَا امْتَهَنَتْهُنَّ بِهِ مِنْ	<p>فِيهِنَّ يَمْلِكُهَا غَيْرُكُمْ مِنَ الْإِمَامَاءِ . إِمَائِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ .</p>
فِتَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ	<p>{ أَنْتُمُ الْإِمَامَاءُ مِنْ أَصْلٍ وَاحِدٍ وَهُوَ آدَمُ ، فَلَا تَسْتَكْفِفُو مِنْهُنَّ .</p>
بعضكم من بعض	

شرحها	الألفاظ
بإذن أربابهن : سادتهن . من غير مَطْلُ أو نقص . عنفيات غير زانيات .	بإذن أهلهن بالمعروف محصنات غير مسافحات
ولا متخذات أخلاع يباشرن سرًا . تزوجن . الحدّ .	ولا متخذات أخذان أحسن العذاب
زواج الإمام عند عدم المسحة والغنى . من خاف الوقوع في معصية الرزق .	ذلك لم يخشى العنتَ
صبركم عن زواج الإمام خير ، لئلا تصير أولادكم أرقاء لأربابهن .	وأن تصبروا خير لكم
مناهج من تقدم من ذوي المرشد . يعنون عمما سلف منكم في جاهمليتكم . يطلبون لذات المذيا ، وشهوات أنفسهم .	سمُّنَ الْيَمِينِ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبُ عَلَيْكُمْ يَتَسْبِّحُونَ بِالْمَسْهَوَاتِ
تعذلوا عن المطاعة بارتکاب المعاصي عدولاً كبيراً . خلق الإنسان لا يستطيع الصبر على الشهوات .	تَمِيلُوا مِيلًا عَظِيمًا خَلُقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا

بِحَمْلِ الْمَعْنَى

١ - حرم الله فيمن حرم من ذكرناهن في آخر تفسير الجزء الرابع ، ذوات الأزواج من النساء قبل طلاقهن ، وانقضاضه عبد تهن ، وامتناع الإمام اللاتي صرن ملك اليمين بالسببي في حرب الكفار ، أو الشراء ، وإن كن ذوات أزواج ، بعد انقضاضه عبد تهن بحيمصة واحدة ، فيباح لأربابهن

معاشرهن ؟ وهؤلاء النساء الحرائر ذوات الأزواج ، ومن سبق ذكرهن في آخر تفسير الجزء الرابع ، فرض الله عليكم تحريمهن فرضاً ، وأحل لكم غيرهن : أحل لكم أن تستعملوا أموالكم في مباشرة الحرائر أو الإماماء ، على أن تكونوا متزوجين بهن لا زناة ، فمن تمتّعتم بمعاشرهن من النساء ، فأعطيوهن "مهورهن" عطاء مفروضاً عليكم ، ولا حرج عليكم أيها الأزواج إن أدركتم عسرة ، بعد أن فرضتم لنسائكم مهراً على أنفسكم ، وتراضيتم معهن ، من إبرائهم من المهر ، أو تأخيره أو نقصه ، فإن ذلك سائع عند التراضي ، إن الله كان عليهما بصالح عباده ، حكيمًا فيما دبره وشرعه من الأحكام .

٢ - ومن لم يستطع منكم غني بيلغ به أن يتزوج الحرائر ، وعجزت قدرته عن أداء المهر ، وحاف أن تغلبه شهوته فيزني ، فله أن يتزوج أمّة يملكون غيره ، على أن تكون مؤمنة ، ويكتفى ظاهر الإيمان في الأمة ، فالسّرائر لا يعلمها إلا المولى جلّ وعلا ، ولا يستنكف عن التزوج بالأمة ، فإنه والأمة من أصل واحد ، وهو آدم عليه السلام ، فهما في الإنسانية سواء ، غير أن الله فضل بعض الناس على بعض في الأحوال الاجتماعية ، بشرط أن يتم الزواج برضالك الأمة ، ويكون أولاده منه أرقاء لسيده ، وبشرط أن يؤدى للأمة المهر المناسب لها ، المتافق عليه ، من غير مطلب ولا نقص ، على أن تكون هذه الإماماء عفيفات ، غير مجاهرات بالزنى ، وليس لهن أخلاقاً يزنون بهن سرًا ، ولقد كان في الجاهلية الزواني من الإماماء يزنين علينا ، ولهن رايات منصوبات تدل عليهن ، وأجرورهن لسادتين ، كما كان يفعل عبد الله بن أبي المناق ، وسيأتي تفصيل ذلك في تفسير سورة النور ، إن شاء الله .

٣ - فإذا تزوجت الأمة بكم ، وارتكتب الزنى بعد الزواج ، فعليها من الحد

نصف ما على الحرائر الأبكار من حدّ ، فيجلدُنْ خمسين جلدةً ،
وتزوجُ الأمة عند عدم الغنى والمسحة ، والقدرة على مهر الحرة ، إنما يكون
لمن خاف الزلل بارتکاب البذى ، أما النبيُّ قوى الإرادة ، القادر على كبح
جماح نفسه ، فلا يجوز له أن يتزوج الأمة ، وكأنك من كان يملك مهر
الحرّة ، وعلى كل حال ، فالصبر على العزبة خير من زواج الأمة ، لأنَّه
يفضى إلى أن يكون الولد رقيقةً كما قدّمنا ، والله غفور لمن لم يصبر وتزوج
أمة ، رحيم بأن رخصَّن لنا في زواج الأمة المؤمنة عند الضرورة .

٤ — ي يريد الله أن يبين لكم الحلال والحرام ، وما حسنه عليكم مما فيه مصالحكم ،
ويتهدّيكم إلى منهاج من تقدّم من ذوى الرشاد ، وطرايق من كان قبلكم
من الأنبياء ، فيما أحله الله وحرّمه ، لتتبعوهم فتأنوا عن المعاصي ، ويرجع
بكم إلى طاعته في ذلك ، وتركِ ما كنتم تأتون من الآثام في جاهليتكم ،
ويتجاوزَ عمّا اقترفتموه ، بتوبتكم عما سلف من قبيح أعمالكم ، والله عالم
بكم ، حكيم فيما يدبره لكم ،

٥ — والله ي يريد أن يرجع بكم إلى طاعته ، والإذابة إليه ، ليغفو عما سلف من
آثامكم ، من زواج حلالن أبنائكم وآباءكم ، وغير ذلك مما كنتم تستحلّونه
 أيام جاهليتكم ، ويُريد الذين يطلبون لذات الدنيا ، وشهواتِ أنفسهم
الأمّارة بالسوء ، أن تميلوا عن الحقّ والطاعة ، فيما يأمر الله به وبينه عنه
من الحرمات ، ميلاً عظيماً ، باستحلالهن الحرمات بالزفاف ، أو زواج
بنات الأخ وبنات الأخت ، كما يفعل اليهود ، كما أن الله يريد أن
يُسرّ لكم أحكام الشرائع ، بأنْ أباح لكم زواج الأمة مثلاً عند الضرورة ،
ولكن الإنسان خلق ضعيفاً، لا يصبر عن الشهوات ، ولا يتحمل مشاق
الطاعات .

(٢)

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا، لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بِيَنْسَكُمْ بِالْبَاطِلِ ،
إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ ، وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ،
إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا . وَمَنْ يَفْعُلْ ذَلِكَ عُدُوًّا نَا وَظُلْمًا فَسَوْفَ
نُصْلِيهِ تَارًا ، وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا . إِنْ تَجْتَنِبُوا كُبَارَ
مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفَّرُ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ ، وَنُنْذِلُكُمْ مُذْلَلَكُمْ مُذْلَلًا
كَرِيمًا . وَلَا تَتَمَنُوا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ ، لِلرِّجَالِ
نَصِيبٌ مِمَّا أَكْتَسِبُوا ، وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا أَكْتَسِبْنَ ، وَاسْأَلُوا
اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ ، إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا . وَلِلْكُلِّ
جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَالَّذِينَ عَقِدَتْ أَيْمَانُكُمْ ،
فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ ، إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا . الرِّجَالُ
قَوَامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ، وَبِمَا أَنْفَقُوا
مِنْ أَمْوَالِهِمْ ، فَالصَّالِحَاتُ قَاتَنَاتٌ حَاطِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ
اللَّهُ ، وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَمَظْوَهُنَّ ، وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ ،
وَاضْرِبُوهُنَّ ، فَإِنْ أَطْعَنْتُمْكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ، إِنَّ اللَّهَ
كَانَ عَلَيْهِمَا كَبِيرًا . وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنَهُمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا

مِنْ أَهْلِهِ وَحَكْمًا مِنْ أَهْلِهَا ، إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوْفَقُ اللَّهُ
يَدِيهِمَا ، إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْهِ خَيْرًا .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
بِالْبَاطِلِ	بما هو حرام في الشرع ، كالرiba والغصب والتمار.
وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ	لا تفعلوا ما يؤدي إلى قتل أنفسكم .
عَذَّوْا ذَوَّا وَظَاهِرًا	متجاوزاً الحلال إلى الحرام .
كَبَائِرُ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ	كبائر النوب ، كالقتل والزنى .
نَكْثُرُ عَنْكُمْ سَيِّئَاتَكُمْ	نغفر لكم صغائر ذنوبكم ، ونجحها عنكم .
مُسْدِخَلًا كَرِيمًا	مُدخلًا حسنة ، وهو الجنة .
لِكُلِّ جَعْلَنَا مَوَالِي	لكل وارث جعلنا ورثة .
الَّذِينَ عَقَدْتُمْ عَهْدَ تَوْهِيمِ	{ المدين أكدت أقسامكم مع الالتزام المدين عاهد توهيم
فِي الْجَاهْلِيَّةِ ، عَلَى النِّصْرَةِ وَالْإِرْثِ .	{ في الجاهلية ، على النصرة والإرث .
نَصِيبِهِمْ	حظهم من الميراث ، وهو السادس .
الْمَرْجَالُ قَوَامُونَ عَلَى	{ لهم الريادة عليهم ، يقومون عليهم كما يقوم الوالي
النِّسَاءِ	{ على الرعية .
قَانِتَاتٍ	مطاعات الله ، قائمات بحقوق أزواجهن .
حَافِظَاتٍ لِلْغَيْبِ	حافظات الحقوق أزواجهن عليهم في غيابهم .
بِمَا حَفَظَ اللَّهُ	{ بسبب الذي حفظ الله لهن على الزوج ، من
نُشُوزَهُنَّ	{ المهر والنفقة .
وَاهْجَرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ	عصيائهن ، وخر وجهن على طاعة أزواجهن .
وَاعْتَزَلُوهُنَّ فِي الْمَرْأَهِنِ .	واعتزلوا فراشهن .

الآلفاظ	شرحها
اضربوهن	اضربوهن ضرباً غير موجع ، بما لا يُدمي ولا يُكثِّر .
فلا تطلبوا طريقةً إلى إيمانهن	فلا تبغشو عليهم سبيلاً شقاقي بينهمما .

مِحْمَلُ الْمَعْنَى

— أراد الله أن ينظم أحوال المؤمنين الاجتماعية ، بايضاح طريقة التعامل فيما بينهم ، وبيان بعض المحرمات المتعلقة بالأنفس والمال ، فهـى أن يأخذ أحدهم أموال الآخر بما لم يبحه الشرع ، كالرّبـا والغصب ، والسرقة والقمار ، ما لم يكن التصرـف في الأموال حاصلاً في تجارة ، وصادراً عن تراضي المتعاقدين ، ونهـى الله عن ارتکاب ما يؤدـى إلى قتل النفس : كالتردـى من جبل شاهـق ، كما يفعل بعض اليابانيـن ، ومحـالطة المرضى بأمراض معدية ، من غير تحرـز ، والله رحـيم بعبادـه ، ينهـى كـم عـما يـعـرضكم للـأذى في الأموال والأـنـفـس ، ومن يـفعـل ما نـهـى عـنـهـ ، ويـائـت ما أـمـرـ بـتركـه ، فـسـوـفـ نـذـيقـهـ جـهـنـمـ ، يـصـلـاـهـاـ مـذـمـومـاـ مـدـحـورـاـ .

— إن تجتنبوا أيها المؤمنون كبائر الذنب ، وهي التي نهاكم الله ورسوله عن ارتكابها ، كالزنى والشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التي حرم الله قتلها إلا بالحق ، وعقوبة الوالدين ، وأكل مال اليتيم ، والتولى يوم المزحف ، وقذف الحصينات الغافلات المؤمنات ، نغفر لكم صغائر ذنوبكم ، ونمحوها عنكم .

٣ — وقالت النساء لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله ، يَغْزُو الرجال
ولا نَغْزُو ، وإن لنا نصف الميراث ، ودِنَا لو أن الله أباح لنا الغزو ،
فخصيب من الأجر مثل ما يصيب الرجال ، وإنما نرجو أن يكون الوزر
عليينا نصف ما على الرجال ، كما لنا الميراث على النصف ، فأنزل الله
قوله : « ولا تتمنوا ما فضيل الله ... » ، وجعل الحكم عاماً للرجال والنساء ،
منعًا لما ينشأ من التباغض والتھاسد ، المعنى : لا تتمنوا ما أعطاه الله
بعضكم ، ومهما يزيدكم من المال والنضيل ، لأن هنـا يؤدى إلى عدم
القناعة ، والرضا بما قدره الله ، وما قسمه الحكيم الخبير ، فقد اقتضت
إرادة الله أن يكون لكل فريق نصيب معين من الرزق ، قدره الله على
حسب مشيئته : للرجال ثواب مما اكتسبوا بسبب أعمالهم في الجهاد وغيره ،
وللنساء نصيب مما اكتسبن بسبب طاعة أزواجهن ، وحفظ حقوق أزواجهن
عليهن ، وسألوا الله أن يعطيكم ما تحتاجون إليه في حياتكم الدنيا ،
 وأن يغفر لكم خطاياكم في حياتكم الأخرى ، إن الله يعلم ما يستحقه
كل إنسان ، فيعطيه عن علم وبيان .

٤ — ولكل إنسان موروث جعلنا ورثة ، يعطون ما تركه ، وهم الوالدان
والأقربون ، يجعلنا نصيبياً من الميراث ممن أكدت أيامكم المحلف بينكم
وبيئهم ، وهم من يسمون موالى ، فلقد كان الرجل في الجاهلية يعاهد
رجل آخر ، فيقول له : دمـي دمـك ، وهـدمـي هـدمـك ، وترثى
وارثك ، وتنصرني وأنصرك ؛ من الهدـمـ : وهو المنزل ، أى منزلـي منزلـك ، ويكون
لكل منها السادس في ميراث الآخر ، ثم يُقسـمـ الميراث بعد ذلك ، وقد
أقرـ الإسلامـ هذا بقولـهـ : فـأنـوـهـمـ نـصـيـبـهـمـ ، ثم نـسـخـ بما فـرـضـ للأقربـاءـ
وذـوىـ الأـرـاحـامـ ، إنـ اللهـ لمـ يـزـكـ عـالـمـاـ بـحـلـيـ الأـشـيـاءـ وـخـفـيـهـاـ ، مـجاـزـاـ منـ
يـعـطـيـ وـمـنـ يـمـنـعـ ، الـحـرـاءـ الـذـيـ يـسـتـحـقـهـ .

٥ — وحدث أن امرأة نَشَّرَتْ على زوجها ، فلَطَّسَهَا ، فنَاهَبَتْ معَ أَبِيهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَشَكَا أَبُوهَا مَا حَصَلَ لِابْنِهِ ، فَقَالَ عَلَيْهِ الْمَصَّلَةُ وَالْمَسَّلَامُ : لِتَقْتَصُّ مِنْ زَوْجِهَا ، فَانْصَرَفَتِ الْمَرْأَةُ مَعَ أَبِيهَا لِتَقْتَصُّ مِنْ زَوْجِهَا ، فَنَادَى رَسُولُ اللَّهِ أَنِ ارْجِعُوا ، فَهَمَّا جَبْرِيلُ قَدْ أَتَانِي ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ قَوْلَهُ : الرَّجُالُ قَوْا مُؤْمِنُونَ عَلَى النِّسَاءِ ، فَقَالَ عَلَيْهِ الْمَصَّلَةُ وَالْمَسَّلَامُ : أَرَدْتُ أَمْرًا وَأَرَادَ اللَّهُ أَمْرًا ، وَالَّذِي أَرَادَهُ اللَّهُ خَيْرٌ ، وَنَزَّلَ قَوْلَهُ : « لَا تَسْعُجُنَّ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكُوهُ وَحْيُهُ » ، وَالْمَعْنَى : الرِّجَالُ قَوْا مُؤْمِنُونَ عَلَى نِسَائِهِمْ ، يَقْوِمُونَ عَلَى رِعَايَتِهِمْ ، قِيَامُ الْوَالِي عَلَى رِعِيَّتِهِ ، بِالْأَمْرِ وَالنَّهْيِ ، بِسَبِبِ تَنْهِيَّهِ لِهِ بِرَحْمَانِهِ وَتَعَالَى الرِّجَالُ بِكَمَالِ الْمَعْقُلِ ، وَحُسْنِ التَّدِبِيرِ ، وَمُزِيدِ الْقُوَّةِ فِي الْأَعْمَالِ ، وَلِنَلِكَ خُصُوصًا بِالنَّبُوَّةِ وَالإِمَامَةِ ، وَالشَّهَادَةِ فِي الْقِضَايَا ، فَلَا يَخْلُو عَنْ سُرْهُمْ مِنْهَا ، كَمَا خُصُوصًا بِالْجَهَادِ وَصَلَادَةِ الْجَمَعَةِ ، وَزِيادةِ الْمِيرَاثِ ، وَبِسَبِبِ مَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فِي الْمَهْرِ وَالنَّفَقَةِ عَلَى زَوْجَاتِهِمْ ، فَالصَّالِحَاتُ مِنَ الزَّوْجَاتِ مَطْبِعَاتٍ حَافِظَاتٍ لِحُقُوقِ أَزْوَاجِهِنَّ فِي غِيَابِهِمْ فِي النَّفَقَةِ وَالْمَالِ ، فِي نَظِيرِ الْأَنْوَى حَفْظَ اللَّهِ لَهُنَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ الْمَهْرِ وَالنَّفَقَةِ ، وَقَدْ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « خَيْرُ النِّسَاءِ إِذَا نَظَرَتْ إِلَيْهَا سَرَّنِكَ ، وَإِذَا أَمْرَتْهَا أَطَاعَتْكَ ، وَإِذَا غَبَتْ عَنْهَا حَفَظْتَكَ فِي نَفْسِهَا وَمَالِكَ » .

٦ — وَالْمَالِيَّ تَخْشَوْنَ عَصِيَّاهُنَّ مِنَ النِّسَاءِ ، وَتَرْفَعُهُنَّ عَنْ مَطَاوِعَةِ أَزْوَاجِهِنَّ ، فَانْصَحَّوْهُنَّ أَوْلًا ، فَإِنْ لَمْ يُجِدْ النَّصْحَ فَاعْتَزِلُوا هُرَاشِهِنَّ إِلَى فَرَاشِ آخِرٍ ، فَإِنْ أَبَيْنَ إِلَّا الْاسْتِهْرَارُ عَلَى الْعَصِيَّانِ ، فَاضْرِبُوهُنَّ ضَرِبًا غَيْرَ مُبْرِحٍ ، فَإِنْ أَطْعَنُوكُمْ فَلَا تَطْلُبُوا عَلَيْهِنِ سَبِيلًا إِلَى الإِيذَاءِ ، أَوِ التَّوْبِيحِ ، وَاجْعَلُوهُنَّ مَا كَانَ مِنْهُنَّ كَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ ، فَإِنِّي أَنَا التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ ، إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْهِ كَبِيرًا ، فَاحْذَرُوهُ أَنْ يَعَاذُكُمْ إِنْ ظَلَمْتُمْ نِسَاءَكُمْ ، وَإِذَا

كان الله مع علو شأنه ، وعظيم قدرته ، يعذو عن سيئاتكم ، ويتجاوز
عن ذنوبكم ، فأنتم أحق بالعفو عن زواجاتكم .

٧ - وإن خشيتم انتقال الخلاف بين الزوجين ، فابعثوا إليها الحكما إليهما
على سبيل الاستحباب لإصلاح ذات البين ، رجلاً عدلاً يصليح
للاحكم إلية من أقارب الزوج ، وآخر من أقاربها ، فإن الأقارب
أعرف بموطن الداء ، وأطلب لل توفيق ووصف الدواء ، فإن قصد
الحكما بحسن نويهما التوفيق بينهما ، وحسن الخلاف ، فالله كفيل
أن يوفق بين الزوجين ، إن الله علیم بكل شيء ، خبير بالظواهر
والباطن ، قادر على أن يُزيل الشقاق ، ويعيد الوفاق .

(٣)

وَاعْبُدُوا اللَّهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ، وَبِالْوَالِدِينِ إِحْسَانًا ،
وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ ، وَاجْهَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ
الْجُنُبُ ، وَالصَّاحِبِ بِالْجُنُبِ ، وَابْنِ السَّبِيلِ ، وَمَا مَلَكَتْ
أَيْمَانُكُمْ ، إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا . الَّذِينَ
يَعْلَمُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبَخْلِ ، وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ
فَضْلِهِ ، وَأَعْتَدُنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا . وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ
رِءَاءَ النَّاسِ ، وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ ، وَمَنْ يَكُنْ
الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا . وَمَاذَا عَلِمْتُمْ لَوْ أَمْنَوْا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ ، وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ ؟ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا . إِنَّ
اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ، وَإِنْ تَكُ حَسَنَةٌ يُضَاعِفُهَا ، وَإِنْ تُؤْتَ
مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا . فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ ،
وَجَئْنَا بِكَ عَلَى هُوَلَاءَ شَهِيدًا ؟ يَوْمَئِذٍ يَوْدُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوْا
الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ ، وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا .
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا

مَا تَقُولُونَ ، وَلَا جُنِبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا ، وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ ، أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْفَائِطِ ، أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجْدُوا مَاءً ، فَتَعْمِمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا ، فَامْسَحُوهَا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ ، إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفْوًا غَفُورًا .

شرح الألفاظ

الالألفاظ	شرحها
لا تُشرِكُوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً	لا تُشرِكُوا به شيئاً وأحسنوا بوالديكم إحساناً ، ببرهما وطاعتهما .
الحار ذى القربي الحار الجنب	الحار القريب منك في جوار مسكنك . الحار بعيد عن مسكنك .
الصاحب بالجنب	الصاحب الذي في جنبك ، في سفر أو عمل أو علم ، أو صناعة أو وظيفة .
ابن المسبي	المنقطع عن أهله وأقربائه في السفر ، لتجارة أو طلب علم ، ولا مال معه .
ما ملكت أيمانك	الأرقاء من إماء وعيال .
محتالاً فخوراً	متكبراً متفاخراً على الناس ، بما أوفى من علم أو مال أو جاه .
أعتدنا	أعددنا وهيأننا .
رعاء الناس	ليُرِعوا الناس أنهم ينفقون تظاهراً .

الألفاظ	شرحها
قريناً	مقارزاً ومصاحباً .
فمساء قريناً	فبئس القرىن .
مثقال ذرة	{ وزن ذرة ، وهى ما يتطاير فى الهواء ، إذا وضع الإنسان يده فى التراب ثم نفخها .
فكيف إذا جئنا	فكيف يكون الحال إذا جئنا يوم القيمة ؟
بشمريل	{ بشاهد من الأنبياء يشهد على أعمالهم ، حين كان يئهم .
لو تسوى بهم الأرض	{ لو يلادون فيهم التراب عليهم ، فتسوى بهم الأرض .
ولا يكتدون الله حديثاً	{ ولا يقدرون على كيان ما فعلوه ، لأن جوارحهم تشهد عليهم .
إلا عابرى سهيل	إلا في حال المسفر عند فقد الماء .
جاء أحد منكم من الغائط	{ أحدث بخروج شىء من أحد المسهيلين ، والغائط : المكان المعبد لقضاء الحاجة .
لامست النساء	باشرتم النساء .
فتيمدّسوا	فاقتصدوا .
صعيداً طيباً	تراباً طاهراً .

جمل المعنى

١ - خُصُوا الله الموحَد الأَحَد، الْفَرَد الصَّمَد، الْنَّمَى لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُوْلَدْ، بِالْعِبَادَةِ لِهِ وَحْدَهُ، وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً مِنْ إِنْسَانٍ أَوْ صَنْمٍ، وَلَا تَنْسِبُوا إِلَيْهِ أَبْنَآءَ أَوْ بَنْتَآءَ،

وأحسنوا إلى الوالدين إحساناً ، بيرّهما وطاعتهما ، ولين الجانب لهما ، وأحسنوا إلى ذوى المقربى ، وإلى الميتاوى والمساكين ، وإلى البحار القرىب من مساكنكم ، وإلى البحار الأجنبى البعيد عن منازلكم ، وقد ره بعضهم بأربعين داراً من كل ناحية ، سواء أكان كل منهما مشتركاً معكم فى الدين والمقرابة أم لا ، فمهما اختلفت الوسائل بين البحريان نسباً أو ديناً ، فاللهم حار حقوق توجب مراعاتها ، كملك يكون الإحسان إلى الرفيق الذى يكون فى جنبك فى سفر أو صناعة ، أو عمل أو وظيفة أو تعلم ، وإلى المنقطع عن أهله فى سفر لطلب العلم أو التجارة ، وانقطعت الصالات بيته وبين أهله وقرباته ، بسبب الحروب أو نحوها ، ويشهدل هذا من يقابلوك فى الطريق ، ويسألك عن شارع أو منزل تعرفه ، وإلى ما نملكه من العبيد والإماء ، إن الله لا يحب المتكبر الذى يأنف من أقاربه وجيشه وأصحابه ، المتعال عليهم ، الذى لا يحسن معاشرتهم ، والذئب على الناس بنسبة ، أو بما أotti من علم أو مال .

٢ - الذين يدخلون بهم ، فلا يشترون فى الأعمال التى تفيد أمرهم أو المجتمع الإنساني ، ولا يتبرعون للجمعيات الخيرية ، ولا يساعدون فى إنشاء المستشفيات والملاجئ والأماطليل لبلادهم ، وينبغون بين الناس المدعوة إلى كف اليد عن الإسهام فيها ، ويكتفون ما منحهم الله من العلم والمال ، فهم جديرون بكل ملامة وتعنيف ، لأنهم كفروا بنعم الله عليهما ، وكان الأجدر بهم أن يشكروها بالإحسان ، لا بالبخل والضيق ، ومن كفر بنعمة الله ، فقد أعد له عذاباً يجتمع بين الإهانة والذى يوم القيمة ، كما أهان نعمته بالبخل والكتمان .

٣ - والذين يُنفقون أموالهم رباء ونفاقاً ، لا يقصدون من بذلك المال إلا أن يراهم الناس ، أو يقرعوا عنهم فيما تسرّوه المصحف ، فيُعظّمُوا قدرهم ، ويُحمسداً

فعلهم ، وقد يدخلون على أقاربهم ، بل على أسرهم ، لأنهم لا يرون في الإنفاق عليهم الظاهر الذي يتغونه ، فهم يتورون التقرب والزلق إلى الناس ، على التقرب والزلق إلى الله ، مثل هؤلاء لا يؤمنون إيماناً صادقاً بالله ، ولا يؤمنون باليوم الآخر ، لأنهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر ، لتحرّوا بالإنفاق رضا الله الذي يُشَبِّهُم على أعمالهم يوم القيمة ، لكن زين لهم الشيطان سوء أعمالهم ، فحملهم على سلوك هذا المسلك المغيب ، هؤلاء قرنة الشيطان ، ومن يتخذ الشيطان له قريناً ، يعمل ما يوصي به ، باع بالحسنة والمدحمة ، فإنه ينس المقربين .

٤ — وأى ضرر عليهم لو آمنوا بالله إيماناً صادقاً ، وآمنوا بأن الإنفاق في سبيل الخير ابتغاء وجه الله ورضوانه وثوابه ، ينفعهم في اليوم الآخر ، وأنفقوا مما رزقهم الله حبّاً في الخير ، وقد صادقاً إلى بذل المعروف ، وإغاثة الملهوف ، بدون جلبة ولا ضوضاء؟ فلو أخلصوا النية لما فاتتهم المنفعة التي يتغونها في الدنيا ، من حبّ الناس ، والمتقويه بشأنهم ، ولفازوا بسعادة العقبى في الدار الآخرة ، وكان الله عليهم بما ينفقون ، فيجازيهم على الإحسان إحساناً ، فإنه لا يظلم أحداً شيئاً مما كان ضئيلاً ، ولو كان وزن ذرة ، وإن يسلك وزن المدرّة حسنة يضاعف له أجرها ، من عشر إلى سبعمائة ، ويعطى صاحبها من عنده مع المضاعفة على سبيل التفضيل عطاء جزيلاً .

٥ — وبعد أن ذكر الله أنه لا يُضيع عنده عمل عامل مهما كان قليلاً ، بين أن أعمال كل أمة تعرض على نبيها يوم القيمة ، لا فرق بين اليهود والنصارى ، وسائل أتباع الأنبياء ، فمن شهد لهم نبيهم أنهم اتبعوا ما جاء به ، وأذعنوا لما أمر به أو نهى عنه ، فهم الناجون المستحقون لرضا الله ،

ومن شهد لهم نبيهم بأنهم كانوا طغاة متمردين ، أشراراً فاسدين مفسدين ، فهم الذين يستحقون سخط الله وغضبه ، أما رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيشهد هو وأمته على صدق ما شهد به الأنبياء ، وإبلاغهم ما كلفوا تبليغه إلى أنهم ، استناداً إلى ما ذكر في القرآن الكريم ، كما يشهد رسول الله على أمته بما شهد به الأنبياء على أنهم ، يؤيد هذها قوله تعالى : « وكذلك جعلناكم أمة وسطاً ، لتكونوا شهداء على الناس ، ويكون الرسول عليكم شهيداً » (تراجع الصفحة السادسة من تفسير الجزء الثاني) ، حينئذ لا يقدر من جعوا بين الكفر والعصيان ، على كثمان ما اقترفوه من الآثم ، لأن جوارحهم تشهد عليهم بما كانوا يفعلون ، فيودون أن لو كانوا أمواتاً في باطن الترى ، يهال عليهم التراب ، وتسوّى بهم الأرض .

٦ — وحدث أن عبد الرحمن بن عوف أقام مأدبة ، ودعا إليها نفراً من الصحابة ، حين كانت الخمر مباحة ، فأكلوا وشربوا حتى ثملوا ، وجاء وقت صلاة المغرب ، فأشهدهم واحد منهم ، وهو سكران ، فقرأ : قل يا لها الكافرون أعبد ما تعبدون ، فنزل قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى ، حتى تعلموا ما تقولون » ، والمعنى : يا أيها المؤمنون ، لا تصلوا وأنتم سكارى حتى تصحوا وتفقهو ما تقولون ، ولا تصلوا وأنتم جنب ، إلا بعد أن تغسلوا ، ما عدا المسافر فله حكم سيدرك فيها سيأتي ؛ فإن كنتم مرضى مريضاً يضره الماء ، كجراح أو قروح أو جدرى ، ويخشى من استعمال الماء ضرر محقق ، أو كنتم مسافرين ، أو خرج منكم شيء من أحد السبيلين ، وأردتم الصلاة ، أو باشرتم النساء ولم تجدوا ماء ، بعد أن حاولتم الحصول عليه ، أو كان الماء الذي معكم قليلاً ، وكنتم في أشد الحاجة إليه ، فاقصدوا تراباً طاهراً ، فاضربوه ضربتين ،

وامسحوا بما عَلِقَ بِأيديكم منهما وجوهكم وأيديكم مع المفقدين ، ولو ضرب
المتيهم على حجر أملس ، ولم يعاق بيديه شيء من التراب ، أجزاء عند
أبي حنيفة ؟ ويوجب بعض الأئمة أن يعلق بالأيدي شيء من التراب ؟
ويكون المتيم للصلوة بعد دخول الوقت عند الأئم من الماء ، إن الله
كان عفوًا غفورا ، فلما يسرّ الأمر علينا ، ورخص لنا أن نتيم .

(٤)

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبَهَا مِنَ الْكِتَابِ ، يَشْتَرُونَ
الضَّلَالَةَ ، وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضْلُلُوا السَّبِيلَ ؟ وَلَهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَانِكُمْ ،
وَكَفَى بِاللَّهِ وَإِلَيْهِ ، وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا . مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ
الْكِلَامَ عَنْ مَوَاضِعِهِ ، وَيَقُولُونَ : سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا ، وَاسْمَعْ غَيْرَ
مُسْمَعَ ، وَرَأَيْنَا ، لَيَّا بِالسِّنَنِهِمْ وَطَعْنَاهُمْ فِي الدِّينِ ، وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا :
سَمِعْنَا وَأَطْعَنَا ، وَاسْمَعْ وَانظُرْنَا ، لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ ،
وَلَكِنْ لَعْنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ . فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا . يَا يَهُودَاهَا
الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ، آمَنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ ، مِنْ
قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهَهَا قَرَدَهَا عَلَى أَذْبَارِهَا ، أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا أَعْنَاهَا
أَصْحَاحَ السَّبَتِ ؛ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا . إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ
يُشْرِكَ بِهِ ، وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ، وَمَنْ يُشْرِكَ بِاللَّهِ
فَقَدِ افْتَرَى إِنْمَا عَظِيمًا . أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُرَبِّكُونَ أَنفُسَهُمْ ؟ إِلَوْ
اللَّهُ يُرَبِّ كُلَّ مَنْ يَشَاءُ ، وَلَا يُظْلَمُونَ فَتَيْلًا . اُنْظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ
عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ ، وَكَفَى بِهِ إِنْمَا مُبِينًا . أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ

أُوتُوا نَصِيبِهَا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْرِ وَالظَّاغُوتِ ، وَيَقُولُونَ
لِلَّذِينَ كَفَرُوا : هُوَلَاءُ أَهْدَى مِنَ الدِّينِ آمَنُوا سَبِيلًا ؟ أُولَئِكَ
الَّذِينَ لَعَنْهُمُ اللَّهُ ، وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَإِنْ تَجْدَ لَهُ نَصِيرًا . أَمْ لَهُمْ
نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ ، فَإِذَا لَمْ يُؤْتُونَ النَّاسَ تَقْيِيرًا ؟ أَمْ يَحْسُدُونَ
النَّاسَ عَلَى مَا أَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ؟ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ
الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ، وَآتَيْنَاهُمْ مُلَكًا عَظِيمًا . فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ
بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ ، وَكَفَى بِهِمْ سَعِيرًا .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ	حظًا يسيرًا من العلم بالتوراة ، وهم أخبار اليهود .
يَشْتَرِونَ الضِّلَالَةَ	يُفْضِّلُونَ الضَّلَالَةَ على الهدى .
تَضَعِّلُوا السَّبِيلَ	تُسْخَطُوا طريق الحق ، لتكونوا مثلهم .
كَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا	كفى الله حافظاً لكم منهم .
منَ الَّذِينَ هَادُوا يَحْرُفُونَ	من اليهود طائفة يحرفون ما أنزل الله من التوراة .
الْكَلْمَ	اسمع ، لا جعلك الله تسمع .
اسْمَعْ غَيْرَ مَسْمَعْ	دعاء على النبي ، وهي كلمة سبٌّ بالعبرانية .
رَاعَنَا	

شرحها	الألفاظ
يَكُونُ أَنْتُمْ عَنِ الْوِجْهِ الْمُصْحِّحِ ، لِصِرْفِ الْكَلَامِ إِلَى الْمُسْبَّبِ .	لِيًّا بِالسَّتْهِمْ
انْتَظَرْنَا وَرَاقِبْنَا .	انْظُرْنَا
أَعْدَلْ .	أَقْوَمْ
طَرَدْهُمُ اللَّهُ مِنْ رَحْمَتِهِ بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ .	لَعْنُهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ
نَعْيِرْ مَعَالِمِهَا .	نَطْمِسْ وَجْهُهَا
نَعْلَمْ مَلَامِحَ وِجْهِهِمْ ، وَنَزِدْهُمْ هَا خَاسِئَةَ خَاسِرَةَ .	فَرِدَّهَا إِلَى أَدْبَارِهَا
نَعْلَمْهُمْ كَالْقَرْسَدَةَ فِي عَدَمِ الإِدْرَاكِ ، كَمَا فَعَلْنَا	نَاعِنْهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ
بِأَصْحَابِ الْمُسْبَّبِ ، وَسَنِدْكُرْ خَبْرَهُمْ	الْمُسْبَّبِ
وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ لَا بُدَّ نَازِلًا .	وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا
مَا سَوَى ذَلِكَ .	مَا دُونَ ذَلِكَ
الْخَتْلَقُ أَقْبَحُ الْمُعَاصِيَ .	اَفْتَرِي إِثْمًا عَظِيمًا
يَنْسِبُونَ إِلَى أَنفُسِهِمْ أَنْهُمْ مِبْرَغُونَ مِنْ كُلِّ عَيْبٍ .	يُزَكُونَ أَنفُسَهُمْ
قَدْرُ مَا يَكُونُ فِي شَقَّ التَّسْوَاهِ .	فَتِيلًا
اسْمُ صَنْمٍ ، وَشَاعَ اسْتِعْمَالُهُ فِي كُلِّ مَا عَبَدَ مِنْ	الْجِبْسِتَ
دُونِ اللَّهِ .	
الْمَبَاطِلُ ، وَالشَّيْطَانُ .	الْطَّاغِوتَ
نُقْسَرَةٌ فِي طَرْفِ الْمَنَوَةِ .	نَقِيرًا
أَعْرَضَ عَنْهُ .	صَدَّعَنَهُ
نَارًا مُلْهَبَةً .	سَعِيرًا

مجمل المعنى

١ — بعد أن ذكر الله في هذه السورة أنواعاً كثيرة من التكاليف والأحكام المشرعية ، بين هنا أحوال أعداء الدين ، فحذّر المسلمين كيدهم ، إذ كان في اليهود طائفة يَبْنُونْ لون جهادهم في إذكاء نار الشر بين المسلمين ، وعلى رأسهم أحبارُهم ، والمعنى : ألم ينته إلى علمك يا محمد هذا الأمر العجيب ، عن أخبار اليهود الذين أتوا قَدْرًا من التوراة ، يعروفون منه ما يدلّ على نعمتك فيها ؟ فهم يؤثرون الصلاة على الهدایة حسداً لك ، وتكبراً عن اتباعك ، ولا يكتفون بضلالهم ، بل يريدون منك ومن اتبعك من المؤمنين أن تضلّوا المحرّاط المستقيم ، الموصى إلى الحق " والمهدى ، كما ضلّوا ، والله أعلم منكم بأعدائهم ، وقد بيّنا لكم أعداءكم ليتّحذّرُوهم ، وكذاكم الله حافظاً لكم من مكايدهم ، وكذاكم به نصيئاً في كلّ المواطن ، فلا تبالوا بأعدائهم ، فإني كفيل أن أكفيكم مكرهم وشرهم .

٢ — من اليهود طائفة يحرّفون التوراة عن الوضع الذي أنزله الله ، بإزالة الكلم الذي فيها ، وإثبات غيره ، ويُؤوّلون ما فيها على ما يشتهون ، وييمّلون به إلى غير ما قصدّه الله ، ومن مظاہر خبيثهم ومكرهم : أنهم يقولون لك تظاهراً بطاعتكم : سمعنا قولك ، ويقولون في أنفسهم : عصيّنا أمرك ، ويقولون لك : اسمع غير مسموع ، وهو كلام يختتم الخير ، على معنى : اسمع غير مسموع مكروهاً ، ويختتم الشر على معنى : اسمع لا جعلك الله تسمع ، وهو ما يقصدونه استهزاء بك ، ودعاء عليك ، ويقولون لك راعنا ، وهي كلمة تختتم الخير ، على معنى : راقبنا وانظُرْنَا نتكلّمْك ، وتحتمل الشر ، على وصفك بالرعونة والطيش ، أو بإجرائها مجرى كلمة

عِبَرَانِيَةُ ، وَهِيَ : رَاعِيْنَا ، وَهُمْ يَرِيدُونَ الْمَعْنَى الثَّانِي لِلشَّتْمِ وَالسُّبْبِ ، أَوْ يَرِيدُونَ : يَا رَاعِيْنَا ، أَىٰ يَا مِنْ كَنْتُ نَرْعِيْ أَغْنَامَنَا ، لِلتَّحْقِيرِ وَالإِهَانَةِ ، وَإِنَّمَا يُقْدِمُونَ عَلَى ذَلِكَ لِلظُّعْنَفِ فِي الْمُدِينَ ، فَيَقُولُونَ لِأَصْحَابِهِمْ : إِنَّا نَشَتَّمُهُمْ وَلَا يَفْهَمُونَ مَا نَقُولُ ، وَلَوْ كَانَ نَبِيًّا لَعِرْفِ مَا نَقْصَدُ ، فَأَظَاهَرَ اللَّهُ خَبْثَ طَوْبِيهِمْ ، بِانْتِلَابِ مَا ظَنَّوْهُ طَعْنَّا فِي الْمُدِينَ ، دَلِيلًا قَاطِعًا عَلَى صَحَّتِهِ ، بِإِخْبَارِ الرَّسُولِ بِنَفْسَادِ نَيْتِهِمْ ، فَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا : سَمِعْنَا وَأَطْعَنْنَا لِتَلْهِيَّهُمْ بِصَدِقَاتِهِ ، وَاسْعَ فَقْطَ ، وَلَمْ يَقْرُنُوهَا بِغَيْرِ مُسْبِعٍ ، وَانْتَظَرْنَا حَتَّىٰ نَتَّهِيْهُمْ قَوْلَكَ كَمَا يَقُولُ الْمُسَلِّمُونَ ، بَدَلَ رَاعِيْنَا ، لَكَانَ ذَلِكَ خَيْرًا لَهُمْ ، وَأَعْدَلُ ، وَأَصْوَبُ ، وَلَكِنَّ اللَّهَ أَبْعَدَهُمْ عَنْ رَحْمَتِهِ بِسَبِبِ كُفُّرِهِمْ ، فَلَا يُؤْمِنُ مِنْهُمْ إِلَّا التَّقْلِيلُ ، كَعِبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامَ .

٣ - يَاهُلُ الْكِتَابَ مِنَ الْيَهُودِ ، آمَنُوا بِالْقُرْآنِ الْمَبِينِ أَنْزَلْنَاهُ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ ، مَصْدَقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنَ التَّوْرَةِ ، مِنْ قَبْلِ أَنْ نَعَاقِبُكُمْ شَرِّ عَقَابٍ ، بِتَغْيِيرِ مَلَامِحِ وَجُوُهِكُمْ ، فَنُسْلِبُ مِنْهَا وِجَاهَتِهَا وَمَنْظَرَهَا ، وَنُكَسِّوْهَا إِلَيْنَا وَالْمُصَغَّرَ ، وَنَرْدَهَا خَامِيَّةً خَاسِرَةً ، بِصَمَّ آذَانَكُمْ عَنْ سَمَاعِ الْحَقِّ ، وَعَمَّى أَبْصَارَكُمْ عَنْ رُؤْيَاةِ آيَاتِنَا الْمَدَالِلَةِ عَلَىٰ قَدْرِتِنَا ، أَوْ نُنْطِرُكُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا ، وَنَعَامِلُكُمْ كَمَا عَامَلْنَا مِنْ كَانَ قَبْلَكُمْ مِنَ الْيَهُودِ حِينَ خَالَفُوا أَمْرَنَا ، فَاصْطَادُوا السَّدِيقَاتِ فِي يَوْمِ رَاحْتِهِمْ وَهُوَ يَوْمُ الْمُسْبِتِ ، وَكَنَا قَدْ نَهَيْنَاهُمْ عَنِ الصَّيْدِ فِيهِ ابْتِلَاعٍ وَاخْتِبَارًا ، فَعَصَمُوا أَمْرَنَا ، (تَرَاجِعُ الْمَصْنِعَةِ ٥٦ فِي الْمُقْرَبةِ الْرَّابِعَةِ مِنْ تَفْسِيرِ الْجَزْءِ الْأَوَّلِ) وَكَانَ حَكْمُنَا رَقْصَاؤُنَا فِيمَنْ سَلَفَ مِنْهُمْ نَافِذًا ؛ أَمَّا مَا هَدَدْنَاهُمْ بِهِ ، فَلَمْ نُسْنَدْنَاهُ لِإِسْلَامِ بَعْضِهِمْ ، كَعِبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامَ وَأَصْحَابِهِ .

٤ - وَلِمَا كَانَ تَحْرِيفُ الْيَهُودِ لِلتَّوْرَةِ ، أَفْضَى إِلَى إِثْبَاتِ نَصْوَصِ لَمْ تَرَدْ فِيهَا عِنْدَ نَزْرِهَا ، فَقَدْ أَدَّى ذَلِكَ بِهِمْ إِلَى مَغَالِيَّهُمْ فِي إِجْلَالِ الْأَحْبَارِ وَتَمْجِيدهِمْ ، بِاتِّخَاذِهِمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ، وَقَدْ يَبْيَّنُ اللَّهُ أَنَّ أَمْثَالَ هُؤُلَاءِ الْمُدِينَ أَشْرَكُوا

بِاللَّهِ مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا ، لَا يَكُنْ أَنْ يَعْفُو عَنْهُمْ ، فَهُوَ لَا يَغْفِرُ إِلَيْهِ الْإِشْرَاكَ
بِهِ ، لَأَنَّهُ غَايَةُ مَا تَهْبِطُ إِلَيْهِ الْعُقُولُ الْبَشَرِيَّةُ ، وَلَأَنَّهُ أَقْصَى مَرَاتِبِ الْجَحْودِ
وَالْكُفَّارَ بِوَاهِبِ النَّعْمَ ، وَيَغْفِرُ مَا سُوِّيَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ، تَفْضِلًا مِنْهُ
وَإِحْسَانًا ، فَإِنْ شَاءَ أَدْخِلَهُ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ ، وَإِنْ شَاءَ عَذَابًا مِنْ
الْمُؤْمِنِينَ مِنْ يَسْتَحْقُ الْعِذَابَ عَلَى مَا اقْتَرَفَ ، ثُمَّ أَدْخِلَهُ الْجَنَّةَ ، وَمِنْ
يُشْرِكُ بِاللَّهِ فَقَدْ ارْتَكَبَ ذَنْبًا يَتَضَاعِلُ مَعَهُ كُلُّ ذَنْبٍ ، وَيَصْغُرُ بِجَانِبِهِ كُلُّ
أَثْمٍ ، وَاسْتَحْقَ الْخَلْوَةَ فِي النَّارِ يَصْلِي نَارَهَا ، وَيَنْوِي عَذَابَهَا .

٥ — وَكَانَ الْيَهُودُ يَفَاخِرُونَ مُشْرِكِي الْعَرَبِ بِنَسَبِهِمْ وَدِينِهِمْ ، وَيُسَمِّئُونَ أَنفُسِهِمْ
شَعْبَ اللَّهِ الْمُخْتَارِ ، وَيَقُولُونَ : نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحْبَاؤُهُ ، وَيَزْعُمُونَ أَنَّهُ لَنْ
يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مِنْ كَانَ يَهُودِيًّا ، وَيَقُولُونَ : لَنْ تَمْسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَامًا
قَلِيلَةً ، بِمَقْدَارِ الْأَيَامِ الَّتِي عَبَدَ فِيهَا آبَاؤُنَا الْعَجْلَ ، يَرِيدُونَ بِهِمَا تِرْكِيَّةَ
أَنفُسِهِمْ ، وَاعْتَرَازَهُمْ بِدِينِهِمْ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِمْ : « أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَرْكُونَ
أَنفُسِهِمْ » ، وَالْمَعْنَى : أَلَمْ يَنْتَهِ إِلَى عِلْمِكَ يَا مُحَمَّدُ هَذَا النَّبَأُ الْعَجِيبُ ،
وَهُوَ أَنَّ الْيَهُودَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ مُسْطَهَرُونَ مِنَ الذَّنْوَبِ ، مُبَرَّعُونَ مِنَ الْأَثَامِ ؟
فَرَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ أَنَّهُ لَيْسَ الْعِبْرَةُ بِتِرْكِيَّةِ الْإِنْسَانِ نَفْسِهِ ، وَإِنَّمَا الْعِبْرَةُ بِتِرْكِيَّةِ
اللَّهِ إِيَّاهُ ، وَاللَّهُ لَا يَنْقُصُ جِزَاءَ عَمَلٍ مِمَّا كَانَ ضَيْلًا ، فَسُوءَ
أَزْكَوَا أَنفُسِهِمْ أَمْ لَمْ يُزْكُوْهُا ، فَإِنَّكَ لَا تَجْعَلِيهِمْ نَفِعًا ، وَمَقْنَصِيَّ هَذَا أَنَّ
مَدْحَ الْإِنْسَانِ نَفْسُهُ بِمَا لِيْسَ فِيهَا ، أَوْ تَجَاوِزُهُ الْحَدُّ فِي مَدْحِ غَيْرِهِ مَلْقًا
وَنَفِاقًا ، يَعْدُ إِثْمًا عَظِيمًا .

٦ — وَحَدَّثَ أَنَّهُ بَعْدَ غَزْوَةِ أَحْدُودٍ ، الَّتِي انتَصَرَتْ فِيهَا قَرِيشٌ ، خَرَجَ كَعْبُ بْنُ
الْأَشْرَفِ وَحْيَيٌّ بْنُ أَخْطَبٍ فِي سَبْعِينِ رَجُلًا مِنَ الْيَهُودِ إِلَى مَكَّةَ ، لِيَحَالُفُوا
قَرِيشًا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ وَمَنْ تَبَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَلَمْ يَبَالُوا أَنْ يَنْقُضُوا الْعَهْدَ
الَّذِي كَانَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ ، فَنَزَلَ كَعْبٌ عَلَى أَبْنِي سَفِيَّانَ ، فَأَكْرَمَ

مشواه ، وتفرق اليهود على دور قريش ، فقال أهل مكة لکعب : إنكم أهل كتاب ، ومحمد صاحب كتاب ، وإننا لنخشى أن تكونوا قد قدمتم إلينا لتتکروا بنا ، فإن أردتَ أن تحالينا أنت وقومك ، فاسجد لهذا الصنم وأمين به ، ففعل کعب ، ثم قال : يأهـل مـكة : ليجيءـ منـا ثـلـاثـونـ وـمـنـكـ ثـلـاثـونـ ، فـنـلـصـقـ أـكـبـادـنـاـبـالـكـعـبـةـ ، وـنـعـاهـدـ رـبـ الـبـيـتـ عـلـىـ أـنـ نـتـعـاـوـنـ عـلـىـ قـتـالـ مـحـمـدـ ، فـفـعـلـوـذـلـكـ ، فـقـالـ أـبـوـ سـفـيـانـ لـکـعبـ : إـنـكـ اـمـرـؤـ تـقـرـأـ الـكـتـابـ ، وـتـعـلـمـ أـنـاـ أـمـيـونـ ، لـاـ نـعـلـمـ مـاـ تـقـرـأـ شـيـئـاـ ، فـأـيـسـاـ أـهـدـىـ طـرـيقـاـ ، وـأـقـرـبـ إـلـىـ الـحـقـ ؟ أـنـحـنـ أـمـ مـحـمـدـ ؟ فـقـالـ کـعبـ : اـعـرـضـوـاـ عـلـىـ دـيـنـكـمـ ، فـقـالـ أـبـوـ سـفـيـانـ : نـحـنـ نـنـحرـ لـلـحـجـاجـ النـاقـةـ العـظـيمـةـ السـنـنـاـمـ ، وـنـسـقـيـمـ الـلـبـنـ ، وـنـقـرـىـ الـصـيفـ ، وـنـفـسـكـ العـائـىـ ، وـنـصـلـ الرـحـمـ ، وـنـعـمـسـ بـيـتـ رـبـسـاـ ، وـنـطـوـفـ بـهـ ، وـنـحـنـ أـهـلـ الـحـرـمـ ، وـمـحـمـدـ فـارـقـ دـيـنـ آـبـائـهـ ، وـقـطـعـ الرـحـمـ ، وـفـارـقـ الـحـرـمـ ، وـدـيـنـ الـقـدـيمـ ، وـدـيـنـ مـحـمـدـ الـحـدـيـثـ ، فـقـالـ کـعبـ : أـنـتـ وـالـلـهـ أـهـدـىـ سـيـلاـ ماـ عـلـيـهـ مـحـمـدـ ، فـأـنـزـلـ اللـهـ قـولـهـ : « أـلـمـ تـرـ إـلـىـ الـذـيـنـ أـوـتـوـ نـصـيـبـاـ مـنـ الـكـتـابـ يـؤـمـنـوـنـ بـالـجـبـتـ وـالـطـاغـوتـ . . . » ، وـالـمـعـنـىـ : أـلـمـ يـنـتـهـ إـلـىـ عـلـمـكـ يـاـ مـحـمـدـ هـذـاـ الـحـادـثـ الـغـرـبـيـ ، وـهـوـ أـنـ الـيـهـوـدـ الـذـيـنـ أـوـتـوـ نـصـيـبـاـ مـنـ التـوـرـةـ ، يـؤـمـنـوـنـ بـالـأـصـنـامـ ، وـيـؤـيـدـوـنـ باـطـلـ قـرـيـشـ فـيـ عـبـادـتـهـ ، وـيـقـولـوـنـ لـهـ : أـنـتـ أـقـوـمـ دـيـنـاـ ، وـأـرـشـدـ طـرـيقـاـ ، مـنـ آـمـنـ بـمـحـمـدـ ؟ أـلـئـكـهـمـ الـذـيـنـ طـرـدـهـمـ اللـهـ مـنـ رـحـمـتـهـ ، وـمـنـ طـرـدـهـ اللـهـ مـنـ رـحـمـتـهـ ، فـلـنـ تـجـدـ لـهـ يـاـ مـحـمـدـ نـاصـرـاـ يـمـنـعـهـ مـنـ عـذـابـ اللـهـ .

٧ - ثم شرع الله يعدد آثامهم وذنوبهم ، على أسلوب استفهامي ، للإنكار والتوبيخ ، فقال : المؤلاء اليهود حظ من الملك ، فاقتربوا للأموال والقصور والبساتين ؟ ولو كان لهم نصيب من الملك ، لسلكوا فيه طريق

البخل والأشرة والشح، وضئلاً واحتي بما يساوى نُفْرَةً في ظهر نواة، وحرّ صوا
على أن يمنعوا الناس أدنى نفع وأحقّره، لأنّه يشقّ عليهم أن يستمتع منهم
أحد من غيرهم، فكيف لا يشقّ عليهم أن يظهر ذي من العرب،
ويتسّع نفوذه، حتى يخضع له بنو إسرائيل، وتلك شِنْشِنة اليهود منها
خلق الله إسرائيل إلى اليوم، على أنهم قد جعوا إلى البخل رذيلة من أقبح
الرذائل، وهي الحسد على أن آتى الله محمدًا المتّوّفة والانتصارات العزة، وهو
ليس من بني إسرائيل، فإن يحسدوا الناس على ما آتاهم الله من فضله،
فهم مسرفون في الخطأ، فليست ذلك بداعاً، فلقد آتينا الأنبياء من ذرية
إبراهيم التوراة والإنجيل، وعلمناهم الأسرار الموعدة فيما بحكمتنا،
واعطيناهما مع هنـا ملكاً عظيماً، كما فعلنا مع يوسف وداؤد وسليمان،
فليست عجيبة أن يُؤتى محمد كـما أوتى الأنبياء من قبله، فمن آل إبراهيم
من آمن بما أنزلنا على الأنبياء من ذريته، ومنهم من أعرض عنـه كما فعلـمـ
أهـبـاـ اليـهـودـ، وـلـمـ يـؤـدـ هـنـاـ الإـعـراـضـ إـلـىـ تـوهـيـنـ أـمـرـ إـلـسـلـ، وـكـفـيـ بـجـهـنـمـ
نـارـاـ مـسـتـعـرـةـ لـمـنـ أـعـرـضـ، وـآـثـرـ إـرـضـاءـ حـقـدـهـ وـحـسـدـهـ، وـعـانـدـ وـكـابـرـ،
فـاسـتـحقـ التـكـالـ، وـبـشـسـ المصـيرـ.

(٥)

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِهِمْ نَارًا، كُلَّمَا نَضَحَتْ
 جُلُودُهُمْ بَدَأْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ، إِنَّ اللَّهَ كَانَ
 عَزِيزًا حَكِيمًا . وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُنْذِلُهُمْ جَنَّاتٍ
 تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ، لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ
 مُطَهَّرَةٌ ، وَنُنْذِلُهُمْ ظَلَالًا ظَلِيلًا . إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤْدُوا
 الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا ، وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا
 بِالْعَدْلِ ، إِنَّ اللَّهَ نِعِمًا يَعْظِمُكُمْ بِهِ ، إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا
 بَصِيرًا . يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ، أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ
 وَأُولَئِكُمْ أَمْرَى مِنْكُمْ ، فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُوهُ إِلَى اللَّهِ
 وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، ذَلِكَ خَيْرٌ
 وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا . أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا
 أُنزَلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزَلَ مِنْ قَبْلِكَ ؟ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاَكُمُوا
 إِلَى الطَّاغُوتِ ، وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ ، وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ
 أَنْ يُضْرِبَهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا . وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أُنْزَلَ

اللهُ وَإِلَى الرَّسُولِ ، رَأْيَتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا .
 فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَهُمْ مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمْتُ أَيْدِيهِمْ ، ثُمَّ جَاءُوكَ
 يَحْلِفُونَ بِاللهِ : إِنَّا أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا ؟ أُولَئِكَ الَّذِينَ
 يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ ، فَاعْرِضْ عَنْهُمْ وَعَظِّهِمْ ، وَقُلْ لَهُمْ
 فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
نَصْلِيهِمْ نَارًا .	نُدْخِلُهُمْ نَارًا يَنْبَقُونَ حَرَّهَا وَسَعِيرُهَا .
نَضْبِيجُتْ جَلُودِهِمْ	احْتَرَقَتْ وَهَرَّاتْ وَتَلَاثَتْ .
أَزْوَاجُ مَطْهَرَةٍ	{ زوجات مبَرَّأةٌ من كُلِّ دُنْسٍ ، مَطْهَرَةٌ مَا يَنْعَنِي } مُبَاشِرَتِهنَّ .
ظَلَالٌ ظَلِيلًا	ظَلَالًا دَائِمًا وَارِفًا .
نَعِمَّا يَعْظِمُكُمْ بِهِ	نَعِمَ النَّصْحُ مَا يَعْظِمُكُمْ اللَّهُ بِهِ .
أَوَّلَ الْأَمْرِ	أَصْحَابُ الْأَمْرِ ، وَهُمُ الْوُلَاةُ وَالْحَكَامُ .
تَنَازَعْتُمْ	اخْتَلَقْتُمْ .
فَرْدٌ وَهُوَ إِلَى اللهِ	فَارْجَعُوا فِيهِ إِلَى كِتَابِ اللهِ .
وَالرَّسُولُ	وَارْجَعُوا إِلَى الرَّسُولِ فِي حَيَاتِهِ ، وَإِلَى سُنْنَتِهِ بَعْدَ مَمَاتَهِ .
أَحْسَنُ تَأْوِيلًا	أَحْسَنُ تَأْوِيلًا مِنْ تَأْوِيلَاتِكُمْ ، وَخَيْرٌ مَالًا وَعَاقِبةً .

الآلفاظ	شرحها
أن يتحاكموا إلى المطاغوت	أن يتحاكموا إلى المطاغوت .
أمرُوا ألا يصدقوا مَنْ هو معن في الطغيان .	أمرُوا ألا يصدقوا مَنْ هو معن في الطغيان .
يُعرضون عنك إلى غيرك إعراضًا .	يُعرضون عنك إلى غيرك إعراضًا .
نكبة وعقوبة .	نكبة وعقوبة .
إن أردنا إلا إحساناً	ما أردنا بالاحتکام إلى غيرك ، إلا صلاحاً بين
المتخاصمين .	المتخاصمين .
يعلم الله ما في قلوبهم	يعلم الله ما يُبطنون من النفاق .
عِظِّ لهم	اذصح لهم ، وخوفهم عذاب الله .
قل لهم في شأن أنفسهم قوله مؤثراً زاجراً ، يبلغ	قل لهم في شأن أنفسهم قوله مؤثراً زاجراً ، يبلغ
أثره إلى قلوبهم .	أثره إلى قلوبهم .

مجمل المعنى

١ - لما بيّن الله في الآيات السابقة أن بعض آل إبراهيم آمن بما أنزل على الأنبياء منهم ، ومنهم من أعرض ، وتوعّد من أعرض بسعيّر جهنم ، فصل هنا هنا الوعيد بما يؤول إليه حال الكفار في هذا السعيّر ، وبذلة الآية بالذين كفروا بآيات الله ، يشعر بأن هذا العذاب ليس خاصاً بالكافار من اليهود ، وإنما هو عام ، يشتمل من يكفرون بآيات الله المتزلة على رسالته ، وبالعجزات التي أيدهم بها ، سواءً كان ذلك في الماضي أم في الحال ، فهو لاء الكفار سوف يدخلون النار ، ويعلّمون فيها عنداباً أثيناً ، فكلما احترقت جلودهم ، وتهراّت وتلاشت ، أعيد ذلك الجلد على صورة أخرى ، ليعود إليه إحساسه ، ويدوم تذوقهم للعذاب مع الأيام ،

دواماً غير منقطع ، إن الله لا يزال عز يزاً لا يمتنع عليه ما يريده ، حكيمًا
في تدبيره وتقديره ، وتعذيب من يعلمه على وفق حكمته .

٢ - وعقب الله بيان سوء حال الكافرين ، ببيان حُسْنِ مآل المؤمنين ، ليكون
العبد راهبًا راغبًا ، والمؤمنون هم جميع من آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم ،
ومن آمن من أمم الأنبياء قبله ، فهو لاء المؤمنين آمنوا إيماناً صادقاً ، وقرروا
إيمانهم الصادق بالعمل الصالح ، سيدخلهم الله تعالى جنات تجري
من تحتها الأنهار ، يخالدون فيها أبداً ، وطم فيها أزواج مطهرة من الحيض
والاتّناس ، وسائر المعابد والأدنس ، ومن الأخلاق المذينة ، والطبع
المديدة ، كما يستمتعون بظلّ مسجىء ، لا حرّ فيه ولا برد ، فيظلون
في نعيم ، دائم وعز مقيم .

٣ - ولما فتح المساجدون مكة ، دعا رسول الله عثمان بن أبي طلحة ، وطلب منه
فتح الكعبة ، فلما بسط يده إلى رسول الله بالمفتاح ، قام العباس عم
النبي ، وقال : يا رسول الله ، بأبي أنت وأمي ، اجعله لي مع السقاية — وهي
سوق الحجاج بمكة — ففك عثمان بن أبي طلحة يده بالمفتاح ، فقال
رسول الله : أرى المفتاح يا عثمان ، فبسط يده ليعطيه المفتاح ، فكرر
ال Abbas قوله ، وكرر عثمان كف يده ، فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم : يا عثمان ، إن كنت تؤمن بالله والإيمان الآخر فأعطي المفتاح ،
فقال عثمان : هاك المفتاح بأمانة الله تعالى ، فأخذ رسول الله المفتاح ففتح
الكعبة ، وصلى ركعتين ، وأنحرج منها مقام إبراهيم ، وهو الحجر الذي
كان يقوم عليه إبراهيم ، حين ارتفع البناء ، (تراجع الصفحة ٩٦)
الفقرة الثانية من تفسير الجزء الأول) ، ثم خرج رسول الله فطاف بالكببة ،
ثم أزل الله عليه قوله : إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها ،
فدعى عثمان بن أبي طلحة ، فأعطاه المفتاح ، وقال : خذوا يا آل طلحة

المفتاح ، فأنتم سَدَّنَة الكعبة — خدمتها — لا ينتزعها منكم إلا ظلم ،
ودفع عنوان المفتاح عند دنوّ أجله إلى أخيه شِيَّبَة بن أبي طالحة ، فهو في
يد ولده إلى اليوم ، هنا هو سبب النزول ، وخصوص السبب لا يمنع
من عموم اللفظ ، فالله يأمرنا في هذه الآية أن نتحلى بـ الحُلُقين كريمين ،
فيهما صلاح المجتمع في الدنيا ، ورضاء الله يوم القيمة :

ا - الحُلُق الأول : رد الأمانات إلى أصحابها ، فإذا أودع أحد آخر مالا
أو شيئاً آخر ، وجب على المودع عنده أن يحافظ على الوديعة ،
وأن يردّها إلى المودع عند طلبها ، ويندرج تحت هذا ولاة الأمر ،
فعليهم أن يقوموا برعاية شئون الرعية ، لأنها أمانة في أعناقهم ، وأن
يعملوا على تنفيذه ما يوجبه الدين والشريعة ، فيسوّلوا المناصب من
يستحقها ، ولا ينفقوا الأموال إلا في الأمور النافعة المقيدة ، وقد
حثَ رسول الله صلى الله عليه وسلم على الأمانة في مواطن كثيرة
في أحاديثه ، حتى لقد نهى الإيمان عن لا أمانة له ، فقال : « أَدَّ
الأمانة إلى من اتّهمنك ، ولا تَخْسُنْ من خانك » ؛ والأمانة حق
على المكلَّف ، يجب عليه أداؤه ، فالعالم يجب عليه أن يؤدّي أمانة
العلم للناس ، والطبيب يجب عليه أن يكون أميناً في مهنته لمن
يعالجه ، والمعلم يجب عليه أن يكون أميناً في تعليم تلاميذه ،
وتتشهّد عليهم على الأخلاق الكريمة ، والطبع الحميدة .

ب - الحُلُق الثاني : العدل في الأحكام ، قال الله سبحانه وتعالى جعل
مصالح الناس أمانة في يد القضاة ، فيجب عليهم أن يتحرّوا العدل
فيما يصدّرونه من أحكام ، وأن يسوّلوا بينهم فيما يبذّل على وجهيهم ،
وفي مجلس قضايهم ، حتى لا يطمع شريف في حيّفهم ، أو يئس
ضعيف من عددهم ، والعدل أساس الملك ، فعلى من يقضى بين
ج ٥ (٣)

الناس أن يتفهم الدعوى في رفق وأناة ، وأن يبتعد عن الموى ،
والميل إلى أحد الخصمين .

إن الله عليم بخفايا قلوبكم ، يعظكم إلى ما فيه صلاحكم ،
ونعمت العظة عظة يرشدكم فيها إلى أداء الأمانات إلى أهلها ،
والحكم بين الناس بالعدل والقسطاس ، وهو سميع لما تقولون
وتنطقون ، وتعملون في مراعاة أماناتكم وعهودكم وأحكامكم ،
بصير بما تفعلون فيها أو تمتن عليه من حقوق الناس ، وما تقضون
به من عدل أو جحود ، لا يخفى عليه شيء من ذلك .

٤ — ولما تقدم الله إلى الولاية ، فأمرهم بأداء الأمانات والعدل في الأحكام ،
تقدّم إلى الرعيّة ، فأمر بطاعة أولاً ، ثم بطاعة رسوله ثانياً ، ثم بطاعة
ولاتهم ثالثاً ، ويندرج في الأخير الخلفاء والسلطانين ، والقضاء ،
والأئمة ، والأمراء ، والرؤساء ، والزعماء ، وأهل الحلّ والعقد من المؤمنين ،
فأما طاعة الله فبامتثال أوامره ، واجتناب نواهيه ، وأما طاعة الرسول ففيما
يأمر به وينهى عنه ، امتثالاً لقوله تعالى : « وما آتاكم الرسول فخذلوه ،
وما نهاكم عنه فانتهوا » ، وأما طاعة أول الأمر ففيما ليس فيه معصية
للخلق ، فإذا أمروا بمعصية ، فلا سمع ولا طاعة ، فتى أصدر أول الأمر
أمراً ليس فيه معصية للخلق ، بعد أن يشاوروا ويتفقوا عليه ،
وجب اتباعه .

٥ — فإن اختلافتم أيها المؤمنون من أمراء ورعيّة في أمر من أمور الدين ، فارجعوا
إلى كتاب الله ، وإلى رسول الله في حياته ، وإلى سنته بعد مماته ، إن كنتم
تؤمنون بالله والميّوم الآخر ، ذلك الرجوع إلى الله ورسوله خير لكم من
التنازع ، وأعدل من تأويلكم فيما اختلافتم فيه ، وأحسن عاقبة ومآل .

٦ - وخاصمَ رجُلَ مِنَ الْمَنَافِقِينَ يَسْمَى بَشْرًا ، آخِرَ يَهُودِيًّا ، فَدُعَاهُ الْيَهُودِيُّ
إِلَى الْحِكْمَةِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لَمَّا اشْتَهَرَ عَنْهُ مِنَ الْمُنَزَّاهَةِ
وَالْعَدْلِ ، وَدُعَاهُ الْمَنَافِقُ إِلَى الْحِكْمَةِ إِلَى كَعْبَ بْنَ الْأَشْرَفِ ، أَمِّا اشْتَهَرَ
عَنِ الْيَهُودِ مِنْ قَبْوِ الرُّشَا ؟ وَأَخْبَرَ أَحْتَكَمَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ، فَقُضِيَ لِلْيَهُودِيِّ ،
فَلَمْ يَرْضِ الْمَنَافِقُ وَقَالَ : لَا أَرْضِي ، انْطَلَقَ بَنُوا إِلَى أَبِي بَكْرٍ ، فَحُكِمَ
لِلْيَهُودِيِّ ، فَلَمْ يَرْضِ الْمَنَافِقُ ، وَقَالَ : نَتْحَاكِمُ إِلَى عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ، فَلَمَّا
ذَهَبَا إِلَيْهِ ، قَالَ الْيَهُودِيُّ لِعُمَرَ : إِنَا صَرَنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ، ثُمَّ إِلَى أَبِي بَكْرٍ ،
فَلَمْ يَرْضِ هَذَا حَكْمَهُمَا ، فَقَالَ عُمَرُ لِلْمَنَافِقِ : أَكْذَلُكُمْ هُوَ ؟ قَالَ : نَعَمْ ،
فَقَالَ عُمَرُ : رُوَيْدَ كُمَّاحَتِي أَخْرَجَ إِلَيْكُمَا ، فَدَخَلَ عُمَرُ فَتَقْلَدَ سِيفَهُ ،
ثُمَّ خَرَجَ فَضَرَبَ عَنْقَ الْمَنَافِقِ ، ثُمَّ قَالَ : هَكُمْ أَقْضَى لِمَنْ لَمْ يَرْضِ بِقَضَاءِ
اللَّهِ وَقَضَاءِ رَسُولِهِ ، وَقَضَاءِ صَاحِبِهِ ، فَنَزَّلَ قَوْلَهُ : « أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ
أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكُمْ » ، وَأَخْبَرَ جَبْرِيلَ
رَسُولَ اللَّهِ أَنَّ عُمَرَ قَدْ فَرَّقَ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ ، فَسَمِّيَ الْفَارِوقَ .

وَالْمَعْنَى : أَلَمْ يَنْتَهِ إِلَى عِلْمِكَ يَا مُحَمَّدُ ، خَبَرَ مَنْ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا
بِالْقُرْآنِ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ ، وَبِالْتُّورَاةِ الَّتِي أُنْزِلَتْ عَلَى مُوسَى قَبْلَكُمْ ؟
فَالْعَجِيبُ مِنْ أَمْرِهِمْ أَنَّهُمْ يَرِيدُونَ أَنْ يَتْحَاكِمُوا إِلَى الطَّاغِيَةِ : كَعْبَ بْنَ
الْأَشْرَفِ ، وَقَدْ أَمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِمَنْ هُوَ مَسْرُوفٌ فِي طَغْيَانِهِ ، وَلَا يَوْلُوهُ ،
إِذْ قَلَنا : « وَلَقَدْ بَعْثَنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ » ،
فَكَيْفَ يَتْحَاكِمُونَ إِلَى هَذَا الطَّاغُوتِ ؟ وَلِكُنَّ الشَّيْطَانُ الَّذِي يَدْعُو إِلَى
الْفَسَادِ وَالْمُشْرِكَ ، يَرِيدُ أَنْ يَضْلِلَهُمْ بِوُسُوْسِهِ ضَلَالًا بَعِيدَ الْأَثْرِ .

٧ - وَإِذَا قِيلَ لِمَنْ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكُمْ : تَعَالَوْا
نَتْحَاكِمُ إِلَى مَا أُنْزِلَ اللَّهُ فِي الْقُرْآنِ ، وَإِلَى الرَّسُولِ الْمَبْعُوثِ لِلْحُكْمِ بِمَا فِيهِ ،
رَأَيْتَ الْمَنَافِقِينَ يُعْرَضُونَ عَنِ التَّحَاكِمِ إِلَيْكُمْ إِعْرَاضًا شَدِيدًا لَا مَبْرُرَةَ ،

فكيف يكون حالهم ، إذا أصابتهم نكبة تُظهر نفاقهم ، وتفضح أمورهم ،
بسبب ما ارتكبوا من الآثم ، ثم جاعوك معهانرين ، يخلفون بالله: ما أردنا بالتحاكم
إلى غيرك إلا إحساناً إلى المتخاصمين ، و توفيقاً بينهما ، ولم نقصد عدم
الرجوع بحكمك ، فلا تؤاخذنا بما فعل أخونا من الاحتكام إلى أبي بكر وعمر
من بعدهك ، ولكن الله يعلم ما في طويّتهم ، وحيث نسيّتهم وكذبهم ،
فليذكر أنه يعلم ما في قلوبهم من الميل إلى الشّغب ، وإثارة الفتن ، وذنب
المكاييد ، فأمّر رسوله أن يعرض عن قبول عذرهم ، وعن مطالبتهم بأدلة
القتيل الذي قتله عمر ، وأن ينصح لهم بالكف عن النفاق ، وأن يقول لهم
قولاً مؤثراً في أنفسهم ، يستشعرون منه التهديد والاستئصال ، ويبلغُ من
نفوسهم الأثر الذي يريده .

(٦)

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ يَأْذِنِ اللَّهُ ، وَلَوْ أَنَّهُمْ
إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ ، وَاسْتَغْفِرَ لَهُمُ الرَّسُولُ ،
لَوْجَدُوا اللَّهَ تَوَابًا رَحِيمًا . فَلَا وَرَبَّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى
يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بِيَمِنْهُمْ ، ثُمَّ لَا يَجِدُوكَ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا
إِمَّا قَضَيْتَ ، وَإِسْلَمُوا تَسْلِيمًا . وَلَوْ أَنَا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ : أَن
اَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ، أَوْ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ ، مَا فَعَلُوهُ إِلَّا
كَلِيلٌ مِنْهُمْ ، وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوَعِظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا
لَهُمْ ، وَأَشَدَّ تَشْيِتاً . وَإِذْ لَا تَدِينَاهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا
وَلَهُدَى نَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا . وَمَنْ يُطِيعَ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ
مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّنَ وَالصَّدِيقِينَ وَالشَّهِيدَاتِ
وَالصَّالِحِينَ ، وَحَسَنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا . ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ ،
وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيًّا . يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ، خُذُوا حِذْرَكُمْ ،
فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوْ انْفِرُوا جَمِيعًا . وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ ،
فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَالَ : قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ ، إِذْ لَمْ أَكُنْ

مَعْهُمْ شَهِيدًا . وَلَيْنَ أَصَا بَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ اللَّهِ لِيَقُولَنَّ كَأَنْ لَمْ
تَكُنْ يَيْتَكُمْ وَلَيْنَةً مَوَدَّةً ، يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ ، فَأَفْوَزَ
فَوْزًا عَظِيمًاً .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
إذ ظلموا أنفسهم	حين ظلموا أنفسهم بتعريضها لعذاب الله .
فلا وربك	فوريكك ، ولا زائدة لتأكيد القسم ، مثل : } لا أقسم بيوم القيمة .
شَجَرَ بِيَنْهِمْ	تشاجروا فيه فيما بينهم .
حَرَّجَأً	ضيقاً وشكراً .
أَشَدَّ تَشْبِيهًأً	أشدّ تحقيقاً لإيمانهم .
الْمَصَدِّدِ يَقِين	أفضل أصحاب الأنبياء ، كأبي بكر .
الشهداء	القتلى في سبيل الله .
وَحَسَنُنَ أَوْلَئِكَ رَفِيقًا	وما أحسن أن يكون هؤلاء رفقاء في الجنة !
خُلُمُوا حَمَدَ رَكِمْ	احذروا أعداءكم ، بالامتناع وأخذ الأبهة .
انْفَرَ وَثَبَات	آخر جوا للاقاة الأعداء متفرقين : سرية بعده أخرى
لَمْ لَيْبُطَّنَ	من ليسبطهنَّ ويتاخرنَّ عن القتال
فَضْلٌ مِّنَ اللَّهِ	انتصار بفتح أو غنائم .

في بعض هذه الآيات استطراد إلى حال المنافقين ، بشأن قصة اليهوديَّ والمنافق ، اللذين تحاكموا إلى رسول الله ، فقضى بينهما ، وجعل بعضهم

لديب نزول قوله تعالى : فلا ورباك لا يؤمنون : ماحدث بين الزبير والأنصارى ، على أنه إن كان سبب النزول قصة اليهودى والمنافق ، فليس هناك مانع من أن تتناول بعمومها القصتين معاً ، وقصة الزبير والأنصارى ، أنها تختصاً في مسحيل من الماء ، كان كلاهما يسوق نخله منه ، فقال الأنصارى للزبير : سرّ الماء يمرّ إلى نخل ، فأبى الزبير إلا أن يبدأ بير واء نخله ، فاحتكم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله : اسوق يا زبير ، ثم أرسل الماء إلى جارك ، فغضب الأنصارى ، وقال لرسول الله : أراك تحابي ابن عمتك ، فتلعون وجه رسول الله ، ثم قال : اسوق يا زبير ، ثم احبس الماء حتى يبلغ الجدار (وهو ما رفع حول الزراعة كالجدار) ، ثم أرسل الماء إلى جارك ، أراد رسول الله السعة للزبير والأنصارى ، فلما أحفظه الأنصارى ، قضى بأن يستوفى الزبير حقه ، وقد اعتذر الأنصارى عن زنته ، فأقال النبي عثرته ، لحسن نيته .

مجمل المعنى

١ - ليس عجياً أن يكون القضاء في الخصومات ، مرجعه إلى محمد ، لأنه رسول الله إلى الناس ، يتحدث بما يأمره به ، ولم يرسل الله رسولاً إلا أوجب على من أرسله إليهم أن يكونوا مطيعين له ، ممتنعين لما أمر به أو نهى عنه ، فطاعته طاعة الله ، ومعصيته معصية الله ، فإذا كان عمر قد قتله المنافق لأنه لم يُطع رسول الله ، ولم يرض بحكمه ، فهو كافر يستحق القتل بسوء نيته ، وفساد عقليته ، ولو أن هؤلاء المنافقين حين ظلموا أنفسهم بالكفر والمعصيان ، وتعريضها لعذاب الله يوم القيمة ، جاعوك تائبين معتذرین عما فرط منهم ، فطلبو من الله أن يغفر لهم ، وندموا على ما فعلوا ، وطلب

الرسول لهم من الله أن يغفر لهم ذنوبهم ، ويُسْقِيَ عثتهم ، لوجدوا الله قابلاً
توبتهم ، متفضلاً بالتجاوز عن ذنوبهم ، بواسع رحمته .

٢ - فور بَكَ يَا مُحَمَّد ، إِنَّ مَنْ يَتَخَاصِمُونَ ، لَا يَطْمَئِنُونَ إِلَى إِقَامَةِ الْعَدْلِ ،
إِنَّمَا يَجْعَلُوكَ حَكَماً فِيمَا يَتَشَاجِرُونَ وَيَخْتَلِفُونَ فِيمَا يَبْيَهُمْ فِيهِ ، ثُمَّ لَا يَجْدُوا فِي
أَنْفُسِهِمْ ضِيقَةً وَلَا شَكَّاً فِيمَا قَضَيْتَ بِهِ ، وَيَنْقَادُوا لِحَكَمَكَ ، وَيَلْذَعُونَا
لِقَضَائِكَ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا ، وَإِذَا كَانَ قَدْ صَدِرَ مِنَ الْأَنْصَارِيَّ مَا صَدِرَ ،
فَقَدْ كَانَتْ زَلْةً أَعْتَدْنَا عَنْهَا ، وَنَدَمْ عَلَى مَا قَالَهُ .

٣ - وَلَوْ أَنَا فَرَضْنَا وَأَوْجَبْنَا عَلَى الْمُنَافِقِينَ مَا أَوْجَبْنَا عَلَى الْمُسْلِمِينَ ، مِنَ الْخَرْوَجِ
لِلْجَهَادِ الَّذِي يَتَعَرَّضُونَ فِيهِ لِلْقَتْلِ ، وَمِنَ الْهِجْرَةِ بِرَبِّ الْمَدِيَارِ وَالْأَوْطَانِ ،
مَا فَعَلُوا مَا يُؤْمِرُونَ بِهِ : لِضَعْفِ إِيمَانِهِمْ ، وَلَمْ يُطِعُ إِلَى الْقَلِيلِ مِنْهُمْ ، وَلَوْ
أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يَوْعَظُونَ بِهِ ، مِنْ مَتَابِعَةِ رَسُولِ اللَّهِ وَطَاعَتِهِ ، لَكَانَ ذَلِكَ خَيْرًا
لَهُمْ فِي عَاجِلِهِمْ وَآجِلِهِمْ ، وَحَفِظَ مَصَاحِحَهُمْ ، وَأَشَدَّ تَبْيَانًا لِإِيمَانِهِمْ بِالْدِينِ
الْحَقِّ ، لَأَنَّ الْإِمْتَالَ لِلْوَعْظِ وَالْإِرْشَادِ يَقْوِيُ الْإِيمَانَ وَيُبَشِّرُهُ ، وَإِذْنَ لَآتَيْنَاهُمْ
مِنْ عَنْدِنَا أَجْرًا عَظِيمًا ، بِإِدْخَالِهِمُ الْجَنَّةَ الَّتِي أَعْدَيْنَا لِلْمُنَافِقِينَ ، وَلَهُدِينَا
إِلَى الْمُصْرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ ، وَهُوَ طَرِيقُ الْعَدْلِ الْصَّالِحِ إِلَى مَرْضَاةِ اللَّهِ .

٤ - وَحَدَّثَ أَنَّ ثَوْبَانَ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَتَاهُ يَوْمًا ، وَقَدْ
تَغَيَّرَ وَجْهُهُ ، وَنَسَحَّلَ جَسْمَهُ ، فَسَأَلَهُ الرَّبِّيُّولُ عَنْ حَالِهِ ، فَقَالَ : مَا بِي مِنْ
وَجْعٍ ، غَيْرُ أَنِّي إِذَا لَمْ أَرَكَ اشْتَقَتْ إِلَيْكَ ، وَاسْتَوْحَشَتْ وَحْشَةً شَدِيدَةً حَتَّى
أَلْقَاكَ ، ثُمَّ ذَكَرَتُ الْآخِرَةَ ، فَخَفِتْ أَلَا أَرَكَ هَنَاكَ ، لَأَنِّي عَرَفْتُ أَنِّي
تُرْفَعُ إِلَى مَقَامِ النَّبِيِّينَ ، وَإِنْ أَدْخَلْتُ الْجَنَّةَ كُنْتُ فِي مَنْزِلٍ دُونَ مَنْزِلِكَ ،
فَهَنَاكَ حِينَ لَا أَرَاكَ أَبْدًا ، فَنَزَّلَ قَوْلَهُ : « وَمَنْ يَطِعُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأُولَئِكَ مَعَ
الْمُنَبِّيِّينَ . . . » ، وَالْمَعْنَى : وَمَنْ يَطِعُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فِيمَا أَمْرَاهُ وَنَهَىَهُ عَنْهُ .

فأولئك يكونون في الجنة مع أكرم الخلق ، وأعظمهم قدرًا ، من النبيين الذين بلغوا غاية الكمال ، والصادقين وهم أفضل أصحاب الأنبياء ، الذين بالغوا في الفناء في حبهم لهم ، والإخلاص إليهم ، والتصديق بهم ، والشهداء الذين أدى بهم طاعتهم ، وجدهم في الجهاد ، إلى بذل مهاجهم في إعلاء كلمة الله ، والصالحين ، الذين صرفوا أعمارهم وأموالهم في مرضاة الله ، وأحسّن . بهؤلاء أن يكونوا رفقاء للإنسان في الجنة ، يستحقون برؤيتهم وزيارتهم ، وإن كانوا في درجة أعلى من درجته ! ذلك الفضل من الله ، يتفضل به عليهم ، وكفى بالله علیمًا بمن أطاعه ، وبذل جهده في مرضاته ، فيجازيه يوم القيمة الجزاء الأولي .

٥ — يأمها المؤمنون تيقظوا واستعدوا لأعدائكم ، باستخدام الأهة للقائهم ، من سلاح وعتاد ، فانقضوا لمقاتلتهم ، وخرجوا إلى الجهاد ، إما جماعات من المسّرّايا يتلو بعضها بعضاً ، وإما كوكبة واحدة ، بقلوب متّحدة ، تحت راية واحدة ، واعلموا أن منكم منافقين يتظاهرون بالإيمان ، كعبد الله بن أبي وأصحابه ، يطسون بكم عن الجهاد ويتشاقولون ، ويسبّطون ويتخلّفون ، فإن أصحابكم موصيّة : كقتل أو هزيمة ، قال هذا الفريق المثبت في غبطة وسرور : لقد أنعم الله على إذلم أكن حاضرًا مع المجاهدين ، فلو كنت معهم لأصابني ما أصابهم من البلاء والشدة ، ولئن أصحابكم فضل من الله : كفتحتْ أو إصابة غنائم ، ليتَحسِّرن على تخلّفه ، وليرقولَ ، كأنه لا صلة تجمعكم به ، وكأنه لا هم له إلا مجرد المشاركة في الغنائم : ما ليتني كنت مع المجاهدين ، فآخذه عطايا معهم ، وأفوز بنصيب وافر .

(٧)

فَلِيُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ ،
وَمَنْ يُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلُ أَوْ يَغْلِبُ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ
أَجْرًا عَظِيمًا . وَمَا لَكُمْ لَا مُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ
مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوَلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ : رَبَّنَا أَخْرِجْنَا
مِنْ هَذِهِ الْقَرِيَّةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا ، وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ،
وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا ؟ الَّذِينَ آمَنُوا مُقَاتِلُونَ فِي
سَبِيلِ اللَّهِ ، وَالَّذِينَ كَفَرُوا مُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ ،
فَقَاتَلُوا أَوْ لِيَاءَ الشَّيْطَانِ ، إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا . أَلَمْ
تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ : كُفُوا أَيْدِيَكُمْ ، وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَاتَّوَا
الزَّكَوةَ ؟ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ
النَّاسَ كَخْشِيَّةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشِيَّةً ، وَقَالُوا : رَبَّنَا لَمْ كُتَّبْتَ
عَلَيْنَا الْقِتَالَ ؟ لَوْلَا أَخْرَجْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ ، قُلْ : مَتَاعُ
الدُّنْيَا قَلِيلٌ ، وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى ، وَلَا تُظْلَمُونَ فَتَمِلَّا .
أَيْنَا تَكُونُوا يُذْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ

مُشَيْدَةٌ ، وَإِنْ تُصْبِحُهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا : هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ،
وَإِنْ تُصْبِحُهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا : هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ ، قَالَ : كُلُّهُ مِنْ
عِنْدِ اللَّهِ ، فَمَا لِهِ وَلَاءُ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ؟
مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ، وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ
نَفْسِكَ ، وَأَرَوْلَنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ، وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
يَسْرُ وَن	يَسْرُ وَن
وَالْمَسْتَضْعِفُينَ	وَالْمَسْتَضْعِفُينَ
مِنْ هَذِهِ الْمَقْرِيَةِ	مِنْ هَذِهِ الْمَقْرِيَةِ
الْطَاغُوتُ	الْطَاغُوتُ
أُولَيَاءُ الشَّيْطَانِ	أُولَيَاءُ الشَّيْطَانِ
كُفَّارُ أَيْدِيكُمْ	كُفَّارُ أَيْدِيكُمْ
كُتُبُهُمْ عَلَيْهِمُ الْقَتَالُ	كُتُبُهُمْ عَلَيْهِمُ الْقَتَالُ
يَخْشَوْنَ النَّاسَ	يَخْشَوْنَ النَّاسَ
لَوْلَا أَخْرَجْنَا	لَوْلَا أَخْرَجْنَا
مَتَاعَ الدُّنْيَا	مَتَاعَ الدُّنْيَا
فِتْيَالًا	فِتْيَالًا
بُرُوجُ مَشِيدَةٍ	بُرُوجُ مَشِيدَةٍ

اللَّفَاظُ	شِرْحُهَا
إِنْ تُصْبِحُ الْيَهُودُ مَسَعَةً وَخَصْبًّا.	إِنْ تُصْبِحُهُمْ حَسَنةً
وَإِنْ تُصْبِحُ الْيَهُودُ بَلَيْةً وَجَحْدَبًّا.	وَإِنْ تُصْبِحُهُمْ بَلَيْةً
هَذِهِ الْمُسَيَّةُ بِسَبِّبِ شَعْمُكَ.	هَذِهِ مِنْ عَنْدِكَ

مُحَمَّلُ الْمَعْنَى

١ - فليقاتل في إعلاء كلمة الله الخالصون الباذلون أنفسهم في طلب ثوابه ،
الذين يبيعون دنياهم بشراء آخرها ، ولا يلتفت أحد منهم إلى تشويط
المكافرين والمنافقين عن القتال ، ومن يقاتل في سبيل الله ، سواء أغلب
أم غلَّب ، فله أجر عظيم عند الله ، وعليه أن يثبتُ في المعركة إلى نهايتها ،
حتى يُعزَّزَ الله ويكرمه ، إما بالاستشهاد ، وإما بالظفير .

— وأى عمر لكم أيها المؤمنون يدعوكم إلى الامتناع عن القتال في سبيل الله ،
وفي سبيل تخلیص المستضعفين من الرجال والنساء والولدان ، المذین
حبسهم الكفار عن الهجرة من مكة إلى المدينة ، وآذوههم واستهانو بهم ؟
فكان هؤلاء المستضعفون يجأرون بالدعاء إلى الله ، يقولون : ربنا انتجب
دعاعنا في إخراجنا من مكة إلى ظلمتنا أهلوها ، واجعل لنا من عندك ولیاً
يتولى أمورنا ، ويخلصنا من انتقامات الظالمين بنا ، واجعل لنا من عندك
نصيراً يرد علينا ظلمهم ، وينصرنا عليهم ، وقد انتجب الله دعاءهم ،
بأن يسر لهم الخروج إلى المدينة ، وجعل لمن بقي منهم بركة خير ولی "وناصر ،
ففتح رسول الله مكة ، فتوّلهم ونصرهم ، ثم انتجهم عليهم عتاب بن
أبي سید ، فحملواهم وأنصف مظلومهم من ظلم الظالمين ، حتى صاروا أعز
أهلها .

٣ — وأراد الله أن يرغّب المؤمنين في الجهاد ، ويشجعهم عليه ، فذكر أن المؤمنين يقاتلون في سبيل إعزاز الإسلام ، ودفع أذى المشركين عنهم ، أما الكافرون فإنهم يقاتلون في سبيل الحفاظ على الصوابية التي يحرضهم الشيطان على عبادتها من دون الله ، فقاتلوا يا أولياء الله الكفار أنصار الشيطان ، تنتصروا عليهم بقوّة إيمانكم ، وحسن يقينكم ، إن كيد الشيطان للمؤمنين بالنسبة إلى قدرة الله ضعيف واه ، فلا تخافوا أولياءه ، فإن اعتمادهم عليه إنما هو اعتماد على أضعف شيء وأوهنه .

٤ — وكان عبد الله بن عوف ، والمقداد بن الأسود ، وسعد بن أبي وقاص ، وغيرهم ، يلقون من المشركين أذى كبيراً وهم بمكة قبل الهجرة ، فيشكون إلى رسول الله ، يقولون له : ائن لنا يا رسول الله في قتال هؤلاء الكفار ، فإنهم قد آذونا ، فكان الرهيب يقول لهم : كُفُّوا أيديكم ، وأمسكوا عن القتال ، فإني لم أمرت به ، وإنما أمرت بالغفو ، والمعنى : أنه لم يدعوا إلى العجب ، أن الذين قلت لهم بمكة : كُفُّوا أيديكم عن مقابلة اعتداء الكفار بمثله ، واستغلوا بما أمرتم به ، من إقامة الصلاة ، وإيتاء الصدقات ، وكانوا حريصاً على الاستئثار في قتال الكفار بمكة ، لما فرض عليهم قتال المشركين ، وأمروا به بعد الهجرة ، إذا فريق منهم يخشون قتال الكفار ، كما يخشون نزول باسم الله بهم ، بل إن خشيتهم الكفار أشد أثراً في نفوسهم من خشية الله ، وقالوا — بجزءاً مما يتعرضون له من الملاك — ربنا ، لم فرضت علينا القتال في هذا الوقت ؟ هل آخرتنا إلى وقت قريب ، فقل لهم يا محمد — ترهيباً لهم فيما يوم سلو من المفجود عن القتال — : إن جميع ما يستمتع به الإنسان في هذه الدنيا صائر إلى الزوال ، وآثر إلى الغناء ، وهو هين حقير ، بالنسبة إلى ما في الآخرة ؛ وثواب الله فيها ، المنوط بتنفيذه

أمر الله ، خيرٌ من متع الدنيا لمن اتقى عقاب الله بترك معصيته ، وإنكم لا تُبَخِّسُونَ أدنى شيءٍ من ثواب أعمالكم ، مهمما يكن ضئيلاً ، فجاهدوا ، فأينما تكونوا : في سلْمٍ أو حرب ، يدرِكُوكُم الموت ، ولو كتمت في حصن مسْيَحة ، وفي هذا المعنى يقول زهير بن أبي سليمي في معلقته : ومن هاب أسباب المانيا ينلهه وإن يرْقَ أسباب السماء بِسِلْمٍ

٥ — ولما قدم رسول الله إلى المدينة مهاجرًا ، بسط الله الرزق لسكانها ، ولكن اليهود والمنافقين لما عادوه ، وابتغوا الفتنة بين المسلمين ، وأذاعوا المشائعتات السيئة ، أمسك الله عنهم بعض الإمساك ، وأرجحَهُم بقوتهم : ما زلت نعرف النقص في ثمارنا ومزارعنا ، مذ قدِم علينا هذا الرجل ، ونسوا ما أغدقه الله عليهم بسببه بعد قدومه ، فنزل : « وإن تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله . . . »، واعلمى : أن هؤلاء اليهود ، إن تصبهم خصب ونعمه وسعة ، يقولوا : هذه من عند الله ، وإن تصبهم بلية من جَدْب وقطط وغلاع أسمغار ، نسبوا هذه البلية إلى رسول الله ، وقالوا هذه يا محمد بسبب شؤمك ؛ وليس هذا غريباً على اليهود ، فقدِمَ كانوا في زمن موسى — وهو الذي خلَّصَهم من ظلم فرعون — إذا جاءتهم الحسنة قالوا : لنا هذه ، وإن تصبهم سيئة ، يطَيِّرُوا بموسى ومن معه ، فهذا دأبهم وعادتهم ، ينكرون الجميل ، ويتعامسون عنالمعروف ، فقل لهم يا محمد : إن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر حسب إرادته ، وهو المتصرف وحده في شئون عباده ، فإذا أصاب عقول هؤلاء اليهود والمنافقين ؟ وما لهم يتغابون ، ولا يكادون يفقهون أحسن الحديث الذي أنزله الله ، وهو القرآن الكريم ؟ إذ لو عَقَلُوا لعلموا أن الله وحده هو القاپض الباسط ، فإن أصابت الإنسان خير ونعمه فمن الله ، تفضل منه وإحساناً ، وإن أصابته

بليهَ فن نفسه ، لأنَه ارتكب من المعاشرى ما يستوجبها ؛ ولا ينافي هذا قوله في موضع آخر : قل كُلٌّ من عند الله ، فإنَ الكل من عنده إيجاداً وإ يصلًا ، غير أنَ الحسنة إحسان وامتنان ، والمسينة مجازة وانتقام ، وأرسلناك يا محمد للناس كافية رسولًا تبلغهم عنِّي ، وكفى الله شاهداً على رسالتك ، وتبلغ دعوتك ، بتأييدهك بالمعجزات الدالة على صدقك .

(٨)

مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ، وَمَنْ تَوَلَّ فَمَا
أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا . وَيَقُولُونَ : طَاعَةٌ ، فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ
عِنْدِكَ يَبْتَطِئُ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ ، وَاللَّهُ يَكْتُبُ
مَا يُبَيِّنُونَ ، فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ ، وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ، وَكَفِي بِاللَّهِ
وَكِيلًا . أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ؟ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ
لَوْ جَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا . وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ
أَوِ الْخُوفِ أَذَاعُوا بِهِ ، وَلَوْ رَدُوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولَى
الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعِلْمَهُ الَّذِينَ يَسْتَبْطُونَهُ مِنْهُمْ ، وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ
عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ لَا تَبِعُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا . فَقَاتَلُ فِي سَبِيلِ
اللَّهِ ، لَا تُكَلِّفُ إِلَّا نَفْسَكَ ، وَحَرَضَ الْمُؤْمِنِينَ ، عَسَى اللَّهُ
أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا ، وَاللَّهُ أَشَدُ بَأْسًا وَأَشَدُ تَنَكِيلًا .
مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا ، وَمَنْ
يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا ، وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ
شَيْءٍ مُّقِيتًا . وَإِذَا حُيِّمْ بِتَحْيَيْهِ فَحَيَوْا بِأَحْسَنِ مِنْهَا أَوْ رُدُودَهَا ،

إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا . اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ،
لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ، وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ
اللَّهِ حَدِيثًا ؟

شرح الألفاظ

شرحها	الألفاظ
ويقولون : لك من طاعة يا محمد . خرجوا من عندك .	ويقولون : طاعة برزوا من عندك
أخضرت طائفة منهم . يتسللون في أسماليبه و معانيه وغيرهما .	بيست طائفة منهم ينتبرون القرآن
إذا بلغهم خبر عن سرايا الرسول . اذاعوا به وأفسروه .	إذا جاءهم أمر أذاعوا به
لو سكتوا عنه حتى يخبر به الرسول . يتبعونه ويطلبون العلم به من الرسول وأولي الأمر .	لو ردوه إلى الرسول يسقطونه منهم
قاتل ولو وحدك ، ولا تهم بمن تخالف عنك . حُمُّم على القتال .	لا تكلف إلا نفسك حرض المؤمنين
قوة المكافرين في الحرب . والله أشد صولة وسلطاناً .	بأس الذين كفروا والله أشد بأساً
تعلديها بجعلهم عبرة لغيرهم . شفاعة يقصد بها وجه الله والحق .	تنكيلها شفاعة حسنة

شرحها	الألفاظ
نصيب من أجرها .	نصيب منها
نصيب من وزرها .	كفل منها
مقتدرأً .	مقيّتاً
قولوا مثلها .	رُدّوها
مجازياً .	حسبياً

جمل المعنى

١ — لما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من أحببَنِي فقد أحبَ الله ، ومن أطاعني فقد أطاع الله ، قال المنافقون : لقد قارفَ محمد الشرِّك وهو يهوي عنه ، ما يريد إلا أن نتخذه ربِّا ، كما اتخذت النصارى عيسى ربِّا ، فنزل قوله تعالى : « من يطع الرسول فقد أطاع الله » ، والمعنى : من يُطع الرسول المؤيد هنا بالمعجزات المدَّلة على صدقه ، فقد أطاع الله ، وعَسِّيل بما أمر به ، ومن أعرض عن طاعتك يا محمد ، فما أرسلناك عليهم حفيظاً تُحصى عليهم أعمالهم ، وتحاسبهم عليها ، فإنما عليك البلاع علينا الحساب ، ونزلت هذه الآية قبل الأمر بالقتال .

٢ — ويقول المنافقون إذا جاءوك ، أو أمرتهم أمراً : لك منا طاعة ، وامتنال لأمرك ، فإذا خرجوا من عندك ، زورت طائفة منهم ما قلت ، وبدلت ما أظهرته لك من القول ، فهئ تعلن الطاعة نهاراً ، وتدبّر غير ما تعلن ليلاً ، والله يُثبت ما يقولون في صفاتهم ، ليجازيَهم على نفاقهم واقترافهم يوم القيمة ، وينضيَّحُهم في الدنيا بما يُبيِّنه في كتابه ، فأعرض عنهم ،

وَلَا تبَالْ أَمْرُهُمْ ، وَلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ ، وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ، وَكُفِيْ بِاللَّهِ وَكِيلًا ،
تَغْوِضْ إِلَيْهِ أَمْرُكَ ، فَيَكْفِيْكَ مَضَرَّهُمْ ، وَيَنْتَقِمُ لَكَ مِنْهُمْ .

٣ — أَفَلَا يَتَأْمَلُونَ فِي الْقُرْآنِ ، وَيُسْعِمُونَ الْمَظَرِفَ فِيهِ ، وَيَتَبَصِّرُونَ فِي أَسْلوبِهِ
وَمَعْانِيهِ ، وَأَوْامِرِهِ وَنَوَاهِيهِ ، وَلَوْ كَانَ مِنْ كَلَامِ الْبَشَرِ كَمَا يَزْعُمُ الْكُفَّارُ ،
لَوْجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا: مِنْ حِيثُ تَنَاقْضُ مَعْانِيهِ ، وَتَغَاوِتُ نَظَمُهُ وَأَسْلوبُهُ ،
بَأَنْ يَكُونُ بَعْضُهُ فَصِيحًا ، وَبَعْضُهُ رَكِيْكًا ، يَسْهُلُ الْإِتَّيَانَ بِمُثْلِهِ ، وَمِنْ
حِيثُ مَطَابِقَةُ بَعْضِ أَخْبَارِهِ لِلْوَاقِعِ دُونَ بَعْضٍ ، وَمِنْ حِيثُ صَلَاحِيَّةِ بَعْضِ
أَحْكَامِهِ لِلزَّمَانِ وَالْمَكَانِ دُونَ بَعْضٍ .

٤ — وَكَانَ بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ إِذَا بَلَغُهُمْ خَبْرُ عَنْ سَرِيرَةٍ^(١) أَرْسَلُوهُمْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْغَزوَأَوْ نِحْوَهُ ، وَعَلِمُوا أَنَّ هَذِهِ السَّرِيرَةَ قَدْ أَمْنَتْ مِنْ
أَعْدَاءِهَا وَانْتَصَرَتْ عَلَيْهِمْ ، أَوْ خَيْفَ عَلَيْهَا مِنْهُمْ ، أَفْشَوُوا مَا عَلِمُوهُ ،
وَانْطَلَقُ لِسَانُهُمْ بِالْكَلَامِ فِيهِ ، خَفْفَةً وَطِيشًا ، فَيَتَأْذِي مِنْ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَمَا كَانَ يَلِيقُ بِالدَّهَمَاءِ أَنْ يُذْيِعُوا أَخْبَارَ الْحَرْبِ
وَأَسْرَارَهَا ، وَيَخُوضُوا فِي أَمْوَارِهَا وَسِيَاسَتِهَا ، فَإِنَّ الْحَرْبَ خُدُّعَةً ، وَيَجِبُ
تَرْكُ شَيْوَنَهَا لِلرُّؤْسَاءِ وَالْقَادِهِ ، وَلَوْ سَكَتُوا وَلَمْ يَذْيِعُوا مَا عَلِمُوهُ ، وَلَمْ يَحْدُثُوا
بِهِ أَحَدًا ، حَتَّى يَكُونَ رَسُولُ اللَّهِ وَأَوْلُو الْأَمْرِ مِنْ أَهْلِ الرَّأْيِ وَالْمَشْورَةِ مِنْ
كَبَارِ الصَّحَابَةِ ، هُمُ الَّذِينَ يُذْيِعُونَ مَا يَرَوْنَ إِذَا عَتَهُ ، لَعَلَّكُمْ تَلَكَ الْأَخْبَارُ
مِنْ يَبْحَثُونَ عَنْهَا ، وَيَهْمِمُهُمْ أَمْرُهَا ، مِنْ مَصَادِرِهَا الصَّحِيحَةُ ، وَلَوْلَا تَفْضَلُ
اللَّهُ عَلَيْكُمْ أَيْمَانَ الْمُسْلِمِينَ بِالْعَفْوِ عَنْكُمْ ، وَرَحْمَتُهُ بِمَا هَدَاكُمْ إِلَيْهِ مِنْ طَاعَتِهِ ،
لَا تَتَبَعِّمُ وَسُوسِهِ الشَّيْطَانِ ، فَأَفْسَدْتُمْ عَلَى الْأَمَّةِ سِيَاسَتَهَا ، وَخَرَجْتُمْ عَنْ حَدَودِ

(١) جماعة من المسلمين كان يرسلهم رسول الله لمقاتلة قريش ومناوئتهم، في أثناء تردددهم بين مكة والجهات الأخرى، كالشام والطائف للتجارة، وبعدها سرايا، وكان النبي يرأس بنفسه بعض السرايا.

الدّين ، إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ مِنْ أَصْحَابِ الْبَصَائِرِ الْمَنَافِذَةِ ، وَالْعَقُولِ الْأَرْجِحَةِ .
٥ — وَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمُسْلِمِينَ إِلَى الْخُرُوجِ فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ
الْمُصْغَرِيِّ فِي شَعْبَانَ ، سَمَّنَةً أَرْبَعَ مِنَ الْهِجَرَةِ ، تَحْتَ إِمْرَتِهِ ، وَكَانَتْ
هَذِهِ الْغَزْوَةُ بَعْدَ غَزْوَةِ بَدْرِ الْكَبِيرِ ، الَّتِي كَانَتْ فِي رَمَضَانَ ، فِي الْمَسْنَةِ
الثَّانِيَةِ لِلْهِجَرَةِ ، وَغَزْوَةُ أَحَدٍ ، الَّتِي كَانَتْ فِي شَوَّالٍ ، فِي الْمَسْنَةِ الْثَالِثَةِ
لِلْهِجَرَةِ ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ قَدْ تَوَاعَدَ مَعَ أَبِي سَفِيَّانَ عَلَى الْلَقَاءِ بَبَدْرٍ ،
فَكَرِهَ بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ الْخُرُوجَ لِلْقَتَالِ ، وَتَنَاقَلُوا : فَنَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى :
«فَقَاتَلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، لَا تَكْلِفُ إِلَّا نَفْسَكَ . . .» ، فَخَرَجَ فِي سَبْعِينِ
رَجُلًا ، وَأَقْامَ بَبَدْرٍ ثَانِيَ لَيَالٍ يَنْتَظِرُ أَبِي سَفِيَّانَ ، وَخَرَجَ أَبُو سَفِيَّانَ فِي
أَهْلِ مَكَّةَ ، حَتَّى نَزَلَ جَنَّةً مِنْ نَاحِيَةِ مَرَّ الظَّهَرَانَ ، ثُمَّ بَدَأَهُ أَنْ يَرْجِعَ .
فَقَالَ : يَا مُعْشَرَ قُرَيْشٍ إِنَّهُ لَا يُصْلِحُكُمْ إِلَّا عَامَ خَصِيبٌ تَرْعَوْنُ فِيهِ
الشَّجَرَ ، وَتَشَرِّبُونَ فِيهِ الْلَّبَنَ ، وَإِنْ عَامَكُمْ هَذَا عَامٌ جَدْبٌ ، وَإِنِّي رَاجِعٌ
فَارْجِعُوا ، ثُمَّ عَادَ رَسُولُ اللَّهِ وَمَنْ مَعَهُ إِلَى الْمَدِينَةِ سَالِمِينَ ، وَانْقَلَبُوا بِنَعْدَةٍ مِنَ
اللَّهِ وَفَضَلَ لَمْ يَمْسِسْهُمْ بِمَوْعِدٍ ، وَمَعْنَى الْآيَةِ : فَقَاتَلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَا مُحَمَّدُ ،
وَلَا تَهْتَمْ بِمَنْ يَشْبَطُ أَوْ يَخْالِفُ ، وَلَا كُنْتَ وَحْدَكَ ، إِنَّ اللَّهَ نَاصِرُكَ ،
لَا تَكْلِفُ إِلَّا نَفْسَكَ ، وَتَقْدِمُ لِلْجَهَادِ وَإِنْ لَمْ يَسْاعِدُكَ أَحَدٌ ، عَسَى اللَّهُ
أَنْ يَكْفُفَ عَنْكَ بِأَسْ كَفَارَ قُرَيْشٍ ، وَاللَّهُ أَشَدُ مِنْهُمْ صُولَةً وَسُلْطَانًاً ،
وَأَشَدُّ عَقُوبَةً تَجْعَلُهُمْ عَبْرَةً لِغَيْرِهِمْ ، وَقَدْ كَفَفَ اللَّهُ بِأَسْ الْكَفَارِ عَنِ الْمُسْلِمِينَ كَمَا
فَعَلَ ، بِإِلَقاءِ الرُّعبِ فِي قُلُوبِهِمْ ، وَنَكَلَ أَبِي سَفِيَّانَ عَنِ لَقَاءِ الْمُسْلِمِينَ كَمَا
ذَكَرْنَا ، مَعَ أَنَّهُ هُوَ الَّذِي نَادَى عِنْدَ اِنْصِرَافِهِ مِنْ أَحَدٍ : يَا مُحَمَّدُ ، مَوْعِدُنَا
مُوسَمٌ بَبَدْرٍ الْقَابِلُ إِنْ شَئْتَ ، فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : إِنْ شَاءَ اللَّهُ
تَعَالَى ، (تَرَاجَعَ صَفْحَةُ ٧١ مِنْ تَفْسِيرِ الْبَخْرُوزِ الْرَّابِعِ عِنْدَ قَوْلِهِ : الَّذِينَ
قَالَ لَهُمُ النَّاسُ : إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ . . .) .

٦ - من يشفع شفاعة حسنة ، يراعى فيها إيصالُ حق مسلمٍ إليه ، أو دفعُ ضر عنه ، أو جلب منفعةٍ إليه ، من غير أن يتحقق بغيره ضرر من جرائها ، ابتعاد وجه الله ، يكن له نصيبٍ من ثوابها ، ومن الشفاعة الحسنة : السعي في الصلح بين الناس ، وفن يشفع شفاعة هميّة ، كالشفاعة في حد من حدود الله ، أو أن يكون السببُ فيها الوصول إلى غرض دنيء ، يكن له نصيبٍ من الؤزير بسببها ، وكان الله على كل شيء مقتدرًا ، فيجازى كل إنسان على عمله .

٧ - ومن الآداب التي تزيد المحبة بين الناس التحية ، فإذا قابلنا أحداً من أصحابنا أو أقاربنا ، أو جيراننا ، أو أهل الخير والصلاح منا ، فن الأدب الذي يستحسن الشرع ، أن نلقاه بالتحية ، لتصفو القلوب ، وتعظم المودة ، والمستحسن في رد التحية أن يكون الرد بأحسن منها ، وتحية الإسلام : السلام ، قال تعالى : « تحيتهم يوم يلقونه سلام » ، فإذا قال الحبيس : السلام عليكم ، قال من يرد عليه : وعليكم السلام ورحمة الله ، وإذا قال الحبيس : السلام عليكم ورحمة الله ، فن المستحسن أن يقول من يرد عليه : وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته ، فإذا لم يرد الحبيس الزيادة على تحية الحبيس أو لم يكن هناك موضع للزيادة ، فينبغي أن تردد التحية بمثلها ، لا بأقل منها ؛ والرد واجب وجوب كفائية ، فإذا رد أحد من جماعة أجزاء عنهم ، ويسلم المراكب على الماشي ، والصغير على الكبير ، والقائم على القاعد ، والقليل على الكبير ، ولا يجوز السلام في أثناء خطبة الجمعة ، ولا في أثناء قراءة القرآن ، ولا في الحمام ، ولا في أثناء قضاء الحاجة ، والله مطلع على أعمال العباد وأقوالهم ، فيحاسب كلاً منهم على حسب ما يستحق .

٨ — الله واحد لا شريك له ، وهو القاهر فوق عباده ، يضع الموازين العادلة
ليوم القيامة ، فلا تظلم نفس شيئاً ، وينشر جميع الخلاائق فيه ، وكان
ذلك حتماً مقتضياً ، لا شك فيه ولا مراء ، أأنبأنا به المولى جل وعلا فيما
أنزله على رسوله من المذكر الحكيم ، ومن أصدق من الله قيلا .

(٩)

فَمَا لَكُمْ فِي الْمَنَافِقِينَ فِتَّيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا ؟
أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَ اللَّهُ ؟ وَمَنْ يُضْلِلُ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ
سَبِيلًا . وَدُوَا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكْدُونَ سَوَاء ، فَلَا
تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّى يَهْاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، فَإِنْ تَوَلُّوْا
فَخَذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدُوكُمْ ، وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا
وَلَا نَصِيرًا . إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيشَاقٌ ،
أَوْ جَاهَوْكُمْ حَسْرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا
قَوْمَهُمْ ، وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَطَطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ ، فَإِنْ
يَعْتَزِلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَامَ ، فَمَا جَعَلَ اللَّهُ
لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا . سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمُنُوكُمْ
وَيَأْمُنُوا قَوْمَهُمْ ، كُلُّمَا رُدُوا إِلَى الْفِتْنَةِ أَرْكَسُوا فِيهَا ، فَإِنْ لَمْ
يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَامَ وَيَكْفُوا أَيْدِيهِمْ ، فَخَذُوهُمْ
وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِيقَتْ مُؤْمِنُهُمْ ، وَأَوْلَئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ
سُلْطَانًا مُبِينًا .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
فَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فَتَعْلِمُونَ؟	لَا صَرَمْ فِي شَأْنِ الْمُنَافِقِينَ فَرِيقَيْنِ مُخْتَلِفِيْنَ؟
أَرْكَسُهُمْ بِمَا كَسَبُوا	رَدَّهُمْ إِلَى حُكْمِ الْكُفَّارِ بِسَبَبِ ارْتِدَادِهِمْ .
أُولَئِكَ	أَنْصَارًا وَأَعْوَادًا وَأَصْدِقَاءَ .
حَتَّى يَهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَسْعَلُونَ	{ حَتَّى تَتَحَقَّقُوا صَدْقَ إِيمَانِهِمْ ، بِهِجْرَتِهِمْ إِلَى الْمَدِينَةِ ، فِي سَبِيلِ إِعْلَاءِ دِينِ اللَّهِ .
حَصَرَتْ صَدَرَهُمْ لِسَلَطْتُهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتُهُمْ الْمُسْلَمَ	صَاقَتْ صَدَرَهُمْ . لَقُوَّى قَلُوبُهُمْ فَقَاتَلُوكُمْ ، وَلَكُنْهُ لَمْ يَشَأْ . الْمُصْلِحُ وَالْمُسْتَسِلَّمُ وَالْمُنْقِيَادُ .
يَرِيدُونَ أَنْ يَأْمُنُوكُمْ وَيَأْمُنُوا قَوْمَهُمْ رُدُّوا إِلَى الْفَتَنَةِ أَرْكَسُوا فِيهَا فَإِنَّ لَمْ يَرْكُوا قَاتَلُوكُمْ ثَقْفَتُهُمْ وَهُمْ سَلَطَانًا مَبِينًا	يَرِيدُونَ أَنْ يَأْمُنُوكُمْ . وَيَأْمُنُوا قَوْمَهُمْ . رُدُّوا إِلَى الْفَتَنَةِ . أَرْكَسُوا فِيهَا . فَإِنَّ لَمْ يَرْكُوا قَاتَلُوكُمْ . وَجَدُّهُمْ . حَجَّةٌ وَاضْحَى .

محمل المعنى

١ - خرج جماعة من مكة إلى المدينة وأسلموا ، ثم استأذنوا الرسول في الرجوع إلى مكة ، ليأتوا ببعضائهم لهم كانت في مكة يتجررون فيها ، فعادوا إلى مكة ،

وارتدوا عن الإسلام ، وجاء خبرهم إلى المدينة ، فاختلف المسلمين في أمرهم ، ففريق يقول : هم منافقون يستحقون القتل ، وفريق دعا إلى التریث في أمرهم ، فأذن الله تعالى : « فَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فَتْيَنٌ . . . » ، والمعنى : ما لكم أيها المسلمين فريقين مختلفين في أمر هؤلاء المنافقين ، وقد ردتهم الله إلى حكم الكفار ، بعد أن ارتدوا وتحولوا إلى المشركيين ؟ أ يريد المداعي إلى التریث في أمرهم ، بعد أن ثبت ارتدادهم ، أن يحاول الحال ، بأن يهدى من قضمت مشيئة الله أن يضليل عن الحق ، لعدم صدق إيمانه ؟ ومن قضى الله بإضلالة لما اقترف من المعاصي ، فلن يستطيع أحد أن يجد له سبيلا إلى الهدایة .

٢ — لقد تمنى هؤلاء المنافقون أن تكونوا أنتم وهم سواء في الكفر والضلال ، فلا تخذلوا منهم أصدقاء وأنصاراً ، وإن تظاهروا بالإيمان ، إلا بعد أن تتحققوا من إيمانهم بهجرتهم إلى المدينة ، في سبيل إعلاء دين الله ، لا لغرض آخر من أغراض الدنيا ، فإن أعرضوا عن الهجرة ، والإيمان الصادق الذي لا يشوبه غرض ولا رباء ، فخذلوكم أسرى ، واقتلوهم حين تظاهرون بهم ، في أي مكان وجدتموه ، في حل أو حرام ، ولا تخذلوا منهم معيناً ولا ناصراً .

٣ — إلا الذين يلجهون إلى قوم عاهدوكم على عدم محاربتكم — كقبيلة خزانعة — أو الذين جاعوكم يعلنون حيادهم ، والكف عن قتالكم وقتل قومهم ، ضيققة صدورهم عن أن يقاتلوكم أو يقاتلوا قومهم — وهم بنو مدديج — فلا تتعرضوا لهم بما يسوعهم ، ولو شاء الله لسلطهم عليكم ، فقوّي قلوبهم ، وأزال الرعب من نفوسهم ، فلقاتلوكم ، ولم يكشفوا عنكم ، ولكنه لم يشا ، ولقي الرعب في قلوبهم منكم ، فإن لم يقاتلوكم ، ولم

يَعْرِضُوا لَكُمْ ، وَاسْتَسْلَمُوا وَانْقَادُوا إِلَيْكُمْ ، فَلَا تَتَخَذُوا أَيْةً وَسِيلَةً لِمَعَادِهِمْ .

٤ - سَتَجِدُونَ آخَرِينَ مِنَ الْكُفَّارِ مَرَأَيْنِ مُرْتَدِّيْنِ ، لَا يَطْلَبُونَ إِلَّا سَلَامَةً أَبْدَاهُمْ ، وَالْأَطْمَشَانَ عَلَى أَهْوَاهُمْ ، يَرِيدُونَ أَنْ يَأْمُنُوكُمْ بِإِظْهَارِ الإِيمَانِ عِنْدَكُمْ ، وَيَأْمُنُوا قَوْمَهُمْ بِإِظْهَارِ الْكُفَّرِ لَهُمْ ، كُلَّمَا دَعَوْا إِلَى الشُّرُكَ أَوْ إِلَى قَتْلِكُمْ ، عَادُوا إِلَى طَبِيعَتِهِمْ مِنَ النُّفُاقِ وَالْغَدَرِ ، وَانْقَلَبُوا عَلَيْكُمْ أَشَدَّ انْقِلَابٍ ، فَإِنْ لَمْ يَعْتَزِلُوكُمْ بِتَرْكِ قَتْلِكُمْ ، وَلَمْ يُسْلِقُوكُمْ زَمامَ مَسَالِمِهِمْ بِالصَّفَةِ الَّتِي تَتَّقَوْنَ بِهَا ، وَلَمْ يَكْفُسُوا عَنْ قَتْلِكُمْ ، فَخَذُلوهُمْ أَسْرَى ، وَاقْتَلُوهُمْ فِي أَىِّ مَكَانٍ وَجَدُّهُمْ فِيهِ ، وَأَوْلَشُوكُمُ الْمُتَّافِقُونَ الْغَادِرُونَ ، جَعَلُنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ بِرَهَاذًا بَيْنَنَا ، وَحِجَةً وَاضْحَىَةً ، عَلَى التَّعْرُضِ لَهُمْ بِالسَّبَبِيِّ وَالْقَتْلِ ، لَظَهُورُ عَدَاوَتِهِمْ ، وَوَضُوحُ كُفَّرِهِمْ وَعَنْدِهِمْ ، وَهَذَا يَقْتَضِي أَنَّهُمْ إِذَا اعْتَزَلُوكُمْ قَتْلَ الْمُسْلِمِينَ وَصَالِحَوْهُمْ ، وَكَفَّوْا أَيْدِيهِمْ عَنْ قَتْلِهِمْ ، لَمْ يَجِزْ قَتْلُهُمْ وَلَا قَتْلُهُمْ ، لَأَنَّهُمْ يَدْخَلُونَ تَحْتَ حُكْمِ قَوْلِهِ تَعَالَى : « لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الْمَذِينَ لَمْ يَقْاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ ، وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ، أَنْ تَبْرُوْهُمْ وَتَسْطُوا إِلَيْهِمْ » .

(١٠)

وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً ، وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقْبَةِ مُؤْمِنَةٍ ، وَدِيَةٌ مُسَالَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدِّقُوا ، فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ، فَتَحْرِيرُ رَقْبَةِ مُؤْمِنَةٍ ، وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ يَنْفَعُكُمْ وَيَنْهَا مِنْاقٌ ، فَدِيَةٌ مُسَالَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ ، وَتَحْرِيرُ رَقْبَةِ مُؤْمِنَةٍ ، فَمَنْ لَمْ يَحْدِ فَصِيَامٌ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ ، وَكَانَ اللَّهُ عَلَيْمًا حَكِيمًا . وَمَنْ يَقْتُلُ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا ، وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ ، وَلَعْنَهُ ، وَأَعْدَدَ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً	{ ما ينبغي أن يحدث من المؤمن قتل لأخيه المؤمن غير حق .
فَتَحْرِيرُ رَقْبَةِ مُؤْمِنَةٍ	{ فعليه عتق عبد أو أمة من المؤمنين ، يكون المعتنق بعدها حرّاً .
دِيَةٌ	{ مال يعطيه القاتل لأهل القتيل ، بدل إزعاج النفس .

شرحها	الألفاظ
إلا أن يتنازل أهل القتيل عن المدية . معاهدة .	إلا أن يَصْدَّ قوا ميشاق
فإن لم يجد الرقبة التي يعتقها .	فإن لم يجد

بعد أن بين الله أحكام قتل المخالفين ، وأحكام الذين يعا هدون المسلمين على المسلم ، وأحكام أهل الغدر والخداع ، ناسب أن يعقب هذه الأحكام بأحكام قتل من لا يحتج قتله ، من مؤمن ومعا هد وذمي ، خطأ كان القتيل أو عمداً ، وحدث أن كان عياش بن أبي ربيعة ، أخو أبي جهل وأنه الحارث لأمهما ، أسلم وهواجر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاشتاقت أمه إليه ، ورغبت في لقائه ، وحلفت ألا يُظْلِمُها سقف بيت حتى تراه ، فسار أبو جهل وأخوه الحارث حتى قَدِّ ما المدينة ، وأخبرا عياشاً بما لقيت أمه ، وسألاه أن يرجع معهما إلى مكة ، وأعطيه موثقاً ، أن يُخْكَلَ ياسيريه ، بعد أن تراه أمه ، فلما خرجا من المدينة ، عمدا إلى أخيهما عياش فشدّاً وثاقه ، وجلدها نحو مائة جلد ، وأعندهما عليه رجل من كنانة ، فحمل عياش ليقتلنَ الكنانى إن قدر عليه ، وقدم أبو جهل وأخوه الحارث إلى مكة ، وحبسا عياشاً ، فلم يزل محبوساً حتى فتحت مكة ، فأطلق من حبسه ، ولقي عياش الكنانى – وكان قد أسلم – ولم يعلم عياش بإسلامه ، فصر به حتى قتله ، فنزل قوله تعالى : « وما كان المؤمن أن يقتل مؤمناً إلا خطأ » .

مجمل المعنى

١ - لا ينبغي ولا يليق بالمؤمن أن يقتل مؤمناً بغير حق يستوجب القتل ، ولكن قد يقع القتل خطأ ، فإن أراد القاتل رمى صيد أو هدف ، فأصاب مؤمناً ،

أو ضربه بما لا يقتل عادة ، كأنه ضربه باليد أو بعصاً ، أو خرج من مُسْلِمٍ رصاصته من غير قصد ، فأصابت من مؤمن مقتلاً — فإن حصل شيء من هذه روعيت الأحكام الآتية :

ا — إن كان القتل في دار الإسلام ، فكفارته عتق عبد مؤمن ، أو أمة مؤمنة ، من الرّقّ ، وتأدية دية تسلّم إلى أهل المقتول ، يقتسمونها كما يقتسمون الميراث ، تطبيباً لقولهم ، وتعويضاً عمّا فاتهم من النفقة التي حرموها بقتل المقتول .

ب — وإن كان المقتول في دار كفار محاربين ، وقد أسلم وأثر الإقامة مع قومه ، كأنه خرج يرعى عنده فقتل ، فكفارته عتق عبد مؤمن ، أو أمة مؤمنة ، من الرّقّ ، ولا تدفع دية لأهل المقتول ، لأن دفع المدية لأهل المقتول في دار الكفار ، يعيّنهم على عداوة المسلمين ، ويقوّيهم ، ويشد أزرهم .

ج — وإن كان المقتول من قوم من الكفار ، بينهم وبين المسلمين معاهدة على السّلّم ، أو كانوا من أهل النّدمة ، فكفارته كما تقدم في حرف ا ، لكن لا يأخذن المدية إلا أهله من المسلمين إن وجدوا ، إذ لا يرث الكافر المسلم .

والدية : مائة من الإبل ، أو قيمتها وهي ألف دينار ذهبياً ، أو اثنا عشر ألف درهم فضة ، ودية اليهودي والنّصراني ثلث دية المؤمن ، ودية الحبوسي ثلاثة عشر دية المسلم ($\frac{۲}{۳} . ۶$) ، ولأهل المقتول أن يعفوا عن القاتل ، ويتنازلوا باختيارهم عن المدية ، فمن لم يجد رقبة مؤمنة يحررها ، فعليه صيام شهرين متتابعين ، لا فاصل بين أيامهما ، فإن أفتر بين أيامهما بغير عنبر شرعى ،

استأنف الصيام من أوله ، وذلك لأجل أن يستحق " توبة الله عليه " ، وكان الله
عليهم بحال خلقه ، حكيمًا فيها دبره بشأنهم .

٢ — أما القتل العمد فلا كفارة له ، فمن يقتل مؤمناً متعمداً ، بأدابة من شأنها
في الغالب أن تقتل ، فجزاؤه جهنم ، يظل فيها أبداً بعيداً ، ويغضب الله
عليه ، ويبعده من رحمته ، ولا يقبل توبته ، ويعنده به علناً بآعظيمًا .

(١١)

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ، إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا ، وَلَا
تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ : لَسْتَ مُؤْمِنًا ، تَبَتَّغُونَ
عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمٌ كَثِيرَةٌ ، كَذَلِكَ كُنُتُمْ
مِّنْ قَبْلُ ، فَمَنْ أَنْهَا اللَّهُ عَلَيْكُمْ ، فَتَبَيَّنُوا ، إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ
خَبِيرًا . لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولَئِي الضَّرَرِ ،
وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ، فَضَلَّ اللَّهُ
الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً ، وَكُلَّا
وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى ، وَفَضَلَّ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا
عَظِيمًا ، دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ، وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
ضربتم في سبيل الله	سافرتم وذهبتم للغزو .
فتبيّنوا	فتريشوا فيما يصلون منكم ، ولا تعجلوا .
ألقى إليكم السلام	حياكم تحية الإسلام .

شرحها	الألفاظ
مِتَاعُ الْمَدْنِيَا مِنَ الْعَنَائِمِ .	عَرَضُ الْحَيَاةِ الْمَدْنِيَا
كُنْتُمْ أَوْلَى مَا اعْتَقَمُ الْإِسْلَامُ تُخْفِنُ إِسْلَامَكُمْ .	كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِ
الْمَقَاعِدُونَ عَنِ الْجَهَادِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ .	الْمَقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ
سَمِوِّي مِنْ مَنْعِتِهِ عَلَةٌ عَنِ الْجَهَادِ .	غَيْرُ أَوْلَى الضررِ
وَكَلَّا وَعَدَ اللَّهُ الْحَسْنَى .	وَكَلَّا وَعَدَ اللَّهُ الْحَسْنَى

جمل المعنى

١ - بَعْثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَرَيْتَهُ عَلَيْهَا أَمْمَاتَةَ بْنَ زَيْدَ إِلَى بَنِي ضَمَرَةَ ، فَلَقِي رَجُلًا مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ: مِرْدَاسُ ، وَمَعْهُ غُنْيَيْهَةُ وَجَملُ أَحْمَرُ ، فَأَوْيَ مِرْدَاسَ إِلَى كَهْفٍ فِي جَبَلٍ ، وَوَضَعَ فِيهِ غُنْيَيْهَةَ ، وَتَبَعَهُ أَمْمَاتَةُ وَمَنْ مَعَهُ ، فَلَمَّا وَصَلُوا إِلَى الْكَهْفِ أَقْبَلَ عَلَيْهِمْ مِرْدَاسُ ، فَقَالَ لَهُمْ: إِنَّ الْإِسْلَامَ عَلَيْكُمْ ، أَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، فَشَدَّ عَلَيْهِ أَسَمَّةً فَقُتِلَهُ ، وَاسْتَاقَ غُنْيَيْهَةَ وَجَملَهُ ، وَكَانَ أَسَمَّةً يُحِبُّ إِذَا بَعْثَهُ النَّبِيُّ لِأَمْرٍ أَنْ يُشْتَنَّ عَلَيْهِ خَيْرًا ، وَيُسَأَلُ عَنْهِ أَصْحَابَهِ ، فَلَمَّا رَجَعَ هُوَ وَمَنْ مَعَهُ ، لَمْ يُسَأَلُ الرَّسُولُ أَصْحَابَهُ عَنْهُ ، كَمَا كَانَ يَنْتَظِرُ ، فَقُعْصَ مِنْ كَانَ مَعَهُ عَلَى الرَّسُولِ مَا حَدَثَ ، وَهُوَ مَعْرُضٌ عَنْهُمْ ، فَلَمَّا أَكْثَرُوا عَلَيْهِ ، رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى أَسَمَّةَ ، وَقَالَ لَهُ: كَيْفَ أَنْتَ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؟ فَقَالَ أَسَمَّةَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّمَا قَالَهَا مَتَعَوِّذًا ، حَتَّى لَا نُصْبِيهِ بِسَوْعَ ، فَقَالَ عَلَيْهِ الْمُصْلَةُ وَالْإِسْلَامُ مَؤْنَبًا : هَلَّا كَشَفْتَ عَنْ قَلْبِهِ فَنَظَرْتَ إِلَيْهِ ، فَنَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى : « يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ . . . » ، وَالْمَعْنَى: يَأَيُّهَا الَّذِينَ

آمنوا إذا خرجم للغزو ، فتبينوا حقيقة ما تأتون وما تذرون ، ولا تعجلوا فيما تفعلون من غير رؤية ولا تدبر ، فلا تقولوا لمن حيَاكم تحيية الإسلام للدلالة على إسلامه ، والبرهنة على أنه من أهل ملتكم : لست مؤمناً ، فتفتنواه طلباً لعرض من أعراض الدنيا الزائلة ، فإن عند الله معانيم كثيرة يُغنمُوها ، فالمتسوها عنده ، ولا تربوا في الإسلام من أعلن إليكم إسلامه ، وقطنوا أنه غير مسلم ، فقد كنتم أول ما اعنتقتم الإسلام تخفون إيمانكم عن المشركين ، وأنتم مقيمون بينهم ، من غير أن يتعرّض أحد للكشف عن صفاتكم وقلوبكم ، فمن الله عليكم بإشهار إيمانكم ، وإعزاز دينكم ، وأعلنتم الإسلام بعد أن كنتم تكتمونه ، فافعلوا بمن يدخلون في دين الإسلام ما كنتم تودون أن يفعله المشركون بكم ، ولا تبادروا إلى قتل من يعلنون إسلامهم ، لمجرد الظن أنهم نطقوا بالشهادتين اتقاء وحفاً ، إن الله كان خيراً بأعمالكم الظاهرة والباطنة ، يجازيكم عليها ، إن خيراً فخير ، وإن شرًا فشر .

٢ — وحدث أن كان زيد بن ثابت يكتب بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم في كتيف : « لا يستوى المقاعدون من المؤمنين ، والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم » ، وكان عبد الله بن أم مكتوم ابن خال المسيدة خديجة حاضراً ، فقال : يا رسول الله ، قد أنزل الله في فضل الجهد ما أنزل ، وأنا رجل ضرير ، فهل لي من رخصة ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : لا أدرى ، قال زيد بن ثابت — وكان قلبي رطباً لم يجف — : فنزل الوحي على الرسول ، فوقع في خلدِه على فخليد ، حتى خشيت أن ترضاها : (تدقها) ، ثم سرّى عنه ، فقال : اكتب يا زيد : « لا يستوى المقاعدون من المؤمنين . غير أولى النضر » ، والمعنى : لا يستوى في الأجر عند ج ٥ (٥)

الله من قعدوا عن الجهاد من غير علَّةٍ ، ومن جاهدوا في سبيل الله
بأموالهم وأنفسهم ، فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين من
غير علَّةٍ درجة ، وكلاً المريدين ، وعده الله الحسنة لحسن عقيده ،
وخلوص ذيته ، والتفاوت فقط في الأجر والثواب ، فأعطى الله المجاهدين
أجراً عظيماً ، يتمثل في رفع منازلهم في الكرامة ، وغفرة ذنوبهم ، ورحمة يخصهم
بها الرحمن ، فضلا منه وإحساناً ، وكان الله غفوراً لمن ينصره فيما عسى
أن يفرط منه ، رحيماً بأهل طاعته .

(١٢)

إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا : فِيمَا كُنْتُمْ
قَالُوا : كُنَّا مُسْتَضْعِفِينَ فِي الْأَرْضِ ، قَالُوا : أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ
اللَّهِ وَاسِعَةً فَتَهَاجِرُوا فِيهَا ؟ فَأَوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ، وَسَاءَتْ
مَصِيرًا . إِلَّا الْمُسْتَضْعِفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوَلَدَانِ ،
لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً ، وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ، فَأَوْلَئِكَ عَسَى اللَّهُ
أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ ، وَكَانَ اللَّهُ عَفْوًا غَفُورًا . وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ
اللَّهِ يَجِدُ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ، وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ
بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يَدْرِكُهُ الْمَوْتُ ، فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ
عَلَى اللَّهِ ، وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا . وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ
فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ ، إِنْ خَفْتُمْ أَنْ
يَفْتَنَنَّكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا ، إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ
عَدُوًّا مُّبِينًا .

شرح الألفاظ

شرحها	الألفاظ
إن الذين يستوفون آجايهم ، وتقبض الملائكة أرواحهم .	إن الذين توفاهم الملائكة
وقد ظلموا أنفسهم بتعرضاها لعقاب الله ، لتركهم الهجرة لنصرة الرسول .	ظلمى أنفسهم
قال لهم الملائكة موّبخين .	قالوا
في أي شيء كنتم من أمر دينكم ؟ مُتّحولاً ، ومُهاجراً ، ومذهباً .	فِمْ كُنْتُمْ مُّرَأَمْ
يَمْتَ في طريق هجرته . تصلوا الركعات الأربع ركعتين . ينالكم الكفار بمكره .	يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ يَفْتَنُوكُمُ الْكُفَّارُ كَفَرُوا

مجمل المعنى

- لما بيّن الله حال المؤمنين القاعدين عن الجهاد ، عقبه بحال القاعدين عن الهجرة ، وكان جماعة بمكة قد أسلموا ، فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، انقسم من بقي منهم بمكة فريقين :
 - فريقاً كره أن يهاجر ، وأثر المبقاء بمكة مع قدرته على الهجرة ، اضعف إيمانه ، ولما له من مصالح دنيوية بمكة .

ب — وفريقاً كان مستضعفناً مضطهداً ، لا قوة له ، وليس له أولياء يحمونه ، وهو مع منْعه من الهجرة قسراً ضعيف فقير ، ويُلحق بهما الفريق : المساء والصبيان .

أما الفريق الأول ، فقد بَيَّنَ الله أنهم حين يستوفون آجالهم ، وتفبيض الملائكة أرواحهم ، يذكّرُونَهم بأنهم ظلموا أنفسهم ، بتعريفها لعنادِ الله يوم القيمة ، لعودهم عن الهجرة التي أوجبها الله عليهم ، ونكوصهم عن نُصرة الرسول وتأييده ، وإقامتهم بدار الكفر ، مع قدرتهم على الهجرة ، يقول الملائكة لهم توبياخاً لهم : في أي شيء كنتم من أمر دينكم ؟ فيجيبون معتذرين عن تقصيرهم ، ملائكة ملائكة لأنفسهم معذرةً ضعيفةً وجحدهً واهيةً : كنا مستضعفين في الأرض ، يستضعفونا أهل الشرك في أرضنا وببلادنا ، بقوتهم وكثرة عددهم ، ويعنوننا من أتباع رسول الله ، فيقول لهم الملائكة : لم تكن أرض الله وادعة ، فتخرجو من أرضكم ، وتفارقوا أهل الشرك ، وتحرروا أنفسكم من رق الذلّ ؟ فهؤلاء مصيرهم في الآخرة جهنم ، وبئس المصير مسكنناً وموئلي .

وأما الفريق الثاني من المستضعفين حقيقة من رجال ونساء وصبيان ، وهم الذين عجزوا عن الهجرة لوقوف الكفار في سبيلهم ، أو للعسرة وقلة الحيلة ، أو جهل الطريق من دار الشرك إلى دار الإسلام ، ولو خرجوا هلكوا لقلةِ الزاد وعدم الراحلة ، فهؤلاء لعل الله أن يغفّرَ عنهم ، ويتنصل بالصفح عنهم ، إذ لم يمكثوا بمكّة اختياراً ، ولا إيشاراً لدار الكفر على دار الإسلام ، وإنما للعجز الذي هم فيه عن النّقلة ، وكان الله عفوًّا عن عباده ، ذا صفحٍ ومغفرة لمن يرجعهم .

٢ — ومن يهاجر في سبيل إعلاء دين الله ، يجد في الأرض مكاناً يتحول إليه ،

ومستوطناً ياجأ إلينه ، ومتسعًا يتخلّص فيه مما كان يلقاه من ضيق بين المشركين ، وذلّهم وهوانهم ، وكان جنْدُبُ بن صخرة قد بلغه وهو بمكة قوله تعالى : « إنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمٍ أَنفُسُهُمْ . . . » ، فقال لبنيه — وكان شيخاً كبيراً مريضاً — : أحملوني ، فإنني لست من المستضعفين ، ولا أبكي بمكة بعد أن علمت ما علمت ، فحملوه على سرير ، فلما بلغ التنعيم — وهو موضع على بعد فرسخين من مكة — أشرف على الموت ، فأخذ يصدق بيته على شاهله ، ويقول : اللهم هذه لك ، وهذه لرسولك ، أبأيتك على ما بائك عليه رسولك ، ثم مات ، فلما علم بأمره الصحابة في المدينة ، قالوا : ليته مات بالمدينة ، فترى قوله : « ومن يخرج من بيته مهاجرًا إلى الله ورسوله . . . » ، والمعنى : ومن يخرج من داره ، مؤثراً الهجرة لنصرة دين الله ونصرة رسوله ، ففات في طريقه قبل أن يبلغ مقصدده ، فقد وجب وثبت أجره ومثوابته على الله ، وكان الله كثير المغفرة والرحمة له .

٣ — وإذا سافرتم سافراً طويلاً مقداره نحو ٨١ من الكيلومترات ، فلا إثم عليكم أن تجعلوا بعض صلواتكم قصيرة ، بترك بعض ركعاتها ، فتكون الصلاة الرابعية ثنائية ، إن خفتم أن ينالكم الكفار بمكره أو أذى ، إن الكافرين كانوا لكم أعداء سافر في المعاودة ؛ وليس قوله : « إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا ، شرطاً مقيداً في قصر الصلاة ، وإنما هو إشارة إلى سبب النزول ، فقد كان صلى الله عليه وسلم في غزوة ، فصلى الظهر مع أصحابه ، فقال المشركون : قد أمكنكم محمد وأصحابه من ظهورهم ، هلاً شددتم عليهم ، فقال قائل منهم : إن لهم صلاة أخرى مثلها ، فأنزل الله بين الصالتين : « وإذا ضربتم في الأرض » : إلى قوله : « كتاباً موقتاً » ، فشملت

الآياتُ صلاةُ السفرِ ، وصلاةُ الخوفِ الَّتِي بِيَمِنْهَا ، وقد ثبتَ أَنَّهُ عَلَيْهِ
الصلوةُ وَالسَّلَامُ كَانَ يَقْصُرُ الرِّباعيَّةَ مِنْ حِينِ يَخْرُجُ مَسَافِرًا ، إِلَى أَنْ يَرْجِعَ
إِلَى الْمَدِينَةِ ، بَلْ لَمْ يَثْبِتْ أَنَّهُ أَتَمَ الرِّباعيَّةَ فِي سَفَرَةٍ أَوْ غَزْوَةً ، وَكَانَ يَقُولُ :
« إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ أَنْ تُؤْتَى رُحْصَهُ ، كَمَا تُؤْتَى عِزَائِهِ » .

(١٣)

وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقْمِنَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقْمِ طَائِفَةً مِنْهُمْ
مَعَكَ ، وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ ، فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَسْكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ ،
وَلْتَأْتِ طَائِفَةً أُخْرَى لَمْ يُصَلِّوا فَلْيُصَلِّوا مَعَكَ ، وَلْيَأْخُذُوا
حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ ، وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَفْقُلُونَ عَنْ
أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتَعَتُكُمْ فَيُمْلِئُونَ عَلَيْكُمْ مِيلَةً وَاحِدَةً ، وَلَا جُنَاحَ
عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذْى مِنْ مَطْرِ ، أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى ، أَنْ
تَضَعُوا أَسْلِحَتِكُمْ ، وَخُذُوا حِذْرَكُمْ ، إِنَّ اللَّهَ أَعْدَ لِلْكَافِرِينَ
عَذَابًا مُهِينًا . فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُمُودًا
وَعَلَى جُنُوبِكُمْ ، فَإِذَا اطْمَأْنَتُمْ فَاقِمُوا الصَّلَاةَ ، إِنَّ الصَّلَاةَ
كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا . وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ ،
إِنْ تَسْكُونُوا تَأْمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْمُونَ كَمَا تَأْمُونُ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ
مَا لَا يَرْجُونَ ، وَكَانَ اللَّهُ عَلَيْهِ حَسِيْلًا .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
إِذَا كُنْتَ فِيهِمْ	وإذا كنت يا محمد حاضراً مع المسلمين ، وأنتم على أهبة لقاء العدو .
فَلَتَؤْدُ الصَّلَاةَ مَعَكُمْ طَائِفَةً ، وَلَتُسْقِمُ الْأُخْرَى عَلَى الْحِرَامَةِ :	فلتؤدم طائفة منهم معك فإذا صللت الطائفة الأولى .
فَإِذَا سَجَدُوا	فلتكن الطائفة الأخرى تحيى ظهوركم .
فَلْيَكُونُوا مِنْ وَائِكُمْ	يميلون عليكم حملة واحدة .
يَمِيلُونْ عَلَيْكُمْ مِيلَةً وَاحِدَةً	ألا تحدموا أسلحتكم .
أَنْ تَضْمِنُوا أَسْلَاهُنَّكُمْ	مضطجعين .
وَعَلَى جَنُوبِكُمْ	فرি�ضة لها وقت معين .
كَتَابًاً مَوْقُوتًا	ولا تضعفوا أو تتوازوا .
وَلَا تَهْنُوا	في طلب الكفار .
فِي ابْتِغَاءِ النَّقْوَمِ	تجدون ألم الجراح .
تَأْلُمُونَ	ترجون من الله ما لا يحيط
يَرْجُونَ	ببال الكفار .

في هذه الآية كيفية صلاة الخوف ، وهي الصلاة التي تؤدى في أثناء المعارك حين يكون كل من الفريقين على أهبة واستعداد للهجوم .

مُحْمَلُ الْمَعْنَى

١— وإذا كنت يا محمد حاضراً مع المؤمنين المجاهدين ، فصلٌ صلاة الخوف على النحو الآتي ، وليقتد بك من الأئمة غيرك ، فإذا أقيمت الصلاة انقسم المسلمين المحاربون طائفتين : طائفة تؤدي الصلاة معاك ، وتقوم الطائفة الأخرى تجاه العدو للحراسة ، لما عساه أن يقع من هجوم مفاجئ ، على أن تحمل الطائفتان أسلحتهم ، فإذا صلت الطائفة الأولى معاك ، وقفـتـ الطائفةـ الأخرىـ لـ حـمـاـيـةـ ظـهـورـ المـصـلـيـنـ ، فـمـنـ صـلـيـتـ بـالـطـائـفـةـ الـأـوـلـىـ رـكـعـةـ ، وـقـمـتـ لـلـرـكـعـةـ الثـانـيـةـ ، وـقـفـتـ تـنـتـظـرـ حـتـىـ تـُـنـتـصـرـ الطـائـفـةـ الـأـوـلـىـ صـلـاتـهـاـ ، وـتـحـلـ مـحـلـ الطـائـفـةـ الـأـخـرـىـ للحراسة ، ثم تأتي الطائفة التي لم تصل ، فتم بهم الركعة الثانية ، فإذا سلّمت قاموا حتى يتمموا صلاتهم ، وليأخذ الجميع حذركم وأسلحتكم ، خشية مبالغة الأعداء لهم ، فإنهم يتمسّون أن تعفّوا عن أسلحتكم وأمتعتكم ، حين أدائكم الصلاة ، فيحملون عليكم حملة واحدة ، وقد رخصنا لكم ألا تتحملوا أسلحتكم ، إذا حصل لكم من حملها أذى ، بسبب مطر أو مرض ، على أن تكونوا شديدي الحذر واليقظة ، لثلا يروا منكم غررة فيفجئوك ، إن الله وعد المؤمنين بالبصر على المكفار ، بعد أخذكم بالحذر وحسن التدبير .

٢— فإذا أدمتم أداء الصلاة ، وقد التقى الجماع ، واشتدت المعركة ، فصلوا كيـفـماـ كـنـتـُـمـ : قـيـاماـ تـضـرـبـونـ بـسـيـوـفـكـمـ ، وـتـطـعـنـونـ بـرـمـاحـكـمـ ، وـقـعـودـأـ تصـوـبـونـ نـبـالـكـمـ ، وـتـرـمـونـ الـأـعـدـاءـ بـسـهـامـكـمـ ، وـمـضـطـجـعـيـنـ إـذـاـ خـادـعـتـ العـدـوـ ، أـوـ أـنـتـخـتـمـ بـالـحـرـاجـ ، إـذـاـ اـطـمـأـنـتـ نـفـوسـكـمـ بـمـاـ حـصـلـ لـكـمـ منـ

الأمن ، وزال عنكم الخوف من لقاء العدو ، فأدُوا الصلاة تامة الأركان ،
وافية الشروط ، إن الصلاة كانت على المؤمنين فرضاً محدَّداً الأوقات ،
لا يجوز تأخيرها عن وقتها .

٣ - وأراد رسول الله أن يبعث طائفة من المسلمين ، بعد أن اجتمع شملُهم ، في
طلب أبي سفيان وأصحابه في غزوة أحد ، فشكوا إليه ما بهم من جراحات ،
فنزل قوله : ولا تهنو في ابتغاء القوم ، والمعنى : لا تضيغوا ولا تتوانوا في
طلب الكفار لقتالوهم ، فإن كنتم تجدون ألمًا من الجراح التي أصابتكم ،
فليس ما نالكم من الآلام مقصوراً عليكم ، بل هو مشترك بينكم وبينهم ،
وأنتم أولى بالصبر ، فإنكم ترجون من الله ما لا يخطر لهم ببال ، من إظهار
دينكم الحق على سائر الأديان كلها ، (راجع الصفحة ٤٦ من تفسير
الجزء الرابع ، والصفحة ٥٢ من تفسير هذ الجزء) ، وكان الله عليماً
بأحوالكم وضمائركم ، حكيمًا فيما يأمر به وينهى عنه .

(١٤)

إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ، لِتَخْرُكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا
أَرَاكَ اللَّهُ، وَلَا تَكُنْ لِلْجَاهِنَّمِ خَصِيمًا. وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ، إِنَّ
اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا. وَلَا تُجَادِلُ عَنِ الدِّينِ يَخْتَانُونَ
أَنفُسَهُمْ، إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَانًا أَثِيمًا. يَسْتَخْفُونَ
مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعْهُمْ، إِذْ يُبَيِّنُونَ
مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ، وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا.
هَانُتُمْ هُولاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، فَمَنْ يُجَادِلُ اللَّهَ
عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا؟ وَمَنْ يَعْمَلْ
سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ، ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَحِيدُ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا،
وَمَنْ يَكْسِبْ إِنَّمَا فِإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ، وَكَانَ اللَّهُ عَلَيْهَا
حَكِيمًا، وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِنَّمَا تُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا، فَقَدْ
احْتَمَلَ بُهْتَانَنَا وَإِنَّمَا مُبِينًا، وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَةً
لَهُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضْلُوكَ، وَمَا يُضْلُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ، وَمَا
يَضْرُونَكَ مِنْ شَيْءٍ، وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ،
وَعَلِمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ، وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا.

شرح الألفاظ

ال ألفاظ	شرحها
للحائنين خصيما	لأجل الخائنين مخاصمأً ومدافعاً عنهم .
استغفر الله	اطلب من الله مغفرته مما هممت به .
يختانون أنفسهم	يخونون أنفسهم بارتكاب المعاصي ، لأن وبالما عائد عليهم . } منهم كاً في الإثم .
اثنا	وهو معهم
يُبَيِّسُون	وهو يعلم سرّهم ونجواهم .
وكيل	يُضيرون ويسدرون .
بهتاناً	موكلاً يدافع عنهم . كمبياً فظيعاً .
هَمَّت طائفة منهم	عزمت جماعة من ينحازون إلى طعمه .
أن يُضْلِلُوك	أن يُضْلِلُوك عن القضاء الحق .

قصة طعمة

استودع يهودي طعمة بن أبيerrick— وكان أنصارياً مسلماً— درعاً ، وذهب اليهودي مع طعمة إلى داره، فيحفر لها اليهودي الأرض ، ودفن درعه فيها ، ولكن طعمة غدر باليهودي ، فاستخرج الدرع واغتصبها ، فلما جاء اليهودي يطلب درعه ، أنكرها طعمة ، وحلف أنه ما أخذها ، فانطلق اليهودي إلى أناس من عشيرته ، وقال لهم : انطلقوا معى إلى دار طعمة ، فإني أعرف موضع الدرع ،
ج ٥ (٦)

فلمما علم بذلك طعمة ، ألقى الدرع في دار جاره أبي مُلِيك الأنصاري ، فلما جاء اليهود يطلبون الدرع في موضعها ولم يجدوها ، تسابوا مع طعمة ، ونَسَفُرَ من كان معه ، فقال طعمة : أتخوّنوني ؟ فهاهى ذى درعى ، فاجتبا عن الدرع فى كل مكان فيها ، فلما أشرفوا على دار أبي ملِيك ، إذا بالدرع فيها ، فقال طعمة : أخذناها أبو ملِيك ، ودافع نفر من الأنصار عن طعمة ، فقال طعمة : انطلقوا معى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإنه ييرئنى ، ويكتذب اليهودى ، في أنه استودعني درعه ، فأتوا رسول الله ، فهم أَن يبرئه ، بما بدا له من ظاهر حاله ، وشهادة بعض الأنصار له ، فأنزل الله عليه قوله : « إِنَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ ... » ، إلى قوله : « وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا » ، فلما فضح الله طعمة بما أنزل من القرآن ، هرب إلى مكة ، وارتدى عن الإسلام ، وأقام بها ، ثم سطا على منزل للحجاج بن علّاط ، فنقبه ، وأراد أن يسرقه ، فسمع الحجاج خشخشة في بيته ، وقعقة جلود كانت عنده ، فنظر فإذا به يرى طعمة ، فلما أصبح أذاع أمر طعمة بين أهل مكة ، فأخرجوه منها ، فلقي ركباً من قُضايا ، فعرض عليهم أن يحملوه ، فقالوا : منقطع وابن سبييل ، فحملوه معهم ، فلما جنَّ الليل ، عدا عليهم فسرقهم ، ثم انطلق ، فجداً وفى طلبه حتى أدركوه ، فقدفوه بالحجارة حتى مات .

بِمُجمل المعنى

١ - إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْقُرْآنَ يَا مُحَمَّدُ ، لِتَحْكُمَ بِالْحَقِّ بَيْنَ النَّاسِ : بَرِّهُمْ وَفَاجِرُهُمْ ،
بِمَا أَعْلَمُكَ اللَّهُفِيهِ ، وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ كَطُعْمَةٍ وَأَمْثَالَهُ ، مُخَاصِّمًا ، وَمَدْفَعًا عَنْهُمْ ،
وَاسْتَغْفِرُ اللَّهِ مَا هَمَّتْ بِهِ مِنَ الدِّفاعِ عَنْهُ وَتَبَرِّئُهُ ، لِمَا سَمِعْتُهُ مِنْ يَنْاضِلُونَ
عَنْهُ ، إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا لِمَنْ يَسْتَغْفِرُهُ ، وَلَا تَدْافِعُ عَنِ الظَّالِمِينَ

يُخوّنون بارتكاب المعاصي ، كطعمة وأمثاله ، من شاركوه في الإثم والمعصية بدفعهم عنه ، فإن وبال خيانتهم عائد عليهم ، إن الله لا يحب من كان مصراً على الخيانة ، منهم كافٍ في ارتكاب الإثم .

٢ - يستحبّي طعمة ومن لفَّ لفَّهُ من الناس حياءً وخجلًا ، خوف سوء السمعة بارتكاب السرقة ، ولا يستحبّيون من الله ، وهو أحق أن يستحبّيا منه ، ويختلف عقابه ، وهو المطلع على سرهم ونجواهم فيما يضمرون ، ويدبرون ما لا يرضي من القول ، من رمي البريء بجريدة الجرم ، وشهادة الزور ، والخلف الكاذب على نقى السرقة ، وكان الله بما يعملون محيطاً ، عليهما بكل ما فعلوه ، لا يعزّب عنهم شيء .

٣ - هأنتم هؤلاء يا أنصار طعمة ، دافعتم عن طعمة وذويه في الحياة الدنيا ، وبذلتكم جهداً كم في الدفاع عنهم ، فمن يجادل الله عنهم يوم القيمة ، يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً ، والأمر يومئذ لله ، إذا أمر بإلقاءهم في النار ، وتعلّم عليهم فيها ؟ أم من يكون وكيلاً عنهم ، يذبّ عنهم ، ويحيم لهم من عذابه ؟

٤ - ومن يعمل عملاً قبيحاً يسوء به غيره ، أو يظلم نفسه بارتكاب عمل قبيح مقصور عليه ، لا يتعدى أذاه إلى غيره ، ثم يستغفر الله ، ويتبّع عما جناه ، يجد الله غفوراً لذنبه ، متفضلاً عليه برحمته .

٥ - ومن يقترف إثماً ، فإنما يجني على نفسه ، لأن وباله عائد عليه ، وكان الله عليهما بما فعله ، حكيمآ في مجازاته .

٦ - ومن يرتكب ذنباً صغيراً أو كبيراً ، ثم يُسْتَنِدُ ما ارتكب إلى بريء ، كما فعل طعمة مع جاره أبي مُلَيَّاك ، فقد تحمّل برمييه البريء بما ارتكب ، وتبرئه نفسه الجرم ، كذلك فظيعاً ، وذنباً عظيماً بيّناً ، باتهام غيره زوراً ، لتبرئه نفسه .

٧ - ولو فضل الله عليك يا محمد ، بإعلان أمر طعمة ، بما أوحيناه إليك ، ورحمته الواسعة بما عصمناك من الخطأ ، همّت طائفة من أنصار طعمة ، المنحازون إليه ، أن يضلوك عن القضاء بالعدل والإنصاف ، باليأسهم الباطل ثوب الحق ، وما يُضلُّون إلا أنفسهم ، لأن أمرهم سيفتضح وينكشف ، وما يصيبونك بشيء من الضَّرر ، لأن الله يعصمك من الزَّيْغ في الأحكام .

٨ - وأنزل الله عليك القرآن وما فيه من الأحكام ، وعلّمك ما لم تكن تعلمه من أمور الدين ، وخفايا الأمور ، وضمائر الصدور ، فردَّ كيد المسلمين في نحورهم ، وكان فضل الله عليك بالنبوة عظيمًا ، إذ لا فضل أعظم منها .

(١٥)

لَا خَيْرٌ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَجْوَاهُمْ ، إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ
أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ، وَمَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ
مَرْضَافِ اللَّهِ ، فَسَوْفَ تُؤْتَهُ أَجْرًا عَظِيمًا . وَمَنْ يُشَاقِّ
الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعُ غَيْرَ سَبِيلِ
الْمُؤْمِنِينَ ، نُوَلِّهِ مَا تَوَلََّ ، وَنُصْلِلُهُ جَهَنَّمَ ، وَسَاءَتْ مَصِيرًا .
إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرِكَ بِهِ ، وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ
يَشَاءُ ، وَمَنْ يُشْرِكُ بِاللَّهِ فَقَدْ صَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا . إِنْ يَدْعُونَ
مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَّا نَعْلَمُ ، وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا . لَعْنَةُ
اللَّهِ ، وَقَالَ : لَا تَخْذَنُ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا . وَلَا تُضْلِلْنَاهُمْ
وَلَا مُنْتَهِيهِمْ ، وَلَا مُرْبِّعِهِمْ فَلَمَيْتَكُنْ آذَانَ الْأَنْعَامِ ، وَلَا مُرْبِّعِهِمْ
فَلَمَيْغَيْرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ ، وَمَنْ يَتَّخِذُ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ
فَقَدْ خَسِرَ خُسْرًا مُبِينًا . يَعِدُهُمْ وَيُمْنِيهِمْ ، وَمَا يَعِدُهُمْ
الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا . أُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ، وَلَا يَجِدُونَ
عَنْهَا تَحِيقًا . وَالَّذِينُ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنَدِلُهُمْ جَنَّاتٍ

تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ، وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا ،
وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ؟

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
نجواهم	تححدث الجماعة المدينين يتشارون من أصحاب طعمه .
يشافق الرسول	يخالف الرسول ويُعاده .
نُولَّه ما تولى	نُخَلَّ بينه وبين ما اختاره .
ضلالاً بعيداً	ضلالاً بعيداً عن الحق .
إن يدعون من دونه	ما يعبدون من دون الله إلا إِناثاً، كالآلات والمعزَّى
إِناثاً	ومستاناً .
شيطاناً مریداً	شيطاناً متهرداً على الله ، وهو إبليس .
وقال	وقال الشيطان .
نصيباً مفروضاً	قدراً معيناً من الناس ، وحصة مقطوعة منهم ،
	فأدعاهم إلى طاعتي .
فليبيتَكُنْ آذان الأنعام	فليستأصلُّن آذان الأنعام ، أو يشققُنها .
فليغَيْرُنْ خلق الله	فليغيرون خلقة الله عن وجهها .
وليساً	نصيراً يطيعه ، ويعمل بما يوصوس في صدره .
غروراً	باطلاً .
محيضاً	مهرباً ومخلاضاً .
قيلاً	قولاً .

بِحَلِّ الْمَعْنَى

١ - لا خير في كثير من المتناجين الذين يتشارون فيما بينهم من أصحاب طعمه ، رغبةً في أن يساعدوهم على تبرئته ، ما عدا من أمرَ منهم بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ، والمراد بالأمر هنا فعله ، وهذه الثلاثة جمعت أو كادت تجمع كل أنواع الخير :

٢ - أما الصدقة فقد نوه الله بشأنها في عدة مواضع من كتابه ، وجعل إخفاءها خيراً من إظهارها ، وجعل من مبطلاتها المنَّ على المتصدق ، أو إيداعه برجم الصدقة في وجهه مثلاً .

٣ - وأما المعروف فهو أكرم الفضائل ، وإن من المعروف أن يلقى الإنسان أخاه بوجه طلق ، وقد قال الحطيثة :

من يفعل الخير لا يعدم جوازه لا يذهب العُرُوف بين الله والناس

٤ - والإصلاح بين الناس : الساليف بينهم بالموافقة إذا تفاسدوا ، والتقريب بينهم إذا تباعدوا ، وقد قال صلى الله عليه وسلم : « ألا أخبركم بأفضل من الصيام والصلوة والصدقة ، قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : إصلاح ذات البين »

وهذه الأنواع الثلاثة من المطاعات ، إنما يستحق ثواب الله عليها ، من أتى بها طلباً لمرضاته ، فإذا أتى بها للرياء والشهرة ، انقلب خيرها شرًّا .

٥ - ومن يخالف الرسول فيما جاء به من الحق ، من بعد ما تبين له المدى بالأدلة القاطعة ، والمعجزات الساطعة ، الدالة على صدقه ، ويتبَع طريقاً غير طريق المؤمنين ، من عقيدة وعمل وطاعة ، نُخَلَّ بَيْنَهُ وَبَيْنَ ما اختاره في الدنيا ، ثم نأخذنه أخاه عزيز مقتدر ، فندخله جهنم

يصلها مذموماً مذحوراً ، وبئس المصير مصيره ، وتدل هذه الآية ، على أن إجماع المحتددين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم على أمر في أي عصر حجة ، ومخالفته حرام .

٣ - وجاء شيخ إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وقال له : إنني شيخ من همك في الذنوب ، غير أنني لم أشرك بالله شيئاً ، منه عرفته وأمنت به ، ولم أتخذ من دونه ولیساً ، ولم أرتكب المعاصي جراءة على الله ، وما توهمت طرفة عين أنني أعيجز الله هرّباً ، وإنني لنادم تائب ، فما ترى حالى عند الله ؟ فنزل قوله : « إن الله لا يغفر أن يشرك به » ، وقد تقدم شرح هذا في الصفحة ١٦ من هذا الجزء ، فمن اتخاذ الله شريكاً من صنم أو غيره ، فقد ضل ضلالاً بعيداً عن الحق ، وانحرف عن طريق الهدایة ، لأن الشرك أعظم أنواع الصالات ، وأبعدها عن الصواب ، وهؤلاء الذين يشرون بالله غيره في العبادة ، ما يدعون من غير الله في إشراكهم ، إلا أصناماً يسمونها تسمية الأنثى ، فيطلقون عليها اللات والعزى ومناة ، ويضعون عليها الحلى وأنواع الزينة ، وإن كان بعضها يسمى بأسماء المذكور ، كهُبَيل ، وود ، وسُوَاع .

٤ - هؤلاء المشركون ، ما يدعون بعبادتهم تلك الأوثان ، إلا الشيطان المتمرد الملعون ، الخارج عن طاعة الله ، المطرود من رحمته ، وهو إبليس ، فهو الذي أغراهم بعبادتها ، وقال حين طرده الله من الجنة : لأتخذن من عبادك قدرًا معيناً مفروضاً ، أقطعه منهم ، فأستخلصهم بغاياتي ، وأصلهم بوسى ، وهم الكفارة والمعصية ، فهو بهذا قد جمع بين التردد واللعنـة ؛ وهذا القول المدال على فرط عداونه لبني آدم ، يزيد به الانتقام من أبنائهم في أولاده ، فوالله منْ هـذا شأنه ، إمعان في الصبال ، فكيف

الحال بعبادته ؟ وهذا الفريق المدى يصغى إلى وسوسات إبليس ، هو المدى يقول الله فيهم : « ولقد صدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه » ، وقد ادعى إبليس أنه سيحاول محاولات أخرى مع بني آدم ، مقسماً أنه سيبلغها وهي :

- ١ - الإصلاح عن الحق ، والإبعاد عن طريق المدى ، ونظيره قوله تعالى حكاية عن إبليس : « لاقعُدُنَّ لَهُمْ صِرَاطُكُمُ الْمُسْتَقِيمُ ، ثُمَّ لَا تَنْهَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ ، وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ » .
- ٢ - وأنه يمنيهم الأماني الباطلة ، بطول البقاء في الدنيا ، وأنه ليس هناك بعث ولا نشور ولا حساب ، ليغمدوا في الشهوات ، وينتهوا كل فرصة للعبث والفساد .

٣ - وحملُهم على تحليل ما حرمَه الله ، باستعمال آذان الأنعام أو شقّها ، كما كانت العرب تفعل في الجاهلية ، من شقّ آذن الناقة أو قطعها ، إذا ولدت خمسة أطن ، وكان الخامس ذكرًا ، وتحريم ركوبها ، أو الحمل عليها ، وتحريم سائر الانتفاع بها ، وسيأتي تفصيل هذا في أوائل تفسير الجزء السابع .

٤ - وحملُهم على تغيير خلْقَة الله ، كتبرج النساء ، وخصاء العبيد ، وتحويل الحجارة إلى أصنام ، والوشم ، ووصل الشعر بغierre للزينة ، وتفليج الأسنان صناعة .

٥ - فمن يتخد الشيطان ولیاً يطيعه ، ويؤثر ما يدعوه إليه على ما أمر الله به ، فقد خسر خساراً بيضاً ، لأنَّه باع آخرَاه بدنياه ، واستبدل برضاء الرحمن ، طاعة الشيطان ، وهذا الشيطان يعد أولياعه بما لا يقدر على إنجازه ، وينتَهِم الأماني الباطلة ، وما يعيدهم إلا بإغراقهم بما يضرهم ولا ينفعهم في

الحال والمال ، أولئك الذين يتخذون الشيطان ولِيًّا من دون الله ، مصيرهم
جهنم ، ولا يستطيعون مهرباً منها ولا خلصاً ، أما الذين آمنوا وعملوا
الصالات ، فسيدخلهم الله جنات تجري من تحتها الأنهار ، خالدين
فيها أبداً ، وعدهم الله بهذا وعداً حقاً ناجزاً لا ريب فيه ، ومن أصدق قولنا
من المولى جل شأنه ؟

(١٦)

لَيْسَ بِأَمَانِكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ ، مَنْ يَعْمَلْ
سُوءًا يُعْبَرْ بِهِ ، وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا .
وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ ،
فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ ، وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا . وَمَنْ أَحْسَنَ دِينًا
مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ، وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ؟
وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا . وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي
الْأَرْضِ ، وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطًا .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
نَقِيرًا	قَدَرَ نُقْرَةَ النُّسُواةِ الَّتِي فِي طَرْفَهَا .
أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ	إِنْقَادٌ وَأَخْلَاصُ عَمَلَهُ لِلَّهِ .
مُحْسِنٌ	يَعْبُدُ اللَّهَ كَأَنَّهُ يَرَاهُ ، وَيَفْعُلُ الْحَسَنَاتِ ، وَيَتَرَكُ الْمُسَيَّبَاتِ .
مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا	دِينُ إِبْرَاهِيمَ الْمُوَافِقُ لِلْإِسْلَامِ ، الْمَائِلُ عَنِ سَائِرِ الْأَدِيَانِ كُلُّهَا .

شرحها	الألفاظ
نجيًّا ، صفيًّا ، خالص الحبة له .	خليلاً
محيطًا علمه بكل شيء .	محيطاً

افتخر المسلمين وأهل الكتاب ، فقالت اليهود للمسلمين : نحن خير منكم ، نبيتنا قبل نبيكم ، وكتابنا قبل كتابكم ، وننحن على دين إبراهيم ، ولن يدخل الجنة إلا من كان هوداً ، فنحن أولى بالله منكم ، وقالت النصارى مثل ذلك ، فقال المسلمون : نحن خير منكم ، نبيتنا خاتم النبيين ، وكتابنا يقضى على الكتب المقدمة عليه ، وننحن على دين إبراهيم وإسحائيل ، ولن يدخل الجنة إلا من كان على ديننا ، وقد أمرتم أن تتبعونا وتترکوا دينكم ، فنزل قوله تعالى : « ليس بأمانٍ لكم ولا أمانٌ لأهل الكتاب . . . » .

مجمل المعنى

١ - ليس الأمر منوطاً بأمانٍ لكم أيها المسلمون ، ولا بأمانٍ لأهل الكتاب ، وإنما هو منوط بالعمل الصالح ، فمن يعمل سواعداً يجز به ، إما عاجلاً في الدنيا ، وإما آجلاً في الآخرة ، إلا أن يتوب ، وليس له غير الله ولّي تحفظه أو يحمى عنه ، ولا نصيـر يمنعه من عذاب الله ، أو ينجـيه منه ، وتعد الأمراض ومصائب الدنيا وهمومها أسواء يكفر الله بها الخطايا ، وإن لم تكن من عمل الإنسان .

٢ - ومن يعمل شيئاً من الأعمال الصالحة ، سواء أكان ذكرأ أم أنثى ، وهو مؤمن بإيماناً صادقاً ، فهو لـاء يدخلون الجنة جزاء عملهم ، ولا ينفعون

شيئاً من ثواب حسناتهم ، مهما كان ضئيلاً ، لأن المجازي هو الله أعدل
العادلين .

٣ — ولا أحد أحسن ديناً من أخلص عمله لله ، وانقاد وخضع له ، وامتثل
أوامره ، واجتنب نواهيه ، وهو محسن في عقليته ، يعبد الله كأنه يراه ،
يفعل الحسنات ما استطاع إلى ذلك سبيلاً ، ويترك السيئات ، واتبع
دين إبراهيم الموافق لدین الإسلام ، المائل عن بقية الأديان كلها ،
ولقد اصطفى الله إبراهيم ، وخصه منزلة نتبه منزلة الخليل من خليله ،
٤ — والله ما في السموات وما في الأرض ، كل ما فيها ومن فيها ملك وعبيد له ،
وكان الله حبيطاً علمه وقدرته بجميع خلقاته ، يجازي كل مكلف على
حسب عمله .

(١٧)

وَيَسْتَقْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ ، قُلْ : اللَّهُ يُفْتِنُكُمْ فِيهِنَّ ، وَمَا
يُشَّلِّ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ الْلَّاتِي لَا تَوْهُنَّ
مَا كُتِبَ لَهُنَّ ، وَرَغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ ، وَالْمُسْتَضْعَفَاتِ
مِنَ الْوِلْدَانِ ، وَأَنْ تَقُومُوا بِالْيَتَامَى بِالْقِسْطِ ، وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ
خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا . وَإِنْ امْرَأً خَافَتْ مِنْ بَعْلِهِمَا
نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاصًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ،
وَالصُّلْحُ خَيْرٌ ، وَأَحْضَرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ ، وَإِنْ تُحْسِنُوا
وَتَتَّقُوا ، فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَيْرًا . وَلَنْ تَسْتَطِعُو أَنْ
تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ، فَلَا تَمْلِوْا كُلَّ الْمَيْلِ
فَتَذَرُوهَا كَالْمُلَقَّةِ ، وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا ، فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا
رَحِيمًا . وَإِنْ يَتَّفَرَّقَا يُفْنِي اللَّهُ كُلًا مِنْ سَعْيِهِ ، وَكَانَ اللَّهُ
وَاسِعًا حَكِيمًا .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
يسْتَغْوِيْنَكُمْ فِي النِّسَاءِ فِي الْكِتَابِ مَا كُتُبَ لَهُنَّ	يطلبون منك أن تُفْتَنُهم في أمر النساء . في القرآن ، في آيات الميراث . ما فُرِضَ لَهُنَّ مِنَ الْمِيراثِ .
تَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفُينَ مِنَ الْوَلَدَانَ	ترغبون أن تنكحوهن أو في زواجهن بِعِلْمِهِنَّ وَيُقْتَيِّكُمْ فِي الصَّعَارِ الْمُسْتَضْعَفُينَ الْمُسْتَحْقِقُينَ لِمِيراثِهِنَّ .
وَأَنْ تَقْوِمُوا لِلْيَتَامَى بِالْقُسْطِ	وَيَأْمُرُوكُمْ أَنْ تَقْوِمُوا بِالْعَدْلِ فِي الْمِيراثِ ، وَالْمَهْرِ لِيَتَامَى .
مِنْ بَعْلَهَا نَشُوزًا	مِنْ زَوْجَهَا تَرْفِعُّا عَلَيْهَا ، بِتَرْكِ مَعَاشرَهَا ، أَوْ تَقْصِيرِهِ فِي الْإِنْفَاقِ عَلَيْهَا .
أَحْضَرَتِ الْأَنْفُسَ الشَّحَّ	جُبِّلَتِ الْأَنْفُسُ عَلَى الْبَخْلِ ، فَهُنَّ تُحْضَرُ وَتَنْذَرُ كُرْهَ إِنْ طَوَّبُتْ بِالْمَالِ .
فَلَا تَمْلِيوا كُلَّ الْمَيْلِ	لَا تَمْلِيوا كُلَّ الْمَيْلِ إِلَى مَنْ تُحِبُّونَهَا ، فَيُؤْدِي هَذَا إِلَى عَدْلِكُمْ فِي إِنْفَاقِكُمْ ، وَقِسْمَةِ أَوْفَاتِكُمْ .
فَتَنْزَرُوهَا كَالْمَعْلَقَةِ	فَتَنْزَرُوهَا كَالْمَعْلَقَةِ فَتَنْزَرُوهَا كَالْمَعْلَقَةِ لَا هِيَ ذَاتُ زَوْجٍ ، وَلَا هِيَ مَطْلَقَةِ .
إِنْ تُصْلِحُوهَا بِالْعَدْلِ وَالْمَقْسَمَةِ بَيْنَ الْزَّوْجَاتِ	إِنْ تُصْلِحُوهَا بِالْعَدْلِ وَالْمَقْسَمَةِ بَيْنَ الْزَّوْجَاتِ .
إِنْ يَتَنَرَّقَا	إِنْ يَتَنَرَّقَا بِالْطَّلاقِ

كان العرب في الجاهلية لا يورثون النساء ولا الصغار ، كما ذكرنا في الصفحة ٩٨ من تفسير الجزء الرابع ، فلما نزلت آيات الميراث ، شق ذلك على كثير منهم ، وقالوا : أيرث الصغير والمرأة ، وهما لا فضل لهما فيما فيها اقتتبنا ؟ هذا إلى أنهما لا يغزوان ولا يغنمان ، وقد ذهب عيسى بن حصن إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال له : بلغنا أنك تعطي الابنة النصف ، والأخت النصف ، وإنما كنا نورث من يشهد القتال ، ويحوز الغنيمة ، فقال له : بذلك أمرت ، ونزل قوله تعالى : « ويستفتوذن في النساء » .

مجمل المعنى

١ - يطلب بعض المسلمين منك يا محمد الفتوى في شأن ميراث النساء ، فقل لهم : إن فتوى الله فيهن ما يتلى عليكم في كتابه ، مما نزل قبل هدا الاستفتاء ، كما في آيات الميراث ، ويفتنيكم أيضاً في أحكام معاملة النساء اليتيمات ، الملاقي تحت ولايتكم ، وجرت عادتكم أنكم لا تعطوهن ما فرض لهن من الميراث ، طمعاً في مالهن ، فإن كن جميلات تروجتم بهن ، لتنتمعوا بهن وباوطنهن ، وإن كن دمبات لا تتزوجوهن ، ولا تزوجوهن غيركم ، ليبقى مالهن في أيديكم ، فاحذروا أن تفعلوا ما كنتم تفعلونه زمان الجاهلية ؟ وكذلك يُفتنيكم في شأن المستضعفين الصغار ، الذين لا تعطوهن حقهم من الميراث ، فلا تأكلوا أموالهم ، ويفتنيكم أن تقوموا بالعدل في الميراث والمهر للิตامى ، وأن توفوهم حقوقهم كاملة غير منقوصة ، وما تفعلوا من خير يعلمك الله ، فيجازكم عليه .

٢ - وكان لابن السائب زوجة عجوز ، له منها أولاد ، فهم بطلاقها لأمر كان فيها ، فقالت له : لا تطلقني ، ودعني أقم برعاية أولادي ، واقسم

لِي فِي كُلِّ شَهْرٍ مَا شِئْتَ مِنَ الْسَّيْلِ ، فَقَالَ لَهَا : إِنْ كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ ، فَهُوَ أَصْلَحٌ لِي ، فَنَزَّلَ قَوْلَهُ تَعَالَى : « وَإِنْ امْرَأٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا . . . » ، وَالْمَعْنَى : وَإِنْ امْرَأٌ تَوَقَّعَتْ مِنْ زَوْجِهَا تَجَافِيًّا عَنْهَا ، وَتَرْفَعًا عَنْ صَبَبِهَا ، أَوْ لَاحَظَتْ عَلَيْهِ تَقْصِيرًا فِي الْإِنْفَاقِ عَلَيْهَا ، أَوْ آنَسَتْ مِنْهُ إِعْرَاضًا عَنْ مَجَالِسِهَا وَمَحَادِثِهَا ، فَلَا حَرَجٌ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاضِيَا صَلَحًا ، بَأْنَ تَتَنَازَلَ عَنْ بَعْضِ الْمَهْرِ ، أَوْ تَهَبَ لَهُ شَيْئًا مَا تَمْلِكُهُ ، تَسْتَهِيلِهِ بِهِ ، أَوْ تَرْضِي بِتَرْكِ بَعْضِ لِيَالِيهَا لِضَرَارِهَا ، رَغْبَةً فِي اسْتِبْقاءِ رَابِطَةِ الْفِرْجِيَّةِ بَيْنَهُمَا ، فَإِنْ تَرَاضِيَا بِنَذْلَكَ فَحَبَّاً وَكَرَامَةً ، وَإِلَّا فَعَلَى الزَّوْجِ أَنْ يَوْفِيَّا حَقَّهَا ، أَوْ يَفْارِقَهَا ، وَالصَّلْحُ خَيْرٌ مِنَ الْفُرْقَةِ ، مَا لَمْ يَكُنْ مِنَ الْفُرْقَةِ بُدُّ ، وَالنَّفَسُ مَجْوَلَةٌ عَلَى حُبِّ مَا هُوَ أَنْفَعُ لَهَا ، تَسْتَهِيلُ الشَّرِّ إِذَا جَاءَ مَقْتَضَى الْبَنْدِلِ ، تَحْبُّ الْخَيْرَ لِنَفْسِهَا ، وَتَحْبُّ أَنْ تَسْتَأْنِرَ بِهِ ، فَلَا تَكَادُ الْمَرْأَةُ تَسْمَعُ بِالْإِعْرَاضِ عَنْهَا ، وَالْمَتَقْصِيرُ فِي حَقَّهَا ، وَلَا يَكَادُ الرَّجُلُ يَسْمَعُ بَأْنَ يَسْتَبْقِيَا عَلَى النَّحْوِ الَّذِي يَرِضِيَا ، إِذَا كَرِهَا وَأَحْبَبَ غَيْرَهَا ، فَالْأَوْلَى أَنْ يَعْالِجَ كُلَّ مِنْهُمَا نَفْسَهُ ، وَيَخْطُو نَحْوِ الْوَفَاقِ حَتَّى يَلْتَقَا ، وَإِنْ تُسْهِنُوا أَيْهَا الْأَزْوَاجُ عِشْرَةُ النِّسَاءِ ، وَتَنْقُوا بِالْجُورِ عَلَيْهِنَّ عَلَى أَيْةِ صِفَةٍ كَانَتْ ، وَتَعْمَلُوا عَلَى مَعَالِجَةِ مَا يَحْدُثُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ زَوْجَاتِكُمْ مِنْ خَلَافٍ ، فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ مِنَ الْإِحْسَانِ ، خَيْرًا بَيْنَيْتُكُمْ وَضَمَائِرِكُمْ .

٣ — وَلَنْ تَسْتَطِعُوا أَيْهَا الْأَزْوَاجُ أَنْ تُسُوِّوا بَيْنَ الْزَوْجَاتِ فِي مَيْوِلَكُمُ الطَّبِيعِيَّةِ ، مِنْهُمَا بِنَذْلَتِكُمْ مِنْ جَهَدٍ ، فَلَقِدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَحْبُّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، أَكْثَرُ مِنْ حَبَّهِ لِسَائِرِ نِسَائِهِ ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يُؤْثِرْهَا فِي الْمَقْسِمةِ بَيْنَهُنَّ ، وَكَانَ يَقُولُ : « اللَّهُمَّ هَذَا قَسْمِي فِيمَا أَمْلَكَ ، فَلَا تَلْسُنِي فِيمَا تَمْلِكُ وَلَا أَمْلَكُ » ، وَقَصَدَ بِمَا تَمْلِكُ : الْحَبَّةَ وَمِيلَ الْقَلْبِ ، الْمَذَنِينَ لَا إِرَادَةَ لَهُ فِيهِمَا ، فَلَا تَمْلِكُوا أَيْهَا الْأَزْوَاجَ كُلَّ الْمَلِلِ إِلَى مِنْ تَحْبُونَهَا فِي ج ٥ (٧)

المسكني إليها ، وزيادة النفقة عليها ، فتترکوا غيرها كالمعلقة ، لا هي ذات زوج ولا مطلقة ، فقد قال صلی الله عليه وسلم : « من كانت له امرأتان ، فمال إلى إحداهما ، جاء يوم القيمة وأحد شقيبه مائل » ؟ وإن تصلحوا بالعدل والقسمة بين الزوجات ، وتتقنوا الجور ، فإن الله غفور لما في قلوبكم من الميل الذي لا تستطعون دفعه ، يسعكم فضله ورحمته .

٤ - فإن عزَّ بين الزوجين الوفاق ، وتحتم الفراق ، فإن الله كفيل أن يُغنى كلًاً منها عن الآخر بفضله وقدرته ، بأن يرزق الزوج زوجة غيرها ، ويرزق الزوجة ، زوجاً غيره ، وكان الله واسع الفضل خلقه ، حكيمًا في تدبيره وصنعه .

(١٨)

وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ، وَلَقَدْ وَصَّلَنَا الَّذِينَ
أَوْتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّا كُمْ : أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ ، وَإِنْ
تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ، وَكَانَ
اللَّهُ غَنِيًّا عَنِّيْدًا . وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ،
وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا . إِنْ يَشَاءُ يُذْهِبْنَكُمْ أَيْمَانَ النَّاسِ وَيَأْتِ
بِآخَرِينَ ، وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا . مَنْ كَانَ يُرِيدُ
ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَكَانَ اللَّهُ
سَمِيعًا بَصِيرًا . يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَامِينَ بِالْقِسْطِ ،
شُهَدَاءَ اللَّهِ ، وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوْ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ ، إِنْ
يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْنَى بِهِمَا ، فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ
تَعْدِلُوا ، وَإِنْ تَنْلُوُوا أَوْ تُرْصُوا ، فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ
حَمِيرًا .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
ولقد وَصَيَّسْنَا كُمْ .	ولقد وَصَيَّسْنَا كُمْ .
وَبِأَيْتٍ بَدَلْكُمْ بِقَوْمٍ آخَرَيْنَ .	وَبِأَيْتٍ بَدَلْكُمْ بِقَوْمٍ آخَرَيْنَ .
قَوَامِينَ بِالْقَسْطِ .	مَوْظِيْنَ عَلَى الْعَدْلِ ، مُجْهَدِيْنَ فِيهِ .
شَهِداءَ اللَّهِ .	شَهِداءَ اللَّهِ .
إِنْ يَكُنْ الشَّهُودُ لَهُ أَوْ عَلَيْهِ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا .	إِنْ يَكُنْ الشَّهُودُ لَهُ أَوْ عَلَيْهِ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا .
فَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَصَالِحِهِمَا .	فَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَصَالِحِهِمَا .
أَنْ تَعْدِلُوا .	بِأَنْ تَمْيِلُوا عَنِ الْحَقِّ وَتَعْدِلُوا عَنْهُ .
وَإِنْ تَحْرِّفُوا الشَّهَادَةَ أَوْ تَعْرِضُوا عَنْ أَدَائِهَا .	وَإِنْ تَحْرِّفُوا الشَّهَادَةَ أَوْ تَعْرِضُوا عَنْ أَدَائِهَا .

حمل المعنى

١ — وَلَهُ مَلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ، يَدِبَّرُ أَمْرَهُمَا بِمِشِيَّةِ وَقْدَرَتِهِ ، وَلَقَدْ أَمْرَ اللَّهُ
الْيَهُودَ وَالنَّاصَارَى وَمَنْ قَبْلَهُمْ ، كَمَا أَمْرَ كُمْ أَيْمَا الْمُؤْمِنُونَ ، بِتَقْوَى اللَّهِ وَطَاعَتِهِ ،
وَحْدَهُ رَجُمِعُ خَلْقِهِ عَصِيَانِهِ وَمُخَالَفَةِ أَمْرِهِ ، وَقَالَ لَهُمْ جَمِيعًا عَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ :
إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنِّي غَنِيٌّ عَنْكُمْ ، لَا يُضُرُّنِي كُفُرُ مَنْ كَفَرَ وَلَا مَعَاصِيهِ ،
وَلَا يَنْفَعُنِي شُكْرُ مَنْ شَكَرَ وَلَا تَقْوَاهُ ، وَكَانَ اللَّهُ وَلَا يَزَالُ مُسْتَغْنِيًّا عَنْ
خَلْقِهِ ، مُحْمُودًا فِي تَدْبِيرِهِ وَصِنْعِهِ ، وَلَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ،
يَتَصَرَّفُ فِي خَلْقِهِ إِيجَادًا وَإِعْدَامًا ، وَإِحْيَا وَإِمَاتَة ، وَكُفِيَّ بِهِ وَكِيلًا :
تَوْكِلَ بَشَّئُونَ خَلْقِهِ ، وَتَكْفِلَ بِأَرْزَاقِهِمْ ، وَهُوَ الْفَاعِلُ فَوْقُ عِبَادِهِ ،

فإن يشأ يُفْنِهِمْ ، ويأت بخلقٍ جديداً مكانتهم ، وما ذلك عليه بشاقٌ ،
لأنه عظيم القدرة ، لا يعجزه شيء ، ولا يستعصى عليه أمر .

٢ - من كان يريد بعمله وسعيه ، وكفاحه وجهاده ، فائدة تعود عليه في الدنيا ، كالمجاهد طليباً للغنية ، والمنفعة الدنيوية ، والرجل يسعى إلى الجاه والممال ، يبتغي بهما الشهرة والمظاهر ، فإنه يتطلب أحسنَ مطلب ، وكان الأولى به أن يتطلب ما هو أشرف وأكرم ، كمن يجاهد جهاداً خالصاً لله سبحانه وتعالى ، فلا تخطئه الغنية في الدنيا ، ولو في الآخرة ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، وكالعالم ينشر علمه حبّاً في الله ، ورغبة في نيل ثوابه ، فيسعى إليه الجاه ركبها ، ويshireبه الله في الآخرة أحسن الخزاء ، وبذا يحوز السعادة في الدارين ، وكان الله سميعاً بصيراً ، يعرف نياتِ خلقه وأغراضهم ، وما يحول في خواطيرهم ، فيجازي كُلَّاً بما يستحقه .

٣ - يأيها الذين آمنوا كونوا مواطين على العدل ، مجتهدين في إقامته ، تؤدون شهادتكم بالحق لوجه الله ، لا لغرض دنيوي ، ولو كانت شهادتكم على أنفسكم ، أو على أبيوكم ، أو على أقربائكم ، فأقرُّوا بالحق ، وأدوا الشهادة على وجوهها ، لأن المعرض منها إظهار الحق ، سواء أكان هذا الحق للشاهد أم عليه ، أم لم ين له صلة به ، كأبويه وأقربائه ، أم عليهم ، إن يكن من تشهدون له أو عليه غنيّاً ، أو فقيراً ، فلا تمنعوا عن أداء الشهادة ، ولا تجوروا فيها ميلاً إلى الغنى ، أو رحمة بالفقير ، فالله أعلم بمصالحهم منكم ، فلو لم تكن الشهادة صلحاً لهم ولهم مجتمع الإنساني ، لما شرعها الله ، واحذرُوا أن تتبعوا هوى أنفسكم في شهادتكم ، بأن تعذلوا

عن الحق ، وتميلوا عنه ، محاباة للغى لاستجلاب رضاه ، أو عطفاً على
الفقير ليتخلص مما جناه ، وإن تحرّرّوا الشهادة ، أو تُعرضوا عن أدائها ،
فإن الله كان بما تعملون خبيراً ، يعلم انحرافكم عن الحق ، وإعراضكم
عن أداء الشهادة ، فيجازيكم على ما افترقتم :

(١٩)

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَالْكِتَابِ الَّذِي
نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ ، وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلِهِ ، وَمَنْ
يَكْفُرُ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، فَقَدْ
ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا مُمْكِنُوا كُفَّارُوا ، هُمْ آمَنُوا هُمْ كُفَّارُوا ،
هُمْ ازْدَادُوا كُفْرًا ، لَمْ يَكُنْ اللَّهُ لِيغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهُدِيْهُمْ
سَبِيلًا . بَشَّرَ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا . الَّذِينَ يَتَخَذُونَ
الْكَافِرِينَ أَوْلِيًّا مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ، أَيُّهُمُ الْمُرْسَلُونَ عِنْهُمُ الْعِزَّةُ ؟
فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا . وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ : أَنْ
إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفِرُ بِهَا وَيُسْتَهْزِئُ بِهَا فَلَا تَقْمَدُوا
عَمَّا هُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ، إِنَّكُمْ إِذْنَ مِثْلُهُمْ ،
إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا . الَّذِينَ
يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ ، فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ قَالُوا : أَلَمْ
نَكُنْ مَعَكُمْ ؟ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا : أَلَمْ
نَسْتَخْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ فَاللَّهُ يَعْلَمُ كُمْ

يَنْكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى^١
الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا .

شرح الألفاظ

شرحها	الألفاظ
المراد به جنس الكتاب ، الذي يشمل جميع الكتب التي أنزلت قبل القرآن .	والكتاب الذي أنزل من قبل
إِنَّ الْيَهُودَ الَّذِينَ آمَنُوا بِمُوسَىٰ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ . ثُمَّ ارْتَدُوا عَنِ إِيمَانِهِمْ بِعِبَادَتِهِمُ الْعَجْلَ .	إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا
ثُمَّ عَادُوا إِلَى إِيمَانِهِمْ بَعْدَ عُودَةِ مُوسَىٰ مِنْ مَنَاجَاهِ رَبِّهِ . ثُمَّ كَفَرُوا بِعِيسَىٰ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ .	ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا
ثُمَّ أَمْعَنُوا فِي الْكُفَرِ ، بِإِنْكَارِهِمْ نَبْوَةِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ .	ثُمَّ ازْدَادُوا كُفَرًا
أَنْذَرَ الْمُنَافِقِينَ ، وَاسْتَعْمَلَتْ بَشَّرٌ الَّتِي تَكُونُ لِلْخَيْرِ ، عَلَى سَبِيلِ التَّهْكُمِ وَالاستِزَاعِ .	بَشَّرُ الْمُنَافِقِينَ
أَيْتَعْزَّزُونَ بِمَوَالَةِ الْكُفَّارِ ؟ إِنَّ الْعَزَّةَ مُخْتَصَّةُ بِاللَّهِ ، يَعْنِيهَا مِنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ .	أَيْتَعْزُونَ عَنْهُمُ الْعَزَّةُ إِنَّ الْعَزَّةَ لِلَّهِ
آيَاتُ الْقُرْآنِ الْمَنْزَلُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ . فَلَا تَقْعُدُوا مَعَ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ،	آيَاتُ اللَّهِ فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ
حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنْكُمْ إِذَا قَعْدْتُمْ مَعَهُمْ ، تَكُونُونَ مَشَاهِمَ فِي الْإِثْمِ .	حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنْكُمْ إِذْنَ مَشَاهِمَ

شرحها	الألفاظ
ينتظرون وقوع الكوارث والخطوب بكم .	يتبرصون بكم
نصر وظفر وغناهم .	فتح من الله
ألم تكن قلوبُنا معكم ؟	ألم نكن معكم
وإن أصحاب الكفار ظفر عليكم .	وإن كان للكافرين
قال المنافقون للكفار : ألم نبين لكم أنا معكم على	نصيب
ما أنتم عليه ؟	قالوا : ألم نستحوذ
	عليكم

حمل المعنى

١ - يأيها المؤمنون ، اثبتوا على الإيمان بالله ورسوله ، وداوموا عليه بقلوبكم ، كما آمنتم بالاستكم ، وأمنوا بالقرآن الذى أنزلناه على رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وصدقوا بالكتب التى أنزلناها قبل القرآن ، كالتوراة والإنجيل ، ومن يكفر بالله وما لائكته وكتبه ورسوله ويوم القيمة ، فقد ضل ضلالاً بعيداً عن الحق والقصد .

٢ - إن أمر اليهود لعجب ، فهم لا يثبتون في إيمانهم على حال ، آمنوا بموسى ، وله عليهم أعظم منة ، لأنه خلّصهم من ظلم فرعون وقومه ، وعند ما غاب عنهم أربعين ليلة ليستعد لمناجاة ربه ، عبدوا العجل ، ليقلدوا المصريين الذين كانوا من أشد الناس كراهة لهم ، في عبادة العجل أبييس ، فلما عاد موسى إليهم بعد مناجاة ربه ، عادوا إلى الإيمان به ، ثم كفروا بعيسى عليه السلام ، مع أنهم أمرروا في التوراة أن يؤمّنوا به ، ولكن هذه

شنشنتهم ، وهذا دأبهم ، ثم ازدادوا كفراً حين أرسل محمد صلى الله عليه وسلم حسداً له ، مع اعتقادهم ببنوته ، لأن نصوص التوراة تدل عليها ، ولكنهم كانوا يودون أن يكون النبي من بنى إسرائيل ، لا من بنى إسماعيل ، فتكرر منهم الإيمان والارتداد ، ثم أصرروا على الكفر ، وتمادوا فيه ؛ فهؤلاء لا يمكن أن يغفر الله لهم ، لاستبعاد أن يتوبوا من الكفر ، ويشتوا على الإيمان ، لأنهم أمعنوا في الضلال ، وعميت بصائرهم عن الحق ، فلا يستحقون أن يرشدهم الله إلى طريق المدى

٣ — أئنهم المنافقين يا محمد أن لهم عنة آباءً مؤلماً وجيعاً يوم القيمة ، لأن حالم تشبيه حال اليهود الذين سبق الكلام عنهم ، فهم آمنوا ظاهراً ، وكفروا سراً ، مرة بعد أخرى ، ثم ازدادوا إصراراً على النفاق ، وبث الفتنة بين المسلمين ، ولأنهم اتخذوا الكفار من مشركي مكة وغيرهم أنصاراً وأعواناً لهم من دون المؤمنين ، لما يتوهمون فيهم من القوة والمنعة ، فإذا بيتعون من وراء هذا ؟ أيبتغون العزة والغلبة بموالاتهم ؟ إن كان هذا قصد هم فقد ضلوا السبيل ، إذ لا يعتر إلا من أعزه الله ، وقد كتب الله العزة في الدنيا والآخرة لأولئك ، ولا ينالها غيرهم ، فقال : والله العزة ولرسوله وللمؤمنين » ، ولكن المنافقين طبع الله على قلوبهم ، فهم لا يفقهون .

٤ — وقد نزل الله عليكم أيها المؤمنون وأنتم بمحنة ، أنكم إذا سمعتم آيات القرآن التي أنزلها الله على رسوله ، يكفر بها المشركون ويستهزئون بها ، فلا تقدعوا معهم حتى يدخلوا في حديث غيره ، يشير الله تعالى إلى قوله في سورة الأنعام التي نزلت بمكة : « وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره ، وإنما ينسينك الشيطان ، فلا تقدعوا بعد المذكوري مع القوم الظالمين » ، إنكم أيها المؤمنون إن قعدتم معهم في

أثناء ذمّهم دينكم ، واستهزءُم به ، تكونون قد أقررتُمُوهُم على ما يتخربَ صونَ
به ، لأنكم رضيتم بالقعود معهم ، مع أنكم قادرون على مغادرة مجالسهم ،
وإن العارض عنهم ، إن الله جامع الكافرين والمنافقين جميعاً في جهنم يوم
القيمة ، كما اجتمعوا على الكفر في الدنيا ، ويدل هذا على أنه يجب
عليها أن تنجي عن مجالس المسلمين ، والمستهزئين بأحكام الدين .

٥ - هؤلاء المنافقون الذين ينتظرون أن تقع بكم في الحروب المحسنة والخطوب ،
إن منحكم الله النصر على أعدائكم ، وحصلتم على الأسلاب والغانم ،
تظاهروا أنتم يمالئونكم ، وقالوا : أسممونا فيما غنمتم ، وأعطونا نصيبنا مما
أصبتم ، فقد كنا بقلوبنا معكم ، أفلانستحق مشاركتكم في نعمتكم ؟ وإن
كان للكافرين نصيب من الظفر بكم وال Herb سجال - تحولوا إليهم ،
وقالوا لهم : ألم نبين لكم أننا معكم على ما أنتم عليه ؟ ألم نخذل المؤمنين
عنكم ؟ ألم نمنعكم من أن يظفروا بكم ، بما أفسحناه من أسرارهم إليكم ؟
فأشكروا فيما أصبتم ، بما لنا من المنة عليكم ؛ فالله يحكم بينكم وبينهم
يوم القيمة ، بإدخالكم الجنة تجدون فيها النعم المقيم ، وإدخالهم النار
يلقون فيها العذاب الأليم ، ولن يجعل الله هؤلاء المنافقين على المؤمنين
طريقاً يوصلهم إلى غرضهم ، بإفشاء أمورهم ، وإذاعة فضائحهم ،
على لسان الوحي .

(٢٠)

إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ ، وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى ، يُرَاوِنُ النَّاسَ ، وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا . مُذَبْدِيْنَ بَيْنَ ذَلِكَ ، لَا إِلَى هُؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هُؤُلَاءِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجْدِدَ لَهُ سَبِيلًا . يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلَيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ، أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا اللَّهَ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا ؟ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ ، وَلَنْ تَجْدِدَ لَهُمْ نَصِيرًا . إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا ، وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ ، وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ ، فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَسَوْفَ يُؤْتَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا . مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِمَا يَبْرِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ ؟ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلَيْهِمْ .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
يُخَادِعُونَ اللَّهَ	يُقدِّرونَ فِي أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ يُخَادِعُونَ اللَّهَ ، وَالْخَدَاعُ : إِظْهَارُ الْإِنْسَانِ خَلَفَ مَا يَخْفِيهُ .

شرحها	الألفاظ
والله مجازيهم على خداعهم ، بافتضاح أمرهم في الدنيا ، وعقابهم في الآخرة .	وهو خادعهم
ولا يُصلُّون إلا نادراً .	ولا يَذَكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا
متردّدين بين الكفر والإيمان . برهاناً بيّناً .	مُذَبْذَبَانَ بَيْنَ بَيْنِ ذَلِكَ سَلْطَانَاً مُبِينَاً
أَسْفَل طبقة من النار . تمسّكوا بكتاب الله ، وعملوا بما فيه .	الْمَرْكَ الأَسْفَلُ مِنَ النَّارِ اعتصموا بالله
أَي مصلحة لله في عذابكم ؟	مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بَعْدَابَكُمْ

مجمل المعنى

١ - إن المنافقين يقدّرون في أنفسهم أنهم يخدعون الله ، يستترُّهم وراء ستار
النفاق والخداع ، وإظهارهم خلاف ما يُبطنون ، والله مجازيهم على
خداعهم ، فيفتضحون في الدنيا بإطلاع الرسول على ما تُكْنَهُ صدورهم ،
وإفشاء أسرارهم ، ويعاقبهم في الآخرة أشد عقاب ، وفي هذا المعنى يقول
زهير بن أبي سُلَيْمَانَ في معلقته :

وَمِهْمَاتِكُنْ عِنْدَ امْرِيٍّ مِنْ خَلِيقَتِهِ وَإِنْ خَاطَهَا تَخْفِي عَلَى النَّاسِ تَعْلِمُ

هؤلاء المنافقون ، إذا قاموا إلى الصلة قاموا متناقلين ، كمن يُكَرَّهُ على
فعل لا رغبة له فيه ، لأنهم لا يعتقدون ثواباً في عملها ، ولا عقاباً على
تركها ، يظهرون للناس خلاف ما يُصْحِرونَ رباءً ومكرّاً ، ولا يُصلُّونَ

إِلَّا نادِرًا ، لَأْنَهُمْ لَا يَؤْدِونَهَا إِلَّا إِذَا اضْطُرُوا إِلَيْهَا ، إِذَا لَا يَسْتَغْوِنُونَ مِنْ أَدَاءِهَا
إِلَّا أَنْ يَرَاهُمُ الْمُؤْمِنُونَ ، فَيَحْسِبُوهُم مِنْهُمْ .

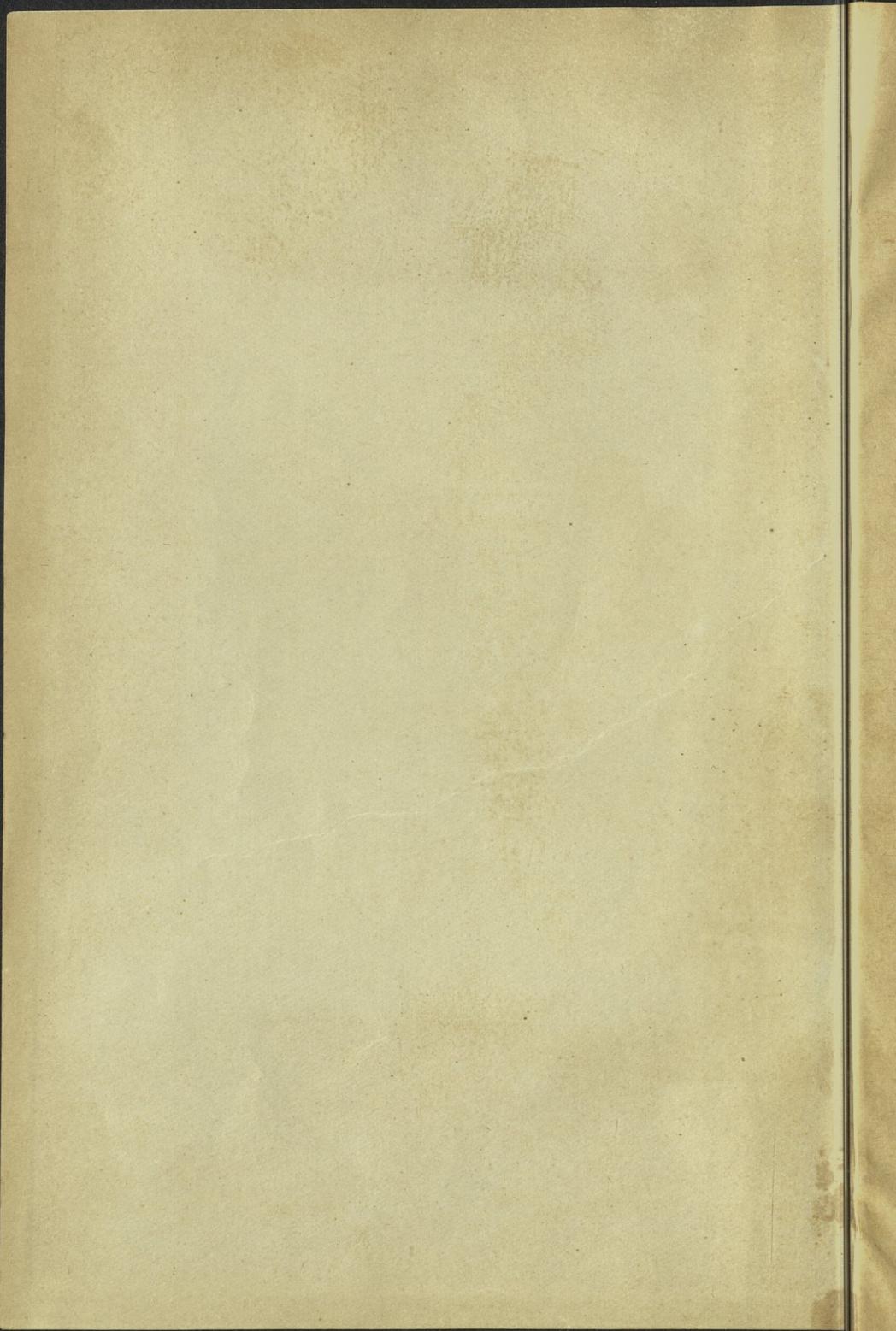
٢ — فَهُمْ مُتَرَدّدُونَ بَيْنَ الْكُفَّارِ وَالْإِيمَانِ ، لَا هُمْ مُنْسُوبُونَ إِلَى الْمُؤْمِنِينَ وَلَا إِلَى
الْكُفَّارِ ، وَلَكُنْهُمْ ضَالُّونَ مُضَلُّوْنَ ، وَمِنْ قَضِيَّةِ مُشَيَّةِ اللَّهِ أَنْ يَكُونَ ضَالًّا ،
لِعَدَمِ اسْتِعْدَادِهِ لِلْهَدِيَّ ، فَلَنْ تَجِدْ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْحَقِّ وَالصَّوَابِ وَالْهَدَايَةِ .

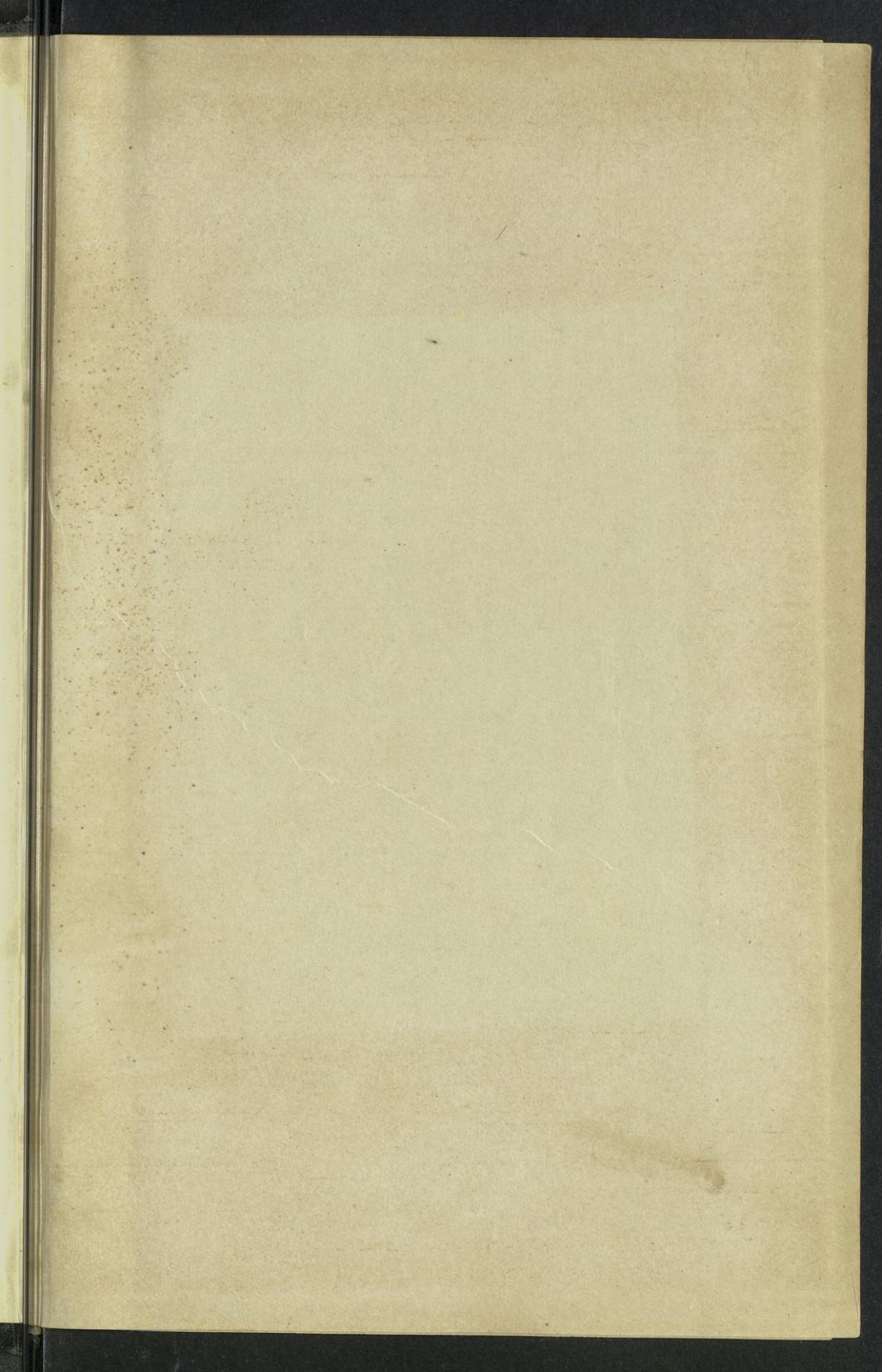
٣ — يَأْيُهَا الْمُؤْمِنُونَ الْمَاصِدِقُونَ إِلَيْهِمْ ، احْتَرِرُوا أَنْ تَتَخَذُوا الْكُفَّارَ أَصْدِقَاءَ
وَأَنْصَارًا وَأَعْوَانًا لَكُمْ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ، فَإِنْ هَذَا صُنْعُ الْمَنَافِقِينَ ،
فَلَا تَتَشَبَّهُوْ بِهِمْ ، أَتَرِيدُنَّ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ بِمَوْلَاتِهِمْ حِجَّةً عَلَى النِّفَاقِ
الَّذِي يُحِبُّ أَنْ تَبْرُعُوا مِنْهُ ؟ فَهُنَّ يَوَالُ الْمَنَافِقِينَ يَصِيرُ شَبِيهًّا بِهِمْ ، وَيَسْتَحقُّ
مَا يَسْتَحْقُهُ أَهْلُ النِّفَاقِ .

٤ — إِنَّ الْمَنَافِقِينَ يُلْقَوْنَ فِي أَسْفَلِ طَبَقَاتِ النَّارِ ، لَأْنَهُمْ أَخْبَثُ الْكُفَّارَ ،
إِذْ ضَمَّنُوا إِلَى الْكُفَّارِ الْاسْتَهْزَاءَ بِالْإِسْلَامِ ، وَخَدَاعَ الْمُسْلِمِينَ ، وَلَنْ تَجِدْ لَهُمْ
نَصِيرًا يُشْفَعُ لَهُمْ ، بِطَلْبِ تَحْفِيفِ الْعَذَابِ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، إِلَّا الَّذِينَ
تَابُوا عَنِ النِّفَاقِ ، وَأَصْلَحُوا مَا أَفْسَدُوا مِنْ أَعْمَالِهِمْ ، وَأَحْوَلُهُمْ وَنِيَّاتِهِمْ ،
وَتَمْسَكُوا بِأَهْدَابِ دِينِ اللَّهِ ، وَأَخْلَاصُوا لِلَّهِ وَحْدَهُ دِينَهُمْ ، فَلَا يُرَاوِعُونَ ،
وَلَا يَتَغَوَّلُونَ بِطَاعَتِهِمْ إِلَّا وَجْهَهُ ، فَأَوْلَئِكَ يُعْدَدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَسُوفَ يُؤْتَى اللَّهُ
الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ، فَيَنَالُونَ نَصِيرَهِمْ مِنْهُ .

٥ — إِنَّ اللَّهَ لَا يُرِيدُ مِنْ عِبَادِهِ إِلَّا أَنْ يَتَشَبَّهُوا بِالْمُدِينِ الْحَقِّ ، وَيَتَمَسَّكُوا
بِأَهْدَابِهِ ، وَهُوَ إِنَّمَا يَعْلَمُ بِالْكُفَّارِ لَأْنَهُمْ عَصَوْا رَسُولَهُ ، وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءِهِمْ ،
فَلَيَسْ لِلَّهِ نَفْعٌ فِي أَنْ يَعْذِبَ عِبَادَهُ إِنْ شَكَرُوا نَعْمَاءَهُ ، وَصَدَّقُوا رَسُولَهُ ،
لَأَنَّهُ الْعَنْيَ الْمَتَعَالِي ، فَلَا يَرِيدُ مِنْهُمْ رِزْقًا ، وَلَا يَرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوهُ ، كَمَا قَالَ
فِي سُورَةِ الْمَدْرَيَاتِ ، فَإِذَا أَزَلَّ الْعَبْدَ مِنْ نَفْسِهِ مَا يَخَافِرُ فَوَادَهُ مِنَ الْجَحِودِ ،

والإصرار على الكفر ، واستبدل بهما الشكر والإيمان ، ونقى نفسه من
الفساد والطغيان ، وانضوى تحت لواء المؤمنين الصادق الإيمان ، استحقَّ
رضا الله وحسن الجزاء ، وكان الله شاكراً لعباده ، بجزائه لهم الشواب
على أعمالهم الصالحة ، علیمًا بخلقه ، يعلم المفسد من المصلح .





297.207:H23tA:v.1-5:c.1

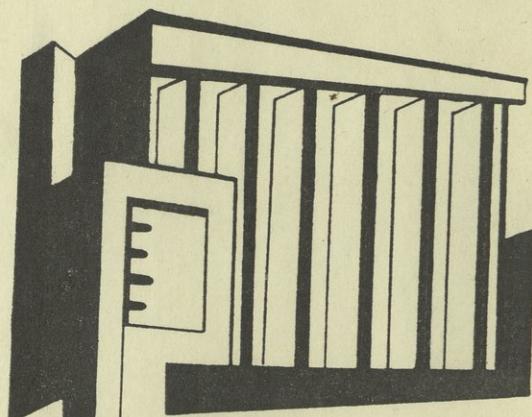
برانق، محمد احمد

تفسير القرآن الكريم

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01009913



AMERICAN
UNIVERSITY OF BEIRUT

207
A
5